
AYASOFYA KÜTÜPHANESİ
79

كتاب انوار اللائحة في اسرار الفاتحة وغيره

[illegible]

مجموع مبارك [illegible] به

الانوار اللائحة في اسرار

الفاتحة وغير نفع

[illegible]

[illegible]

قد وقف هذه النسخة الجليلة سلطاننا الأعظم والخاقان المعظم مالك البرين والبحرين خادم الحرمين الشريفين السلطان ابن السلطان السلطان الغازي محمود خان وقفا صحيحا شرعيا لمن طالع واسترشد وأنا الأسعد خلد الله ملكه

حرره الفقير أحمد شيخ زاده المفتش بأوقاف الحرمين الشريفين غفر لهما

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين

الحمد لله فاتق رتق قلوب ذوي التوفيق بمنته، وسابق ودق غيوث التحقيق
لاجنة صفوته، ومنبت اقوات الارواح من فرايح ذوي الفلاح متنوعة بقدرته،
ومخرج ثمار العلوم من اكمام الفهوم متصلة بحكمته، الذي من علينا باشرف
كتاب، والطف خطاب، ووصل به اسباب وصلته، واودع فيه علم كل معلوم
وسر كل ظاهر ومكتوم، فكل عالم وعارف ينال منه ما كتب له في قسمته، يتسابق
في ميادين عجايبه المتفكرون، ويتصادق على قوانين غرايبه المتدبرون،
وينقطع عن لحاق غايته الاولون والاخرون، فلا مطمع لاحد في بلوغ نهايته،
ولو كان البحر مدادا ممدودا بسبعة ابحر والاشجار اقلاما لنفدت وما بلغت
احاطة بلاغته، فسبحان من انزله معجزا وجعله معرجا تعرج الافهام فيه الى
سموات معرفته، واشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له في مملكته، واشهد ان
سيدنا محمدا عبده ورسوله افصح من افصح عن الحق ببراعة عبارته، وامنح من منح
الخلق هدايا هدايته، واعرف من عرف الله وعرف شعاير التيسير بعثته،
والطف من كشف عن اسرار كلام الله بتنبيه صراحته وتنويه اشارته،
صلى الله عليه وعلى اله وصحابته، صلاة دايمتين ممدودتين بخصايص كرامته،
ولاما

اما بعد فقد ورد علي كتابك ايها الاخ الاعز بل السيد الانور تشير فيه
الى ما سمعته مني في بعض المجالس من التنبيه على بعض ما تضمنته سورة الفاتحة
من جوامع المعاني النفايس، وانها مشتملة على جملة مقاصد القران الكريم
مجملة لتفاصيل الايات والذكر الحكيم، فلا عثر ذلك بعض المعتبرين مصححا له
بالادلة والبراهين، وقصدت نفع الله ببركاتك ان اكشف لك عن قواعد
تلك المعاني، واعرفك ما ينبني عليها من المباني، وان ابسط ذلك من تفسير كلمات
السبع المثاني وها انا اشرع في اجابتك مستمطرا منك المدد بملاحظتك فملاحظات
ارباب القلوب تعين على المطلوب، ولم اطل الان بذكر عجزي عن القيام بما
اردت فان ذلك معلوم، ولا بعظم خطر ما قصدت فانه ايضا مفهوم، وانا الجات
الى الله سبحانه في تحقيق ظنك بي، ورجوت منه سبحانه ان يفتح ابواب
ابواب التيسير لمطلبك ومطلبي فهو سبحانه عند ظن عبده به، وهو مع من
ذكره بمنه وقبوله وتقريبه، وقد رايت ان اقدم فصولا سبعة يكون

المتقدم

المتقدم منها كالمقدمة لما بعده والمتاخر منها كالتتمة لما قبله والمجموع كالعلة
المجملة لبيان كمال الفاتحة وما اشتملت عليه من المقاصد المهمة، لتنبعث
همة الواقف على هذه الفصول الى تامل هذه السورة الكريمة وتعظيمها
واجلال منزلها ومن انزلت عليه ومن خوطب بها وكلف بمقتضاها والتادب
في التخلق بما تضمنته من احكام العبودية، والتعلق بما كشفته من كمال
الربوبية والاحدية، وهذا سر انزال القران الشريف وعليه مدار التكليف
والثاني في اسمايها والثالث في حكمة الابتداء بها والرابع في بيان
وجه اشتمالها على مهمات مقاصد القران كله اجمالا والخامس في
الاشارة الى كيفية التوصل الى فهم معانيها والسادس في الاشارة الى
معنى كون القران انزل على سبعة احرف والسابع في الاشارة الى
انقسام القران الكريم الى ظهر وبطن وحد ومطلع وسميته الانوار اللايحة
من اسرار الفاتحة وحسبنا الله ونعم الوكيل

الفصل الاول في فضايلها

قال الله سبحانه ممتنا على اكرم انبيايه محمد صلى الله
عليه وسلم وعليهم اجمعين ولقد اتيناك سبعا من المثاني والقران العظيم
قال عمر بن الخطاب وعلي بن ابي طالب وغيرهما من الصحابة رضي
الله عنهم اجمعين السبع المثاني هي الفاتحة وبه قال قتادة وعطا والحسن
وسعيد بن جبير وغيرهم وعليه اكثر المفسرين ويروى عن سعيد بن جبير
عن ابن عباس انها السبع الطول اي التي اولها سورة البقرة بالاتفاق
واخرها عند بعضهم سورة الانفال مع التوبة وبعضهم يجعل سورة يونس
عوضا من الانفال وهذه الرواية ضعيفة ومما يقوي ضعفها مخالفة
مذهب ابن جبير لها فقد تقدم ان مذهبه انها الفاتحة ويبعد ان يسمع ابن
جبير من ابن عباس شيا محققا ويتمذهب بغيره مع انه تشتمه لا سيما والتفسير
توقيف وابن عباس ترجمان القران والعالم بالتاويل والفقيه في الدين
وعلى تقدير صحة هذه الرواية يحمل على ان ابن عباس رضي الله عنهما
يرى ان السبع الطول ايضا تسمى السبع المثاني من غير ان يمنع ذلك في
الفاتحة بل الظاهر انه اراد ان من اسما الفاتحة السبع الطول وقد جا ذلك
في بعض روايات حديث ابي بن كعب اعني ان النبي صلى الله عليه وسلم قال له في

الفاتحة انها السبع الطول ۝ وقد حمل بعض العلما هذه الرواية على ان ابن عباس
لم يبلغه الحديث المرفوع في ذلك او لم يصح عنده وبعد في ذهني هذا الحمل
لغزارة علم ابن عباس وكثرة اطلاعه وبالجملة فالصواب ان الفاتحة السبع
المثاني فقد نص على ذلك النبي صلى الله عليه وسلم واذا صح رفع شي اليه صلى
الله عليه وسلم لم يجز العدول عن مقتضاه ۝ فثبت في صحيح البخاري رحمه
الله تعالى من حديث ابي سعيد بن المعلى رضي الله عنه قال قال لي رسول الله صلى
الله عليه وسلم الا اعلمك اعظم سورة في القران قبل ان تخرج من المسجد فاخذ
بيدي فلما اردنا الخروج قلت يا رسول الله انك قلت لاعلمنك اعظم سورة في
القران قال الحمد لله رب العالمين هي السبع المثاني والقران العظيم الذي
اوتيته ولم يخرج البخاري رحمه الله لابي سعيد هذا في صحيحه غير هذا الحديث
وانفرد باخراجه له عن مسلم رحمه الله واسم ابي سعيد رافع وقيل لا يعرف له اسم ۝
واخرج ايضا هذا الحديث ابو داود والنسائي وابن ماجة ولفظ رواية ابي
داود عن ابي سعيد بن المعلى رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم مر به
وهو يصلي فدعاه قال فصليت ثم اتيته قال فقال ما منعك ان تجيبني قال كنت
اصلي قال الم يقل الله يا ايها الذين امنوا استجيبوا لله وللرسول اذا دعاكم لما
يحييكم لاعلمنك اعظم سورة من القران او في القران شك خالد قبل ان يخرج من
المسجد قال قلت يا رسول الله قولك قال الحمد لله رب العالمين هي السبع المثاني
التي اوتيت والقران العظيم ۝ واخرج البخاري ايضا وابو داود والترمذي
من حديث ابي هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال الحمد لله رب العالمين ام
القران وام الكتاب والسبع المثاني وسياتي في فصل اسمايها معنى تسميتها
بالمثاني واختلاف الناس في ذلك ويظهر في ضمن ذلك في فضايلها ما يظهر
وكل ما ياتي في بيان اسمايها متمم لبيان فضايلها ما يظهر وكل ما يلي
الاعم والاخص لكونها من الكلام القديم المنزل الذي لا ياتيه الباطل من
بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد ۝ وكونها فاتحة اعظم الكتب
المنزلة ومفتتحة بذكر اسما الله تعالى والثنا عليه بصفات جلاله وجماله
وكماله وكونها مفروضة في الصلوات لا يقوم غيرها مقامها الا عند العجز
وكونها مشتملة على جميع مقاصد القران وكونها جامعة بين ما يتخلق به

ويتعلق

ويتعلق به ۝ وكونها مقسومة بين العبد وبين ربه • وكونها لسان المناجاة
في اكمل العبادات • وكونها مسفرة عن الاستجابة لما اشتملت عليه
من الدعوات • وكونها مخلصة ومفهمة ومكملة للاعمال والاحوال الحسيات
والمعنويات ۝ وكونها شفا من اسقام القوالب والقلوب الى غير ذلك مما ياتي
التنبيه عليه ان شا الله تعالى • واعظم ما يستدل به على فضلها الكامل المستتبع
لجميع الفضايل كلها ما نبهت عليه في اول هذا المقصد من امتنان الله سبحانه
مع كمال جلاله وجمال كماله على اكرم انبيايه • واخص اصفيايه • بهذا
الامر الذي ذكره به تتمة الكاملة عليه بضميمة اضافة الاتيان الى ضمير
عظمته سبحانه وتنكير الممنون به تنكير ايذان بالتعظيم وتنويه بغاية الشرف
وفي مسند عبد ابن حميد مرفوعا الى النبي صلى الله عليه وسلم ان الفاتحة
تعدل ثلثي القران وفي عن عبد الله بن جابر قال انتهيت الى رسول
الله صلى الله عليه وسلم وقد اهراق الماء فقلت السلام عليك يا رسول الله فلم يرد علي
قال فقلت السلام عليك يا رسول الله فلم يرد علي فانطلق رسول الله صلى الله
عليه وسلم يمشي وانا خلفه حتى دخل رحله ودخلت انا المسجد فجلست كئيبا حزينا فخرج
علي رسول الله صلى الله عليه وسلم قد تطهر فقال وعليك السلام ورحمة الله وبركاته
وعليك السلام ورحمة الله ثم قال يا عبد الله بن جابر الا اخبرك باخير سورة في
القران قلت بلى يا رسول الله قال اقرا الحمد لله رب العالمين حتى تختمها
وادلة فضلها كثيرة وانما اقتصرت على هذا لما فيه من الكفاية **الفصل
الثاني في اسمايها** ليس يخاف ان كثرة الاسما من الشرف ولا التزم
حصر اسمايها في نفس الامر ولكن المذكور في كتب التفسير اثنان وعشرون
اقتصر بعضهم على بعضها لرجوع الباقي اليه او لغير ذلك وها انا اذكر
الجميع فالاول فاتحة الكتاب وهو الاسم المتفق عليه المنبه على جلالة
قدرها لما تقتضيه الفواتح من لطايف التعريف وعوارف التشريف مما
سيتضح بما اذكره في فصل حكمة الابتدا بها واذا خوطب مشرف فوتح في
صدر الخطاب باشرفه لان الفاتح بها في صدر الخطاب هذه الامة المشرفة
وكل من شرف السورة وشرف الامة يدل على الاخر اما اشرفية الفاتحة
على ساير القران فيدل عليه ما سبق من قوله صلى الله عليه وسلم اعظم سورة

في القران وقوله ايضا باخير سورة بصيغة افعل التفضيل وما سياتي ايضا
من دلايل فضلها واما تشريف هذه الامة بها وبباقي القران فيدل عليه قوله
تعالى وانه لذكر لك ولقومك اي شرف وقوله تعالى لقد انزلنا اليكم كتابا فيه
ذكركم اي شرفكم ونحو ذلك من الايات ن وسميت فاتحة الكتاب لانها
اوله وفاتحة كل شي اوله وخاتمته اخره او لانها تفتح معاني الكتاب او تفتح
القلوب لفهمه والثاني ام الكتاب نقله المفسرون عن ابن عباس رضي الله عنهما
وقد صح رفعه الي النبي صلى الله عليه وسلم كما نعلم قريبا وقال به جمهور
الناس ولم ينقل التوقف فيه الا عن الحسن خاصة كما جزم بنقله شيخنا الشيخ
اثير الدين ابو حيان رحمه الله في تفسيره وعلى تقدير ثبوت ذلك عنه يتعذر عنه
او يوول كلامه وام الشي في وضع اللغة واستعمالها لها معان يدور على قطبين
احدهما اصل الشي اما في وجوده او تعديته او تربيته او اصلاحه ومن هذه
المادة سميت الوالدة امًّا لانها اصل في الوجود اي على سبيل الاسناد المجازي
واطلق ذلك على والدة الوالدة وان علت نظرا الى انها اصل للاصل وسميت
المرضعة امًّا ايضا باعتبار انها اصل في التغذية باللبن وفي التربية وسميت مكة
ام القرى باعتبار اصليتها حيث دحيت الارض من تحتها وترتب وجود باقي
الارض على وجودها وسميت ازواج النبي صلى الله عليه وسلم امهات المومنين لانهن
من الاصول في اصلاحهم الديني وتعليمهم اليهم انواعا من الاحكام الشرعية
والحكم الدينية حتى تغذت عقولهم بها وايضا استعارة من الام التي هي الوالدة
برابطة تحريم نكاحهن على المومنين وحرمتهن وكل اصل للشي او لبعضه في
شي من هذه الامور فقد يطلق عليه الام والاب الا ما منع من اطلاقه
كما منعنا من اطلاق ابوة النبي صلى الله عليه وسلم لنا بقوله تعالى ما كان
محمد ابا احد من رجالكم وقال تعالى ادعوهم لابائهم نزلنا في حق زيد
بن حارثة حيث كان يدعى زيد بن محمد واذا كان الاصل مدار الجملة
ما يتفرع عليه اما بالفعل او القوة كان اجدر بتسميته اما وابا اذا ساغ
اطلاق ذلك ن ومن هذا المعنى سمي اللوح المحفوظ ام الكتاب كما في قوله
تعالى وانه في ام الكتاب لدينا لعلي حكيم ن ولذلك قوله تعالى وعنده ام الكتاب
على راي من ذهب انه اللوح المحفوظ لانه اصل لما ابداه الله سبحانه من المعلومات

ومنه

ومنه تستمد الملايكة عليهم الصلاة والسلام ولانه جامع لها محتو عليها وان اخذنا
بقول من قال ام الكتاب علم الله المحيط باللوح المحفوظ وغيره من المعلومات
فواضح ايضا الفصل الثالث ما اليه مرجع الشي ومرده وهو من معنى
الاحاطة بالشي قال الخليل كل شي ضم اليه سائر ما يليه يسمى امًّا انتهى ن
ومن هذه المادة قوله تعالى واما من خفت موازينه فامه هاوية اي مرجعه
اليها ومستقره فيها وهي الضامة له وقيل المراد بامه ام راسه وقوله هاوية
اي في النار ويقال لمن ياوي اليها الضيفان والمساكين ام الضيفان وام المساكين
ونحو ذلك ن واذا تعرفت معاني الام ظهرت مناسبات تسمية هذه السورة
بام القران باعتبار انها اصل يستخرج منها فروع الاحكام والحكم ويثبت من تلك
الفروع ثمرات العبادات والعبوديات وباعتبار ان مرجع الافهام اليها وباعتبار
ثبوت حرمتها وامدادها بلطايفها وتربيته كلماتها للارواح والاشباح الى
غير ذلك مما يظهر من مناسبات مواد لفظ الام ويتاكد بذلك فضلها كما جا في الحديث
فاتحة الكتاب افضل القران لطيفة مما ينوه برجوع متعلقات الكتاب
العزيز الى الفاتحة انها اعني الفاتحة مشتملة على اسما الله تعالى الخمسة الدالة
على جميع الصفات العظيمة التي عم تعلقها الكاينات . واعني بالاسما الخمسة
الله . والرحمن . والرحيم . ورب العالمين . وملك يوم الدين . ولا شك انه القران
على راي جماعة من المفسرين وقال اخرون هو اللوح المحفوظ ولا يمنع ذلك
كون القران ايضا كذلك وقد وقع في القران اصرح من ذلك في حق القران
قال تعالى ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شي وكيف لا يكون كذلك وقد
انزل خطابا للمكلفين مبينا لجميع ما يتوقف عليه التكليف من معرفة
المعبود وملايكته وكتبه ورسله . واحكامه . ووعده . ووعيده . وقصص
المطيعين . والعاصين ترغيبا وترهيبا واخبار ما كان وما سيكون مما يدل
على المعبود وعلمه وقدرته وارادته وجميع صفاته ووحدانيته فلزم
ان يكون الكتاب العزيز مشتملا على ذكر كل شي مما يتعلق بدواير التكليف
والتعريف بل كل كتاب انزله الله سبحانه فهو مشتمل على ذكر كل ما سوف
تكليف تلك الامة عليه الا ترى الى قوله تعالى في حق التوراة وكتبنا
له في الالواح من كل شي موعظة وتفصيلا لكل شي فلما اشتمل الكتاب

العزيز على هذه الامور ناسب ان تكون الفاتحة المشتملة على الاسما الخمسة
الدالة على الصفات المتعلقة بتفاصيل الامور وامثاله والله تعالى اعلم ن
واذا تاملت الاسما الحسنى كلها رايت معانيها راجعة الى هذه الاسما
الخمسة التي هي كالاصل لما يتفرع عليها وكان دوايرهذه الاسما الخمسة محيطة
بالدين الاسلام ويظهر منه مناسبة كون الاسلام بني على خمس ن ومن تامل قواعد
الاسلام المشار اليها لم يخف تعلقها بالاسما الخمسة ولم يخف ايضا مناسبة
فرض الصلوات وفرضية الفاتحة فيها ليكون الانسان في اوقاته الخمس
متدبرا للاسما الخمسة وما يتعلق بها وبالجملة ذلك على طاعة الله سبحانه بضبط
حواسه الخمس الى غير ذلك مما يلوح للفهم ويختلف فيه المدارك وقد نبه الامام
فخر الدين بن الخطيب رحمه الله في تفسير هذه الاسما الخمسة وعلى مناسباتها
وذكر من مناسباتها ما معناه ان هذه الاسما الخمسة التي هي معرفة بكمال
الربوبية مقابلة للحالات الخمسة التي عليها مدار العبودية وهي العبادة
والاستعانة والهداية والاستقامة وطلب النعمة وذكر ايضا ان الانسان
مركب من خمسة اشيا بدنه ونفسه الشيطانية ونفسه الغضبية ونفسه
الشهوانية وجوهره الملكي واشار الى اشيا بعضها فيه نظر وبعضها
متداخل وبعضها ضعيف المناسبة وابواب الافهام متعددة والافهام متفاوتة
والله محيط بمعاني كلامه وقد قسم ابو الفرج ابن الجوزي رحمه الله عمر الانسان
الى خمسة اوقات وسماها مواسم فالاول من وقت الولادة الى البلوغ ن
والثاني من البلوغ الى نهاية الشباب قال وهو خمس وثلاثون سنة
والثالث من ذلك الزمان الى تمام خمسين سنة وذلك زمن الكهولة قال
وقد يقال كهل لما قبل ذلك والرابع من بعد الخمسين الى تمام سبعين سنة
وهو زمان الشيخوخة والخامس من السبعين الى اخر العمر وهو زمن
الهرم قال وقد يتقدم ما ذكرنا من السنين ويتاخر انتهى وبعض كلامه
مخالف فيه وبالجملة فالفاتحة مشتملة على اصول مقاصد القران ويتضح
ذلك بما سياتي ايضا من بيان اشتمالها على مقاصد القران كله ما يكشف
عن مناسبة تسميتها بام الكتاب الاسم الثالث ام القران لوروده
في الحديث الصحيح مثل قوله صلى الله عليه وسلم كل صلاة لا يقرا فيها بام القران

فهي خداج

فهي خداج وسياتي الحديث بكماله ان شا الله تعالى عند تسميتها بالصلاة والمعنى
في هذا الاسم هو المعنى الذي قبله في ظاهر الامر ويحتمل ان يكون بينهما
فرق ويكون كل اسم ابلغ من الاخر من وجه دون وجه فاما ام الكتاب
فان نظرنا الى ان الكتاب اسم جنس لكتب الله تعالى كلها فيكون
الفاتحة ام الكتاب باعتبار احتوايها على جملة ما في الكتب كلها ن ويؤيد
هذا ما روي عن الحسن انه قال انزل الله مايه واربعة كتب من السما اودع
علومها اربعة منها التوراة والانجيل والزبور والفرقان ثم اودع علوم الاربعة
الفرقان ثم اودع علوم القران في المفصل ن ثم اودع علوم المفصل فاتحة الكتاب
فمن علم تفسيرها كان كمن علم تفسير جميع كتب الله تعالى المنزلة وعلى هذا فام
الكتاب ابلغ من ام القران من هذا الوجه واما كون ام القران ابلغ فباعتبار
التنصيص على افضل الكتب وهو القران فمن هذا الوجه يكون ابلغ في التنويه
بالفضل والله تعالى اعلم ن وقد نقل عن ابن سيرين انه كره تسميتها بام القران
والجمهور على خلافه وهو الصواب لثبوت الحديث الصحيح الاسم الرابع
السبع المثاني لما تقدم في فضلها وسميت سبعا لانها سبع ايات باتفاق
حتى ان من لم يثبت البسملة اية منها قسم فواصلها الى سبع ومن اثبتها غير
مواضع العدد فعلى قول من لم يثبتها الحمد لله رب العالمين اية اولى • الرحمن
الرحيم ثانية • ملك يوم الدين ثالثة • اياك نعبد واياك نستعين اية رابعة •
اهدنا الصراط المستقيم خامسة • صراط الذين انعمت عليهم سادسة • غير المغضوب
عليهم ولا الضالين سابعة • وعلى قول من اثبتها قولان اصحهما وهو المشهور
ان بسم الله الرحمن الرحيم الاية الاولى • الحمد لله رب العالمين
الثانية • الرحمن الرحيم الثالثة • ملك يوم الدين الرابعة • اياك نعبد واياك
نستعين الخامسة • اهدنا الصراط المستقيم السادسة • صراط الذين انعمت عليهم
غير المغضوب عليهم ولا الضالين السابعة • والقول الثاني ان بسم الله
الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين كلاهما اية واحدة • وانعمت عليهم الاية
السادسة • والباقي كالاول وزعم هذا القايل ان البسملة هنا بعض اية كما
انها كذلك في سورة النمل وهو ضعيف جدا • ويسن الوقف على فواصل اياتها
فقد ثبت ذلك عن النبي صلى الله عليه وسلم ومن الحكمة في كونها سبع ايات

هل

تناسب ما وقع للقران الكريم من الامور المسبعات مثل كونه نزل على سبعة
احرف من سبعة ابواب وتعددت طرق قراآته المتواترة الى سبع واشتمل
على انواع سبع. وهي النهي. والامر. والحلال. والحرام. والمحكم. والمتشابه.
والامثال. واشتمل ايضا على سبع مقاصد كما سياتي ومثل ما ذهب اليه بعضهم
من ان القران انزل بلغة سبع فرق من العرب. وهم قريش. وتميم. وسعد بن بكر
بن وايل. وخزاعة. وهذيل. وهوازن. وكنانة. ومثل ما اشتملت عليه قراآته
السبع من الكيفيات السبع. وهي الامالة. والتفخيم. والهمز. والتسهيل. والادغام.
والنقل. والتغيير في حرف او حركة. وروم. واشمام. وكل سبعة من هذه الامور
يحتاج الى شرح واستدلال. ولكن تركت ذلك هنا اختصارا الا كونه مشتملا على
انواع سبع فلا بد من ذكره وساذكره في فصل بيان اشتمالها على مقاصد القران.
ان شا الله تعالى. ولما حصل التسبيع في القران من هذه الوجوه ناسب
ان ينظر الى ما وقع من التسبيع بالنسبة الى المواد المعينة على فهمه وقد ذكر
شيخنا الشيخ اثير الدين ابو حيان رحمه الله في تفسيره ان النظر في تفسير
القران يحتاج الى وجوه لا بد للمفسر منها. الوجه **الاول** علم اللغة اسما وفعلا
وحرفا فالحروف لقلتها تكلم على معانيها النحاة فيوخذ ذلك من كتبهم
واما الاسما والافعال فتوخذ من كتب اللغة. الوجه **الثاني** معرفة الاحكام
التي للكلم العربية من جهة افرادها وتركيبها ويوخذ ذلك من علم النحو.
الوجه **الثالث** كون اللفظ المفرد او التركيب احسن وافصح ويوخذ ذلك
من علم البيان والبديع. الوجه **الرابع** تعيين مبهم وتبيين مجمل وسبب
نزول ونسخ ويوخذ ذلك من النقل الصحيح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
وذلك من علم الحديث. الوجه **الخامس** معرفة الاجمال والتبيين والعموم
والخصوص والاطلاق والتقييد ودلالة الامر والنهي وما اشبه ذلك ويختص
اكثر هذا الوجه بجزء الاحكام من القران ويوخذ هذا من اصول الفقه.
الوجه **السادس** الكلام فيما يجوز على الله تعالى وما يجب له وما يستحيل
عليه والنظر في النبوات ويختص هذا الوجه بالايات التي تضمنت النظر في
الباري تعالى وفي الانبيا وفي اعجاز القران ويوخذ هذا من علم الكلام.
الوجه **السابع** اختلاف الالفاظ بزيادة ونقص او تغيير حركة او اتيان

بلفظ

بلفظ بدل لفظ وذلك بتواتر واحاد ويوخذ هذا الوجه من علم القراات
فهذه سبعة وجوه لا ينبغي ان يتقدم على تفسير كتاب الله تعالى الا من احاط
بجملة غالبه من كل وجه منها انتهى كلامه رحمه الله تعالى ملخصا وقد سبق هو ايضا
رحمه الله سبب احتياج المفسر الى هذه الامور المذكورة فقال لما ذكر حد
التفسير التفسير علم يبحث فيه عن كيفية النطق بالفاظ القران ومدلولاتها
واحكامها الافرادية والتركيبية ومعانيها التي يحمل عليها حالة التركيب
وتتمات لذلك قال فقولنا علم هو جنس يشمل ساير العلوم وقولنا يبحث
فيه عن كيفية النطق بالفاظ القران هو علم القراة وقولنا ومدلولاتها
اي مدلولات تلك الالفاظ وهذا هو علم اللغة الذي يحتاج اليه في هذا العلم
وقولنا واحكامها الافرادية والتركيبية هذا يشمل علم التصريف وعلم الاعراب
وعلم البيان وعلم البديع وقولنا ومعانيها التي تحمل عليها حالة التركيب
يشمل قوله التي تحمل عليها ما دلالته التركيب بالحقيقة وما دلالته عليه
بالمجاز فان التركيب فيه قد يقتضي بظاهره شيئا ويصد عن الحمل على الظاهر
صاد فيحتاج لاجل ذلك ان يحمل على غير الظاهر وهو المجاز وقولنا وتتمات
لذلك هو مثل معرفة النسخ وسبب النزول وقصة توضح بعض ما ابهم في
القران ونحو ذلك انتهى. فان قلت قد عرفت ما اشرت اليه من الامور
المسبعات التي وقعت للقران الكريم وظهر لي ان كون ايات الفاتحة سبعا
له وجه مناسبة فهل لهذا التسبيع من الاصل من سر وحكمة. قلت يظهر
لي والله تعالى اعلم انه لما كان كل شي متعلق صفات الله تعالى العظمى
السبع التي هي ملاك امر الالهيه وهي الحياة. والعلم. والقدرة. والارادة.
والسمع. والبصر. والكلام. وكان القران الكريم مشتملا على ذكر كل شي
كما تقدم ناسب ان يرتل بالدواير السبعيات. وان يتجلى في المظاهر
السبعيات لتظهر فيه ومنه متعلقات الصفات السبع من حيث بروز الامر
التكليفي ونفوذ الامر التكويني وهذا على مساق ان مظاهر الصفات السبع
تبدا غالبا سبعا سبعا. ولهذا لما كانت السموات والارض من اعظم العوالم
المحسوسات وكانت شاملة للظروف المكانية من العلويات والسفليات
خلقت سبعا سبعا. قال تعالى الله الذي خلق سبع سموات ومن الارض

مثلهن يتنزل الامر بينهن لتعلموا ان الله علي كل شي قدير وان الله قد احاط
بكل شي علما ومن تامل هذه الايه تعلم منها الي ما اشرت اليه من دلالة
هذه الامور علي كمال الصفات ولذلك لما كانت الظروف الزمانيه متكررة من
الايام جعلت الايام سبعا وكذلك لما كان الانسان اعظم المظاهر الكماليه
خلق في بطن امه من اطوار سبع قال تعالي ولقد خلقنا الانسان من سلالة
من طين ثم جعلناه نطفة في قرار مكين ثم خلقنا النطفة علقة الايه ۝ ولما
كان اخص مقصود منه اي من الانسان عوالمه المدركه المميزة التي بها يتلقي
التكليف ويترقي الي المعرفة في درجات التعريف ويجلس بها علي مراتب
التشريف جعلت سبعا وهي النفس • والقلب • والعقل • والروح • والسر
والخفيه • والمعني • فهذه المدارك السبع يدرك متعلقات الصفات السبع
ولما كانت هذه العوالم الروحانيات تحتاج الي كمال ظهورها في الدنيا
الي معالم الحسيات جعل بدنها مركبا من اعصاب وعضلات وغير ذلك وجمعت
تحت هيمنة الاعظم السبع وهي التي امر بالسجود عليها حسب قوله صلي الله
عليه وسلم فيما ثبت في الصحيحين امرت ان اسجد علي سبعة اعظم الجبهة
واشار بيده الي انفه واليدين والركبتين واطراف القدمين ۝ وجعل
الغالب في تمييز الانسان اذا بلغ سبع سنين ولهذا يومر بالصلاة لسبع
ويخير بين ابويه وهو ابن سبع ونحو ذلك وجعل رزقه في سبع كما سياتي
قريبا ۝ ولما كان الحج من اكبر قواعد الاسلام وهو مشتملا علي التعبد
المحقق لوصف العبديه والمشرق بنور عزه الربوبيه • والمنوه بالمرجع
والمآب • والمنبه علي ما يليق بالحضرة من الاداب كالتجرد • والتلبيه • والتعلق
والالتجا • والخضوع • وغير ذلك جعل اكثر افعاله سبعا سبعا • كالطواف
والسعي • ورمي الجمرات • وروي عن ابن عباس بروايات مختلفة اخرج
بعضها الطبراني في احد معاجمه ملخص مجموعها انه قال كان عمر
يدعوني مع اصحاب محمد عليه الصلاة والسلام فيقول لا تتكلم حتي يتكلموا
فدعاهم فسالهم عن ليلة القدر فقال ارايتم قول رسول الله صلي الله عليه وسلم
التمسوها في العشر الاواخر اي ليلة ترونها فقال بعضهم ليلة احدي وقال
بعضهم ليلة ثلاث وقال اخر خمس وانا ساكت فقال ما لك لا تتكلم ۝

فقلت

فقلت ان اذنت لي تكلمت قال ما ارسلت اليكم الا لتتكلم قلت رايت الله
خلق سبع سموات ومن الارض سبعا وخلق الطواف سبعا • والجمار سبعا •
فذكرت ما شا الله ان اذكر فقلت وخلق الانسان من سبعة وجعل رزقه
في سبعة قال فكيف جعل خلقه من ذلك فقال قلت ولقد خلقنا الانسان
من سلالة من طين الايه قال فكيف جعل رزقه في سبعة قال قلت ثم
شققنا الارض شقا فانبتنا فيها حبا • وعنبا • وقضبا • وزيتونا • ونخلا •
وحدائق غلبا • وفاكهة ۝ قال فقال عمر اغلبتموني ان تاتوني بمثل ما
اتي به هذا الغلام الذي لم يجتمع شؤون راسه انتهي ۝ واعلم ان الامور
المسبعات كثيرة جدا وانما اقتصرت علي ذكر ما يحصل به التمثيل ۝ واذا
تاملت ذلك ولاح لك سر عجيب في تناسبها ودلالتها علي مرجوعها الي الصفات
السبع ۝ فان قلت فما الحكمة في كون ابواب الجنة ثمانيه وهل فيها شي
يخرج عن اثار الصفات السبع وهلا كانت ابوابها سبعا قلت يظهر لي
ايضا والله تعالي اعلم انا لما كنا في الدنيا محجوبين عن رؤية الله تعالي بابصارنا
ممنوعين من التشوف علي ذاته سبحانه باحلامنا حتي انه سبحانه لم يتعرف
لنا فيها الا باسمائه وصفاته واثار ذلك من افعاله ولم يرد علي ان
يلوح تلويحا بكمال قدس ذاته فقصر سبحانه دوائر التعريف غالبا علي
الامور المسبعات لان المقصود تعودنا الي معرفة صفاته سبحانه التي
اعظمها الصفات السبع ۝ ولما كانت الجنة دار يتجلي فيها سبحانه
بذاته وصفاته فتراه الابصار وتتمتع بتجليات ذاته وصفاته الاسرار
مع عدم الاحاطه به سبحانه لكن تدرك في الجنة من لطايف معارفه
وشفايف لطايفه ما لم ينل في الدنيا حتي انه سبحانه يتعرف في الجنه
بذاته صريحا وينعم الابصار والبصاير بما يبدو به من كمال قدسه
ويروح الارواح تروحا ناسب ان يزاد في ابواب الجنة باب ثامن
يشار به الي الشهود الي حضرة الذات من طريق المعرفة الخاصه التي
لم تقع لاربابها في الدنيا والله تعالي اعلم ۝ ويوكد هذا ان الجحيم لما
كانت دار الحجاب عن الله تعالي حسب قوله تعالي كلا انهم عن ربهم يومئذ
لمحجوبون ناسب ان تكون ابوابها سبعا والله تعالي اعلم ۝ تذييل

ذكر الامام فخر الدين رحمه الله من حكمه كون الفاتحه سبع ايات انها تنفي قاريها
ابواب جهنم السبع واستشهد له بحديث وذكر محاسن اخر لكن في بعضها نظر
واما تسميتها بالمثاني فقد قيل لانها تثنى في كل ركعة وقيل لانها تثنى بسورة
بعدها في الصلاة وقيل لانها نزلت مرتين وقيل لانها قسمت وصارت نصفين
بين الله سبحانه وبين عبده وقيل لان نصفها ثنا ونصفها دعا وقيل لان
اكثر كلماتها مثنى ن وقيل هي مشتقه من الثنا كالمحامد من الحمد لانها اصحب
بالثنا عليه سبحانه وقيل لان الله سبحانه يثني على قاريها وقيل لانها تثني يوم
القيمة على تاليها وقيل لانها تثني البطلة والفسقه اي تنهاهم ن ويستانس
له بقوله تعالى ان الصلاة تنهى عن الفحشا والمنكر وهي مصححه الصلاة ويحتمل
ان يكون ببركة قراتها تاخذ بالنواصي الي الهدى ن وقيل مشتقه من
الاستثنا لان الله تعالى استثناها لهذه الامة والله تعالى اعلم فهي السبع
المثاني وهي ايضا القران العظيم كما ذهب اليه بعضهم في قوله تعالى ولقد
اتيناك سبعا من المثاني الايه وقيل السبع المثاني الفاتحه والقران
العظيم ساير القران والله تعالى اعلم ن الاسم الخامس الاساس لانها
اول ما يتلى واساس الشي اوله وهو احد معاني ام الكتاب وفيه ايضا
تصريح بان باقي القران مبني عليها فهي كالمقدمة وما بعدها كالنتيجه
او كالقاعدة الاجماليه وما بعدها كالشارح لها ويحتمل ان يكون اساسا
باعتبار ان مدار التوحيد على ما اشتملت عليه من اصول اسما الله سبحانه
وصفاته وانفراده سبحانه بالافعال والتوحيد اساس الدين وعليه يتفرع
التكاليف الشرعيه ن الاسم السادس الكنز سميت بذلك لما استودع
فيها من جواهر معاني الكلم ونفايس لطايف الحكم وروي انها نزلت
من كنز تحت العرش فهي على هذا سورة الكنز بالاضافة او هي الكنز لانها
المكنوز السابع الوافيه بالفا كان سفيان بن عيينه يسميها بذلك لانه لابد
من توفيتها في الصلاة حتى لا يكفي الاقتصار على بعضها ويحتمل ان يكون
سميت بذلك لانها وفت بالثنا على كمال الربوبيه وتحقيق وصف العبوديه
والارشاد الي صراط الاستقامة الدينيه والتنبيه على مقام ذوي الخصوصيه
مع ما وفت به من الاشارة الي حكم القران واحكامه ومقاصده في تفصيله

وابرامه

وابرامه ولانها وافيه بتصحيح الصلاة لا يحتاج الي ان تكمل بغيرها كما انها وافيه
للاجر لمن قراها ومومنيه للعبد بتزكيته يوم القيمة الي غير ذلك من معاني
الوفا ن الثامن الواقيه بالقاف سميت به لانها تقي العذاب وتقي الاسقام
المسبات الي غير ذلك التاسع الكافيه لانها تكفي عن غيرها ولا يكفي غيرها
عنها ولانها تكفي في الثنا الدعا والشفا وغير ذلك العاشر الرقيه لما ثبت في
الصحيحين عن ابي سعيد الخدري رضي الله عنه قال انطلق نفر من اصحاب رسول الله
صلى الله عليه وسلم في سفره سافروها حتى نزلوا على حي من احيا العرب فاستضافوهم
فابوا ان يضيفوهم فلدغ سيد ذلك الحي فسعوا له بكل شي لا ينفعه شي فقال
بعضهم لو اتيتم هولا الرهط الذين نزلوا لعله ان يكون عند بعضهم شي فاتوهم
فقالوا يا ايها الرهط ان سيدنا لدغ وسعينا له بكل شي لا ينفعه شي فهل عند
احد منكم من شي فقال بعضهم اني والله لارقي ولكن والله لقد استضفناكم فلم
تضيفونا فما انا براق لكم حتى تجعلوا لنا جعلا فصالحوهم على قطيع من الغنم
فانطلق يتفل ن وفي روايه فجعل يجمع بزاقه ويتفل ويقرا الحمد لله رب العالمين
فكانما نشط من عقال فانطلق يمشي وما به قلبه فاوفوهم جعلهم الذي صالحوهم
عليه ن فقال بعضهم اقسموا فقال الذي رقى لا تفعلوا حتى ناتي النبي صلى
الله عليه وسلم فنذكر له الذي كان فننظر الذي يامرنا فقدموا على النبي صلى الله
عليه وسلم فذكروا له فقال وما يدريك انها رقية ثم قال قد اصبتم اقسموا
واضربوا لي معكم سهما وضحك النبي صلى الله عليه وسلم هذا لفظ رواية البخاري
وقد فسر القطيع الغنم في رواية في الصحيح ايضا بثلاثين شاة قوله في الحديث
فانطلق يتفل اي ينفخ نفخا معه بزاق هكذا ذهب اليه جماعة ويويده ما
تقدم من روايه فجعل يجمع بزاقه ن وقد اختلف اللغويون في التفل والنفث
فقيل هما بمعنى واحد وهو النفخ من غير بزاق ن وقيل النفث بريق يسير
والتفل باكثر منه وقيل النفث بلا بصاق والتفل بالبصاق ن واذا تاملت
هذا الخلاف ظهر لك منه تقويه كون التفل بالبصاق مع ما تقدم من الرواة
قوله وما به قلبه هو بفتح القاف واللام والبا الموحدة اي وجع وفي هذا
الحديث من الفوايد الفقهيه والادبيه مسايل كثيرة ليس هذا محل ذكرها
واعلم ان هذه السورة الكريمه رقية للقلوب من نزغات الوساوس والشكل

والجهل ونحو ذلك كما ابها رتبة للقوالب والله تعالى اعلم ن الاسم **الهادي**
عشر الشافيه لما تقدم **الثاني عشر** الشفا لما تقدم ايضيان وفيه حديث
مروي منهي شفا للامراض الدينيه والبدنيه وكل شي امرض الاشباح او الارواح
ففي القران شفاوه كما قال تعالى وننزل من القران ما هو شفا ورحمة
للمومنين وقال تعالى وشفا لما في الصدور وقال تعالى قل هو للذين امنوا
هدي وشفا فالمومنون يصدقون بشفا به القران فيستشفون به فيشفيهم
والكافرون يكذبون بذلك ويستهزون به فيزدادون مرضا كما قال تعالى
في قلوبهم مرض فزادهم الله مرضا **الثالث عشر** النور ذكره بعضهم ن
وفي الحديث الصحيح ما يشهد له وما اخرجه مسلم رحمه الله في صحيحه عن ابن
عباس رضي الله عنهما قال بينما جبريل قاعد عند النبي صلى الله عليه وسلم
سمع نقيضا من فوقه فرفع راسه فقال هذا باب من السما فتح اليوم ولم
يفتح قط الا اليوم فنزل منه ملك فقال هذا ملك نزل الى الارض لم ينزل قط
الا اليوم فسلم وقال ابشر بنورين اوتيتهما لم يوتهما نبي قبلك فاتحة الكتاب
وخواتيم سورة البقرة لم تقرا بحرف منها الا اوتيته النقيض الصوت ن وقد
اخذ بعض العلما من ظاهر هذا الحديث ان جبريل لم ينزل بالفاتحه وانما نزل
بها ملك غيره ورد ابن عطيه عليه وقال الحديث يدل على ان جبريل نزل
قبل الملك معلما به فهو مشارك له في انزالها واجاب القرطبي بجواب
اخر وهو ان جبريل نزل بها اولا بمكة ثم نزل الملك ثانيا بثوابها وهو جواب
حسن والله تعالى اعلم ن ومن مناسبة تسميتها بالنور هدايتها الى مقاصد
القران الكريم وكل هاد يسمي نورا ولهذا لما كان النبي صلى الله عليه وسلم
هاديا اي دالا وداعيا حسب قوله تعالى وانك لتهدي الى صراط مستقيم
سمي نورا كما في قوله تعالى قد جاكم من الله نور وكتاب مبين قال بعض
المفسرين النور النبي صلى الله عليه وسلم والكتاب المبين القران وقال
اخرون هما اسمان للقران وقال اخرون النور الاسلام ولما كانت
الهداية الحقيقية لله سبحانه كان من اسمايه النور قال تعالى الله نور
السموات والارض اي هادي اهل السموات واهل الارض كما فسره ابن
عباس وسميت الفاتحه نورا اما لهدايتها كما تقدم واما لضياها في ذاتها

والنور

والنور لغة ما يدرك بالبصيرة ومنه ما يدرك بالابصار والفاتحه من القسم
الاول **واذا** علمت استحقاق الفاتحة لتسميتها بالنور علمت كمال فضلها
الدال على كمال اشتمالها حيث سميت باسم جميع القران قال الله سبحانه
والذين امنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذي انزل معه اي القران
وقد تقدم الخلاف في تفسير قوله تعالى قد جاكم من الله نور **الرابع عشر**
الصلاة لما اخرجه مسلم وابو داود والترمذي والنساي وابن ماجة من
حديث ابي هريرة وغيره بروايات مختلفة اشهرها ان ابا السايب قال
سمعت ابا هريرة يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلى صلاة لم يقرا
فيها بام القران فهي خداج فهي خداج غير تمام ن قال فقلت يا ابا هريرة
اني اكون احيانا وراء الامام قال فغمز ذراعي وقال اقرا بها يا فارسي في نفسك
فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول قال الله عز وجل قسمت الصلاة
بيني وبين عبدي نصفين فنصفها لي ونصفها لعبدي ولعبدي ما سال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اقروا يقول العبد الحمد لله رب العالمين فيقول
الله حمدني عبدي يقول الرحمن الرحيم يقول الله عز وجل اثنى علي عبدي
يقول العبد ملك يوم الدين يقول الله مجدني عبدي وفي روايه فوض
الي عبدي وفي رواية فهذه الايه بيني وبين عبدي ن يقول العبد اياك
نعبد واياك نستعين فهذه بيني وبين عبدي ولعبدي ما سال ن يقول
العبد اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين انعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا
الضالين فهذا لعبدي ولعبدي ما سال وفي رواية فهولا لعبدي ولعبدي
ما سال الخداج مصدر وهو النقصان وفي الكلام حذف مضاف تقديره
ذات خداج او وصفت الصلاة بالمصدر مبالغة في نقصها والتمجيد اثبات
المجد بالقول والمجد اتساع الكرم الذاتي والصفاتي والحمد والتمجيد يشتركان
في كونهما القول مثني بصفات الكمال والجلال والجمال والثنا يعمهما ويعم
الشكر وسياتي تفسير الشكر عند تسميتها بسورة التفويض ان شا الله تعالى ن
وفي هذا الحديث دليل لمن لم يثبت البسملة من الفاتحه ولمن عد اهدنا
الصراط المستقيم الى اخر السورة ثلاث ايات لاسيما على رواية هولا لعبدي
وقد اجاب الشافعيه عن هذا وليس هذا موضعه وسميت الفاتحه صلاة

لانها اعظم اركان الصلاة ومثله الحج عرفة اولان الصلاة لانضح الابهام
والمصح للشي كانه هو الاسم الخامس عشر الصلاة وهو واضح السادس
عشر سورة الحمد لاشتمالها عليه والحمد هو الثنا بالقول على الفاعل المختار
بصفات كماله ونواله والشكر الثنا على نواله بالقول والعمل فالحمد اعم من
حيث متعلقه والشكر اخص لذلك فبين الحمد والشكر خصوص وعموم من
وجه وهو ظاهر عند التامل وقد يستعمل الحمد موضع الشكر وقيل هما سوا
في الوضع وقد تقدم ان الثنا يعمهما وبهذا الضابط في الحمد يظهر لك الفرق
بينه وبين المدح فانه ثنا على كل حسن سوا كان فاعلا او مفعولا مختارا
ام لا حتى يصح مدح الجماد الحسن وذهب بعضهم الى ان الحمد مقلوب المدح
والاكثرون على خلافه السابع عشر سورة الشكر لما فيها من الثنا على
صفتي الربوبية من الرحمانية والرحيمية وما يلزم عنهما وينشا من النعم الخفية
والجلية وقد تقدم تفسير الشكر قريبا الثامن عشر سورة المناجاة وهو ايضا
واضح لما اشتملت عليه من الدعا التاسع عشر سورة تعليم المسالة لما علمنا
الله سبحانه فيها من اداب السوال المنبه عليها بالمقاصد المهمة فمنها
منها البداة بالثنا كما وقع ذلك في السورة ومنها التعرض في الثنا لذكر
الاسما المناسبة لحال السايل كما انه لما كان اهم مقصود في المسلة التي اشتملت
عليها الفاتحة الهداية الى الصراط المستقيم الذي هو صراط المنعم عليهم ووقع في
في الثنا ذكر الرحمن الرحيم اشارة الى ان النعمة الملحقة بالمنعم عليهم لا
يكون الا اثر الرحمة العامة والخاصة ولما كانت الهداية في الحقيقة
هي التربية المكملة ناسب ذكر الربوبية في الثنا ولما كان الصراط المستقيم
في الدنيا وسيلة الى الصراط المستقيم في الاخرة ناسب ذكر ملك يوم الدين
اي اهدنا الصراط المستقيم في حالتي الدنيا والاخرة فانك رب العالمين اي في
الدنيا والاخرة وملك يوم الدين اي في الاخرة ومنها استشعار العظمة
قبل ابراز المسلة ليكون القلب والقالب اخشع واخضع ولهذا وقع
التعريض بقوله ملك يوم الدين مع ما تستتبعه الالهية من عظمة الجلال
وجلال الكمال ومنها تقديم العبادة قبل الطلب ليكون انجح للمقصود
ولهذا قدم سبحانه قوله معلما لنا ان نقول اياك نعبد ومنها التبري

من الحول

من الحول والقوة وارجاع الامر الى محض القدرة وتعلق المشية وتقود
القضا وقطع النفس عن التعلق بنسبها واضافتها احكاما للتوحيد
وتسليما لامر المجيد سبحانه ولهذا علمنا سبحانه ان نقول واياك نستعين
ومنها سوال الاهم في الدين اذ له خلقنا والاشتغال به عن سوال
فضول الدنيا التي هي غالبا قاطعة عن الخير وعلى بعد ان يهم النفس
بطلب ما لا بد لها منه من الرزق وما اشبه ذلك من مصالح الدنيا المعينة على
مصالح الاخرة لاسباب شرعية محسنة ولما كان سوال الاهم في
الدين انفع وارفع علمنا سبحانه ان نقول اهدنا الصراط المستقيم بل في
ضمن التوفيق للصراط المستقيم ضمان ما يترتب عليه من الرزق والراحة
الا ترى الى قوله تعالى ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث
لا يحتسب ومنها ان ياتي السايل في دعايه بمجامع الخير وجوامع الكلم
ويجتنب الزخرفة والتشدق والعي فانه يخاطب الكبير الجليل العليم بالضماير
وان لم يتضمنها لفظ ولهذا علمنا سبحانه ان نقول اهدنا الصراط المستقيم لانه
الجامع لكمالات الدين والمترتب عليه خيور العاجل والاجل بالنسبة الى الظواهر
والسراير ومنها طلب الاسوة بالمنعم عليهم كما في قوله تعالى صراط الذين انعمت
عليهم ومنها تشفع سوال تحصيل المنفعة بالاستعاذة من الضرر واسبابه
كما في قوله تعالى غير المغضوب عليهم ولا الضالين ومنها ادخال المومنين في
السوال لما فيه من تحقيق الايمان حيث يحب لهم ما يحب لنفسه ولما فيه من
ادخال نفسه في الجماعة الاسلامية التماسا لبركتهم ودفعا لما لعله يحصل من الاعجاب
عند وقوع الاستجابة اذ يقول لعل دعايي لم يستجب لكوني انا الداعي بل لضميمة
المومنين ولهذا علمنا سبحانه ان نقول اهدنا بضمير الجمع ومن تامل حال هذه
السورة من كونها غالبا تقرا في الصلوات وتتلى في الجماعات لاح له من هذا
المعنى الجمهور ومن لحظ مقصود الشرع من التعاون على البر والتقوى ظهر له تجسد
الجماعة في التوادد والتراحم واليه اشار النبي صلى الله عليه وسلم كما ثبت عنه في
الصحيحين من حديث النعمان بن بشير قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل المومنين
في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد اذا اشتكى منه عضو تداعى له ساير
الجسد بالسهر والحمى وسياتي في تفسير الفاتحة ما ينبه على اسرار اخرى من اداب

الدعا ان شا الله تعالى الاسم العشرون سورة الدعا وهو واضح الحادي والعشرون
السوال وهو ايضا واضح الثاني والعشرون سورة التفويض لما فيها من قوله
ملك يوم الدين وقد تقدم في الحديث ان الله تعالى يقول فوض الي عبدي ولالك
لما فيها من قوله واياك نستعين فان طلب الاعانه انما يكون مع الاقرار بعجز
المستعين وقدرة المعين وهذا هو التفويض فانه رد الامر الي المفوض اليه
مع البراة من دعوي المشاركة ومنازعة الملك ومنه قيل ما لهم فوضي بينهم اي
كل منهم مفوض الامر لا يري لنفسه استبدادا بالملك ولا علاقة به وقوله تعالى
حكايه عن مومن ال فرعون وافوض امري الي الله من هذا المعني وقد كشف
الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم عن اساس التفويض ليبني عليه فقال تعالى ليس
لك من الامر شي اي ففوض الينا لا جرم كان من اقواله صلى الله عليه وسلم عند
النوم اللهم اني اسلمت نفسي اليك وفوضت امري اليك ن والتفويض والتسليم
يتقاربان وقد يترادف بينهما الان الغالب في الاستعمال كما وقع في الحديث
ان يطلق التفويض في المعاني خاصة ويطلق التسليم في المعاني والصور فالتفويض
اخص والتسليم اعم وقد يقال التسليم اخص والتفويض اعم ولسنا نستدله بظاهر قوله
صلى الله عليه وسلم المتقدم اسلمت نفسي وفوضت امري فان الامر اعم ومن تدبر
اسماها هذه السورة الكريمه ظهر له من معانيها ما يدل على اشتمالها على مقاصد القران
الكريم والله تعالى اعلم ن

الفصل الثالث في حكمة الابتدا بها

اعلم ان الله سبحانه امر نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم ان يتحدي بفصاحة الكتاب
العزيز وبلاغته فصحا العرب وبلغائهم الذين هم افصح الناس وابلغهم واخبر
سبحانه بعجزهم عن الاتيان بحديث مثله مع ما اشتملت عليه مفردات الفاظهم
من الفصاحة الفايقة وانطوت عليه جوامع كلامهم من البلاغة الرايقه حتى
لما انتفخت دعوي بعض طغاتهم الي معارضة القران رجموا بشهاب غيرة الاحديه
والقوا في اسفل سافلين في الهوان وصار كلام هذا المعارض يعد من افحش الهجر
والهذيان فظهر بذلك انفراد الكلمات القرانيه باعلا مقامات الفصاحة وتوحد
الايات الكتابيه باسني مراتب البلاغة وحينيذ فكل نوع اهتدت العرب
اليه من الفصاحة والبلاغة موجود باكمل اوضاعه في الكتاب العزيز هو
ومن ذلك الاطناب والايجاز اللذان هما من اعظم البلاغة عند ذوي التعبير فتارة

يطنب

يطنب ببسط المعاني في الكلام المبسوط وتارة يجمع المعاني في الكلام الوجيز مع
ما اشتملت عليه الايات والكلمات والحروف والمعاني من التعجيز ولما تفاوتت
رتب المخاطبين في الفهم وتميزت مداركهم في العلم ناسب ان يتنوع الخطاب
وان يكون فيه الايجاز والاطناب فاولوا الفهم الثاقب يتعلقون من الكلمات الجامعة
الي غوامض معانيها ومن دونهم يحتاج الي بسط المعاني في كلمات مبسوطة
تهدي لمعانيها ثم لما كان هذان القسمان من انواع هذا الكتاب الذي هو
اعظم كتاب ناسب ان يفتتح بالايجاز قبل الاطناب لاسباب احدها ان براعة
الاستهلال من اهم ما عول عليه وذلك ان يوتي بمقصود الخطاب في فاتحته
ليكون اعون علي الاستعداد لسماع باقي الخطاب والاقبال عليه ولا يتاتي
جمع المقصود في صدر الخطاب الا مع الايجاز لا سيما وقد قال قوم البلاغة ان
يكون صدور الكلام يدل علي اعجازه السبب الثاني ان فواتح الخطاب
كالمقدمات وما بعدها كالنتايج او هي كالقواعد لما ينبني عليها من بانيه ومن شان
القاعدة ان تكون اجماليه يترتب عليها امور تفصيليه والاجمالي مبني على الايجاز
والاختصار واعلم ان هذا المعني موجود في كل سورة من سور القران ايضا
ففاتحة كل سورة كالمقدمة وباقي السور نتيجة مرتبه عليها فالفطن المبصر
والملهم المظفر اذا تامل فواتح السور اهتدي بما يستفتح منها وجله مبسوطا
بعد ذلك كما ان من تامل الفاتحه اهتدي منها الي مقاصد القران الكريم السبب
الثالث ان الملل لاحق للكثير من المخاطبين فلو فوتحوا بالاطالة لا ويشكل
ان يقطعهم الملل عن استماع بقيه ذلك الخطاب ن ولهذا قال قوم ان البلاغة
هي الدلالة مع انتهاز الفرصة اي المبادرة الي ايصال الدلالة الي افهام المخاطبين
قبل هجوم السامة عليهم فاذا فوتحوا بالخطاب الوجيز وبدت لهم اسراره و
وجليت لهم معانيه ورسخت اقدامهم في الشوق الي بسط تلك المعاني بسطت لهم
بالاطناب اسعافا لهم بمرادهم الرابع ان قوة الافهام تعجز عن حمل اعبا المعاني
الا بعد لقاحها لما هو اصل لذلك الذي يحمله فجعلت الفواتح الوجيزة لقاحا و
للافهام ن ثم يلي بعد ذلك البسط كما يلقح النخلة وغيرها ولكل شي لقاح ولقاح
الافهام التعريف الاجمالي ثم تظهر اثاره من المعارف التفصيليه الا تري كيف
ابتدينا من الاسلام بكلمتي الشهادتين ثم فصلت لنا متعلقاتهما من انواع التكليف

وثبت محملا بها من التعريف **الخامس** ان الله سبحانه لم يوجب على كل مكلف حفظ
جميع القران وان كان ذلك فرض كفاية بل اوجب سبحانه على اعيان المكلفين قراءة
ما تيسر منه وحينئذ جعل الله سبحانه سور القران وجملة المفصلة محتوية على جملة
اسراره ومقاصده ليحصل لكل من اقتصر على شيء منه مقصوده من الوقوف على مقاصد
القران ۞ ولما كان اول الشيء اقرب تناولا للمخاطبين في الحفظ والفهم والتلقي ناسب
ان يكون موجزا مستوعبا لاسيما وقد بين لنا المراد من اجمال قوله تعالى فاقرؤوا ما تيسر
منه بانه الفاتحة فلا يجب على المكلف ان يقرا في الصلاة ولا في غيرها الفاتحة الا ان
يعرض له الوجوب اما في الصلاة فعند العجز عن الفاتحة يجب ان يقرا من باقي القران
سبع ايات او قدر الفاتحة او يكرر الاية التي لا يحفظ غيرها او يقتصر عليها مع الذكر
ومع حذف الذكر على الخلاف ۞ واما في غير الصلاة فلذلك في صور منها ان يحفظ
القران او بعضه مما زاد على الفاتحة ثم ينساه فانه يجب عليه حفظ ما تيسر توبة
من معصية نسيانه **ومنها** ان يستاجر على قراءة القران او شيء منه فيجب عليه
الوفاء به **ومنها** ان يتعين عليه فرض الكفاية **ومنها** ان يتعين عليه تعليمه
او تعليم بعضه ونحو ذلك ۞ واذا ظهر لك قراءة الفاتحة وحفظها دون غيرها في
الغالب ظهر استحقاق تعديمها اهتماما بشانها لاسيما وهي اساس القران وامه
وبجمع مقاصده وكنز معانيه **ومما** يدل على تاكد امرها انكرير انزالها مرتين
كما ذهب اليه جماعة فنزلت مرة بمكة ومرة بالمدينة ليتكرر على المكلفين فيكون
ذلك اعون لهم على حفظها وتدبرها والقيام بحقوقها الى غير ذلك من محاسن حكمة
الافتتاح بها ايضا ان فاتحتها مشتملة لذاتية التوحيد لحسن تقديمها لما ينبغي من
تقديم اصل التوحيد على فرع العبادة **ومنها** ايضا الاشارة الى ما يجب من الثناء
عليه سبحانه في مقابلة مخلوقاته تعريفا بكمال حكمته فيما يسديه لنا في عوالم
الخلق ودوائر الامر حتى يتلقى ما يورده علينا بالقبول اذ من عرف ان الفاعل
محمود على جملة افعاله يتلقى افعاله كلها بالقبول **ومنها** التعريف بالنعمة
قبل التكليف بالحرمة تنبيها على ان تكليفه لنا نعمة وتشريف ۞ وسياتي من
اسرار الابتداء بالتسمية والحمد ما ينبه على فوائد اخرى ان شاء الله تعالى ۞

الفصل الرابع في بيان وجه اشتمالها على كلمات القران كله اجمالا
اعلم ان مطالب القران كثيرة لكن يجمعها سبعة مقاصد هي الاصول المهمة المستتبعة

لما يترتب

لما يترتب عليها من المطالب ولهذه المقاصد السبع معرفات وللمعرفات مقامان مقام
اجمال ومقام تفصيل ۞ ولمقامي الاجمال والتفصيل مراتب وللمراتب اقسام وللاقسام
انواع ولبعض الانواع افراد ولكل من هذه المذكورات وجوه واعتبارات كما ان
لها من حيث الاجمال والتفصيل متعلقات وان شئت استعملت الانواع موضع الاقسام
والعكس **وها انا** اسردها اولا ثم امثل لها ثانيا ثم ابسطها ثالثا عند التفسير ان
شاء الله تعالى ۞ فالمقصد **الاول** التعريف بالالاهية **والثاني** التعريف بالعبادة
والثالث التعريف بالوسائط بين المعبود والعبيد **والرابع** التعريف بما جاءت
به الوسائط من التكاليف والتعاريف الظاهرة والباطنة **والخامس** التعريف
بالاعداء القاطعين عن المعبود **والسادس** التعريف بالفضل المترتب على
الايمان والطاعة في العاجل والاجل ترغيبا وتشويقا **والسابع** التعريف
بما يترتب على الكفر والمعاصي في العاجل والاجل ترهيبا وتحذيرا **مثاله**
المقصد الاول التعريف بالالاهية وله مقامان مقام اجمال ومقام تفصيل
فمقام الاجمال مداره على الاسماء الحسنى الدالة على الذات والصفات والاحكام
والافعال ۞ ثم للاسماء الحسنى مرتبتان اعظمها مرتبة الدلالة على الذات الموصوفة
بالالهية وعلى صفاتها بالمطابقة واعظمها اسمه الله ويليه اسمه الرب والصمد
ولذلك الرحمن على ما فيها من بحث ۞ ثم اسمه الله كالاصل لباقي الاسماء كما ان
الفاتحة اصل لباقي القران ۞ والمرتبة الثانية الدلالة على الذات وبعض الصفات
بالمطابقة وعلى بقية الصفات بالالتزام كاسمه العليم فانه يدل على ذات موصوفة
بالعلم بالمطابقة ويدل على بقية الصفات بالالتزام ولذلك اسمه الخالق ونحوه
ثم هذه الرتبة ثلاثة اقسام قسم يغلب فيه الدلالة على صفة الجمال التي اثرها
الفضل كاسمه الرحيم وقسم يغلب فيه الدلالة على صفة الجلال التي اثرها
العدل كاسمه القهار وقسم يدل على الصفتين معا وذلك هو وصف الكمال
كاسمه الملك من بعض وجوهه ۞ ولهذه الاقسام انواع مثاله الرحمة منها
نوع يسمى الرافة ونوع يسمى المحبة ونوع يسمى الصلاة ونوع يسمى اللطف وغير
ذلك والقهر انواع لا يخفى ومدلولات الكمال انواع لا تخفى ولكل نوع من
الانواع افراد **مثاله** الرافة الخاصة والمحبة الخاصة واللطف الخاص ولكل
منها وجوه واعتبارات **مثاله** الرحمة في حق شخص بالشفا تخفيفا عليه ۞

وفي حق اخر بالسقم منعا له من طغيان العافيه وفي حق شخص بالعطا وفي حق اخر بالمنع باختلاف وجوه المصالح وباعتبار ما يليق بحال ذلك المرحوم وقس على هذا المقام الثاني مقام التفصيل وهو كالبسط لا يجاز مقام الاجمال ومداره على ايات التوحيد وما تحتوي عليه من التعريف بالصفات والاحكام والافعال وما يتعلق بذلك وهو مرتبتان مرتبه تصرح بالنص على الالهيه ومرتبه تدل عليها بامور اخرى فالمرتبه الاولى المصرحه بالتنصيص على الالهيه ثلاثه اقسام اخبار واستدلال وامر فالاخبار نوعان اخبار الله سبحانه عن نفسه بالالهيه نحو قوله تعالى وهو الذي في السما اله وفي الارض اله وقوله وهو الله لا اله الا هو واخبار عن توافق فطر الخلق على ان خالقهم هو الله سبحانه كما في نحو قوله تعالى ولين سالتهم من خلقهم ليقولن الله والاستدلال ايضا نوعان استدلال جملي واستدلال تفصيلي فالجملي الاستدلال بجملة المخلوقات كما في نحو قوله تعالى الم تر ان الله خلق السموات والارض الحمد لله فاطر السموات والارض والتفصيلي كقوله تعالى افلا ينظرون الى الابل كيف خلقت وقوله انا صببنا الما صبا الايه وقوله امن جعل الارض قرارا الايات واعلم انه سبحانه ما استدل على الالهيه بتفصيل نوع من انواع مخلوقاته في موضع الا لحكمة تخصص ذلك المذكور في ذلك الموضع واما الامر فنوعان ايضا امر باثبات التوحيد كقوله تعالى فامنوا بالله وامر باستدامته كقوله تعالى اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن الا وانتم مسلمون المرتبه الثانيه تعريف الالهيه بامور اخرى ومرجعها الى الصفات الذاتيه والمعنويه والافعاليه بما اشتملت عليه من قسمي الثبوت والسلب وحقيقة ذلك شرح ما دلت عليه الاسما وذلك اقسام منه ما يستدل به سبحانه على كمال قدرته نحو قوله تعالى الذي جعل لكم من الشجر الاخضر نارا وقسم يستدل به على تخصيص ارادته نحو قوله سبحانه نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا وقسم تقرر به سبحانه كمال علمه نحو قوله سبحانه وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها الا هو الايه وهو نوعان نوع باثبات العلم لقوله وهو بكل شي عليم ونوع بنفي الضلال والنسيان لقوله لا يضل ربي ولا ينسى وقسم يقرر به كلامه نحو قوله سبحانه انا نحن نزلنا الذكر وقسم يقرر به كمال صفة كلامه كقوله تعالى لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه وقسم يقرر به سبحانه كيفيه ايصال كلامه الى

المخاطبين

المخاطبين لقوله تعالى وما كان لبشر ان يكلمه الله الا وحيا او من وراء حجاب او يرسل رسولا فيوحي باذنه ما يشا وقسم يقرر به كمال اشتمال كلامه على كل شي لقوله ما فرطنا في الكتاب من شي على ما تقدم في بيان ذلك وقسم يقرر سبحانه به كمال اعجاز كلامه لقوله قل لين اجتمعت الانس والجن على ان ياتوا بمثل هذا القران لا ياتون بمثله الايه وقسم يقرر به سبحانه صفة سمعه كقوله سبحانه قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها الايه وقسم يقرر به صفة بصره لقوله تعالى والله بصير بالعباد وقوله سبحانه وما تكون في شان وما تتلوا منه من قران ولا تعملون من عمل الا كنا عليكم شهودا اذ تفيضون فيه وما يعزب عن ربك من مثقال ذرة في الارض ولا في السما ولا اصغر من ذلك ولا اكبر الا في كتاب مبين وهي تدل على العلم وعلى البصر وقسم يقرر به سبحانه حياته لقوله الله لا اله الا هو الحي القيوم لا تاخذه سنة ولا نوم ويقرر ذلك بنفي الموت لقوله وتوكل على الحي الذي لا يموت وقسم يقرر به كمال حكمته في افعاله مستدلا بذلك على كمال صفاته وذاته وهذا القسم منتشر كثير وبعض ما تقدم فيه داخل منه ولا يخفى تعدد انواعه ومفرداته ووجوهه واعتباراته وقسم يقرر سبحانه به كمال وحدانيته ولا تخفى انواعه واعلم ان هذا القسم اعني تقرير الوحدانيه يشتمل على ذكر وحدانيته سبحانه في ذاته وصفاته واسمائه وافعاله وذلك منصوص وحدانيته سبحانه في الافعال بنسبتها كلها اليه كقوله الله خالق كل شي وغالب هذه الاقسام تبسط الحق سبحانه الاستدلال عليه في ايات وكل ما اخبر الله سبحانه به من المغيبات فمن جملة حكمه تقرير احاطة علمه بالغيب والشهادة ومدار صفات الله سبحانه على ما يثبته سبحانه لنفسه من الكمال الواجب له مما تقدم مثاله وعلى ما ينفيه من المستحيل عليه كقوله سبحانه ليس كمثله شي وعلى ما يجوز في احكامه وافعاله سبحانه كقوله وربك يخلق ما يشا ويختار وقد ظهر لك بهذا التقرير ان مدار هذا المقصد الذي هو التعريف بالالهيه على امرين جملي وتفصيلي وان الجملي يدور على الاسما وان اصلها اسمه الله وان التفصيلي راجع الى امور منها الاخبار بوحدانيته سبحانه والامر بها والاستدلال عليها واثبات صفات كماله والتسمي على اسمائه الحسنى افعاله الى غير ذلك مما تقدمت الاشارة اليه وان الاسما الحسنى التمس لنا نحو قوله تعالى له الاسما الحسنى كما امرنا بالتعلق بها في نحو قوله

تعالى ولله الاسما الحسنى فادعوه بها ن وقد اشتملت الفاتحة على هذا المقصد اشتمالا
مستوعبا فافتتحت بقوله بسم الله الرحمن الرحيم التي اضمر فيها على راي بعضهم
ابتداء بسم الله اي الفعل المضارع وبعضهم يجعل الضمير ابدوا اي فعل الامر وفي
هذين الاضمارين اثبات الاسم والتعلق به والاسم اسم جنس مضاف يفيد العموم
في جميع اسمايه سبحانه ثم التعلق باسم الله سبحانه لا يتحقق الا بالتوحيد ولهذا
صارت التسمية علما على الموحدين حتى قال كثير من العلما منهم الشافعي في قوله
تعالى فكلوا مما ذكر اسم الله عليه ان المراد ما لم يذبح للاصنام ونحو ذلك وان التسمية
سنة غير واجبة ن ثم لما قرر سبحانه الالهية اجمالا بدلالة اسمه الله فصل
بعد ذلك بذكر الرحمانية والرحيمية والربوبية والملك ليوم الدين ونبه
سبحانه على صفات الكمال بالربوبية وعلى صفات الجمال بالرحمانية والرحيمية
واما ملك يوم الدين فبوجه واعتبار يدل على الجلال وبوجه اخر يدل على
الكمال ولا يخفى ما تستلزمه هذه الاسما الخمس من ثبوت صفات الكمال كلها
الثبوتية والسلبية واما اسناد الافعال الى الله سبحانه فهو في قوله تعالى
رب العالمين واما حسنها فمن حيث حمد نفسه على جملة العالمين والعالمون كل شي
سبحانه كما يليق به ومن تامل هذه السورة الكريمة وجد فيها من شعب التوحيد
فوق ما ذكرته وعلم انها مشتملة على التعريف بالله سبحانه ووحدانيته
المقصد الثاني التعريف بالعبدية وهو مقامان احدهما اثبات
عبدية ما سوى الله سبحانه له والثاني تقرير صفات العبدية فالمقام
الاول نوعان نوع جملي ونوع تفصيلي فالجملي نحو قوله تعالى ان كل من في
السموات والارض الا اتي الرحمن عبدا والتفصيلي اثبات عبدية بعض افراد
العموم وهو اقسام **قسم** يبين منه سبحانه كقوله لن يستنكف المسيح ان يكون
عبد الله وقوله ان هو الا عبد انعمنا عليه **وقسم** ينبه سبحانه به على جلالة
ذلك العبد وشرفه كقوله تعالى سبحان الذي اسرى بعبده ليلا الحمد لله الذي
انزل على عبده الكتاب وهذا القسم له وجوه واعتبارات في اثبات الفضيلة
ويستخرج هذا من تفضيل ذكر العبيد المنعم عليهم في نحو قوله تعالى واذكر عبدنا
داود واذكر عبدنا ايوب **وقسم** يوقظ به القلوب للتفويض اليه والتوكل
عليه اذ هو وظيفة العبيد لا سيما والسيد متكفل بكفاية العبد كما قال تعالى اليس

الله بكاف عبده ن والمقام **الثاني** اثبات صفات العبيد وهو مرتبتان
المرتبة **الاولى** اثبات الصفات اللازمة للعبيد وهي نوعان ثبوتي وسلبي
فالثبوتي قسمان متعلق بالصور ومتعلق بالمعاني فالمتعلق بالصور مجمل
ومفصل فالمجمل نحو قوله تعالى فانا خلقناكم من تراب والمفصل نحو قوله تعالى
ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين وقوله من صلصال من حما مسنون
يعني ادم عليه الصلاة والسلام واما التعلق بالمعاني فهو نحو قوله تعالى
يا ايها الناس انتم الفقرا الى الله النوع **الثاني** السلبي وهو نحو قوله تعالى
وكنتم امواتا وقوله والله اخرجكم من بطون امهاتكم لا تعلمون شيا ن المرتبة
الثانية اثبات الصفات العرضية الاستعدادية وهي ثلاثة انواع اثبات
صفات فضلية واثبات صفات عدلية واثبات صفات كمالية فالنوع **الاول**
وهو اثبات صفات فضلية فضليته قسمان قسم معمم وقسم مخصص فالمعمم
نحو قوله تعالى كنتم خير امة اخرجت للناس وقوله وكذلك جعلناكم امة وسطا
والمخصص نحو قوله تعالى وانك لعلى خلق عظيم وهذا القسم له افراد تسع في
القران وله وجوه واعتبارات لا يكاد يخفى على المتامل ن والنوع **الثاني**
اثبات صفات عدلية نحو قوله تعالى ان الانسان لظلوم كفار وقوله ان
الانسان لربه لكنود اي لكفور جحود وقوله تعالى ان الانسان خلق هلوعا
وقد فسر الله سبحانه الهلوع عقب ذلك فقال اذا مسه الشر جزوعا واذا مسه
الخير منوعا ن هكذا روي عن ابن عباس وروي عنه ان الهلوع الحريص على
ما لا يحل له وقيل غير ذلك والاول اوفق للمعنى ولظاهر القران ولغة
العرب فان الهلع هو الجزع وما يترتب عليه من الحرص واذا اعتبرت
الروايتين عن ابن عباس رايتهما راجعتين عند التاويل الى معنى واحد
والله تعالى اعلم ن النوع **الثالث** اثبات صفات كمالية واعني بها الصفات
الاستعدادية التي تسفر في حق الموفق عن صفات الفضل وتسفر في
حق المخذول والعياذ بالله عن صفات العدل فان الله سبحانه كمل خلق
الانسان وفطر فيه القوة الاستعدادية الصالحة لاقتباس الخير وارتكاب
الشر ثم يصرفه سبحانه بعد ذلك الى ما قدره عليه من الازل ويخلق له
قدرة يقوم بها على ذلك الامر المقدر فيفعله ويوصف به ويلام على الشر من

من حيث نسبة الفعل اليه ومن حيث ان قوته الاستعداديه كانت صالحة لاجتناب الشر والتماس الخير وكذلك يمدح فاعل الخير بهذين الاعتبارين وقد وقع التعرض للصفات الكماليه التي اردناها هنا بنحو قوله تعالى ولقد خلقنا الانسان في احسن تقويم وقوله تعالى الذي اعطى كل شي خلقه ثم هدى وقوله انا هديناه السبيل اما شاكرا واما كفورا واذا علمت هذا المقصد علمت ان الفاتحه مشتملة عليه اما اثبات العبديه الاجماليه المعممه لما سوى الله سبحانه المستدل عليها بقوله تعالى ان كل من في السموات والارض الايه فهو مستفاد من نسبة العالمين الى الربوبيه واما بيان صفات الغيبه ثم مرجعها الى صفة فضل وهي صفة الذين عرض سبحانه بذكرهم في قوله تعالى صراط الذين انعمت عليهم مع ما في الايه من دلالة على المقصد الاتي او الى صفة عدل وهي المعرض بها في ذكر المغضوب عليهم والى صفات كمال الاستعداد ولوح بها في ضمن اهدنا الصراط المستقيم اي نحن قابلون للخير والشر فاهدنا الى الخير واصرفنا عن الشر والله سبحانه اعلم **المقصد الثالث التعريف بالوسايط** بين المعبود والعبيد وهو مقامان **الاول** التنبيه على وجودهم **والثاني** وصفهم بصفات الكمال اعني المنافيه للنقص ٥ فالمقام **الاول** التنبيه على وجودهم له اربع مراتب ٥ المرتبه **الاولى** ذكر الملايكه عليهم الصلاة والسلام وهي نوعان اجمالي كما في قوله تعالى الحمد لله فاطر السموات والارض جاعل الملايكة رسلا ٥ وتفصيلي كذكر جبريل وغيره ٥ والمرتبه **الثانيه** ذكر الانبيا عليهم الصلاة والسلام كما في قوله تعالى اوليك الذين انعم الله عليهم من النبيين من ذريه ادم الايه وهي ايضا نوعان اجمال وتفصيل لا يخفى مثالهما المرتبه **الثالثه** ذكر الرسل عليهم الصلاة والسلام وهي ايضا نوعان اجمال وتفصيل ٥ المرتبه **الرابعه** ذكر الوسايط المبلغين عن الانبيا والرسل عليهم الصلاة والسلام وينتظم في هذه المرتبه ذكر اصحاب الانبيا كذكر ابي بكر رضي الله عنه في قوله تعالى اذ يقول لصاحبه لا تحزن وذكر الحواريين ومومن ال فرعون وهو ايضا الرجل الذي جا من اقصى المدينه يسعى على راي بعض المفسرين ٥ وذكر العلما المتقدمين والمتاخرين اما على التفصيل واما على الاجمال وقوله تعالى شهد الله انه لا اله الا هو والملايكة واولوا العلم يريد سبحانه باولي العلم الانبيا

على قول

على قول والمهاجرين والانصار على قول او علما مومني اهل الكتاب كعبد الله بن سلام واصحابه على قول او جميع علما المومنين على قول والظاهر تناول الايه لكل من يشهد هذه الشهادة من اهل العلم ويمكن حمل الاقوال المذكوره على ارادة التمثيل والله تعالى اعلم ٥ وهذا المقصد محمل تحت قوله تعالى صراط الذين انعمت عليهم والله تعالى اعلم ٥ **المقصد الرابع فيما جاءت به الوسايط عن الله تعالى** وهو مقامان امر ونهي فمقام الامر له مرتبتان مرتبه الاوامر العلميه وما يتعلق بها ٥ ومرتبه الاوامر القالبيه وما يتعلق بها ٥ والمرتبه **الاولى** نوعان اصل وفرع فالاصل التصديق بالالهيه سبحانه ووحدانيته والتصديق بما امر بتصديقه والفروع هي الاحوال الناشية عن صدق ذلك التصديق واليقين فيه كالتوكل والتسليم ومحبه انبيايه ورسله واوليايه وبغض اعدايه وصدق الفضل لمراضيه ٥ ومن افراد ذلك النيه في الاعمال وارادة الخير للمسلمين وما اشبه ذلك وهذا النوع قسمان ماهو على سبيل الوجوب وماهو على سبيل الندب ٥ المرتبه **الثانيه** الاوامر القالبيه وما يتعلق بها وهي نوعان ما يتعلق بمعاملة الحق وما يتعلق بمعاملة الخلق ٥ فالنوع **الاول** ثلاثه اقسام ما يتعلق بالبدن وما يتعلق بالخارج عن البدن وما يتعلق بالمجموع ٥ **القسم الاول** المتعلق بالبدن وهو مشتمل على افراد منها اللسان والعين والسمع والانف وساير المدارك والاعضا ولكل من هذه المذكورات وجوه واعتبارات مثاله ذلك اللسان ينظر الى الاوامر المتعلقه به باعتبار التنطق بالشهادتين وباعتبار ما يجب من الخير وباعتبار ابدال النصيحة الواجبه بالانشا كما قد يكون بالخبر وباعتبار الذب عن اعراض المسلمين والامر بالمعروف والنهي عن المنكر وتلاوة القران وتعليم العلم والافتا وذكر الله سبحانه والصلاة على نبيه محمد وعلى جميع الانبيا والرسل والملايكة وما اشبه ذلك مما يجب ويستحب ولا يكاد هذا ينضبط وقس على هذا **القسم الثاني** المتعلق بما خرج عن البدن ويدخل تحت هذا القسم افراد كثيره منها ما يتعلق بالاموال **ومنها** ما يتعلق بالابدان اعني الابدان الخارجة عنه وكل من هذين الامرين تحته جزيات كثيره فيندرج في هذا القسم ايجاب الزكاة واستحباب الصدقة وايجاب النفقات وحقوق الارقا والحيوانات

وما يتعلق بصلة الرحم بالمال واقرا الضيف ونحو ذلك ويدخل فيه ايضا صيانة
الحرم وانقاذ الغرقى ومنع الصايل والجهاد وما اشبه ذلك **القسم الثالث**
ما يتعلق بالمجموع اي بالابدان وبالخارج عنها ويشتمل ذلك على اشيا كالحج
اذ فيه السعي بالبدن مع بذل النفقة وكعيادة المرضى مع برهم ومنه ايضا صلة
الرحم بالبدن والمال وما اشبه ذلك ٥ فهذه كلها حقوق لله تعالى وان كانت
باعتبار اخر حقوقا للخلق **النوع الثاني** وهو ما يتعلق بمعاملة الخلق وهو
امور كثيرة يجمعها المعاملات المالية والمعاقدات الشرعية والمقاصصات اللازمة
وما اشبه ذلك ٥ المقام **الثاني** وهو مقام النهي وله ايضا مرتبتان مرتبة تتعلق
بالقلوب ومرتبة تتعلق بالظواهر والمرتبة **الاولى** نوعان نوع تتعلق
بالعقايد ونوع يتعلق بالاحوال المفرعة على العقايد فالنوع **الاول** يشتمل
على اقسام **قسم** يتعلق بالله **وقسم** بالملايكة **وقسم** بكتبه **وقسم** برسله **وقسم**
بما جاءت به الرسل **فالقسم الاول** تحته افراد **منها** النهي عن القصور الى ذات
الله سبحانه بوهم وخيال وعن ضرب الاشباه لها والتكييف وما اشبه ذلك **ومنها**
النهي عن انكار شي من صفات الله سبحانه واعتقاد اتصافه بما لا يجوز في حقه
سبحانه **ومنها** الالحاد في اسمايه سبحانه الى غير ذلك مما هو مقرر في موضعه
والقسم الثاني النهي عن تنقيص الملايكة وعداوتهم وانكار وجودهم الى غير
ذلك مما يتعلق به **والقسم الثالث** النهي عن انكار كتبه سبحانه او شي منها او عن
اعتقاد خلقها وما يؤذن بنقصها وعن الالحاد فيها بالخوض في متشابهها
والاقدام بالراي على معانيها وتعدي قوانين احكامها وما اشبه ذلك **والقسم
الرابع** النهي عن تكذيب الرسل او احد منهم وعن بغضهم وتنقيصهم والشك في
عصمتهم وما اشبه ذلك **والقسم الخامس** النهي عن انكار ما جاءت به الرسل
كالبعث والنشور والصراط والميزان والجنة والنار وما اشبه ذلك والنهي عن
الشك فيما اخبروا به من المغيبات الماضية والاتية ونحو ذلك **النوع الثاني**
النواهي المتعلقة بالاحوال المفرعة على العقايد كالنهي عن الشك في الرزق والتسخط
لقضا الله وتمني ما يحرم تمنيه والتكبر والاعجاب والحقد والحسد والبغضا
للمومنين حيث لا يجوز ذلك وما اشبه هذه الامور ٥ المرتبة **الثانية** النواهي المتعلقة
بالظواهر ولا يخفى تعدد انواعها وتكثر اقسامها وتضاعف وجودها واعتبارا انها

وانما تركت التمثيل لهذه المذكورات بالايات لكثرة الايات في ذلك ولسهولة تذكرها هذا
وكل هذه الامور التي اشتمل عليها المقصد وهو التعريف بما جاءت به الوسايط
يحاط عليه بداية العبادة المشار اليها بنحو قوله تعالى اعبدوا ربكم ولاجل
العبادة خلقنا كما قال تعالى وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون والظاهر
ان المراد من قوله تعالى ليعبدون ما هو اعم من المعرفة والعمل واما ما يروى
عن ابن عباس رضي الله عنهما من تفسير العبادة هنا بالمعرفة فيحتمل
ان يكون اراد قصر العبادة على المعرفة بالنسبة الى كمالها المطابقة ولا يلزم
من هذا ان يمنع كمالها بالالتزام على بقية الطاعات واذا تقرر ان هذا ما
جات به الوسايط على العبادة الجامعة للاوامر والنواهي ومتعلقاتها فاعلم
ان الفاتحة اشتملت على ذلك فان قوله تعالى اياك نعبد فيه امران **احدهما**
الالتزام بالعبادة **والثاني** اضافتها الى الله تعالى وحده لانه الذي يستحق ذلك
فالالتزام بالعبادة التزام لكل ما تعبدهم به على لسان الواسطة والالم يجز لهم
التعبد به وقد امرنا سبحانه ان نقول اياك نعبد وكانه امرنا ان نخبر بالالتزام
للعبادة وذلك هو عين الالتزام ثم اخلاص العبادة لله يحقق للمعرفة المستلزمة
لبقية الطاعات ٥ واعلم ان في الفاتحة مواضع يستخرج منها التعرض لبعض
ما جاءت به الوسايط وسيظهر لك منها ما يظهر عند تفسير الفاتحة ان شا الله تعالى ٥
ومن متممات هذا المقصد بيان المكلفين وفي اي حال يكلفون وقد بسطت
شرايط التكليف في انواع المكلف به وذلك كله في القران **المقصد الخامس**
التعريف بالاعداء القاطعين عن الله سبحانه والصادين عن سبل قربانه
من الشيطان والدنيا والهوى والكفار وبيان كيفية المجاهدة معهم في الظاهر
والباطن واخذ الاهبة واعداد الاسلحة الظاهرة والباطنة وما يتعلق بذلك
فاما الشيطان فلنا كدا من في العداوة وكونه راس الضالين والمضلين اكد
علينا سبحانه في عداوته ونبه على ذلك في اربع مقامات ففي مقام اخبر سبحانه
عن عداوته لنا كما في قوله تعالى ان الشيطان لكم عدو ٥ وفي مقام اخر اخبرنا
بعداوته لابوينا ادم وحوى عليهما السلام وبسط سبحانه القول في ذلك بذكر
قصتهما معه وحذرنا من صنيعه كما في نحو قوله تعالى يا بني ادم لا يفتننكم الشيطان
كما اخرج ابويكم من الجنة ٥ وفي مقام ذكر سبحانه عداوته للانبيا والرسل عليهم الصلاة

والسلام واكابر العلما والعباد تنبيها لنا على قوة جرأته لنبالغ في عداوته والتحرز
منه وفي مقام نبه سبحانه على عداوته له سبحانه ليؤكد العداوة بيننا وبينه ه
ولما قرر سبحانه عداوة الشيطان لنا في هذه المقامات الاربع امرنا ايضا بعداوته
تارة بالتصريح كما في قوله تعالى فاتخذوه عدوا وتارة بالنهي عن موالاته
وترتيب الخسار على ذلك كقوله سبحانه ومن يتخذ الشيطان وليا من دون الله فقد
خسر خسرانا مبينا وتارة بالنهي عن متابعته كما في قوله تعالى لا تتبعوا
خطوات الشيطان الى غير ذلك مما بسط في غير هذا الموضع ثم نبه سبحانه على كيفية
مجاهدته في مراتب ففي طوافه بالقلب يؤمر بالتذكر كما في الاخبار بقوله تعالى
ان الذين اتقوا اذا مسهم طيف من الشيطان تذكروا ه وفي مرتبة مقارنته لنا
نؤمر بالذكر كما يؤخذ من مفهوم قوله تعالى ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض
له شيطانا فهو له قرين ه وفي مرتبة تخويفه لنا نؤمر بالخوف من الله سبحانه
لنشتغل به عن خوف غيره وكان ذلك سبب الامن من كل مخوف وذلك من
قوله تعالى انما ذلكم الشيطان يخوف اولياءه فلا تخافوهم وخافون الى غير ذلك
مما يذكر في غير هذا الموضع ه ثم انه سبحانه ارجع فروع المجاهدة مع الشيطان
الى اصل الايمان الذي يتفرع عليه التوكل كما في قوله تعالى انه ليس له سلطان
على الذين امنوا وعلى ربهم يتوكلون وعرفنا سبحانه كيفية التوصل الى التوكل
المحقق لاصل التوحيد والايمان ليتقى باحكام هذه الجنة بوائق الشيطان وذلك
بالاستعاذة بالله سبحانه منه كما في قوله سبحانه واما ينزغنك من الشيطان
نزغ فاستعذ بالله وحقيقة الاستعاذة طلب الاعاذة ممن يقدر عليها مع
التبري من الحول والقوة والاعتراف بالعجز وهذا هو معنى الاستعانة
الشرعية وقد تطلق الاستعانة ويراد بها طلب العون مع القدرة التي
لا تكاد تبلغ رتبة الانفراد في التاثير واذا علمت هذا علمت ان قوله سبحانه
واياك نستعين شامل لطلب العون على كل عدو من شيطان وغيره وان
امره سبحانه لنا ان نسأله ان يأخذ بنا صراط غير المغضوب عليهم ولا الضالين
فيه تعرض ايضا للاستعاذة به سبحانه مع ما فيه من التنصيص على الاعداء لله سبحانه
بذكر المغضوب عليهم اذ لا يقع الغضب الا على عدو نعوذ بالله من غضب الله
ونسأله السلامة من الضلال وهذا انموذج يتدبر به لبقية اشتمال الفاتحة على

هذا المقصد

هذا المقصد وقد بسط الله سبحانه القول في امر الدنيا وبالجملة فقد حذرنا
الله من الاغترار بها كما في قوله سبحانه القول فلا مر الدنيا تغرنكم الحياة الدنيا
وا وجه سلامتنا الى الزهد فيها ورغبنا في الزهد بما وعدنا به في الاخرة عنه
كما في نحو قوله سبحانه بعد ذكر ما زين للناس منها قل اؤنبئكم بخير من ذلكم
للذين اتقوا عند ربهم جنات الاية ونظائرها وهذا المعنى مستكن تحت قوله
ملك يوم الدين فمن تدبر مملكة الحق في ذلك اليوم الذي يجمع فيه الملامة
رحمة ويسفر فيه الجنة بما فيها ويسعد فيه الشفاعات مع الخلود في النعيم
والسلامة من الافات وانواع الكرامات ونحو ذلك زهد في الدنيا الحقيرة
المكدرة الفانية المعقبة للحسرات العاجلة والاجلة وما اشبه ذلك ومن يسمع
قوله تعالى وللدار الاخرة خير ثم اختار الدنيا على الاخرة فقد ضل عن سواء السبيل
بل ضل عن التمييز بين الخير والشر ويدخل جبلا في جملة الضالين المستعاذ
من طريقهم ولذلك من احب الدنيا عبدها الم تر الى قول النبي صلى الله عليه وسلم
تعس عبد الدرهم تعس عبد الدينار تعس عبد الخميصة الحديث ومن عبد الدنيا
فهو عابد غير الله وهو غير مؤمن بقوله سبحانه اياك نعبد وقس على هذا وكل ما
اخبر الله سبحانه به عمن فتنته الدنيا وما اشبه ذلك فهو من باب التحذير من
الدنيا وهو داخل في المقصد وقد يدخل في غيره من المقاصد ايضا بوجه واعتبار
وكذلك حذرنا سبحانه من الهوى تارة بالمبالغة في التقبيح كما في قوله سبحانه ومن
اضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله وتارة بالتعجيب كما في قوله ارايت
من اتخذ الهه هواه وتارة بصريح النهي كقوله سبحانه ولا تتبعوا الهوى ان تعدلوا
وتارة بالترغيب في عاقبة مخالفة الهوى كما في قوله سبحانه واما من خاف
مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فان الجنة هي المأوى وتارة بغير ذلك
مما هو مذكور في موضعه وكذلك ذكر الله سبحانه احوال الكفار من اليهود ه
والنصارى وعباد الاصنام والاوثان والمنافقين ونحوهم ونبه سبحانه على
مراتبهم في العداوة كما في نحو قوله تعالى لتجدن اشد الناس عداوة للذين امنوا
اليهود والذين اشركوا وبين سبحانه اسباب كفر كل فرقة وبواطنهم ليعلمها لنا
لبواطنهم ونستخرج بذلك من ظلمات الكفران وفقهم الله لذلك ونهانا سبحانه
عن موالاة الجميع كما في نحو قوله تعالى يا ايها الذين امنوا لا تتخذوا الذين اتخذوا

دينكم هزوا ولعبا من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم والكفار اولياء كما انه سبحانه
نهانا ايضا عن موالاتهم على التفصيل كما في نحو قوله تعالى لا تتخذوا اليهود والنصارى
اولياء واعلم ان من والى غير الله ممن لم يامر سبحانه بموالاته فقد ضل
واشتغل بعبادة غير الله سبحانه وقد علمنا الله سبحانه كيفية المجاهدة مع الكفار
وكيفية لقائهم كما في نحو قوله تعالى اذا لقيتم الذين كفروا زحفا فلا تولوهم
الادبار وقوله تعالى فاذا لقيتم الذين كفروا فضرب الرقاب وامرنا سبحانه
ان نعد لهم ما استطعنا من قوة كما في قوله سبحانه واعدوا لهم ما استطعتم من قوة
ومن رباط الخيل الاية وامرنا سبحانه بالصبر والمصابرة كما في قوله اصبروا
وصابروا ورابطوا ثم بين سبحانه ضعفنا وعجزنا وخفف عنا في العدد كما في نحو
قوله سبحانه الان خفف الله عنكم وعلم ان فيكم ضعفا الاية ثم بين لنا سبحانه
كمال ضعفنا وامرنا ان نقول وانصرنا على القوم الكافرين اي اسالوني النصر
مع اخذ الاهبة وشدة العزم علما منكم بان اهبتكم وشدة عزمكم لا تغني الا بي
ومن تامل هذا المعنى وجد داخلا في الاستعانة على ان كيفية المجاهدة
وما يتعلق به داخل ايضا في المقصد الرابع وهو بيان ما جاءت به الوسائط
وقد تقدم ذلك

المقصد السادس التعريف بالفضل المترتب على
الايمان وشعبه من الطاعة بانواعها وحقيقة ذلك امتثال ما جاءت به
الوسائط على الاجمال والتفصيل ويشتمل هذا المقصد على ذكر ثمرات الفضل
المذكور في العاجل والاجل عنهما مقامان في كل مقام منهما مراتب ولكل رتبة
انواع كما تقدم ولا يخفى التمثيل لذلك عند التامل والذي قدمته معين على ذلك
وكل اية اثنى الله سبحانه فيها على احد من الطائعين فهي داخلة في هذا المقصد
لما فيها من التعريف بالمدح المترتب على تلك العبادة ومن تامل هذا المقصد
عرف ان حقيقة نعمة الله هي التوفيق لسلوك صراط الوسائط المذكورين
وهذا المعنى موجود في قوله صراط الذين انعمت عليهم ويدخل في هذا
المقصد التنبيه على تفاوت رتب المطيعين وتفاوت درجاتهم في الفضل
والله تعالى اعلم

المقصد السابع التعريف بما يترتب على الكفر والمعاصي
الظاهرة والباطنة في العاجل والاجل ترهيبا وتحذيرا ولا يخفى استخراج
انواعه واقسامه من الايات كما لا يخفى فهم التنبيه عليه بقوله سبحانه غير

المغضوب

المغضوب عليهم ولا الضالين ۝ وانظر الى ما يترتب على الغضب والذم من
العقوبات العاجلة والاجلة وافهم مقابلة ذلك لذكر المنعم عليهم وخذ من
مفهوم التقسيم ان المنعم عليهم تعلق بهم الرضى فاسال الله سبحانه رضاه وما
يترتب عليه من نعمه الباطنة والظاهرة في العاجل والاجل واعلم ان هذه
المقاصد السبع هي الاصول لبقية المطالب وان فروعها قد تتداخل وانه يمكن ان
يرد عدد المقاصد الى اقل من ذلك باعتبار تداخل الفروع كما انه يمكن ان يزاد
في عددها باعتبار انتشار مطالبها وتعدد فروعها ولهذا عدها الغزالي مرة
ثلاثا ونزل على ذلك كون سورة الاخلاص ثلث القران وتارة عدها عشرة
وجعل الفاتحة مشتملة على ثمانية منها ولاجل اختلاف الوجوه والاعتبارات
اختلف التنصيف والتثليث والتربيع للقران فسورة الزلزلة نصف القران
على احدى الروايتين لان القران مشتمل على احكام الدنيا واحكام الاخرة فلما
اشتملت سورة الزلزلة على احكام الاخرة كانت نصفا بهذا الاعتبار وقس
على هذا ما ورد في سورة قل يا ايها الكافرون واذا جاء نصر الله وسورة
الاخلاص واية الكرسي ۝ وانما جعلت عدد المقاصد هنا سبعا لما لحظته
من اصليتها وتفرع غيرها عليها ومن الاهتمام بامرها حتى ان كل امر منها
كالمستقل ۝ ولو قال انسان ان مقاصد القران ترجع الى بيان ما جاءت به
الوسائط لكان صحيحا بوجه واعتبار وتكون بقية المقاصد المذكورة مما
يتفرع عليها كالمتممة له او المفصل والمقصود انما هو التنبيه على انواع المقاصد
المهمة باي طريق امكن من الاصطلاح واذا فهم المقصد فلا مشاحة في الاصطلاح
وحسبنا الله ونعم الوكيل وقد نظمت هذه المقاصد في ابيات ليسهل حفظها وهي

اصول مقاصد القران سبع ۝ اليها كل ما فيه يرد
هي التعريف بالمعبود والعبد ۝ ثم وسائط ايضا تعد
وما جاؤا به ثم الاعادي ۝ وترغيب كذا الترهيب يبدو

فان قلت فالاحرف التي في اوائل السور والاقسام التي اقسم بها سبحانه
والامثال المضروبة في القران لم ينبه عليها في هذه المقاصد قلت
اما الحروف فان قلنا انها متشابه فهي من اسرار كلامه سبحانه وان قلنا
اسما للسور او للنبي صلى الله عليه وسلم او لله او للملائكة فلا يخفى ما فيها من التعريف

لمسمياتها وان قلنا هي اقسام فهي موكدة لما اقسم بها عليه ولذلك جميع افتتاح
القران ○ واما الامثال فموضحة لمقام ما مثل بها فيه ومن تامل انواع القران
وجدها متعلقة بهذه المقاصد السبع التي ذكرتها والله تعالى الموفق ○

الفصل الخامس في كيفية التوصل الى فهم معانيها ○ مقصود هذا
الفصل بيان التفسير والتاويل وهل هما مترادفان ○ او متباينان وبيان
كيفية التوصل الى معاني القران فاما التفسير فهو في اللغة الايضاح والكشف
واخراج الشي من الخفا الى الظهور ومن هذه المادة تسمي تعريته الفرس ليطلق
في مرعاه ونحوه تفسيرا قال ثعلب تقول فسرت الفرس عريته لينطلق في
حضرة واما التاويل فهو من الاول والاول مصدر معناه الرجوع تقول آل الشي
يؤول اولا اي رجع يرجع رجوعا ولاهل اللغة خلاف في اصله هل هو الهمزة
والواو واللام او هو واوان ولام ○ ومن تامل معنى التاويل والتفسير في اللغة
لم يكد يجد فرقا بينهما الا من بعض وجوه واعتبارات فان تاويل الشي وارجاعه
الى معنى قام عليه الدليل هو الكشف عن ان المراد منه ذلك المعنى وقد اختلف
العلما فيهما فمنهم من قال هما مترادفان وهو مقتضى استعمال كثير من المتقدمين
والمتاخرين اذ كانوا يطلقون التاويل في موضع التفسير والعكس وهو مقتضى كلام
جماعة في حد التفسير ○ ومنهم من قال هما متباينان فالتفسير ما نقل الينا بالتوقيف
من سبب نزول وبيان قصة وتخصيص حكم وما اشبه ذلك والتاويل التفقه
في القران على مقتضى ما يدل عليه القواعد الشرعية عند عدم وجود النص فيها
ومنهم من خص التاويل بصرف الكلام عن ظاهره الى وجه اخر يقتضيه الدليل
والظاهر ان هذا الاختلاف اصطلاحي ثم اختلفوا فقال قوم لا يجوز الاقدام
على القران بالتاويل بل يجب الوقوف عند ما ورد من التفسير وما لم يرد فيه
تفسير يقرا مع عدم التسور على معناه وقال الاكثرون بل يجوز النظر في
معاني القران والتوصل اليها بطريق العلم ولو توقف الامر على ما نقل من التفسير
لتعذر فهم كثير من القران لا سيما وكثير من المنقولات في التفسير متعارضة
الظواهر ولا يتاتى المصير الى شي منها الا لمرجح وقد يتجاذبها من حيث النقل
فلم يبق الا مرجح الدليل العلمي الشرعي وقد ذكر الشيخ اثير الدين ابو حيان رحمه
الله في اول تفسيره ان شخصا من معاصريه زعم ان علم التفسير مضطر الى النقل

في فهم

في فهم معاني تركيبه بالاسناد الى مجاهد وطاووس وعكرمة واضرابهم وان
فهم الايات متوقف على ذلك ثم شرع اعني الشيخ اثير الدين رحمه الله
يرد على ذلك ويبالغ ويتعوض في كلامه للاثر المعروف عن علي رضي الله عنه
وهو انه سئل هل خصكم رسول الله صلى الله عليه وسلم بشي فقال ما عندنا غير ما في
هذه الصحيفة او فهم يوتاه الرجل في كتابه قال وكلامه هذا المعاصر يخالف
قول علي وعلى قول هذا المعاصر يكون ما استخرجه الناس بعد التابعين من
علوم التفسير ومعانيه ودقايقه واظهار ما احتوى عليه من علم الفصاحة
والبيان والاعجاز لا يكون تفسيرا حتى ينقل بالسند الى مجاهد ونحوه وهذا
كلام ساقط انتهى كلامه رحمه الله وهذا الاثر الذي ذكره رحمه الله تعالى
رواه البخاري رحمه الله تعالى في كتاب الجهاد بنحوه ○ والصواب
ان علم التفسير منه ما يتوقف على النقل كما نبه الشيخ عليه ايضا مثل سبب
النزول والنسخ وتعيين المبهم وتبيين المجمل ومنه ما لا يتوقف عليه ويكفي في
تحصيله التفقه على الوجه المعتبر الاتي ذكره ان شا الله تعالى وكان في
السبب في اصطلاح بعضهم على التفرقة بين التفسير والتاويل التمييز بين المنقول
والمستنبط ليحمل ذلك على الاعتماد على المنقول عند صحته وعلى النظر في
المستنبط تحريا له وازديادا في الاستبصار وهذا من الورع في الدين اذا
هذا فاعلم ان القران على قسمين قسم ورد تفسيره بالنقل عن من يعتبر تفسيره
وقسم لم يرد فيه نقل كذلك **القسم الاول** ما ورد فيه نقل وهو ثلاثة
انواع نوع ورد فيه التفسير عن النبي صلى الله عليه وسلم ونوع ورد فيه عن
الصحابة رضي الله عنهم ونوع ورد فيه عن روس المفسرين من التابعين
رحمه الله عليهم **فالنوع الاول** يجب ان يبحث فيه عن صحة السند وحسنه
فان كان صحيحا او حسنا او صححه وحسنه من يعتمد عليه من ايمة الحديث عمل
بمقتضاه ويكفي في ذلك الاعتماد على اصل محرر مقابل كما صرح به النووي
رحمه الله وقال ابن الصلاح لا بد من اصول متعددة محررة ثم ينظر في المتن
فلئن سلم من المعارضة او النسخ وما اشبه ذلك عمل به ولا يجوز والحالة هذه
العدول عنه في تفسير تلك الاية نعم ان كان الحديث المفسر للاية
يمكن ان يدخل في معناه امر اخر اما بالقياس او غيره فلا مانع من ذلك

النوع الثاني ما ورد فيه التفسير عن احد من الصحابة رضي الله عنهم وهو
قسمان قسم فسروه من حيث اللغة فلا شك في اعتماد ذلك اذا صحت الرواية
عنهم فان الاحاد من جملة الطرق الموصلة الي اللغة وكذلك ما اخبروا به
من سبب نزول وتعيين مبهم ونحو ذلك **وقسم** فسروه من حيث مراد
الشرع كنقل عن الحقيقة اللغوية وارادة خاص من لفظ عام ونحو ذلك فان
رفعوه قبل عند صحة الرواية بلا خلاف وان قصروه علي انفسهم **فقد**
اختلف العلما في قول الصحابي ومذهبه هل هو حجة علي من بعده ام ليس
بحجة ام يفرق بين ان يخالف مذهبه القياس فيكون حجة لان الظاهر
انه لم يقدم علي مخالفة القياس الا لتوقيف والراجح عند الاصوليين
انه ليس بحجة لكن في استدلالهم ضعف فانهم استدلوا باشيا منها قوله تعالي
فاعتبروا يا اولي الابصار **وتقريره** انه سبحانه امر بالاعتبار والتقليد
ينافي ذلك **وهذا** الاستدلال يقتضي عدم جواز تقليد الصحابة فمن بعدهم عند
القدرة علي الاجتهاد والاستدلال بهذا علي عدم تقليد الصحابة ضعيف فان
القائل بان قول الصحابي حجة يري ان استناد الانسان اليه ليس من باب
التقليد وانما هو من الاستمساك بالحجة **ومنها** ان الصحابة اجمعوا علي
جواز مخالفة بعضهم بعضا فلو كان قول الواحد منهم حجة لوقع الانكار
علي المخالف له وفي هذا ايضا ضعف فان من مذهبهم جواز اجتهاد الواحد
منهم مع قول الاخر ولا يمنع هذا جواز التقليد **ومنها** القياس فان قول
الصحابي ليس بحجة علي غيره من المجتهدين في اصول الدين فلا يكون ايضا
حجة في الفروع والجامع بينهما ان المجتهد متمكن في الحالتين من الوقوف
علي الحكم بطريقه وفيه ايضا ضعف من جهة الفرق فان المطلوب في الاصول
اليقين وفي الفروع الظن **ومنها** ان الاصل في الادلة ان لا يخص قوما
دون قوم وهو ايضا ضعيف لتفاوت الناس في المدارك ولتميز الصحابة
علي غيرهم **ومنها** ان قولهم لم يكن حجة في زمانهم بدليل المخالفة فلا يكون
حجة ايضا بعدهم عملا بالاستصحاب وهو ايضا ضعيف فان المخالف لهم
مجتهد وجواز الاجتهاد مع اقوالهم مسلم ولا يمنع ذلك من جواز الاحتجاج
باقوالهم **واما** القائلون بانه حجة فاستدلوا بقول النبي صلى الله عليه وسلم

اصحابي

اصحابي كالنجوم بايهم اقتديتم اهتديتم لكن الحديث ضعيف **وقد اجاب**
بعضهم عن هذا الحديث علي تقدير صحته فقال الحديث وان كان عاما في اشخاص
الصحابة الا انه لا دلالة فيه علي عموم الاهتدا في كل ما يقتدي بهم فيه ويمكن
ان يحمل ذلك علي الفروق بهم فيما يروونه **ونبه** بعضهم علي ان في الحديث جهة
عموم معنوي وهي ترتيب الحكم وهو الاهتدا في الاقتدا علي الوصف وهو كونهم
صحابة فيلزم عموم الاهتدا في كل اقتدائهم ومما يؤكد صحته قولهم انهم عدول
متثبتون لا يقدم احدهم علي امر الا لاصل نقلي او نظري فقل بمقتضى هذا التقدير
صحة الاحتجاج بقول الصحابي وهو قول مالك رحمه الله واحد قولي الشافعي
رحمه الله وقال الحاكم في مستدركه في تفسير الفاتحة بعد ان ذكر تفسيرا عن
ابن عباس وصحح اسناده ما لفظه وليعلم طالب هذا العلم ان تفسير الصحابي
الذي شهد الوحي والتنزيل عند الشيخين حديث مسند انتهى ويحتمل ان يكون
هذا فيما اذا ذكر الصحابي تفسيرا من غير رفع ولا وقف علي نفسه **ويحتمل** ان يكون
كذلك مع قوله هذا قولي او رايي او نحو ذلك واذا قلنا ان قول الصحابي ليس
بحجة فهل يجوز للمجتهد تقليده للشافعي رحمه الله فيه ثلاثة اقوال **احدها**
وهو المشهور من الجديد عدم الجواز **والثاني** ونص عليه في القديم وفي الجديد
ايضا الجواز **والثالث** ان انتشر قوله تقليده فيه والا فلا فقد يحصل ترجيح
حجته قوله وعلي تقدير عدم الحجية يجوز للمجتهد تقليده علي احد اقوال الشافعي
اما غير المجتهد فلا كلام في جواز تقليده للصحابة رضي الله عنهم وحينئذ فالغالب
علي اهل عصرنا عدم التاهل للاجتهاد فاذا عثر احد منهم علي قول الصحابي في تفسير
اية وصح ذلك عنه ولم يعارضه معارض لم يبق الا قبوله فان تعارضت اقوال
جماعة من الصحابة رضي الله عنهم واستوت الروايات في الصحة وتعذر الجمع بين
الاقاويل نظر الي اثبتهم قدما في ذلك المحل فانه صلى الله عليه وسلم قد ميزهم
فقال مثلا افرضكم زيد اعلمكم بالحلال والحرام معاذ بن جبل اقضاكم علي
اقرؤكم ابي ودعا لابن عباس بعد ان ضمه اليه فقال اللهم علمه الحكمة **وقال**
مرة اخري اللهم بارك فيه وانشر منه **وقال** ايضا اللهم فقهه في الدين وعلمه
التاويل فان تعذر الترجيح من حيث النقل ومن حيث الرتبة ومن حيث المعنى ولم يمكن
الجمع جاز للمقلد ان يقلد من شا وانما ذكرت هذا الكثرة ما ينقل في التفسير من اقوال

الصحابة المتعارضة بل ينقل عن الشخص الواحد روايتان مختلفتان او روايات
مختلفات وكثيرا ما يقع ذلك عن ابن عباس فيروى مثلا عنه عكرمة شيئا
ويروي عطا غير ذلك فالطريق ان ينظر اولا في الروايتين ويعتمد ارجحهما
وينظر الى اوفق القولين المنقولين للغة العرب وقواعد الشرع ويرجحه لا سيما
ان اعتضد بقول اخر من الصحابة او من العلما المحققين ونحو ذلك من انواع
المرجحات ولاهمال هذا العمل انتشرت الاقوال المتعارضة في كتب التفسير حتى
ربما قدم الواهي الضعيف على القوي الراجح بل ربما تغير التعبير عن القول الواحد
فيظن بعض من وقف على التعبيرين المختلفين في موضعين انهما قولان فيجعلهما
قولين متجاورين في المحل الواحد الى غير ذلك مما في معناه وكثيرا ما يذكر بعض
المفسرين من المتقدمين شيئا في تفسير الاية على جهة التمثيل لما دخل في الاية فيظن
بعض النقلة انه قصر الاية على ذلك المذكور وليس كذلك ومن هذا الوجه يظهر
لك كيفية الجمع بين اقوالهم فتارة يذكرون شيئا ممثلين به وتارة يذكرون غير
ممثلين به ايضا فيروى عنهم هذا وهذا ويظن انه اختلاف وليس الا عين الايتلاف
النوع الثالث ما ورد فيه التفسير عن روس المفسرين من التابعين ونحوهم
فان وقفوه ورفعوه فهو داخل في القسم الاول من الحديث وان وقفوه على
احد من الصحابة فالحكم فيه كما تقدم وان قالوه من تلقاء انفسهم فلدهم من لم يكن
اهلا للاجتهاد واما المجتهد فلا بد له من النظر والاعتبار وكذلك الحكم في
كلام من بعدهم من العلما رضى الله عنهم اجمعين فحيث جاز التقليد جاز تقليدهم
وحيث وجب الاجتهاد فلا تقليد والله تعالى اعلم القسم الثاني ما لم يرد فيه
نقل عن المعتبرين وهو قليل في القران وطريق التوصل الى فهم معانيه ان
يبحث اولا عن مفردات الكلمات من لغة العرب بحيث يوقفه على مدلولاتها
من جميع وجوهها ثم ينتقل الى البحث عن احكام التركيب من حيث الجملة ثم ينظر
في ذلك التركيب الخاص الذي وقع لها وينظر في حكمة التاخير والتقديم
ونحو ذلك ثم ينظر في عرف اللغة والشرع والعادة وما يليق بالتقدم منه في
ذلك المحل ثم يعرض جميع الوجوه الممكنة حالة الافراد والتركيب على القواعد
الشرعية فما وافقها من غير معارض حمله عليها حتى لو كانت الكلمة مثلا من المشترك
او لها حقيقة ومجاز او حقيقتان او مجازان ونحو ذلك وامكن الحمل على الجميع

لعدم

لعدم التعارض فان تلك الكلمة تحمل على المجموع كما ذهب اليه الشافعي ومالك
وجماعة من المتقدمين والمتاخرين ويحتاج هذا الموطن لمعرفة ماخول الشرع
الشريف ما يجوز ان يحمل عليه كلام الله سبحانه ومن تتبع القران وتدبره وتتبع
السنة وتاملها وجد بينهما من التظافر على المطالب والتصادق على الاحكام والحكم
ما يتضح له به ان الكل من عند الله وفهم سر قول الله تعالى في حق نبيه صلى الله عليه وسلم
وما ينطق عن الهوى ان هو الا وحي يوحى واعلم ان لوجوه الفهم في القران
مداخل عديدة ترجع كلها الى مقاصد اللغة الا انها انواع كل نوع منها احتمل
تلعمقه واشتغل بتلمسه قوم غير واحد وذلك النوع كالعلم المشتغل عن اللغة وان
كان منها فالنحوي مثلا يبحث عما يجيء بالكلام اليه من وجوه الاعراب والبنا وما
يتعلق بذلك وهو قسم من اقسام اللغة والبياني يبحث عن وجوه التركيب وترتيب
الجمل وما اشبه ذلك وهو ايضا قسم من اللغة والاصولي يبحث عن وجوه دلالة اللفظ
وهو من اقسام اللغة واشتهر في زماننا اطلاق اللغوي على من دابه الكشف عن
مدلولات الالفاظ الوضعية من غير تعرض لاحكامها اللاحقة لها وهو اطلاق
صحيح باعتبار انه فن من فنون اللغة لا باعتبار انه حاو للفن واذا علمت هذا
ظهر لك ان جميع علوم التصريف والاعراب والبيان ونحوها علوم حوت الفاظا
اصطلاحية تدل على مقاصد العرب في لغاتهم الافرادية والتركيبية وتكشف عن
كمال لسانهم المودي الى الحقايق باتساع عبارات قدار التفهم على فهم معاني اللغة
من جميع مقاصدها وعلى فهم المطالب الشرعية ليرد ما خوطب به في اللغة اليها
وطرق معرفة اللغات ثلاثة احدها النقل المتواتر كالسما والارض والحر
والبرد ونحوها قال الامدي وغيره اكثر الفاظ القران من هذا القسم
الثاني الاحاد كالقرء الثالث استنباط العقل من النقل كما اذا نقل الينا
مثلا ان الجمع المعرف يدخله الاستثناء ونقل الينا ان الاستثنا اخراج ما
تناوله اللفظ فان العقل يحكم بواسطة هاتين المقدمتين بان الجمع المعرف
للعموم واعلم ان وجوه النظر في الكلام لا يكاد ينحصر وان انحصرت اصولها
مثال ذلك ان النظر يقع في الكلام من حيث الجملة باعتبارات منها النظر
في ذاته وهذا الاعتبار له وجوه منها النظر في حدوثه وحكايته
ومنها النظر في افراده وتركيبه وتاليفه ومنها النظر في فصاحته وبركاته

وما اشبه ذلك **ومنها** النظر في استعماله واهماله ثم كل وجه من هذه الوجوه
يستدعي امور الحرف ان القدم والحدوث مثلا يبحث عنهما تارة من نفس
الكلام وتارة بامور خارجة عنه وكذلك المفرد ينظر فيه باعتبار تنوعه الى
اسم وفعل وحرف ثم ينظر في الاسم هل هو كلي او جزئي وهل الكل متواطئ
او غير ذلك وينظر في الفعل باعتبار تنوعه ايضا الى ماض ومستقبل ومضارع
وفعل امر وينظر كل نوع منها باعتبار ما يغايرها وكذلك الحروف وكذلك ينظر
في المركب من حيث تنوع جمله وهل تركيبه تركيب اسناد او اضافة او مزج وهل هو
خبر او انشا وينظر في الانشا باعتبار تنوعه ايضا الى امر ونهي وعام وخاص ومجمل
ومبين وناسخ او منسوخ الي غير ذلك وكذلك ينظر في الفصاحة باعتبار
تنوعها وينظر في المستعمل ايضا هل هو مستعمل في موضوعه الاول وهو الحقيقة
او في غير موضوعه لضرب من المناسبة وهو المجاز ثم ينظر هل استقر اطلاقه على ما
نقل اليه بحيث يصير هو السابق الى فهم السامع وهو المنقول اليه الاول منقول
عنه ويستدعي هذا النظر في الناقل والمستعمل والواضع الاصل والتسع فيه
النظر الى العرف الشرعي واللغوي وغير ذلك **ومنها** اي من الاعتبارات
التي يقع بها النظر في الكلام من حيث الجملة النظر في مدلوله ومعناه وما يعرض
له في ذلك من الاسما والصفات ولهذا الاعتبار ايضا وجوه فينظر الى اتحاد
المعنى وتعدده مع كل من قسمي توحد اللفظ وتعدده كما اذا كان اللفظ واحدا
ويدل على معنى واحد وهو المفرد ثم ان لم يحتمل غير ذلك المعنى فهو النص وان
تعدد المعنى مع اتحاد اللفظ فان كان اللفظ موضوعا لكل من تلك المعاني
وضعيا اوليا فهو المشترك ثم ان تساوت المعاني المذكورة في فهم السامع فهو المجمل
وان تميزت فالراجح هو الظاهر والمرجوح هو المأول وكذلك ينظر اذا تعددت
الالفاظ فان اتحد المعنى مع تعددها فهي المترادفة وان تعددت المعاني مع
تعدد الالفاظ فهي الالفاظ المتباينة ثم قد تكون متفاضلة لا تجتمع كالسواد
والبياض وقد تكون متواصلة الي غير ذلك مما يتعلق بهذا الاعتبار من النظر
ومنها اي من الاعتبارات ايضا النظر في وجوه دلالته ويقع ذلك من
وجوه فان دلالة اللفظ ينقسم الي عقليه محضيه والى طبعيه والي وضعيه
فالدلالة العقليه كدلالة الكلام على وجود المتكلم به حال الكلام وعلى حياته ونطقه

وهل

وهل الدلالة موجودة مع قطع النظر عن ذات الكلام وصيغته **واما**
الدلالة الطبعيه فهي كدلالة اللفظ المتكرر عند غلبة السعال مثلا على وجود
العلة وكدلالة التمتمة من التمتام على انه به علة تمنعه من سرعة التعبير
وهل الدلالة الطبعيه يشاركها الدلالة العقليه **واما** الدلالة الوضعيه
فهي التي يتكلم فيها الاصولي والنحوي والمفسر واللغوي والبياني والفقيه
ونحوهم وهي متعدده جدا الا ان المداخل اليها اربعة فان اللفظ اما ان يدل
بمنطوقه او بمفهومه او بضرورته واقتضايه او بمعقوله وايمايه **المدخل
الاول** دلالة المنطوق وهي نوعان دلالة مطابقه ودلالة تضمن فالمطابقة
ان ينطبق اللفظ على تمام المسمى به وهو المعنى المدلول عليه باللفظ من غير
اخلال كدلالة الانسان على الحيوان الناطق والتضمن ان يقع الدلالة
على بعض المعنى ويقال له جزء المسمى من حيث هو جزؤه كدلالة الانسان
على الحيوان خاصة او على الناطق خاصة **المدخل الثاني** دلالة المفهوم
ويسمى هي ودلالة المدخلين الاتيين دلالة الالتزام ثم المفهوم على قسمين
مفهوم موافقه ومفهوم مخالفة فمفهوم الموافقه يسمى محوى الخطاب
ومفهوم المخالفه يسمى دليل الخطاب وهو مشتمل على انواع المفاهيم كمفهوم
الصفة ومفهوم الشرط ونحو ذلك **المدخل الثالث** دلالة الاقتضا والضرورة
وهو ما يتوقف صدق الكلام عليه من الاضمار مثل قوله صلى الله عليه وسلم
رفع عن امتي الخطا والنسيان وما استكرهوا عليه فان الخطا نفسه والنسيان
ليسا مرفوعين بدليل وقوعهما فتعين ان يكون فيه اضمار وهو اضمار
حكم او اثم اي رفع عنهم حكم الخطا او اثمه **المدخل الرابع** دلالة المعقول
والايما وهو ان يفهم من المذكور معنى التعليل فيطرد العلة وهو القياس
كقوله صلى الله عليه وسلم لا يقضي القاضي وهو غضبان فانا فهمنا منه ان العلة
في النهي عن قضايه انما هو الغضب وهو مانع من تامل الحكم ومن الثبوت
على صراط العدل فطردنا العلة ونهينا عن القضا في كل حالة تماثل حالة
الغضب فهذه المداخل الاربع اصول لغيرها وقد يتعدد دلالات الالفاظ
من حيث كيفيات تركيبها وتقدم بعض مفرداتها على بعض وترتيب الجمل
وما يستفاد من السياق والقراين ونحو ذلك الى غيره مما يستخرج من قواعد

الاعراب وموارد بيان الخطاب ومن تتبع ما نبه عليه النحاة والبيانيون من
وجوه استخراج المعاني من بديع النظم ورصافة التاليف علم ان مبادي
الفهم في القران متسعة وان سواهق حكمه عن الاحاطة بها مرتفعة وان
وجوه الفهم فيه مستقرة عن جمال لطايف الحكم لاسيما مع تعدد حروفه
التي وسع بها على ذوي الالباب توسعة في الكرم وسياتي ما ينبه على اتساع
مجال الفهم بذكر تعدد حروف القران والمراد منها وذكر ظهره وبطنه وحده
ومطلعه ان شا الله تعالى ولا بد لمريد التفهم في القران من معرفة وجوه
الاستنباط ومعرفة الادلة ومواردها وكل ذلك منصوص عليه في مواضعه ٩

الفصل السادس في الاشارة الى كون القران انزل على سبعة احرف

مقصود هذا الفصل ينحصر في امرين احدهما اثبات كون القران على سبعة
احرف **والثاني** تفسير ذلك وبيان اختلاف الناس فيه ن اما الامر الاول
فقد ثبت في الصحيحين وغيرهما من حديث ابن عباس رضي الله عنهما ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال اقراني جبريل عليه السلام على حرف واحد فراجعته
فلم ازل استزيده ويزيدني حتى انتهى الى سبعة احرف ن وفي الصحيحين ايضا
وغيرهما ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال سمعت هشام بن حكيم يقرا سورة
الفرقان في حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستمعت لقراته فاذا هو يقرا
على حروف كثيرة لم يقرينيها رسول الله صلى الله عليه وسلم فكدت اساوره في الصلاة
فتصبرت حتى سلم فلببته بردايه فقلت من اقراك هذه السورة التي
سمعتك تقرا قال اقرانيها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت كذبت فان رسول
الله صلى الله عليه وسلم قد اقرانيها على غير ما قرات فانطلقت به اقوده الى
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت اني سمعت هذا يقرا سورة الفرقان على
حروف لم تقرينيها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اطلقه ثم قال اقرا يا هشام
فقرا عليه القراة التي سمعته يقرا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كذلك انزلت
ثم قال اقرا يا عمر فقرات القراة التي اقراني فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
كذلك انزلت ان هذا القران انزل على سبعة احرف فاقروا ما تيسر منه قال
مسلم رحمه الله قال ابن شهاب بلغني ان تلك السبعة الاحرف انما هي في
الامر الذي يكون واحدا لا يختلف في حلال ولا حرام **قوله** لببته هو بتشديد

البا

البا الاولى وعليه اقتصر النووي رحمه الله في شرح مسلم وحكى الزكي عبد العظيم
وغيره التخفيف ايضا وقال انه اعرف وهو ماخوذ من اللبة بفتح اللام ومعناه
جمعت الردا في عنقه وامسكته به **قايل** وقع في ابي داود لبيته بردايي
والذي في الصحيحين والترمذي والنسايي لببته بردايه كما هو في الاصل ١٢
ويمكن الجمع بان التلبيب وقع بالردايين معا قاله الزكي عبد العظيم ن وفي
صحيح مسلم ايضا وغيره عن ابي بن كعب قال كنت في المسجد فدخل رجل يصلي فقرا
قراة انكرتها عليه ثم دخل اخر فقرا قراة سوى قراة صاحبه فلما قضينا الصلاة ٥
دخلنا جميعا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت ان هذا قرا قراة انكرتها عليه
ثم قرا هذا سوى قراة صاحبه فامرهما النبي صلى الله عليه وسلم فقرءا فحسن النبي
صلى الله عليه وسلم شانهما فسقط في نفسي من التكذيب ولا اذ كنت في الجاهلية
فلما راى النبي صلى الله عليه وسلم ما قد غشيني ضرب في صدري ففضت عرقا وكانما
انظر الى الله عز وجل فرقا فقال يا ابي ان ربي ارسل الي ان اقرا القران
على حرف فرددت عليه ان هون على امتي وذكر بقية الحديث وفيه اقراه
على سبعة احرف وفي رواية لغير مسلم فضرب صدري وقال اللهم اذهب
عنه الشك وخسا عنه الشيطان ففضت عرقا ن وفي رواية اخرى فوجدت
في نفسي وسوسة الشيطان حتى احمر وجهي فعرف ذلك رسول الله صلى الله
عليه وسلم في وجهي فضرب بيده في صدري ثم قال اللهم اخسا الشيطان عنه
ووقع التصريح في بعض الروايات بان المقرو سورة النحل اعني في قصة ابي
وقد وقع مثل قصة ابي هذه وقصة عمر المتقدمة لغيرهما ايضا كعمرو بن
العاص وعبد الله بن مسعود ن وفي الباب احاديث كثيرة من طرق عديدة
خرجها جماعات كابي داود والنسايي والترمذي وابن ماجة وغيرهم
وفي بعضها على سبعة احرف من سبعة ابواب من الجنة وفي بعضها من قرا
منها حرفا فهو كما قراه وفي بعضها ان الله يامرك ان تقرا امتك القران على
سبعة احرف فايما حرف قروا عليه فقد اصابوا وفي بعضها نزل على سبعة
احرف فاي ذلك قراتم اصبتم فلا تماروا في القران فان مرا فيه كفر ن
وفي بعضها ان هذا القران انزل على سبعة احرف فالمرا في القران كفر
ثلاث مرات فما عرفتم منه فاعملوا به وما جهلتم فردوه الى عالمه وفي

بعضها فاقرءوا ولا حرج لكن لا تختموا ذكر رحمة بعذاب ولا ذكر عذاب برحمة
وفي رواية لابي داود حتى بلغت سبعة احرف ثم قال ليس منها الا شاف
كاف ان قلت سميعا عليما عزيزا حكيما ما لم تختم اية عذاب برحمة واية
رحمة بعذاب وفي بعضها ان جبريل عليه السلام قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم
اقرءوا القران على حرف فقال له ميكائيل استزده فقال على حرفين ثم قال استزده
حتى بلغ سبعة احرف كلها كاف شاف كقولك هلم وتعال ما لم تختم اية رحمة
باية عذاب او اية عذاب باية رحمة ۝ وفي بعضها فقال الملك الذي معي
استزده فقال على حرفين الى ان بلغ سبعة احرف ۝ وفي بعضها ان جبريل
عليه السلام قال له صلى الله عليه وسلم ان الله يامرك ان تقرا امتك القران على حرف
فقال اسال الله معافاته ومغفرته وان امتي لا تطيق ذلك وذكر تتمة
الحديث حتى بلغ سبعة احرف ۝ وفي بعضها انزل القران على سبعة احرف
عليما حكيما غفورا رحيما ۝ وفي بعضها عليم حكيم غفور رحيم وفي بعضها
وهي للترمذي وقال حسن صحيح ان النبي صلى الله عليه وسلم لقي جبريل فقال
يا جبريل اني بعثت الى امة اميين منهم العجوز والشيخ الكبير والغلام والجارية
والرجل الذي لم يقرا كتابا قط فقال يا محمد انزل القران على سبعة احرف
وفي بعضها ليس فيها الا شاف كاف قلت غفور رحيم عليم حليم سميع
عليم عزيز حكيم نحو هذا ۝ وفي بعضها وذكره البغوي بسنده في تفسيره
من حديث بن مسعود ان النبي صلى الله عليه وسلم قال انزل القران على سبعة
احرف لكل اية منها ظهر وبطن ولكل حد مطلع ويروى لكل حرف حد ولكل
حد مطلع ۝ وفي بعضها ان الكتاب الاول انزل من سبعة ابواب على
سبعة احرف ۝ نهي . وامر . وحلال . وحرام . ومحكم . ومتشابه . وامثال .
فاحلوا حلاله . وحرموا حرامه . وافعلوا ما امرتم به . وانتهوا عما نهيتم عنه .
واعتبروا بمحكمه . وامنوا بمتشابهه . وقولوا امنا به كل من عند ربنا ۝ وفي بعضها
ان رجلا جاء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اقراني عبد الله بن مسعود
سورة اقرانيها زيد واقرانيها ابي بن كعب فاختلفت قراءتهم بقراءة ايهم
اخذ فقال فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلي الى جنبه فقال علي ليقرا
كل انسان كما علم كل حسن جميل ۝ وفي بعضها عن علقمة عن عبد الله رضي

الله رضي الله عنه قال لقد اتينا تنازع عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فامرنا
فقرا عليه فخبرنا ان كلنا محسن ۝ ولقد كنت اعلم انه يعرض عليه القران
في كل رمضان حتى كان عام قبض فعرض عليه مرتين فكان اذا فرغ اقرا عليه
فيخبرني اني محسن فمن قرا على قراءتي فلا يدعها رغبة عنها ومن قرا على شيء
من هذه الحروف فلا يدعه رغبة عنه فمن جحد باية جحد به وفي رواية بحرف
منه فقد جحد به كله ۝ وقد رويت اثار عن جماعة من الصحابة والتابعين وفيها
تفسير الاحرف بنحو هلم وتعال ومن ذلك ما روي عن ابن مسعود قال سمعت
القراء فوجدتهم متقاربين فاقرءوا كما علمتم واياكم والتنطع والاختلاف فانما
هو كقول احدكم هلم وتعال واقبل فهذه الاحاديث وما في معناها مصرحة
بان القران انزل على سبعة احرف ولكن خرج الحاكم في مستدركه عن سمرة
بن جندب ان النبي صلى الله عليه وسلم قال انزل القران على ثلاثة احرف وقد اوله
العلماء بامور كل منها له وجه محتمل منها انه نزل على ثلاثة ثم زيد فيه الى
سبعة ومنها ان منه ما هو على ثلاثة واكثره على سبعة ومنها انه وان
كان على سبعة لكن يجوز الاقتصار على ما دونها من الثلاثة وغيرها
فيكون قوله على ثلاثة احرف مبنيا على جواز الاقتصار عليها لا على الحصر
۝ واعلم ان الناس قد اختلفوا هل المراد بذكر السبعة تحديد العدد من
غير زيادة ولا نقصان او المراد تكثير الوجوه ووقع التعبير بالسبعة
على عادة استعمال العرب السبعة والسبعين في الكثرة على قولين والاكثرون
على ان المراد التحديد فعلى القول بان المراد الاشارة الى كثرة الوجوه
يحتمل ان لا يكون بين الثلاثة والسبعة اختلاف في المعنى والله تعالى اعلم ۝
الامر الثاني بيان معنى هذه الاحرف وذكر اختلاف الناس فيها
وينبغي ان نتقدم على ذلك تفسير الحرف في اللغة فاعلم ان الحرف هو الطرف
والجانب ثم يستعار لاشياء لوجه مناسبة لهذا المعنى فمن تسمية الطرف
والجانب بالحرف يقال حرف السيف وهو مخصوص بالطرف القاطع كانه
ليس له طرف الا هو ويقال لجانب السفينة حرفها وقال ابن عباس
رضي الله عنهما اهل الكتاب لا ياتون النساء الا على حرف اي على جنب وحرف
الجبل طرفه ومن هذه المادة سميت حروف الهجاء لانها اطراف الكلم كذا

قاله الراغب واشار غيره الى انها سميت بذلك لان غالبها لا ياتي النطق به
الا بحرف اللسان قال الراغب والحروف العاملة في النحو اطراف الكلمات
الرابطة بعضها ببعض ۝ ومما استعير له اسم الحرف لوجه مناسبة الشكل فسمي
حرفا لان القايم في محل الشك بسرعة يهوي به وخروجه عن ذلك الامر المشكول
فيه كالقايم على طرف الشي ومن هذا المعنى قوله سبحانه ومن الناس من يعبد
الله على حرف اي على شك كما فسره الاكثرون وقيل المراد حرف اللسان اي ان
المنافق يلتزم عبادة الله سبحانه بلسانه لا بقلبه وقيل غير ذلك ۝ ولما كان
المنحرف اي القايم على الحرف سريع الانقلاب قال الله سبحانه الا متحرفا لقتال
وهو الذي يظهر الانهزام ويفصل الكثرة والرجوع على العدد فهو في سرعة
عوده وانقلابه اليهم كالذي على حرف الشي وله مناسبات اخرى وسمي
التغيير تحريفا من هذا المعنى كما في قوله تعالى ثم يحرفونه اي يغيرونه كانه
اخرج عما كان عليه حتى عن حرفه ومن التحريف الازاغة ايضا كما في
قول ابي هريرة رضي الله عنه امنت بمحرف القلوب اي مزيغها وبعضهم يقول
معناه محركها وكان الحركة مع حرف الشي الذي هو طرفه الزم فهذه المناسبة
سمي التحريك تحريفا والتحريف ايضا الامالة والتقليب ومنه تحريف القلم
في الكتابة ويكون تحريف القلم ايضا من الحرف اي جعل له حرف والمحارفة
المقايسة بالمحراف وهو الميل الذي يسير به الجراحات وفي الحديث ان العبد
ليحارف على عمله الخير والشر اي يجازى كانه يسير عمله بالنقد ويقابل
عليه والاحتراف الاكتساب والحرفة الحالة التي يلزمها الانسان للاكتساب
كالفعل والجلسة وسمي الاكتساب احترافا لما يغلب فيه من معنى التحريف
وهو الطهار الرغبة بالسوم العالي مع ابطان القناعة بدونه وعلى هذه
المادة يدور الالفاظ المركبات من هذه الاحرف الثلاثة وتوسع في ذلك حتى اطلق
الحرف على الطريقة فقيل هذا احرف فلان اي طريقته ولذلك اطلق على القراءة
فقيل هذا احرف ابي وعبد الله بن مسعود مثلا اي قراءتهما واخذ هذا
المعنى الذي في القراءة من الاختصاص بذلك القول فاطلق منه اسم الحرف
على القصيدة فيقال قال فلان كذا في حرفه اي في قصيدته وبذلك
الحرف مرة بالكلمة فسمي القصيدة كلمة واطلاق الحرف على الكلمة من باب

اطلاق البعض على الكل ۝ واذ اتقرر هذا فقد اختلف العلماء في هذه الاحرف
السبعة اولا هل المراد منها حصر العدد ام بيان التوسعة بالكثرة كما تقدم
قريبا والاكثرون على الحصر ثم اختلفوا هل يتكلم في معناها ام ذلك مما نؤمن
به ونوكل علمه الى الله ورسوله فالاكثرون تكلموا في معناها ثم اختلفوا
هل هي باقية الى الان بتغيرها ام كان ذلك اولا ثم استقر الحال بعد فقال
بهذا كثيرون وبهذا كثيرون وقال القرطبي بان القايلين بالثاني وهو
ان الامر كان كذلك ثم استقر على ما هو عليه الان هم اكثر اهل العلم منهم
سفيان بن عيينة وعبد الله بن وهب والطبري والطحاوي ۝ ثم اختلفوا هل
استقر الامر في حياته صلى الله عليه وسلم ام بعد وفاته فالاكثرون على الاول
وقد صرح جماعة من اكابر المتقدمين والمتاخرين باختيار هذا كالقاضي
ابي بكر بن العربي الفقيه المالكي والقاضي ابي بكر بن الطيب وابي عمر بن
عبد البر وغيرهم فهولاء ومن قال بقولهم يرون ان ضرورة اختلاف لغات العرب
ومشقة نطقهم بغير لغتهم اقتضت التوسعة عليهم في اول الامر فاذن لكل
منهم ان يقرا على حرفه اي على طريقته في اللغة الى ان انضبط الامر في اخر
العهد وتدربت الالسن وتمكن الناس من الاقتصار على الطريقة الواحدة
فعارض جبريل النبي صلى الله عليه وسلم القران مرتين في السنة الاخيرة واستقر
على ما هو عليه الان فنسخ الله سبحانه تلك القراءة الماذون فيها بما اوجبه من
الاقتصار على هذه القراءة التي تلقاها الناس بالتواتر ۝ ويدل لهذا
امور منها ما وقع التصريح به في الاحاديث المتقدمة من مراعاة التخفيف
على العجوز والشيخ الكبير ونحوهم ۝ ومن التصريح في بعضها بان ذلك مثل هلم
وتعال ومن التصريح باصابة كل من قراءتها ما لم يختم اية رحمة باية عذاب
او اية عذاب باية رحمة ومن التصريح بقوله عليم حكيم غفور رحيم الى غير
ذلك مما يدل على انهم كلفوا في ذلك الوقت القراءة بالفاظهم التي اقتضتها
لغاتهم مما يدل على ذلك المعنى المتحد وكانوا يقرون المعنى بلغاتهم
المتعددة وكانت اذ ذاك سبعا ۝ وروي ان ابي بن كعب كان يقرا للذين
امنوا انظرونا . امهلونا . اخرونا . ارقبونا وكان يقرا ايضا كلما اضاء لهم مشوا
فيه . مروا فيه . سعوا فيه ۝ ثم القايلون بانها كانت سبع لغات اختلفوا

في تعيينها فقيل هي كلها داخلة في لغة قريش وكانت لغة قريش متفرقة
الى سبع طرق قالوا وانما انحصر القران في لغة قريش لان النبي صلى الله عليه وسلم
كان قرشيا وقد قال الله سبحانه وما ارسلنا من رسول الا بلسان قومه ومنهم
من قال هي لغة قريش وغيرهم من مضر ثم اختلفوا في تعيين هذه القبائل التي من
مضر ومنهم من قال هم من مضر وغيرها وقد حذفت الاطالة بتعيين ما وقع
الاختلاف فيه اذ ليس فيه هنا كثير فائدة ومما يلجئ الى القول بهذا اجماع
الناس على عدم جواز ابدال اسم من اسماء الله سبحانه التي في القران باسم اخر
وكان الامر في صدر الاسلام لما روعي فيه التخفيف اذن لهم في الاتيان بسميع
عليم ونحوه موضع غفور رحيم ونحوه لدلالة الاسماء كلها على الله سبحانه
واستلزام كل اسم معنى الاسم الاخر بدلالة الالتزام فلما قويت المدارك
وتبصرت الاحلام ووقفوا على وجه واحد كملت فيه المناسبات وظهرت حكمة
التنويع في المخاطبات وتبين للمحققين مناسبة كل اسم لموضعه وقال البيهقي
رحمه الله لم يتغير الامر وانما كان يجوز للشخص ان يقرأ سميع عليم موضع
عزيز حكيم لان ذلك كله مما نزل به الوحي وكان من قرأ عزيز حكيم في موضع
سميع عليم مثلا قرأ اية اخرى في غير موضعها قال وذلك جائز فللانسان
ان يقرأ قطعة من القران ثم يقرأ قطعة اخرى وهذا الذي قاله فيه
نظر اذ لا يجوز ان يؤتى بكلام من القران متفرقة في صورة نظم واحد
واما من ذهب الى ان الامر انما استقر بعد النبي صلى الله عليه وسلم في ايام
الصحابة فيستدل بجمع الصحابة للقران وبظواهر امور اخرى منها ما في
صحيح البخاري ان عثمان بن عفان رضي الله عنه قال للنفر الثلاثة الذين
امرهم الله بجمع القران مع زيد بن ثابت اكتبوا المصاحف وما اختلفتم فيه انتم
وزيد بن ثابت فاكتبوه بلسان قريش فانه نزل بلسانهم وفي هذا دليل
على ان الذي كان يقرأ به لسان قريش وغيرهم وان الذي استقر عليه
الامر انما هو لسان قريش وقوله فانه نزل بلسانهم اي استقر بلسانهم
وفي سنن ابي داود ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه كتب الى ابن مسعود
اما بعد فان الله انزل القران بلغة قريش فاذا اتاك كتابي هذا
فاقرئ الناس بلغة قريش ولا تقرئهم بلغة هذيل وهذا انما يقتضي

منه

ان الناس

ان الناس كانوا يقرؤون بغير لغة قريش ولو لم يكن ذلك لما ساغ لابن
مسعود ان يقرئ الناس بلغة هذيل قبل ان ينهاه عمر واعلم
ان هذه الظواهر التي تمسك بها من زعم ان القران انما استقر امره بعد
النبي صلى الله عليه وسلم مأولة بان عمر وعثمان رضي الله عنهما لم ينكرا
قرأة القران على لغة قريش وانما اراد الحث على ما قرره النبي صلى الله عليه
وسلم في اخر عمره وبين ذلك لمن لم يعلمه وانما فات علم ذلك بعض الصحابة
كابن مسعود لان ذلك انما استقر في اخر العهد فامكن ان يفوتهم واما
القائلون بان الاحرف السبعة باقية الى يومنا لم تنسخ فاختلفوا فيها
ايضا فمنهم من قال هي اللغات الموجودة في القران وقد تقدم الكلام على
بعض ما قيل منها عند ذكر تسمية الفاتحة بالسبع المثاني وضعف بعض
العلماء كون المراد رجوع لغات القران الى لغة قريش خاصة بامور
منها الاستقراء ومنها ان عمر وهشام بن حكيم كانا قرشيين ومع
ذلك اختلفت قراءتهما مع ان معلمهما النبي صلى الله عليه وسلم بغير لغتهما
لكن قد يجاب عن ذلك بانه لا يلزم من كون الشخص قرشيا ان يقرأ بجميع
طرق قريش وعلى مساق هذا القول تجوز القراءة بالشواذ كقراءة ابن
مسعود ان كانت الا زقية واحدة بدل صيحة واحدة لكن الاكثرون على
عدم جواز القراءة بها خصوصا في الصلاة ومنهم من قال الاحرف السبعة
هي القراءات السبع المتواترة واختاره جماعات كثيرة ورأى بعضهم ان
ذلك هو الحق الذي لا يجوز العدول عنه وعلى مساق هذا القول لم تجتمع
السبع طرق في القران الا في كلمات يسيرة كقوله تعالى وعبد الطاغوت
وقوله نرتع ونلعب وللقائل ان يقول المراد ان غاية ما وسع فيه من
القران ان ينتهي الى سبع ولا يلزم ان يكون ذلك في جميعه ومنهم من قال
الاحرف السبع راجعة الى كيفية النطق بالالفاظ كالاظهار والاخفاء
والتفخيم والترقيق والامالة والمد ثم منهم من بنى هذا على ان السبعة
ليست للحصر بل للتكثير ومنهم من التزم الحصر وعين من هذه
المذكورات سبعا وكذلك مثل قوم للسبعة الاحرف على مساق القول بانها في
كيفية النطق بامور منها السين التي لا يتأتى لبعض العرب وغيرهم ان ينطق

بها كالجيم ومنها الصاد التي لا يتأتى لهم النطق بها الا كالزاي ونحو ذلك
ومنهم من قال للبيت كيفية النطق وانما هي انواع في القران وتمسكوا بظاهر
ما تقدم من الحديث وهو قوله صلى الله عليه وسلم وان هذا القران انزل من
سبعة ابواب على سبعة احرف نهي وامر وحلال وحرام ومحكم ومتشابه
وامثال الحديث وهذا الحديث ضعيف باتفاق وعلى تقدير ثبوته يؤول بامور
منها انه صلى الله عليه وسلم بين انواع القران هنا وقال في حديث اخر فاقروا
ما تيسر منه اي فاقتصروا ان شيتم على نوع من هذه الانواع من امر ونهي
ونحو ذلك من غير ان تبدلوا امرا بنهي ولا نهيا بامر ونحو ذلك فان الاجماع
على المنع من ذلك ومنها ان يكون في الحديث محذوف يدل عليه الضرورة
والاقتضا ويكون محله بين قوله سبعة احرف وقوله نهي وامر ثم تقدير
المحذوف وانواعه او واقسامه او وهو وما اشبه ذلك فلا يكون قوله نهي
وامر الى اخره تفسيرا للاحرف السبعة بل يكون خبرا لمبتدا محذوف وبالجملة
فقد وقع الاجماع على ان معاني القران ومقاصده لا يجوز ابدال بعضها ببعض
الا فيما ورد من القراات وقد بلغ ابو حاتم محمد بن حبان البستي تعدد
الاقوال في ذلك خمسة وثلاثين قولا كما حكاه عنه القرطبي وغيره وقد اقتصرت
هنا على ذكر ما يتفرع عليه تفنيه الخلاف واذا تامل الانسان اتساع لغات
القران وتعدد وجوهه واختلاف كلماته في القصة الواحدة اذا تكررت
وتامل ما اودع في ذلك من لطائف المناسبات والحكم الجليلات عرف ان
معاني القران لا تنحصر وان مداخل التفهم تبلغ من العدد ما لا يدخل تحت
الاحصا والله تعالى اعلم

الفصل السابع في الاشارة الى ظهر القران وبطنه وحده ومطلعه

قد تقدم في هذا الفصل السابق ذكر
الحديث الذي رواه البغوي رحمه الله في تفسيره من قوله صلى الله عليه
وسلم ان القران نزل على سبعة احرف لكل اية منها ظهر وبطن ولكل
حد مطلع ويروى لكل حرف حد ولكل حد مطلع وعن علي بن ابي طالب رضي
الله عنه انه قال ما من اية الا ولها اربع معان ظاهر وباطن وحد ومطلع
فالظاهر التلاوة والباطن الفهم والحد احكام الحلال والحرام والمطلع
مراد الله سبحانه من العبد بها وحكي عن جعفر بن محمد انه قال كتاب الله على

اربعة

اربعة اشيا العبارة والاشارة واللطائف والحقائق فالعبارة للعوام
والاشارة للخواص واللطائف للاوليا والحقائق للانبيا ويحكى عن بعضهم
ان العبارة للسمع والاشارة للعقل واللطائف للمشاهدة والحقائق للاستسلام
وقال بعضهم الظهر ما ظهر من ظواهر الخطاب والبطن ما بطن من المعاني
التي لا يتوصل اليها الا بالتامل والتوقيف ونحوهما والحد غاية ما ينتهي اليه
من الظاهر والباطن والمطلع علم الله سبحانه بمراده من ذلك الكلام وقيل
غير ذلك ولهم خلاف في المطلع هل هو ما استاثر الله سبحانه بعلمه به عن خلقه
والاكثرون على هذا او هو مما يمكن اطلاع خواص الخلق عليه واليه ذهب بعضهم
ثم القائلون بهذا منهم من خصه بالنبي صلى الله عليه وسلم ومنهم من قال بامكانه
لخواص الاوليا ولا شك في ان الله سبحانه عالم بحقائق كلامه لا يشاركه فيه غيره
فمن اطلق المطلع على ذلك فهو صحيح لا نزاع فيه ويكون الحد غاية ما ينتهي
اليه ادراكات المخاطبين ولا سيما ان ما قلت مدلول الحد في اللغة من كونه
المنع فكان المخاطبين منعوا من التسور على ما وراه ويبعد بهذا قول من
خص الحد بمقام النبوة وههنا مقال يسير النظر في علوم الانبيا عليهم
الصلاة والسلام هل كلها يجب عليهم تبليغه ام منها ما يختصون به ولا يطلعون
احدا ومن اضاف المطلع الى الخلق ان اراد مدلول الاطلاع من وقوف
الذهن على ذلك الامر فهذا يتناول الظهر والبطن والحد ايضا وان اراد
اطلاعا خاصا فهو امر اصطلاحي ينظر الى ما اراده منه واعلم ان اقرب ما
يطابق معنى الحديث من حيث اللغة والشرع ما قدمت نقله عن علي رضي الله
عنه وان صح ذلك عنه تعين المصير اليه لان صورته صورة اخبار عن حال
القران وخبره مردود وليس ذلك من باب المسايل الاجتهادية حتى ياتي
فيه الخلاف في راي الصحابة هل يكون حجة ام لا واعلم ان اقواما هجموا
بظنونهم واقدموا بارائهم على القران الكريم وسموا ذلك من علم باطن
القران فمنهم من اصاب من حيث كون ذلك الكلام يتناول ما نبهوا عليه
اما بعمومه او بدلالة التزام قياسي او غيره ومنهم من اخطا حيث قصر
العام على خاص من غير دليل على التخصيص بل يتبع مثل ذلك من بعضهم
مع وجود دلالة تقتضي على ان ذلك العام لم يرد به الخاص وانما هو كما يفهم منه

من العموم ٥ ومنهم من احطا حيث اخرج الكلام عن مدلوله اللغوي وموضوعه
العرفي من غير مانع بل مع وجود تنصيص اعلام المفسرين على ان ذلك المدلول
مراد وربما الجاهم التعمق في استخراج المعاني الخفيه الى القول بما يعصر
بالابطال على فاعله شرعيه او قضيه عقليه وربما جالوا في ذلك حتى انتهوا
الى سو ادب على احد من الانبيا عليهم الصلاة والسلام وزين لهم الشيطان
ذلك من حيث ان فيه تفضيلا لنبينا صلى الله عليه وسلم كما رايته لبعض من
دون تفسير القران الكريم في قوله سبحانه اذ يقول لصاحبه لا تحزن ان الله معنا
فقال راعي نبينا صلى الله عليه وسلم الادب مع الله سبحانه فقدم اسمه على المعيه
فقال ان الله معنا فعادت بركة ذلك على امته ٥ وقدم موسى المعيه على
الاسم فقال لي لما قال اصحابه انا لمدركون قال كلا ان معي ربي سيهدين ٥
فاصيبوا بالتيه وما وقع لعمري الا من تبديل الدين ونحوه فانظر بصرك الله
كيف نسب الى موسى عليه الصلاة والسلام اساة الادب وهل هذا الا سوء ادب
مع موسى عليه الصلاة والسلام زينه الشيطان حتى صار عند قايله من اجل المعاني
التي يزعم التقرب بها الى الله سبحانه ٥ واعلم اني حين وقفت على هذا الكلام
في بداة معاناتي لهذا الفن لاح لي كمال حكمه كل من النبيين عليهما الصلاة
والسلام حيث اتى كل منهما بخطاب يليق بحال المخاطب فاما موسى عليه الصلاة
والسلام وكان خطابه مع عامة بني اسرائيل الذين فيهم من تكملت معرفته بالله
سبحانه وفيهم من هو في طريق الاستكمال ولا يتوصلون الى كمال معرفة الله
سبحانه الا بواسطه موسى عليه الصلاة والسلام فناسب ان يقدم المعيه المضافة
اليه قبل اسم الربوبيه اذ هو الواسطة ومنه يعرف الربوبيه واما نبينا صلى
الله عليه وسلم فكان خطابه مع اخص امته وهو ابو بكر الصديق رضي الله عنه
الذي كملت معرفته بالله ولهذا لم يحتج في ايمانه الى ترادف الادله وتضاعف
البراهين فناسب ان يخبره بالاسم او يشهده المعيه المرتبه على كمال الالهية
ثم هنا مناسبات اخرى تتعلق بذكر اسم الله هنا واسم الرب هناك ليس هذا
محل ذكرها واذا علمت ان التعمق قد يلجي من يستنزله الشيطان الى الوقوع
فيما فيه اساة على الانبيا وعلى الله سبحانه حتى تجاسر على كلامه باراية الضعيفه
فاعلم ان مثل هذا الا يلتفت اليه ولا يعول عليه وليس فيما تمليه الخواطر بواسطة

الاراء

الاراء الضعيفه والافهام السخيفه ونحو هذا من علم باطن القران بل هو من باطن
الهذيان واكثر ما يصدر ذلك من البانين على قواعد الاكتفا بالعقول
مع قلة البضاعة من صحيح ما يعتمد عليه من المنقول وهولاء هم المعنيون بالذم
من اصحاب الاراء والمضروبون بسياط الوعيد على ما ارتكبوه من الهجوم على
العليا ويكفي من ذلك قول النبي صلى الله عليه وسلم من قال في القران برايه فليتبوا
مقعده من النار وقوله صلى الله عليه وسلم من قال في القران بغير علم فليتبوا
مقعده من النار وقوله صلى الله عليه وسلم من قال في القران برايه فاصاب
فقد اخطا ولقد سيل ابو بكر الصديق رضي الله عنه عن قول الله سبحانه وفاكهة وابا
فقال اي سما تظلني واي ارض تقلني ان قلت في كتاب الله ما لا اعلم وقال
ابو الدردا رضي الله عنه لا تفقه كل الفقه حتى ترى للقران وجوها كثيره ٥
قال حماد قلت لايوب ما معنى قول ابي الدردا فجعل يفكر فقلت هو ان
ترى وجوها كثيره فتهاب الاقدام عليه فقال هو ذلك ٥ واعلم ان من اجل
ما جمع من اقوال اشياخ التصوف رحمه الله عليهم ما جمعه الشيخ عبد الرحمن ٥
السلمي رحمه الله تعالى في كتابه المسمى بالحقايق الا انه سرد فيه ما وقع له
ولم يميز بين رتبه ومن تامل ما نقله فيه وجد فيه من الاستنباط الحسن
والنفقة المبين ما يبتهج به روحه وعلم انه فتح الاهي وعلم رباني اقتبسه قايله
من مشكاة النبوة منحة من الله سبحانه له بواسطه التدبر العلمي والتفكر
النظري والذوق الوجدي كما ان المتامل لهذا الكتاب المذكور ايضا قد
يقف فيه على شوارد الفهوم التي بدت عن قواعد العلوم وبعدت عن
مقاصد الخطاب الشرعي وموارد الصواب العرفي فلا يكاد ينتظم مع
غيرها من وجوه الصواب العرفي فلا يكاد ينتظم مع غيرها من وجوه الصواب
في سلك واحد الا بتكليف شديد وتعصب زايد ٥ ولعل السبب في وقوع
ذلك من قايليه والله تعالى اعلم احد امرين اما ان تقوم به حالة من الحالات
وتلى عليه ايه من الايات فيفهم عندها ما يليق بحالته تلك مع الغيبه
عن حقيقة الكلام ودلالته كما يتفق ذلك لكثير من ارباب الاحوال ويفهمون
ما يناسبهم من الحوادث وان لم يكن من جنس الاقوال ويكون ذلك فهما عند
التلي لا منه فيحكي احدهم ما فهمه عند سماعه لتلك الايه فيظن من سمعه انه

قال ذلك تفسير للآية او استنباطا منها وليس كذلك وانما ان يبني ما فهمه
من تلك الآية على شيء اعتقد دلالة اللفظ عليه اما لاشتراك او غيره وكان
هناك ما يمنع من دلالة اللفظ عليه او لسبب آخر مما يخل بالفهم او يبني على شيء يعتقد
غلطا من كلام بعض من ينسب اليه التصوف مع كون ذلك الذي بني عليه غير
صحيح فيختل المبني عليه بالضرورة فان قلت انما نقل السلمي رحمه الله في
كتابه المذكور كلام المعتبرين فكيف ينسبون الى الخلل قلت اعلم ان
اساس ما بنى عليه الصالحون امورهم سلامة الصدر ومن شعبها حسن الظن للمسلمين
لا سيما من ينسب الى الصلاح هذا مع وفائهم بآداب الصحبة والقائهم قياد النفوس
اليهم بأزمة التقليد ومن هنا وقع الخلل في بعض طرق الصوفية وذلك ان جماعة
من ارباب البدع والعقائد الفاسدة ظهروا فيما تقدم من الزمان بصورة المشيخة
خصوصا من كان منهم ينسج على منوال الفلسفة ويبحث في علومها الالهية والرياضية
فانهم يترهبون بالخلوات ونحوها وتظهر عليهم آثار التخلي والانقطاع ويتزوق
الفاظهم الغريبة التي اصطلح عليها علماؤهم في اذهان المبتدئين لا سيما وغالبه
اتباع اشياخ التربية من العامة فيحمل هذا الامر على قبول ما يلقونه اليهم
مع ما فيه من دسائس الفلسفة ونزعات البدعة وما اشبه ذلك ثم ينقل
ذلك مع غيره من الكلام الصحيح فربما عثر المتأمل منه على كلامهم الصحيح
فظن ان الجميع كذلك فالقى القياد وربما عثر على شيء من تلك النزعات فحمله
حسن الظن بهم ومراعاة الادب معهم على استقصار ذهنه عن فهم ذلك
واحالة الامر على فهم من تقدمه من المعظمين لذلك المنقول عنه ٥ وربما ادى
ذلك الى ترك التأمل مطلقا ٥ وربما صحب الاشياخ من حظه الانتساب اليهم
في الظاهر والتحظي عند الناس بما يتظاهر به من صحبته من الاكابر مع عدم تحققه
باصلاح الاخلاق والسرائر فيجيز هذا المنتسب التزيي بلباسهم والتشدق
بأقوالهم من غير تحقيق لمقاصدهم فينقل الغث والسمين ويمزج الحق بباطل
ويكاس التخليط للمبتدئين فيحلو مذاقه لهم خصوصا بما فيه من الاستعارات
اللطيفة الجاذبة للنفوس فيلتبس تلك الاقوال ولا يلتفت المتلقي الى تحقيقها بل
فهذا من اسباب الخطأ والضلال نعوذ بالله الكبير المتعال ٥ والصواب ان
يتحرى الانسان اولا ويتخير له من الاشياخ من يرضاه لدينه بعد السبر التام

فاذا ظفر بشيخ صحيح العقيدة حسن الطريقة مخلص الوجهة نصوح للاتباع
متمكن من التصرف فيهم بالتربية الشرعية والرياضة الاسلامية ووثق منه
بذلك اما لاستفاضة او غيرها القى اليه القياد وسلم اليه في المراد وسلك معه
مسلك الادب وترك الاعتراض واعرض عن الحظ والارب وراجعه فيما
اشكل عليه ووفى بآداب الصحبة بين يديه ومن امارات الاسترشاد اصغاء
القلب وتقليب البصيرة مع محو ما في الذهن حتى لا يكون ما عنده قاضيا على
ما يسمعه من الشيخ بل يزن كلام الشيخ واعماله واحواله بالموازين الشرعية
بشرط الخلو من الاهواء النفسية وقد ساقني الكلام الى هذا المقام اعتذارا
عن ما قد يوجد في كلام بعض المتصوفة مما يخرج عن النظام وقصدي
بذلك امران هما جلب نفع ودفع ضرر ٥ فاما جلب النفع فهو ارشاد
الواقف على هذا الكلام لطريق الصواب ٥ واما دفع الضرر فهو الذب
عن اعراض السادة المحققين والقادة المتقين والاولياء المقربين والعلماء
العارفين فاني رأيت الناس خاضوا في حقهم وانكروا كراماتهم وهجموا عليهم
بالتخطئة ٥ ولم ار لذلك سببا الا دخول من ليس منهم في ظواهر طرقهم وانتساب
المبتدعين والجهلة بافواههم المدسوسة والمعكوسة الى ما يوهم موافقة
اولئك في تحقيقهم فاردت ان انبه على عورات الكاذبين في الانتساب
صيانة للسادة من ان يظن بهم ما فيه ارتياب وقد غلب على كثير من
الناس التفريط كما غلب على كثير منهم الافراط فالمفرطون حسموا مادة
الولاية وانكروا ما يمنحه الله سبحانه من الفهوم والدراية ٥ والمفرطون
تغالوا في تعظيم كل من دخل في هذا الزي وخلطوا الشقشقة بالتحقيق
وهذان واديان من اودية النار والصراط المستقيم هو الاعتدال بينهما
والنظر بعيني العدل والفضل والله تعالى ولي التوفيق ٥ وقد كثر
في التفاسير خصوصا ما وضع من تفسير اهل الحقائق ذكر اشياء لا مناسبة
لها ولا دليل ويعزى بعضها الى جعفر بن محمد وغيره من الاكابر ولا
يثبت ذلك عنهم بل قد يكون في ركاكة اللفظ المنقول عنهم وفساد معناه ما
يشهد الخاطر السليم بوضعه عليهم فليجتنب مثل هذا وليتحرز من معاني
كلام الله سبحانه وتعالى واذا قد علمت اشتمال كلام الله سبحانه على ظهر

وبطن وحد ومطلع مع ما تقدم من تعدد وجوه الدلالات ظهر لك تعدد
المداخل الي فهم معاني القران الكريم وان الناس وان تسابقت افهامهم
في معانيه لا يبلغون غاياتها الا انهم يتفاوتون فمنهم من فهم وليس من
وقف علي سواحل الخطاب كمن غاص في قعر بحر التدبر فاستخرج من جواهر
المعاني العجب العجاب هذا مع ان جواهر هذا البحر لا تفني وسامي درره
كلها لا تحوي ولقد من الله سبحانه علي كثير من خواص عبيده العلما المدبرين
الموفقين في الاية الواحدة بل في الكلمة الواحدة بل في الحرف الواحد بما لا
يكاد يحصي من المعاني التي لا تدرك بمجرد نور القلب بل لا بد مع ذلك من نور
رباني لتتظافر النوران الخارجي والوالجي الموهوب بهما علي من اريد بالهداية
لسابق العناية ولقد حكي لي بعض اكابر الاشياخ الذين لقيتهم عن و
الدي رحمه الله وكان من اكابر الاوليا العارفين انه قال ما قرات الفاتحة
قط الا فهمت منها ما لم اكن افهمه قبل ذلك فانظر الي اتساع مجال هذا الرجل
وكم قرا الفاتحة في عمره من مرة في الصلوات وغيرها ولعمري لقد اغترف
هذا من بحر ممدود بمداد لا ينقطع وما ذا عسي يكون نسبة جملة ما فهمه
هذا وامثاله مما ذكره الله سبحانه في قوله قل لو كان البحر مدادا لكلمات
ربي لنفد البحر قبل ان تنفد كلمات ربي ولو جينا بمثله مددا وقوله تعالي
ولو ان ما في الارض من شجرة اقلام والبحر يمده من بعده سبعة ابحر ما نفدت
كلمات الله ٥ ولقد قام النبي صلي الله عليه وسلم الليلة في اية واحدة يكررها
وهي قوله تعالي ان تعذبهم فانهم عبادك وان تغفر لهم فانك انت العزيز الحكيم
ومن تامل طول زمانه صلي الله عليه وسلم في التدبر مع كمال نوره وتمام فتحه
واتساع ادراكه وارتقايه الي اعلي مقامات العلم والفهم قضي باتساع
مجال الفهم في القران ٥ ولقد نبه علي بن ابي طالب رضي الله عنه علي ما فتح به
عليه من تلك الفهوم والعلوم حتي قال لو شئت ان اوقر من بسم الله الرحمن الرحيم
حمل بعير لفعلت ٥ وروي عنه ايضا انه قال لو شئت ان اوقر من فاتحة
الكتاب سبعين بعيرا لفعلت وانما نبهت علي هذه الامور منها الحث علي
اعظام كلام الله حقه من التعظيم ومنها حث الفهم علي امتحان المعاني
والاستكثار من ذلك ومنها تلبسه من من الله سبحانه عليه بشي من الفهم

في القران

٣٠

في القران علي ان ذلك نزر بالنسبة الي ما لم يفهمه ليوقفه ذلك عن الاعجاب
بفهمه وليسره في مبادين طلب الزيادة وليكشف له قلة ما اوتيه بالنسبة
الي ما لم يوته حتي يري انه احق باطلاق اسم الجهل عليه من اطلاق اسم
العلم الي غير ذلك مما يظهر من الفوايد للمتامل والله سبحانه ولي التوفيق
وهو حسبنا ونعم الوكيل ٥ التفسير قوله سبحانه
بسم الله الرحمن الرحيم ينبغي قبل الخوض في بحار
تفسيرها النظر في وجوه يتعلق بها ليست من تفسيرها وانما هي من
سوابقه ولواحقه فالوجه الاول كونها من القران والثاني كونها
من الفاتحة ام لا والثالث هل هي اية كاملة ام بعض اية والرابع في
تعين قراتها في الصلاة وما فيه من الخلاف والخامس في الجهر بها والاسرار
وفي وقتهما وهل يفرق في ذلك بين الفرض والنفل ام لا والسادس
هل كل بسملة كتبت في اوايل السور قران ام لا والسابع هل اذا كانت قرانا
فهل هي مستقلة بين السورتين او داخلة في احداهما والثامن هل اذا كانت
من احدي السورتين تكون من الماضية او المستقبلة وهل يفصل بين السور ام لا
والتاسع هل اذا كانت من اول السورة او من اخرها تكون اية كاملة او
بعض اية والعاشر كون ثبوتها قطعيا او ظنيا والحادي عشر كونها مكية
ام مدنية ام نزلت مرتين ومتي نزلت والثاني عشر في حكمة الابتدا بها ولعل
هذه الوجوه وجوه اخري من طلب التفسير وحققته فليكمل بها العدد ٥
فاقول الخامس عشر في تعديد دلالتها العقلية السادس عشر وهو ما يتعلق
من متعلقات الدلالة الوضعية تفسير مفرداتها السابع عشر في حكم تركيبها
وحكمة تركيبها الثامن عشر في اعرابها التاسع عشر فيما يتعلق بقراءتها
العشرون وهو المقصود الاهم بيان ما اشتملت عليه من مقاصد القران الكريم
ويتعلق بكل وجه من هذه الوجوه مسايل وفروع ومباحث يبلغ مجموعها عددا
كثيرا ولست اراعي ذكر هذه الوجوه علي هذا الترتيب ولا اصرح بعددها بل اذكرها
مع ادراج بعضها في بعض وتقديم وتاخير مراعيا للايجاز ناصا علي ما يعتمد من
الاحكام المنقولة عن المعتبرين من الايمة الاعلام اما كون البسملة من القران
فهي من سورة النمل بالاجماع والتواتر وهي بعض اية ٥ واما كونها من الفاتحة

في فضلها والثالث عشر في طلب الابتدا بها والرابع عشر ٥

فقد ذهب اليه قرا مكة والبصرة واكثر فقها الحجاز وتوافقوا على الجهر بها فيما
يجهر فيه بالفاتحة ووافقهم على ذلك من اهل المدينة عبد الله ابن عمر وبن شهاب
واليه ذهب الشافعي رحمه الله واتباعه والامام احمد في احدى الروايتين
واسحق وابو ثور وغيرهم وصنف في الجهر بها جماعة من قدما اعلام الاسلام
ومن بعدهم لمحمد بن نصر المروزي وابن خزيمة وابن حبان والدارقطني والحاكم
والبيهقي وابن عبد البر من المالكية فاما كونها من الفاتحة فيدل عليه امور
منها ما رواه الدارقطني بسند وثق جميع رجاله عن ابي هريرة رضي الله عنه
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا قراتم الحمد فاقرو بسم الله الرحمن الرحيم
انها ام القران وام الكتاب والسبع المثاني وبسم الله الرحمن الرحيم احدى
اياتها ومنها ما رواه بن خزيمة في صحيحه والحاكم في مستدركه عن ام سلمة رضي
الله عنها ان النبي صلى الله عليه وسلم عد البسملة اية من الفاتحة ومنها ما رواه الشافعي
رحمه الله عن عبد المجيد عن ابن جريج عن ابيه عن سعيد بن جبير في قوله تعالى
ولقد اتيناك سبعا من المثاني والقران العظيم قال هي ام القران قال ابن جريج
قال ابي وقراها علي سعيد بن جبير حتى ختمها ثم قال بسم الله الرحمن الرحيم الاية
السابعة قال سعيد قراها علي بن عباس كما قراتها عليك ثم قال بسم الله الرحمن
الرحيم الاية السابعة قال بن عباس فدخرها لكم فما اخرجها لاحد قبلكم ومنها
انها كتبت مع الفاتحة بخطها في جميع المصاحف مع اجماعهم على صيانة القران
من زيادة غيره معه ولهذا لم يكتبوا الاستعاذة وبها استدل النووي وابن
المبارك والشافعي في احد قوليه الذي صححه اتباعه على ان البسملة من اول كل
سورة الا سورة براة واما الجهر بها فيما يجهر فيه بالفاتحة فسنة ثابتة
قال بن خزيمة ثبت الجهر بها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من رواية ابي هريرة
باسناد ثابت متصل لا شك فيه ولا ارتياب وقد رواه ابن حبان ايضا عنه في
صحيحه والدارقطني في سننه وقال انه حديث صحيح وفي رواية كلهم ثقات
ورواه ايضا الحاكم وقال انه صحيح على شرط الشيخين وتوافق على صحة هذا السند
جماعة كثيرة من الايمة وثبت ايضا الجهر بها من رواية بن عباس وابن عمر
وام سلمة وخلائق اخرين بلغت عدتهم كما قاله بن عبد البر احدى وعشرين صحابيا
وجميع قرا مكة واكثر فقها الحجاز وابن شهاب من اهل المدينة ولذلك ابن عمر كما علم

متفقون

متفقون على الجهر بها واتفق الشافعية على ذلك اصحابنا الا ابن ابي هريرة منهم فقال
لا يستحب الجهر بها لانه صار شعار الرافضة والذي قاله مردود واختلاف
الصحابة ومن بعدهم في اثبات البسملة ونفيها دليل على انها مسالة اجتهادية
وان ثبوتها بالظن حتى يكفي في ذلك اخبار الاحاد وليست من باب القطعيات
قال النووي رحمه الله وغيره ولهذا لا يكفر نافيها باجماع المسلمين وهذا هو الحق
الذي لا محيد عنه ولم يشذ عن هذا الاجماع الا صاحب الفروع وهو ابن الحداد
من الشافعية فانه قال بتكفير جاحدها وتفسيق تاركها هكذا حكاه ابن الرفعة
من الشافعية عن رواية العمراني عنه وقد عرفت مما تقدم عن ابن عباس من
كونها الاية السابعة انها اية كاملة من الفاتحة وقد تقدم ذلك وما فيه من خلاف
عند ذكر اسم الفاتحة بالسبع المثاني ولا يخفى لزوم قراتها حيث لزمت قراة
الفاتحة والخلاف في هذا مشهور معروف وكل موضع جهر فيه بالفاتحة جهر
بالبسملة فيه ومنهم من فرق في الصلاة بين الفرض والنفل فقال يجهر في النفل
دون الفرض ومنهم من يسر بها مطلقا ومنهم من يقراها سرا في النفل دون الفرض
ومن العلما من قال هي بعض اية من اول كل سورة كتبت معها وقيل هي بعض
اية من اخر السورة الماضية وقيل اية كاملة وقيل هي فاصلة بين السور
فتكون اية مستقلة وقيل ليست من القران بل هي للتبرك كاحد قولي الشافعي
ونزلت البسملة بمكة كما قاله الاكثرون خصوصا من هي عنده من الفاتحة وقد
نزلت الفاتحة بمكة حتى امتن الله سبحانه بالفاتحة على نبيه صلى الله عليه وسلم بقوله
ولقد اتيناك سبعا من المثاني وسورة الحجر مكية وقيل نزلت البسملة بالمدينة
وقيل نزلت مرتين واما فضايلها فاكثر من ان تحصر ورويت فيها احاديث
كثيرة واثار جليلة ولو لم يكن الا اشتمالها على اسرار القران كاشتمال الفاتحة وقد
نقل ذلك عن جماعة من العلما قال القرطبي قال بعض العلما ان بسم
الله الرحمن الرحيم تضمنت جميع الشرع لانها تدل على الذات وعلى الصفات قال
وهذا صحيح ولتاكد فضل البسملة ابتدا الله سبحانه بها كتابه العزيز لاسيما وذلك
منبه على طلب الابتدا بها وعلى الاستعانة بالله سبحانه كما سيتضح عند ذكره
ان شا الله تعالى فهذه كلها امور سابقة على التفسير واما التفسير
فيتعلق به امور يدور على النظر في دلالة الكلام وقد تقدم ان الدلالة تنقسم الى

عقلية ووضعية وطبعية فالطبعية لا مدخل لها في كلام الله سبحانه ولم يبق
الا دلالة العقل ودلالة الوضع اما دلالة العقل فاقتضت من البسملة
وما بعدها من كلام الله سبحانه ان المتكلم بهذا الكلام موجود حي متكلم عليم
مريد قدير حكيم كامل لاستحالة صدور الكلام من معدوم وميت وابكم ولاستحالة
صدور ايصال الكلام الى المخاطبين من غير قدرة وايصال الكلام عن الكلام
ولاستحالة صدور هذا الاسلوب العجيب والوصف البديع الغريب من غير حكيم
واقتضى وجود الحكمة وما معها من الصفات كمال امتيازها على غيرها والا لامكنت
المشاركة فيما يصدر عنها وقد ثبت استفادة ذلك من جميع المحدثين فتعين ان يمتاز بالقدم
ويلزم من القدم البقا ولا يكون ذلك كله الا للموجد الواحد وهو الاله الذي يجب
ان يكون له صفات الكمال كلها كالسمع والبصر وكل اية في القران اشتملت على
قضية من هذه القضايا المذكورة مستفادة من دلالة البسملة العقلية ثم هذه
الامور يجمعها المقصد الاول وهو التعريف بالالهية ويتسع المجال في ذلك
حتى ينظر في حقيقة الكلام وما يليق بالله سبحانه منه وما يطلق على كلامه
سبحانه من الاسما وما يسوغ منها عقلا وشرعا وما يجب له من الاحكام ثم يتسع
النظر ايضا في المكلفين وصفاتهم والحالة التي يصلح لتعلق الخطاب بهم
وما اشبه ذلك ويستغرق هذا علم الكلام وهو من اصول الدين مع بعض
علم اصول الفقه وتتمات من غير ذلك وكل ما يتعلق بالمقصد الاول وهو
التعريف بالالهية يشير اليه هذه الدلالة العقلية واما الدلالة الوضعية
فيتفرع منها تقدم دلالة المفردات ثم دلالة التركيب اما مفردات البسملة
فاولها البا ويقع النظر في هذا الحروف من وجوه واعتبارات **منها**
النظر في حقيقة الحرف في اللغة وقد تقدم والنظر في رتبة هذا الحرف من العدد
وهو واضح والنظر في كونه اول العدد ويظهر منه مناسبة الافتتاح به
دون غيره **ومنها** النظر في اختلاف صورة الخط واللفظ والافراد والتركيب
ومنها النظر في حقيقة ماهيته وهل له وجود في الخارج حتى يكون المنطوق
به دالا عليه ام لا وهل الحروف اسما ملائكة الى غير ذلك مما يتعلق به **ومنها**
النظر في اسراره وحكمه وكل هذه الامور غير ضروري في هذا التعليق **ومنها**
ايضا النظر في المعاني التي سبقت لها البا في استعمال العرب ليتاملها المتامل

وينظر

وينظر فيما يناسب منها لذلك المحل الذي وردت فيه **ومنها** النظر فيما
هو متعلق به وهل هو محذوف او مذكور **ومنها** ايضا في كسرته
والنظر في تطويله والنظر في تقديمه وما يتعلق بذلك **فاما** معاني
البا فخمسة عشر على اختلاف في بعضها **اولها** الالصاق وهو اصل
معانيها ولهذا اقتصر عليه سيبويه ومن اعتبر بعده المعاني امكنه
ارجاعها الى الالصاق ولو بوجه من الوجوه وظهر له ان ما ذكر بعده من
المعاني كالانواع له ثم الالصاق حقيقي ومجازي فالحقيقي نحو قولك
امسكت بزيد اذا قبضت على شي من بدنه او ما يحبسه من ثوب ونحوه
وهو خلاف قولك امسكته فانه يحتمل المعنى المذكور ويحتمل المنع من
التصرف **واما** المجازي فنحو قولك مررت بزيد كانك الصقت مرورك
بمكان قريب منه ومنهم من يرى البا في مررت بزيد بمعنى على كما سياتي
من جملة معانيها **الثاني** التعدية ويقال لها ايضا النقل فتكون بمعنى
الهمزة بالنسبة الى نقل الاسم من الفاعلية الى المفعولية كما في قوله تعالى
ذهب الله بنورهم **الثالث** الاستعانة فيدخل على آلة الفعل نحو كتبت بالقلم
ومنه قوله تعالى واصبر وما صبرك الا بالله ولكن بعضهم عن الاستعانة
بالسبب وجعلها اسما واحدا **الرابع** السببية كما في قوله تعالى انكم ظلمتم انفسكم
باتخاذكم العجل اي بسبب اتخاذكم العجل **الخامس** المصاحبة ويقال لها الحال
ايضا وهو اختيار ابي حيان وذلك كما في نحو قوله تعالى قيل يا نوح اهبط بسلام
منا وحينئذ فهي بمعنى مع **السادس** الظرفية فتكون بمعنى في كما في نحو قوله
سبحانه ولقد نصركم الله ببدر وقوله تعالى نجيناهم بسحر **السابع** البدل وهو
في الحديث في صفته صلى الله عليه وسلم من قول الراوي جعل جزءا بينه وبين الناس
فيرد ذلك بالخاصة على العامة فاختلف في معناه على ثلاثة اقوال
احدها ان البا في قوله بالخاصة بالبدل اي فيجعل العامة بدلا من الخاصة
والثاني ان البا بمعنى من اي فيرده من الخاصة الى العامة **والثالث**
انها للاستعانة ومكان الخاصة آلة في الرد على العامة ومن ورود البا بمعنى البدل
قول الحماسي فليت لي بهم قوما اذا ركبوا شنوا الاغارة فرسانا وركبانا
قال الشيخ جمال الدين بن هشام وانتصاب الاغارة على المفعول لاجله **الثامن**

المقابلة ويسمى التعويض ايضا وهو ان تدخل البا على الاعواض والاثمان كما
في نحو قوله تعالى ان الذين اشتروا الكفر بالايمان لن يضروا الله شيا التاسع
كما في نحو قوله تعالى المجاوزة على خلاف فيه فيكون بمعنى عن كما في نحو قوله
تعالى ويوم تشقق السما بالغمام ولما كان الزمخشري لا يثبت هذا المعنى
اول الاية وتزل البا منزلتها في نحو قولك شققت السنام بالشفرة اي ان
الغمام الة في شق السما وعلى هذا فهي بالاستعانة واذا قلنا انها للمجاوزة
اي بمعنى عن فهل تختص بالسوال كما في قوله تعالى فاسيل به خبيرا او لا تختص
بدليل قوله تعالى يسعى نورهم بين ايديهم وبايمانهم قولان العاشر الاستعلا
فيكون بمعنى على كما في نحو قوله تعالى ومن اهل الكتاب من ان تامنه بقنطار يوده
اليك اي على قنطار الحادي عشر التبعيض على خلاف فيه فيكون بمعنى من كما
في نحو قوله تعالى عينا يشرب بها المقربون وقوله عينا يشرب بها عباد الله
والزمخشري وغيره ممن يخالف في هذا المعنى يجعلون البا للمصاحبة اي يشربون
معها الخمر والعين المذكورة مزاج للخمر الثاني عشر القسم لقوله تعالى يحلفون
بالله لكم ليرضوكم الثالث عشر الغاية على خلاف فيه ايضا فيكون بمعنى الى
كما في قوله سبحانه في قصة يوسف عليه الصلاة والسلام وقد احسن بي اذ اخرجني
من السجن اي احسن الي والمخالف في هذا يضمن الاحسان هنا معنى اللطف
اي لطف بي الرابع عشر التوكيد وتسمى با زايدة وصلة والبا الزايدة التي
لا تحتاج الى متعلق واعلم انهم قد يريدون بالزيادة انها ليست اصلية
في تلك الكلمة بل ضمت اليها لتفيد معنى من المعاني حتى لو لم تكن الا هو لما
لكان ذلك معنى مطلوبا واما اطلاق الزيادة بمعنى ان الحرف زايد في التركيب
بحيث لو حذف لما اختل المعنى بوجه من الوجوه فلا يجوز ان يعتقد وجود ذلك
في كلام الله سبحانه وتعالى وحاشى كلام ربنا سبحانه عن الخلو من الفوايد هذا هو الحق
الذي لا يسوغ العدول عنه وقد يخفى المعنى في الحرف الذي يسمى زايدا المقصور
مدارك كما قال الراغب رحمه الله في مفرداته عند ذكره للبا وربما قالوا انه زايد
لقوله تعالى وكفى بنا حاسبين وفي كل ذلك لا ينفك من معنى لكن ربما يدق فيتصور
ان حصوله وحذفه سوا وهما في التحقيق مختلفان لا سيما في كلام من لا يصح عليه
اللغو انتهى والتوكيد يحصل في ست مواضع وهي الفاعل والمفعول والمبتدا والخبر

والحال

والحال المنفي عاملها والتوكيد بالنفس والعين كما جعل بعضهم منه قوله تعالى
والمطلقات يتربصن بانفسهن الخامس عشر التعليل فيكون بمعنى اللام كما في
نحو قوله تعالى واذ فرقنا بكم البحر فانجيناكم اي لكم وقع هذا في كلام بعض
المتقدمين وجزم به ابن الجوزي في كتاب العيون له واما ابو حيان فعد
المعاني المتقدمة الا الغاية فلم يذكرها ثم قال وزاد بعضهم التعليل وكانه
اعني اباحيان يرى رجوعه الى بعض المعاني المذكورة ولم يذكر الشيخ جمال الدين
ابن هشام رحمه الله ايضا والظاهر انهما ومن وافقهما على نفيه يرون ان البا
في قوله تعالى فرقنا بكم راجعة الى معنى السبب او الاستعانة او غير ذلك مما
يحتمل معناه اذا تقررت هذه المعاني فالبا في بسم الله الرحمن الرحيم للاستعانة
عند اكثر المفسرين وبه جزم ابو حيان وقيل للالصاق وقيل للقسم
ويحتمل غير ذلك كما سياتي مما يستفاد من قوة كلام بعضهم ومن مناسبة
المعنى فعلى القول بانها للاستعانة انما كانت كذلك لان افعال المكلفين لا
تكمل الا اذا ابتدئت بتسمية الله سبحانه وتقتضي الاستعانة امرين احدهما
ثبوت عجز المخلوق والثاني تفرد الله سبحانه بالتاثير حتى ان ذكر اسمه سبحانه
يفيد اظهار الاثر وسطر تحتهما مقصدان من مقاصد القران وهما التعريف بالعبادة
والتعريف بالربوبية فمن اراد كشف الغطاء عن ذلك فليبسط كلا من الامرين
وليستحضر الايات المتعلقة به وليتنبه على دخوله في معنى با البسملة من حيث كونها
للاستعانة ثم جوهر اللفظ مع تقدير المضمر وهو مثلا ابدا او ابتدى ايه ونحو
ذلك يدل على تشريع الرجوع الى الله سبحانه والتعلق بما جعله لنا من الاسباب
المعينة على المصالح الدينية والدنيوية حيث كانت البسملة مفيدة لذلك
وهذا المعنى هو احد المقاصد القرانية وهو التعريف بما جات الوسايط فان
مدار ما جات به الوسايط على وضع الاسباب وحد الحدود فيها مع جمع العقول
على الوحدانية حتى لا تحجبنا وقوف الاسباب عن مجمع الاحدية ولا تسعرقنا
الاحدية فتتعطل النسب الشرعية ثم مساق هذا التشريع يثير حمد المفرد
بالاعانة على ما وجب له من صفات كماله ويجب على شكره بازا ما ارشدنا
اليه من المصالح واسبغه من افضاله وعلى الحمد والشكر مدار الطاعات القولية
والفعلية والمالية ويستلزم معرفتنا بانا مكلفون بالاستعانة بالله سبحانه النظر

في الوسايط التي بها عرفنا التكلف وذلك احد المقاصد السبع القرانية ايضا ثم
امرنا بالاستعانة اشعارا بالموانع الصادة عن صالح العمل وهو يلتبس على وجود
الاعدا القاطعين عن سبيل الله سبحانه من النفس والهوى والدنيا والشيطان والكفار
ونحو ذلك وهو احد المقاصد السبع ايضا ويلوح في ضمن ذلك التحذير من مقارنتهم
ومعاشرتهم وهو سر الترهيب الذي هو ايضا احد المقاصد السبع ثم لا يخفى ان التعلق
باسم الله سبحانه والاستعانة به مقام جليل ممدوح وانه يستلزم مدح من اتصف
به وفي ذلك ايما الى المنعم عليهم وفي ضمنه الحث على سلوك سبيلهم والبعث على
اعمالهم الموصلة الى حسن منقلبهم وعلى هذا مدار الترغيب الذي هو ايضا احد
المقاصد السبع وحينئذ فاذا فسرت البا من احد وجوهها وهو كونها للاستعانة
استدعى ذلك بسط المقاصد السبع التي اشتمل عليها القران واستشهد لها بشواهدها
من الايات المتفرقة وظهر للمتامل امكان استنباط جميع مقاصد الكتاب
العزيز من احد وجوه البا بالبسملة فكيف بباقي وجوهها وكيف بالبسملة جميعها
هذا ما يظهر لمثلي عند التامل مع كثرة الشواغل وغمرة التغافل فما الظن بما
يظهر لارباب القرائح الثاقبة مع سداد النظر وتوالي الفكر ودوام الاهتمام
ومداد الالهام لاسيما عند السلامة من الصوارف والقواطع وما الظن بعلوم
الانبيا عليهم الصلاة والسلام من ذلك وما الظن بما تعلق به علم الله سبحانه من
مراده من ذلك فحق قال الله سبحانه ولو ان ما في الارض من شجرة اقلام
والبحر يمده من بعده سبعة ابحر ما نفدت كلمات الله ان الله عزيز حكيم وانما
على راي من ذهب الى انها بالالصاق فقد قال الامام فخر الدين بن الخطيب
رحمه الله في اول تفسيره البا في بسم الله بالالصاق وفي متعلقه بفعل والتقدير
بسم الله اشرع في اداء الطاعات انتهى ولو جعل التقدير بسم الله اقرا او اتعلق
او اقرا ونحو ذلك مما يقوم مقامه في المعنى من فعل الامر وفعل المضارع لكان
اظهر في مناسبة معنى الالصاق كان قوله بسم الله اشرع اظهر في معنى
الاستعانة وقد يجاب عنه بان الالصاق فيه معنى الاستعانة بل الالصاق
اصل المعاني وهو هنا مجازي وقد وقع له رحمه الله انه لما تكلم على فضل البسملة
وذكر ان اسرار جميع الكتب المنزلة في القران وان اسرار القران في الفاتحة وان
اسرار الفاتحة في بسم الله الرحمن الرحيم زاد فذكر ان اسرار البسملة في البا

واراد بيان ذلك فقال البا باء الالصاق فكانها الصقت العبد بالرب انتهى
وفي هذا الكلام من النظر ما لا يخفى واذا قدرنا المحذوف عدا او عودوا فما في
معناهما ظهر منه ان البسملة امرت بالتعوذ قبل القراءة واقتضى ظاهره الوجوب
وقد ذهب عطا الى وجوب التعوذ عند كل قراءة وذهب غيره الى الوجوب
في العمر مرة وذهب الاكثرون الى الاستحباب وكل ذلك يمكن الاستدلال له
من البسملة على هذا التقدير واما كونها للقسم فقد قال القرطبي رحمه الله
في تفسيره قال العلما بسم الله الرحمن الرحيم قسم من ربنا انزله عند راس كل
سورة يقسم لعباده ان هذا الذي وضعت لكم يا عبادي في هذه السورة حق
واني اوفي لكم بجميع ما ضمنت في هذه السورة من وعدي ولطفي وبري
انتهى لكن جزم رحمه الله بعد ذلك بما يقتضي انها بالاستعانة فعلى القول
بانها للقسم تكون من جملة المقسم عليه ثبوت الحمد كله لله سبحانه من حيث
ربوبيته لجميع العالمين وثبوت صفاته التي وصف بها نفسه في الفاتحة وثبوت
يوم الدين ضرورة اثبات كونه مالكه واما غير ذلك من المعاني فيحتمل
ان تكون بالمصاحبة ويكون التقدير ابدوا مصاحبين لاسم الله او ادخلوا في اعمالكم
مسمين له سبحانه ونحو ذلك والاستصحاب الحكمي الى اخر العمل من غير قاطع لا يمنع
المصاحبة وقد وردت المصاحبة في فسبح بحمد ربك وجعل الحمد مضافا الى
المفعول والتقدير سبحه حامدا له منزها له عما لا يليق بجلاله المستحق للحمد ه
وقيل هي للاستعانة ويكون الحمد مضافا الى الفاعل والتقدير سبحه بما حمد به
نفسه ويحتمل غير ذلك ولذلك البا للمصاحبة عند بعضهم في قوله تعالى
فسبح باسم ربك العظيم ثم ان قلت بالبسملة للمصاحبة وقدرت المحذوف سبح
كان اظهر واوفق لقوله تعالى فسبح باسم ربك العظيم على ان منهم من جعل
التسبيح في الاية اسما للصلاة وجعل المراد بتسمية الله فيها ذكره سبحانه ومن
فسر التسبيح في الاية بالصلاة وجعل التسمية على بابها وقرر للبا معنى ه
يناسبها امكنه ان يستدل بذلك على وجوب التسمية في الصلاة وعلى تقدير اضمار
سبح وكون المعنى سبح بسم الله الرحمن الرحيم يظهر من جملة فوايد امر الله
سبحانه لنا بتنزيهه وتقديسه قبل كل شي لتقدم رتبة التوحيد على غيره
وليحصل التهيؤ لتعظيم كلام الله سبحانه واجلاله عن مشابهة كلام المحدثين

وما اشبه ذلك ۞ ويستثنى ذلك البحث عما تقدمت الاشارة اليه ايضا من قسم
التعريف بالالهية ويتفرع على ذلك وجوب تقديم التوحيد على كل عمل
وحال واستصحابه لاسيما اذا جعلنا البا للمصاحبة ويخرج من ذلك من المسايل
ما لا يكاد يحصى كابطال اعمال الكفار والاعمال المنبعثة عن الريا واحكام ۞
المرتدين ومن طرا عليه ريا او قاطع للنية وما اشبه ذلك ويخرج منه ايضا
وجوب التلفظ بالتوحيد ويتفرع عليه عدم القبول ممن دخل في شرايع
الاسلام ولم يتقدم الشهادتين لانهما الدالتان على التوحيد المطلوب منا ۞
شرعا ويستلزم توحيد الله سبحانه في اول كل عمل ان يقصد به سبحانه وحده بالعمل
وذلك متوقف على نية العمل فيبطل كل عمل لا نية فيه ۞ ومن تامل هذا
كله اداه الى فهم غيره مما يتعلق به وعرف انه لا يحاط بمدلولات البا من هذا
الوجه والله تعالى اعلم ۞ ومما يحتمل ايضا من تتبع المعاني ان يكون للتعدية
ويضمر اقروا وما في معناه ويصير المعنى اقروا اسم الله واذا جعل البا المعدية
على ذلك مستعمل في الشرع كثيرا ومنه في هذا المحل قول ابي هريرة رضي الله عنه
اقرا بها فارسي يعني الفاتحة وفي الصحيحين انه صلى الله عليه وسلم قال من قرا
بالايتين من اخر سورة البقرة في ليلة كفتاه ونظاير ذلك كثيرة وان قدرت
المضمر اقرا بفعل الامر للمفرد وافق ظاهر قوله تعالى اقرا باسم ربك ولا يخفى
ما يترتب على ذلك من المسايل المهمة ومما يحتمل من تتبع معاني البا ان يكون
سببية ويضمر تبركوا ونحوه ويصير التقدير تبركوا باسم الله اي حصلوا البركة
بسبب تمسككم بالله او البركة حاصلة بسبب اسم الله وما في معنى ذلك واصل
البركة ثبوت الخير ودوام الزيادة فيه وسميت البركة بركة لاستقرار
الما فيها ويقال للقوم الملازمين للحرب ابتركوا فيه وبراكا القتال ۞
وتبرك ايضا المكان الذي يلزمه الابطال ۞ ومن تامل ما يدل عليه البركة
من انواع الخير واستجماع الزيادة في العاجل والاجل علم ان اسم الله سبحانه لا
تنحصر بركته ولا يتخلف عنها شي من ذلك وظهر له سر الاستشفا والاسترزاق
والاستفتاح والاستنصار وغير ذلك باسم الله سبحانه ومن اراد بسط ذلك ۞
فالاولى له ان يتبع الايات الدالة على ذلك ويرد فيها ما في معناها من الاحاديث
وينص على مخرجها ويكشف عن معانيها فان ذلك يحتمل من وقف عليه على العظم

اسم الله

اسم الله سبحانه ولزوم ذكره والتعلق بمعناه والتخلق بما يمكن من مقتضاه
ومما يحتمل من تتبع المعاني مع نوع من التكلف ان يكون للتبعيض ويفسر
الاسم بالجنس ويضمن تعلموا او اعرفوا ونحوهما ويصير التقدير تعلموا من اسما
الله اي بعضها فانه سبيلكم على ما فيها ويكون الامر على هذا التقدير متناولا ۞
لما رغبنا في احصايه كما في قوله صلى الله عليه وسلم ان لله تسعة وتسعين اسما مايه
الا واحدا من احصاها دخل الجنة ۞ واذا ساغ هذا التقدير ترتب عليه ان
كل اسم من اسما الله تعالى يدل على الباقي اما بالمطابقة واما بالالتزام وللتتبع
المجال في هذا الى النظر في اقسام الاسما وانواع مدلولاتها واحكام الصفات
الذاتية والفعلية وما يتعلق بذلك ويقف المتامل لذلك على بحار لا سواحل
لها ويرى في طريق ذلك حسن بلا الله سبحانه لعقول خلقه حيث كلفهم بالايسر مع ۞
استلزامه للاكثر الى غير ذلك مما يعثر عليه من سلك هذا الطريق ان شا الله تعالى
ويظهر له فيه من فقه الاصول والفروع ما يشهد له بدلالة البا من هذا الوجه
ايضا على اكثر المقاصد القرانية بل كلها ۞ ومما يحتمل ايضا من تتبع المعاني مع
التكلف ايضا ان تكون البا للمجاوزة اي بمعنى عن ويضمر صدور الافعال او
تمامها ونحو ذلك ويصير التقدير صدور الافعال عن اسم الله او تمامها عن اسم الله
وهذا المعنى قد صرحوا به في قولهم ان البا للاستعانة وقد تقدم ما يترتب على
ذلك من الاستنباط ۞ ومما يحتمل ايضا من تتبع المعاني مع التكلف ايضا ان
يكون الناظر فيه ويضمر تفكروا ونحوه ويصير التقدير تفكروا في اسم الله لاسيما
اذا حملنا الاسم على الجنس المضاف اي تفكروا في جميع اسما الله والتفكر في اسمايه
سبحانه وصفاته وافعاله مطلوب والممنوع منه التفكر في ذاته سبحانه كما في
الحديث وهو قوله صلى الله عليه وسلم تفكروا في الا الله ولا تتفكروا في ذات الله
واما رواية ولا تتفكروا في الله فالمراد ايضا الذات والله تعالى اعلم ۞ وقد
يطرق ذهن المتدبر من التقدير والاضمار ما يليق بحالته التي هو عليها ولا يبعد
في ذلك فان كل مكلف تواجهه من الخطاب بما يصلح له منه وعلى هذا فقد يتسع
مجال المتدبر لاسم الله سبحانه حتى يفضي به الى ورود علوم الافعال والصفات
والاحكام وما يتشعب منها وما يتوصل من شعابها اليه ويتخير لنفسه مسلكا
منها يبدا به او يلزمه فيقع في التحير لتجاذبها في الاولوية ولاستحقاق كل منها

الاولية فعند التحير يلغى عمى التدبير ويطلق راحلة تدبره تذهب به حيث قدر لها ان تسير ويمكن ان يقع في سمع مكن من محورات المعذرات همه في اسم الرحمن الرحيم فلا يبرح طول عمره يسرح في نتيه هذه العلوم ويهيم وقد يقضي به الهيام او السلوك على سنن الشواهد والاعلام الى حرم الذات العلية فيمنع منه الابعد التلبس بالاحرام او حقيقته صدق القصد الباعث على التلبية ه بجميع العوالم مع كمال الاهتمام ه ومن واجباته التجرد المعتبر في مثله على التمام ومنه تجرد الروح عن ملابس الاجسام فما دامت الروح مشتملة علبس البدن في هذه الدنيا لا ينافي الستور على ذات الملك العلام لكن عند تحقق التمزق والتفرق والاشتمال على ما يليق بالاحرام من اثواب التخلق والسير الى الله سبحانه بالكلية عن كل تعلق يؤذن للمؤمنين في دخول حرم المشاهدة لكمال الذات من وراء استار السبحات فيرون ربهم سبحانه كما يرون القمر ليلة البدر الا انهم كما قال سبحانه ولا يحيطون به علما فللابصار يومئذ مجال في رحاب الظهور الصفاتي والذاتي واما قبل ذلك في الدنيا فالابصار والافكار ممنوعة من التطرق الى ذلك الحرم الشريف الا انها متمكنة من التمتع باعلام الاسما والانتهاء الى مواقيت الصفات فاذا منع الواصل الى الميقات من مجاوزته الا بعد احرامه واضطرمت لديه نيران ه اشواقه وغرامه والتجا الى طريق الاسما ليتقدم منها الى ما بعدها من مرامه ويسوق له الدليل يسلكه الى المطلوب ويأخذ بزمامه ربما ناداه لسان حاله من افق الفهم اللايق بامثاله ان اردت النفوذ الى حضرة مشاهدة الله الرحمن الرحيم مت في اسمه فالموت فيه شهادة توجب الحياة في النعيم المقيم ولعمري ان الفهوم اللايقة باحوال المتدبرين لا تحصى والعلوم المستنبطة من خلال كلام رب العالمين لا تستقصى وربما تجد المتدبر المتدرب على قوانين العلم لبعض معاني البا مما لم اذكره مناسبات اخرى ولو توجه من الوجوه وانما ضربت لما ذكرته مثلا وفتحت بابا لعل ان تجد المتامل منه الى الصواب مدخلا واعوذ بالله ان اتخرص على كتاب الله مقولا والله سبحانه اعلم بما يليق بمعاني كتابه العزيز ه ظاهرا ومؤولا ه واما النظر فيما يتعلق به البا وهل هو محذوف ام مذكور فقد تقدمت الاشارة اليه في اثنا الكلام على معاني البا فمن جعلها للقسم جعلها متعلقة بمذكور وهو الحمد لله وما بعده من المقسم عليه وجعل الاسم صلة ويصير التقدير

بالله

بالله الحمد لله رب العالمين الى اخر المقسم عليه ومن جعلها للاستعانة او غير ذلك مما تقدم فهي عنده متعلقة بمحذوف وهو راي الاكثرين ويدل على المحذوف دلالة الضرورة والاقتضا وقد اختلف المفسرون فيما يقدر به المحذوف ويتفرع على اختلافهم صور يكثر عددها تقدمت الاشارة الى بعضها وها انا اذكر لك ما يدور عليه تقسيم الخلاف ليكون اعون على استحضار ان شا الله تعالى فاقول اختلفوا هل البا في موضع رفع ويكون المقدر مصدرا او يكون مبتدا اخر وهي في موضع نصب ويكون المقدر فعلا وعلى كل من التقديرين هل يكون المقدر مقدما او موخرا ثم المقدرون للفعل اختلفوا في نوعيه هل هو ماض او مضارع او امر واذا كان فعل امر هل المامور به النبي صلى الله عليه وسلم او جميع الامة واختلفوا ايضا في تعيين الفعل هل هو ابدوا او اقروا او تبركوا ان قلنا انه فعل امر للامة ولا يخفى تنظير ذلك من بقية انواع الفعل ويوخذ من كلام بعضهم ان المقدر في الفعل ايضا غير ذلك وقد تقدم ايضا بعض ما هو محتمل في التقدير ممن اعتبر ما يخرج على هذا التقسيم من الصور حصل على صور كثيرة مما يفسر به المحذوف ويتسع النظر الى ترجيح بعض ما يمكن تقديره على بعض مثل ترجيح تقدير الخبر على تقدير الامر بسبب ان الخبر يحث سامعه على التاسي عند امكان ذلك شرعا فيكون في ضمنه الامر بخلاف الامر فانه لا يستلزم الخبر وايضا فمن رام الامر المستفاد من سياق الخبر خرج عن عهدة الامر وحظي بالتاسي بمن اخبر عنه بخلاف الامر فانه لا يكون مع امتثاله بالتاسي ه ولذلك يترجح في الخبر تقدير الفعل المضارع على الماضي لما فيه من الاشارة الى الدوام والاستمرار وكذلك يترجح تقدير المصدر على الفعل لما فيه من الدلالة على لزوم الفعل ومن تامل بقية الصور ظهر له ما يترجح ان شا الله تعالى ه واما تقديم البا فهو على راي من جعل المقدر المحذوف متاخرا او التقدير مثلا بسم الله الرحمن الرحيم ابدوا او ابدا انا او ابتدائي ونحو ذلك واختاره الزمخشري ان يكون المقدر اقروا او اتلوا لمناسبة ذلك فان كل مسمي في ابتدا امر ينطق حاله بان مراده باسم الله افعل كذا اي الفعل الذي فضل مناسبة الحال يرشد الى المضمر المقدر كما انه قد يقع التصريح بمتعلق التسمية الا ترى الى قوله تعالى بسم الله مجراها ومرساها وفي هذه الاية متمسك

لمن جعل المقدر مصدرا ومتاخرا فيصير التقدير بسم الله الرحمن الرحيم
اقرا او اتلو ثم المرجح لتاخير العامل كالزمخشري يرون ان ذلك ابلغ
لما فيه من الاختصاص وهذه فايدة البيانيين وخالف الشيخ اثير الدين ابو
حيان في ذلك كثير من النحاة وزعموا ان التقديم والتاخير سوا وربما استدل
بعضهم بوقوع الامرين في القران قال الله سبحانه بسم الله مجراها ومرساها
وقال تعالى اقرا باسم ربك ولذلك نظاير واستدلوا ايضا بقول سيبويه رحمه
الله ان الاهتمام والعناية في التقديم والتاخير سوا في مثال ضربت زيدا وزيدا
ضربت ولفظه كما نقله الشيخ اثير الدين في تفسيره واذا قدمت الاسم فهو عربي
جيد كما كان ذلك يعني تاخيره عربيا جيدا وذلك قولك زيدا ضربت والاهتمام
والعناية هنا في التقديم والتاخير سوا مثله في ضرب زيد عمروا وضرب عمروا
زيدا انتهى وفي الاستدلال نظر اما وقوع ذلك في القران فلان كلا منهما فصيح في بابه
لا يكاد التقديم فيه يقوم مقام التاخير ولا العكس ثم انا لا نمنع ان التقديم
والتاخير سوا بالنسبة الى ربط الفعل بالفاعل والمفعول وانما المدعي قدر زايد
على ذلك ولبس في وقوع التقديم والتاخير في الاسس ما يمنع من ذلك بل فيهما ما
يرشد عند التامل الى الاختصاص فان قوله تعالى اقرا باسم ربك الاصلح ان تقرا
بغير الاسم وقوله تعالى بسم الله مجراها ومرساها يمنع انها تجري وترسو الا
باسمه سبحانه واما كلام سيبويه فيمكن تنزيله على الاهتمام والعناية في
التقديم والتاخير سوا بالنسبة الى الاسناد الواقع في المبتدا والخبر لا بالنسبة
الى ما يلمح من معنى اخر زايد على ذلك وقد قال سيبويه ايضا في اثنا كلام
ما نصه كانهم يقدمون الذي بيانه اهم وهم بشانه اعنى وان كانا جميعا
يهمانهم ويعنيانهم انتهى فانظر كيف اثبت زيادة معنى في التقديم وانا نافعل
التفصيل في قوله اهم وهم بشانه اعنى فاذا انزلت كلامه الاول
والثاني على هذا التقدير وجعلت استوا التقديم والتاخير بالنسبة الى الاسناد
الحاصل وان ذلك لا يتغير دلالته عند التقديم ولا التاخير الا ان التقديم يفيد
زيادة في الاهتمام والاعتنا عرفت انه ليس في كلامه هذا ما يمنع من
افادة الاختصاص عند تاخير العامل ومن العجب ان الشيخ اثير الدين رحمه
الله ذكر كلام سيبويه الثاني عقب كلامه الاول مويدا له به مقررا بهما

امساع

امساع الاختصاص والذي ظهر لي ان كلامه لا يمنع الامر حيث سوى بين
التقديم والتاخير وقد امكن تاويل ذلك كما تقدم ولم اذكر ذلك اعتراضا محققا
وانما اردت ان افتح باب التامل للمسلة فان القايلين بكل من الامرين
اكابر ثم على تقدير عدم الاختصاص المدعي في تاخير العامل يكون تقديم
اسم الله هنا لشرفه ولا نزاع في ان الشرف يقتضي التقديم في الذكر
وقد رجح تقديم الاسم هنا بامور عديدة وعلى هذا فلم يسبق الباكلام
منطوق به ولا مقدر فيكون على بابها في التقديم واما النظر في كسرها فهو
وان لم يكن من مطلب الاعراب وضروريات التفسير فهو من تتماته وقد اختلف
في ذلك فقيل كسرت حملا على عملها وهو قول سيبويه وقيل لانها حرف عمال
وقال المبرد انما كسرت لانها ردت الى اصلها لانك تقول اذا كتبت بابيت
فتردها الى اليا وهي اخت الكسرة كما ان الواو اخت الضمة والالف اخت الفتحة
وقيل لانها لما لم تدخل الا على الاسما خصت بالخفض الذي لا يكون الا في الاسما
وهذا قريب من القول الاول وهو انها كسرت حملا على عملها وقيل كسرت
ليفرق بين ما لا يكون الا حرفا وبين ما قد يكون اسما كالكاف وقد ذكرت
في كسرة با البسملة مناسبة وهي تعليم التوصل الى الله سبحانه والتعلق باسمايه
والامتياز من امداد فضله بكسر الخشوع والخضوع وذل العبودية فلا يتوصل
الى نوع من انواع الرفعة الا بنوع من انواع الكسر والذل ومن اعظم انواع
الرفعة فهم كلام الله سبحانه كما ان من اجل انواع الذل الموصل الى الفهم استضعاف
العقل واستقصار الدرك والالتجا الى العليم بحقايق كلامه وقد قال سبحانه
لا تحمل خلقه علما وحلما وقل رب زدني علما وانما تطويلها فقيل ليفتتح كلام
الله سبحانه بحرف مفخم كذا قاله ابن قتيبة قال وكان عمر بن عبد العزيز
يقول لكتابه طولوا البا واظهروا السين وفرجوا بينهما ودوروا الميم
تعظيما لكلام الله عز وجل وروي ان علي ابن ابي طالب رضي الله عنه نظر الى
رجل يكتب بسم الله الرحمن الرحيم فقال له جودها فان رجلا
جودها فغفر له وانك اذا تاملت الوجوه التي ذكرتها لك فيما يتعلق
بالبا وبسطها واستخرجت منها بطريق المطابقة والالتزام ما يدرك الله من
المسايل الاصولية والفروعية وغيرها مما يقف عليه المتدبر قضيت بان علوم

بان علوم البلاد لا تستقصى في كتاب ولا تحصى بخطاب والله سبحانه هو الفتاح الوهاب
واما الاسم فالنظر فيه من حيث الجملة من وجوه منها لغاته ومادته ومدلوله
اللغوي والاصطلاحي واستعماله الشرعي والعرفي وهل هو المسمى ام غيره وما
الفرق بين الاسم والتسمية ثم يقع النظر في الاسم من حيث اضافته الى الله سبحانه
من وجوه ايضا منها وقوعه اسم جنس لسائر اسماء الله سبحانه ومنها تنوعه
الى اسماء جلاليه وجماليه وكماليه ومنها التنبيه على اعظمها والتنبيه على عدد ما اطلعنا
عليه من اسمائه سبحانه الى غير ذلك مما سنقف عليه ان شاء الله تعالى مما يتعلق بذلك
فاما لغاته فستة اسم بكسر الهمزة وضمها واسم بحذف الهمزة مع كسر السين وضمها
وسمى على وزن هدى نص على هذه الخمسة جماعة منهم المبرد وجزم بها ابو
حيان في تفسيره واستشهد بعضهم لهذا الخامس بقول الشاعر

والله اسماك سما مباركا . آثرك الله به ايثاركا .

ومن العلماء من خالف في ثبوت هذه اللغة واستشهد بالشعر المذكور على اللغة الرابعة
وهي سم بضم السين وانما نصب ونون في الشعر لمحله من المفعولية واللغة السادسة
سمي بكسر السين على وزن حجى ن وقد اختلف في اصل الاسم فذهب البصريون
الى انه من الاسماء التي حذفت اواخرها مثل يد ودم وانه مشتق من السمو
فان التسمية تنوه بالمسمى وترفعه في الذكر كما سمي اللقب نبزا لانه في معنى
النبز والنبز قشر النخلة الاعلى فالاسم واللقب والسمو متشاركة في معنى العلو
على هذا ويكون محذوف اللام وذهب الكوفيون الى انه من الاسماء التي حذفت
اوائلها وانه مشتق من الوسم وهو العلامة فان الاسم علامة على المسمى فهو
محذوف الفاء على هذا وتصغير الاسم سمي وجمعه اسماء واسامي والفعل منه
سميت واسميت وهذا مما يدل على مذهب البصريين وقد رجحه جماعة منهم الشيخ
اثير الدين ولو كان كما قاله الكوفيون من الوسم لصغر وسيم وجمع على اوسام
ولكان الفعل منه وسمت وفي المسألة مباحث نحوية لا ضرورة اليها هنا الا
ان محل الحاجة فيما نحن فيه ان ينظر الى المعنيين المذكورين في اصل مادة
الاسم وهما السمو والوسم الذي هو العلامة وهل يمكن حمل الاسم عليهما والظاهر
ان ذلك غير بعيد فيسند الاسم سمو المسمى حيث رفعه الى الافهام بالدلالة
عليه ويكون علامة على المسمى ايضا بحيث لا يختلف في الذهن عنه وهذا كله

بناء على ما سيأتي تقديره من ان الاسم غير المسمى لا عينه واذا عرف هذا جال الفكر
عند التسمي فيما يليق بالله سبحانه من التعالي والتقدس في تعاليه عن مشابهة
كل سام ويطرق الذهن الى نعوت الجلال وصفات الجمال الثبوتية والسلبية
المندرجة تحت الكمال الذاتي والصفاتي كما يجول الفكر عند معنى الوسم فيما
انعم الله سبحانه به علينا من التعريف باسمائه التي بها نهتدي في ظلمات الجهل
كما جعل الله سبحانه النجوم علامات واسبابا للهداية في الظلمات الى الطرقات
ومن تفكر في سر تعريف الحق سبحانه للخلق مع غناه عن معارفهم ووظائفهم
اوصله فكره الى بحرين لا قرار لهما ولا ساحل وهما كمال التعرف وكمال
النعمة في ذلك اما كمال التعرف فمن جملته العوالم العلوية والسفلية
الروحية والجسمية وما يتعلق بها من الصفات الذاتية والعرضية وما يلزم
عن ذلك من النسب الاضافية فكلها معرفات بموجدها مخبرات بكمال مبدعها
ليس منها شيء الا ولسان قاله وحاله ينطق بالدلالة عليه سبحانه فما الظن بما
فوقها من انوار الصفات واسرار الاسماء وغير ذلك مما قد ينكشف لاهل المشاهدة
عند التجليات من تحت سجف السبحات فسبحان المتعرف بما لا يأتي حاصر
اشارة الى انه سبحانه وان عرف من بعض الطرق الا انه لا يحيط به عارف وكيف
يحاط بمعروف يستحيل الاحاطة بطرق معرفته ومن العجيب انه سبحانه اظهر
المعارف من حيث ايجادها واخفاها من حيث عدم النفوذ الى غاياتها فمعارفه
ظاهرة باطنة يستهم الظواهر والبواطن على ما قسم له منها وتزدحم المدارك على
ابواب ما خفي منها وتذهب الاعصار ولم يظفر منها مدرك بان يدرك غاياتها
كنهها هذا اعجز المدارك عن المعرفات فكيف بالمعروف هو الاول والآخر
والظاهر والباطن وهو بكل شيء عليم ن واما كمال النعمة في التعرف فلو وصل
عمر المتعرف اليه باعمار اهل السموات والارض واعمار الدنيا والآخرة وامتد
باعمال اهل الدارين ووفق لصرفها في شكر نعمة التعرف والاخلاص في ذلك
لكان جديرا بالتقصير اللائق فيه العقاب الا ان الله سبحانه اذن في شكرنا
له مع العجز وقبله منا مع القصور فله الحمد والشكر كما يليق بكماله ونواله ن
واعلم ان الشكر على نعمة التعرف يستلزم شكر المعرف ايضا على الوجه المأذون
فيه وشكر كل شيء بحسبه ومن انواع الشكر للمعرفات وصفها بما يليق بها والحكم عليها

مما ينبغي لها ومن تامل ما يحتوي عليه هذان البحران المذكوران ظهر له ما يدخل
في ذلك من حقوق الحق وحقوق الخلق ولعلي ابسط هذا المعنى في اثناء
تفسير الفاتحة ان شاء الله تعالى واما حد الاسم ومعناه فقد قال شيخنا اثير الدين
رحمه الله في تفسيره الاسم هو اللفظ الدال بالوضع على موجود في العيان ان كان
محسوسا وفي الاذهان ان كان معقولا من غير تعرض فيه للزمان ومدلوله هو
المسمى ثم قال والتسمية جعل ذلك اللفظ دليلا على ذلك المعنى قال فقد اتضحت
المباينة بين الاسم والمسمى والتسمية فاذا اسندت حكما الى اسم فتارة يكون اسناده
اليه حقيقة نحو زيد اسم ابيك وتارة لا يصح الاسناد اليه الا مجازا وهو ان يطلق
الاسم ويريد به مدلوله وهو المسمى نحو قوله تعالى تبارك اسم ربك وسبح اسم ربك
ما تعبدون من دونه الا اسماء سميتموها انتم واباؤكم قال والعجب من اختلاف الناس
هل الاسم هو المسمى او غيره وقد صنف في ذلك الغزالي وابن السيد والسهيلي
وغيرهم وذكروا احتجاج كل من القولين واطالوا في ذلك وقد تاول السهيلي قوله
تعالى سبح اسم ربك بانه اقحم الاسم تنبيها على ان المعنى سبح ربك واذكر ربك بقلبك
ولسانك حتى لا يخلو التسبيح والذكر من اللفظ باللسان لان الذكر بالقلب متعلقه
المسمى المدلول عليه بالاسم والذكر باللسان متعلقه اللفظ وقوله تعالى
ما تعبدون من دونه الا اسماء التي اخترعوها وهذا من المجاز البديع انتهى
كلام شيخنا ابي حيان رحمه الله وانما ذكرته برمته لوفائه بما قصدته من
بيان حقيقة الاسم ٥ وقد ذكر النحاة في حد الاسم ضوابط تتعلق بها ايرادات
واجوبة وذكروا اقسام الاسم وانواعه وما يتعلق بذلك من المسائل والمباحث
ولا ضرورة هنا الى ذكر ذلك ٥ واعلم ان الف اسم قد حذفت من البسملة
واثبتت في اقرا باسم ربك ٥ وقد ذكروا لذلك معنيين احدهما وعليه اقتصر كثير
من المفسرين ان الحذف حصل للتخفيف بسبب كثرة استعمال التسمية وعندهم
عند هذا ان الله سبحانه اجرى التخفيف في اول كتابه والهم الخلق ذلك
اعلاما بما يريد من تخفيفه سبحانه كما قال يريد الله ان يخفف عنكم والثاني
وهو قول الخليل انما حذفت لانها لم تثبت في اللفظ الا بسبب ان السين الساكنة
لا يبتدا بها فلما دخلت الباء على الاسم نابت عن الالف فلم يحتج الى اثبات
الالف قال ولا تنوب الباء عن الالف في قوله اقرا باسم ربك لان حذف

الباممكن

الباء ممكن على تقدير اقرا اسم ربك ولا يختل المعنى بخلاف البسملة فان الباء لو حذفت
لم تستغن عن الالف مع فساد المعنى ايضا انتهى معنى كلامه واعلم ان
الشرع قد استعمل الاسم الذي هو الف وسين وميم وجمعه اسماء تارة في
العبارة الدالة على المسمى ومن ذلك قوله تعالى وعلم ادم الاسماء كلها على
راي الاكثرين وقوله تعالى اقرا باسم ربك ونظائر ذلك ومنه ايضا قوله
صلى الله عليه وسلم ان لله تسعة وتسعين اسما الحديث وتارة بارادة المسمى ويمكن
ان يمثل له بقوله تعالى سبح اسم ربك الاعلى وقوله سبحانه واذكر اسم ربك وتبتل
اليه تبتيلا ونظائر ذلك ثم قد يطلق الاسم ايضا ويراد به جنس الاسماء ويمكن
ان يكون منه قوله سبحانه بسم الله الرحمن الرحيم واعلم ان
اسماء الله سبحانه منها ما اطلع خلقه عليه ومنها ما لم يطلعهم عليه وقد
نبه على ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فيما ثبت عنه في الحديث مما رواه ابن
السني كما ذكره النووي في اذكاره انه صلى الله عليه وسلم قال من اصابه
هم او حزن فليدع بهذه الكلمات يقول انا عبدك ابن عبدك ابن امتك
في قبضتك ناصيتي بيدك ماض في حكمك عدل في قضاؤك اسالك بكل اسم
هو لك سميت به نفسك او انزلته في كتابك او علمته احدا من خلقك او استاثرت
به في علم الغيب عندك ان تجعل القران نور صدري وربيع قلبي وجلاء حزني
وذهاب همي فقال رجل من القوم يا رسول الله ان المغبون لمن غبن هؤلاء
الكلمات فقال اجل فقولوهن وعلموهن فانه من قالهن التماس ما فيهن اذهب
الله تعالى حزنه واطال فرحه ٥ وقوله صلى الله عليه وسلم في الحديث المذكور
او انزلته في كتابك او علمته احدا من خلقك يحتمل في تقديره امران احدهما
انه لا يلزم من انزال الاسماء في الكتاب ان يعلمها الناس من جميع وجوهها فلهذا
حصلت المغايرة بين المنزل في الكتاب وبين ما علمه المعلمون من الخلق وهذا
ماش على ان القران لا يحاط بمعانيه من كل الوجوه والثاني ان يراد
بقوله او علمته احدا من خلقك اي من غير طريق الكتاب كالوحي والالهام
الصحيح ويحتمل غير ذلك ٥ وفي الحديث حكم وفوائد تنكشف باسئلة
واجوبة ليس هذا محلها وانما ذكرت ما ذكرت من الاحتمالين تنبيها على ما
في الحديث من اللطائف اذا تقرر هذا فاعلم ان قوله تعالى

المسملة

بسم الله الرحمن الرحيم يمكن ان يحمل على ارادة جنس الاسما وحينئذ
فيكون هذه التسمية متناولة لجميع اسما الله تعالى التي سمى بها نفسه وانزلها
في كتابه وعلمها احدا من خلقه واستاثر بها في علم الغيب عنده ونصير من
جملة فوايدها تفريج الكرب وازالة الافراح وتاهيل نجاح دفع الضر وجلب
النفع ثم الذي علمناه على لسان النبي صلى الله عليه وسلم من اسما الله سبحانه
محصور وكذلك ما انزله سبحانه في كتابه واما ما استاثر به في علم الغيب
عنده فلا يعلمه الا هو والحق من مذهب اهل الحق ان لله سبحانه وتعالى صفات
واسما لا يعلمها الا هو ومجال النظر في اسما الله سبحانه وتعالى طويل لا نهاية له
وينقطع الفكر منه الى طريق عذيبة منها ضبط من الاسما في الكتاب
والسنة ومنها تمييز مراتبها وتعداد اقسامها فيما يدل عليه من صفات الجلال
والجمال والكمال ومنها استخراج احكامها وبيان ما هو منها للتخلق وما
هو منها للتعلق ومنها بيان اعظمها الى غير ذلك والكلام في ذلك مستوفى
في كتابي المسمى بالمشرب الاهنا في شرح الاسما الحسنى الا انه لم يكمل بعد
وسياتي في هذا التعليق عند ذكر اسمه الله ما يدعو الحاجة فيه اليه ان
شا الله تعالى ومن جال نظره في معنى الاسم سرح فكره في ميادين معاني
الاسما الحسنى كلها واشتاق الى المزيد من معرفتها وتطلبها من مظانها
وامعن النظر في متعلقاتها ويظهر بذلك امكان تذكر الحوادث الكونية والحكمية
عند تامل مدلولات الاسما واعلم ان اسما الله سبحانه خزاين اسراره ومكامن
انواره يستدل منها بالمطابقة على ذات الله سبحانه وصفاته وافعاله وبالالتزام
على تفاصيل العوالم العلوية والسفلية حتى لقد سرى سر اسمايه سبحانه
في كل اسم فاورثه الدلالة الاجمالية والتفصيلية ولقد جمع الله سبحانه لصفيه
ادم عليه الصلاة والسلام كنوز العلوم في الاسما ورقاه بما اطلعه عليه من حقايقها
ودقايقها ورقايقها الى مقام الاستخلاف الاكبر واسجد له الملايكة عند
ابتدا ظهوره ثم جعل ما اطلعه عليه من علوم الاسما دليلا على استحقاقه لتلك
الرتبة ولعمري انه لبو شكل ان من تحقق بالادمية ان يعلم ويستخلف على
حسبه واول ابواب الفتح الالهي والمنح الرباني اسما الله سبحانه واعظمها
كما بابنك اسمه الله ولهذا افتتح به الاسلام ودار الاسلام كما يشهد له قوله

ماثبت في

صلى الله عليه وسلم

نها

صلى الله عليه وسلم امرت ان اقاتل الناس حتى يقولوا لا اله الا الله وقوله
صلى الله عليه وسلم مفتاح الجنة لا اله الا الله وسا زيدك وضوحا لهذا المعنى
ان شا الله تعالى وقد فسر جماعة حروف بسم من بسم الله الرحمن الرحيم
واختلفت اراهم فيها وتعددت اقوالهم ومنهم من رفع فيها حديثا لا يثبت
كان وقفها على احد من الصحابة ايضا لا يثبت ثم من ذلك ما حكي عن جعفر ان
البا بهاوه والسين سناه والميم مجده وعنه ايضا البا بقاوه والسين
سناوه ويروى اسماوه والميم ملكه وعنه ايضا البا باب النبوة والسين
سر النبوة الذي اسره النبي صلى الله عليه وسلم الى خواص اصحابه والميم مملكة
الدين الذي يعم الابيض والاسود والذي يظهر لي والله اعلم ان صحت هذه
الاقاويل عن احد من الاكابر ان ذلك بنا على ان الاسم يدل على الصفات
كلها ثم اسما نسوا الذلك بحروف الاسم والا فالاسم وضع هنا للدلالة بصورته
المرادة لا بمفرداته والله اعلم واما اسمه الله فالاكثرون على انه ليس بمشتق
وهو احد قولي الخليل وحكي عن الشافعي ايضا وعن اكثر اعيان السلف
والخلف فالوا لم يعهد التصرف في هذه الكلمة قط وبالغ بعضهم فقال كان
استعمالهم لها في حق الله تعالى قليلا وكانوا يكتفون باستعمال اللهم وهذه
المبالغة فيها نظر ثم ان هذا الاسم لم يطلق قط على غير الله سبحانه ولهذا
قال سبحانه هل تعلم له سميا والاله هو المعبود بحق وهو الواحد الذي لا شريك
له المسمى الله فهو اسم خاص به سبحانه دال عليه كما يدل اسما الاعلام على مسمياتها
الا انه لا يطلق على هذا الاسم علم لعدم ورود ذلك في الشرع كما انه ايضا لا يطلق
عليه لقب وانما يقال اسم وفي حق غير الله سبحانه قد يدل الاسم بالعلم
فيقال اسم لكذا وعلم لكذا وقد يدل باللقب لكن بين العلم واللقب فرق فان
العلم الموضوع المعرف للشي تعريفا اوليا بخلاف اللقب فان المعرف للشي
بوضع بان يطرد شي على المسمى بعض المدح او الذم ومن قسم اللقب المذموم
ورد النهي في قوله تعالى ولا تنابزوا بالالقاب وقيل هو مشتق ثم اختلف القايلون
بالاشتقاق فمنهم من قال بادته لام وواو وها ومن لاه يلوه لوها وله معنيان
احدهما احتجب والثاني استنار فاما معنى احتجب فانه خلق الحجب على الخلق
وفي الحديث الصحيح ان لله سبعين الف حجاب من نور لو كشفها لاحرقت سبحات

وجهه ما انتهى اليه بصره من خلقه والذي يليق بالمكلف ان يعتقد تقدس
الحق سبحانه وتنزهه عن مطالعة الحجاب له وانحصاره سبحانه في جهة او
ملاقاته لشي او موازاته لشي او مشابهته لشي او ما يؤدي الى سمات الحدوث
والنقص تعالى الله عن ذلك ثم حظ المتدبر من هذا المعنى امران احدهما
الوقوف عند حد العجز عن بلوغ كنه المعرفة المحيط بالله سبحانه فما حجب الخلق
عنه الا ليحقق لهم الايمان بسر اسمه الباطن الذي لا يحاط به علما والثاني
الاستباق في ميادين الشكر على نعمة تغايبنا المعينة على توفية حقوق الدارين
ويفهم ذلك من قوله في الحديث لو كشفها لاحرقت سبحات وجهه ما انتهى اليه
بصره من خلقه ومن كلام الاستاذ جاري رحمه الله يا ايها العبد لو عاملك
بالشهود لما عمرت هذا الوجود ومن هنا يعلم ان الحجاب تارة تكون نعمة وتارة
يكون نقمة وجماع القول في ذلك ان كل حجاب اعان على توفية العبودية فهو نعمة
وكل حجاب منع من مشاهدة سوابق الربوبية فهو نقمة واما المعنى
الثاني وهو اسفار فيحتمل ان يشارك المعنى المتقدم من بعض وجوهه فان
شدة الاستنارة حاجبة عن الوصول الى حقيقة المستنير وفي الحديث الصحيح
في احدى الروايات انه صلى الله عليه وسلم لما سئل هل رايت ربك قال نور انى اراه
ثم في هذا المعنى من الزيادة على الاول ما لا يخفى من اثبات الصفة التي
استحق الحق سبحانه ان يسمي نفسه لاجلها بالنور كما في قوله تعالى الله نور
السموات والارض وقد اوله ابن عباس رضي الله عنهما بان معناه هادي
اهل السموات واهل الارض ولم يحمله على هذا التاويل والله تعالى اعلم الا مخافة
ما يتبادر الى افهام كثير من الخلق من معنى النور المتجسد وهو في الحقيقة
مثبت للصفة النورية لكن على غير ما يعهد في الشاهد الا ترى كيف قال
هادي والهداية والبيان والكشف ونحو ذلك انما تنشا عن الاستنارة التي لا يعلم
حقيقتها في حق الله سبحانه الا هو ومن تامل هذا المعنى امكنه ان يتوصل
به الى اثبات صفات تدل عليها اسما عديدة من اسماء الله سبحانه كالهادي والنور
وغير ذلك ولا يخفى ما يستلزمه النظر في هذا الوجه من العلوم والاعمال ومن
اراد اضافة هذا النور عليه فليرفع الحجاب من نفسه وليقابل بجميعه فلك المراضي
لموافقة الشرع فيوشك ان تبرق له بوارق نور الصفات الفعلية فليتعامل بها

وجوده

وجوده حتى يستنير وينا هل بتلك الاستنارة الى مشاهدة الصفات الذاتية
والله ذو الفضل العظيم وقيل مادة هذا الاسم لام وياء وهما من لاه يليه
اي ارتفع يرتفع قيل ولذلك سميت الشمس الاهة بكسر الهمزة وفتحها وعلى
هذا فهو في حق الله سبحانه ارتفاع معنوي وهو التعالي عن النقائص والآفات
ومشابهة المحدثات وقيل اصله الهمزة واللام والهاء من اله ولذلك اربع معان
احدها اله بمعنى فزع واليه ذهب ابن اسحق والمراد انه سبحانه يفزع اليه
عند الملمات ثانيها اله بمعنى تحير واليه ذهب ابو عمرو والمراد ان العقول
تتحير في معرفة كنه ذاته ولا يحيطون به علما ثالثها اله بمعنى عبد قاله
النضر والمراد عبادة خلقه له سبحانه رابعها اله بمعنى سكن قاله المبرد
والمعنى ان القلوب تسكن بذكره عن الاضطراب بالشكوك والاهوا وغير ذلك
كما قال تعالى الا بذكر الله تطمئن القلوب ويحتمل ان يكون ذلك من معنى قوله
سبحانه وله ما سكن في الليل والنهار وهذه الوجوه كلها على هذا التقدير يحتمل
اشتقاق الاسم من المالوه الموصوف بالفزع والتحير والعبادة والسكون
وقد عبر بعضهم عن المعنى الاخير وهو السكون بالاقامة فقال معنى اله اقام
وعلى هذا فمعناه دوامه سبحانه وقدمه وبقاؤه هذا اذا جعلنا اقام وصفا
للمسمى فان جعلناه وصفا للمالوه كما جعلناه في الوجوه المتقدمة فمعناه اقامة
الخلق على ما اراده به الحق ويحتمل غير ذلك من المعاني ايضا قال الشيخ اثير
الدين وهذان القولان في الاشتقاق وقيل مادته واو ولام وهاء من
وله ومعناه طرب وعلى هذا قالوا ويبدله بالهمزة مثل وشاح قيل فيه اشاح
قاله الخليل وضعفه ابو حيان ايضا ثم هذا المعنى ايضا من صفات المالوه
والطرب خفة تصيب الانسان من سرور او حزن وكان السبب في ذلك ان
الخفة تحمل على الاهتزاز والحركة ويدل على هذا انه يقال للابل طراب اذا كانت
تنزع الى اوطانها ولهذا ايضا كانت المطارب اسما للطرق المتفرقة فمادة الطرب
الحركة والانبعاث بها وعلى هذا فيصير المعنى ان اسم الله سبحانه يحدث عند
سامعه او ذاكره الطرب اما بسبب ما يفهمه منه من سر الجمال المثير للرغب
او من سر الجلال المثير للرهب او من سر الكمال المازج للخوف والرجا وقد يطرا
الطرب عند ذكر الاسم لامور خارجة عنه الا انها لازمة عادة مثل سرور من

كشف له عن سر الاسم بما اهل له من ذلك وحزنه بسبب ما مضى له من زمن
الجهل ومثل سروره بما ناله من داعية التقريب وحزنه بسبب تقصيره في وقت
القرب وكلما انكشف للعبد المقرب سر من اسرار مقربه استقصر اجتهاده في
قربه وقد قدمت اشارة الى ان اسماء الله سبحانه كنوز العلوم وبحار الجواهر
وانها تشير الى المعلومات الكونية والحكمية العلوية والسفلية وعلى هذه القاعدة
فاسمه الله اعظمها دلالة على المالوهات من حيث جواز وقوعها وحدوثها عن
كمال الالاهية لا من حيث وجوب ذلك فان الالهية لا يجب ان يكون معها مالوه
ولهذا كان الله ولا شي معه ولو لم يخلق الله سبحانه الكائنات ويتعرف ويستعبد
لكان ذلك جائزا في حكم الالهية وحينئذ فمن طولع باسرار الالهية وفوتح
بخفاياها ومنح من جواهر علومها اذكره ذلك متعلقات الصفات مع اتساع
انواعها واختلاف اوضاعها حتى لقد يصح ان يقال على مساق هذا ان من عرف
الله وصل بمعرفته الى معرفة خلقه نعم قد يكون معرفة الخلق اولا موصلة
الى معرفة الحق من حيث ان الكائنات كلها نصب دلالة على موجدها سبحانه
الا انها معرفة عرضية اجمالية واما معرفة الله سبحانه فانها اذا اتسعت
مشارعها واينعت مراتعها وتنوعت مرابعها اوصلت الى معرفة الخلق من
حيث التفصيل والتنويع والتاصيل والتفريع وهذا المهيع مطروق للعارفين مورود
لارباب اليقين فاذا انقرر هذا فمن ذكر اسم الله سبحانه وكوشف عنده بحقائق
الخلق راى من مبدعات الفضل والعدل ما يهتز طربا ويشاهد من مخترعات
الكمال ما ينقص عليه عجبا فظهرت مناسبة هذا الوجه وهو كونه مشتقا من وله
بمعنى طرب ومن غريب ما ذكر في اسمه الله ان اصله لاها بالسريانية ثم عرب
فقيل الله وينبغي للمتدبر ان يتامل المعاني المذكورة في اشتقاق هذا الاسم
وينظر فيما يتعلق بها من احكام وحكم ويستخرج ذلك من دلالة المطابقة
ودلالة الالتزام فانه سينفتح له كنوز علوم تقر بها عينه ان شا الله تعالى ومما
قدمته من الاختلاف في الاشتقاق مثار الخلاف في ان الالف واللام فيه هل
هما اصليتان ام زائدتان فعلى قول الله هما اصليتان وعلى قول لاه ووله
هما زائدتان ووجه التعريف على ان اصله الاه وهو المرجح من اقوال الاشتقاق
عند جماعة انهم عرفوه بال فصار الالاه ثم حذفت الهمزة استثقالا فبقيت

اللاه فادغمت احدى اللامين في الاخرى ثم فخمت فقيل الله وعلى هذا التقدير
فلا بد من النظر في الالف واللام وتاتي ال على ثلاثة اوجه احدها ان
تكون اسما موصولا بمعنى الذي وفروعه وهي الداخلة على اسما الفاعلين والمفعولين
والحق بعضهم بذلك الصفات المشبهة وهو ضعيف وربما وصلت بظرف
لقول القائل • من لا يزال شاكرا على المعه • فهو حر بعيشة ذات سعه •
ولذلك ربما وصلت بجملة اسمية لقول القايل
• من القوم الرسول الله منهم • لهم دانت رقاب بني معد •
وكذلك ربما وصلت بجملة فعلية كقول القايل
صوت الحمار اليجدع • وكل هذه الثلاثة خاص بالشعر على خلاف فيه الوجه
الثاني ان يكون حرف تعريف وهي نوعان عهدية وجنسية وكل منهما
على ثلاثة اقسام اما العهدية فاما ان يكون مصحوبها معهودا ذكريا نحو قوله
تعالى كما ارسلنا الى فرعون رسولا فعصى فرعون الرسول وقوله تعالى فيها
مصباح المصباح في زجاجة الزجاجة وامارة هذه ان يسد الضمير مسدها
مع مصحوبها واما ان يكون مصحوبها معهودا ذهنيا نحو قوله تعالى اذ هما في
الغار وقوله تعالى اذ يبايعونك تحت الشجرة واما ان يكون مصحوبها معهودا
في الحضور نحو قوله تعالى اليوم اكملت لكم دينكم واما التعريفية الجنسية
فقد تكون لاستغراق الافراد وهي التي تخلفها كل حقيقة نحو قوله تعالى
وخلق الانسان ضعيفا ونحو قوله تعالى ان الانسان لفي خسر الا الذين
امنوا وعملوا الصالحات وقد تكون لاستغراق خصائص الافراد وهي التي تخلفها
كل على سبيل المجاز نحو قوله تعالى ذلك الكتاب وهو كقولك زيد الرجل
علما اي الكامل في هذه الصفة وقد تكون لتعريف الماهية وهي التي لا
تخلفها كل لا حقيقة ولا مجازا نحو قوله تعالى وجعلنا من الماء كل شي حي
ونحو قول القايل والله لا اتزوج النسا ولا البس الثياب حتى انه يبرا الحانث
بواحدة • من النسا او بواحد من الثياب وقد جعل بعضهم الى هذه لتعريف
العهد الوجه الثالث ان تكون زائدة وهي نوعان لازمة وغير لازمة
فاللازمة كالتي في الاسما الموصولة اذا قلنا بان تعريفها بالصلة وكالواقعة في
الاعلام بشرط مقارنتها لنقلها كالنضر والنعمان واللات والعزى • او لارتجالها

اولعلبتها على بعض من هي له في الاصل كالبيت للكعبة والمدينة لطيبه والنجم للثريا
وهله في الاصل لتعريف العهد واما غير اللازمة فهي نوعان واقعه في الشعر
وواقعه في شذوذ من النثر فمن الواقعه في الشعر ما يدخل علي يزيد وعمرو
على خلاف في ذلك لقول القايل

• با عدام العمرو عن اسيرها • حراس ابواب على قصورها •

ولقول القايل ايضا

• رايت الوليد بن الوليد مباركا • شديدا باعبا الخلافه كاهله •

فالداخلة على وليد في هذا البيت للمح الاصل ومن الواقعه في شذوذ من النثر قولهم
ادخلوا الاول فالاول وقولهم جاوا الجما الغفير ومنه على قراة بعضهم
قوله تعالى ليخرجن الاعز منها الاذل اعني بفتح اليا من ليخرجن لان
الحال واجبه التنكير ويمكن حمل الايه على ما لا يحوج الى دعوى زيادة ال
وهو ان تقدر الاذل مفعولا مطلقا على حذف مضاف اي خروج الاذل
وقد صرح الزمخشري بذلك وقد اختلفوا في ال هل هي حرف واحد او مركب
من حرفين وهل الهمزة فيه اصليه ام زايدة اذا تقرر هذا فقد قيل في
ال التي في اسمه الله انها للغلبة اذا قلنا ان اصله الاله فان لفظ الاله
استعمل في المعبود بحق والمعبود بباطل والله لا ينطلق الا على المعبود بحق
سبحانه فصار في قول بعضهم كالنجم للثريا وقد ضعف تشبيهه بالنجم في
هذا القول واما على قول لاه او وله وما يوافقهما من الاقوال السابقه
في اشتقاقه فقد قيل ال فيه زايدة لازمه وحذفها شاذ كشذوذ
حذف الالف التي قبل الها من الله وقيل ال من نفس الكلمة ووصلت الهمزة
لكثرة الاستعمال وهو اختيار القاضي ابي بكر بن العربي رحمه الله ثم ان حروف
هذا الاسم خمسة وهي الالف واللامان والالف المحذوفة في الخط لعدم المدلول
عليها بالمد التي لا يجوز حذفها في اللفظ ولم يسمع ذلك اعني حذفها الا شاذا
كما تعلم والها ولا يقع النطق في هذا الاسم الا بلام مشدده والحرف المشدد
بحرفين فلهذا كتبت اللامان تخفيفا لما ينطق به وعن جعفر بن محمد
انه عد حروف هذا الاسم اربعة وهو عد صحيح باعتبار الخط خاصة وقد تكلم
الناس على هذه الاحرف فاكثروا وكل منهم تكلم على ما ظهر له من معانيها ومنهم

من يحمل كلامه على ارادة التمثيل او التنبيه على اللازم ونحو ذلك وحكي عن جعفر
بن محمد انه قال الالف عمود التوحيد واللام الاول لوح الفهم واللام الثاني لوح
النبوة والها النهاية في الاشارة ومجال النظر في هذه الاحرف وسيع
جدا ومن تعمق في بحار معانيها ودقق النظر في مدلولات ظواهرها وخوافيها
وجدها مرشدة الي ما يدل على الذات والصفات والاسما والافعال والاحكام
وما يتعلق بذلك من النسب الكونيات والبرازخ الامريات وفهم عند ذلك
دلالة هذا الاسم الشريف على مقام الالهيه بما يستلزمه وعلى الاكوان المالوهة
وما يتعلق بها وظهر له بذلك ان اعظم الاسما الحسنى ومما يذكر لهذه
اللطيفه ايضا حسا انك اذا نظرت الي كليات اسرار حروف هذا الاسم الشريف
واعتبرت وجوه ترتيبها وما فيه من لطايف التقريب ظهرت لك من ذلك كليات
التعريف على وجه كلي جلي لطيف ويتوقف علي هذا معرفه معاني هذه
الحروف اولا فاقول من معاني الالف الاحاطة الاوليه والاحاطة الاخريه
واعني بالاحاطة الاوليه استنادا الادلة الدالة على كل اوليه اليها من
هذا النوع الفات الابتدا على اختلاف مراتبها واعني بالاحاطة الاخريه وصل
ماله اخر عن ماليس له اخر ومن هذا النوع الفات النهايات على اختلاف
مراتبها ومن معاني اللام اتصال المكنونات معاني الالف من عالم غيبها الى عالم
شهادة ما بالنسبه الى ذلك الغيب وقد يكون غيبا بالنسبه الى شهادة اخرى
ويشمل ذلك عالمي الصور والمعاني مع ما في اللام ايضا من التوصيل العطفي الدال
علي اسرار الاتصالات الحكمية اي بكسر الحا والروابط الحكميه اي بضم الحا فهي
دالة على عالم الخلق وعالم الامر في كل من حالتي الفصل والتركيب دلالة
تليق بتنوعها اعني تنوع اللام الى لام تعريف ولام تعليل ولام الاختصاص
وغير ذلك ومن معاني الها الاشارة الي النهايات المطلقه التي لا تتقيد
باخر بل قد يكون لما له اخر ولما ليس له اخر ويعرف ذلك من قراين سياقها
ومناسبات ادوار طباقها اذا عرفت هذه القاعدة فاعلم ان الالف
الاولى من اسمه الله تعالى قد ينبه منها الدلالة على الاوليات القديمة
والحادثة فالاولية القديمة لله سبحانه وحده لا يكون لشي سواه ولهذا
جا الحصر البياني في قوله تعالى هو الاول واما الاوليات الحادثة فكلها

للخلق وهي مختلفة الاوضاع والرتب والاضافات والنسب حتى ان منها ما هو
اول باعتبار واخر باعتبار وهذا من جملة الوجوه الفارقة بين اولية الحق سبحانه
واوليات خلقه ثم هذه الدلالة الالفية انما هي دلالة اجمالية تستلزم دلالات
تفصيلية تنطوي تحتها الاوليات الخلقيات والامريات كالعرش والقلم ونور النبي
صلى الله عليه وسلم وكالعقل وانوار الملائكة عليهم الصلاة والسلام وعوالم الارواح
وكادم عليه الصلاة والسلام وساير اوليات عوالم الاشباح ۝ واذا فهمت
رموز الاوليات من الالف ظهرت لك بذلك دلالة الالف على ان الله سبحانه هو الاول
وانه كان ولا شي معه وظهرت الدلالة ايضا على ان كل موجود سوى الله تعالى
مفتتح الوجود وان الاوليات الحادثة كلها مستندة الوجود الى الاول القديم
وظهر معنى قوله تعالى الله خالق كل شي وظهر ايضا سر الاحاطة كما في قوله
تعالى والله بكل شي محيط غير ان المستفاد من الالف الاولى من هذا الاسم
بالوضع الاول انما هو الاحاطة الاولية واما الاحاطة الاخرية فهي من جملة
ما يستفاد من الالف الثانية فاسم الله دال بالهيئة على الاحاطتين ۝ واما
اللام الاولى فمن معانيها في هذا السياق الدلالة على الوجودات اللاحقة
بالاوليات المذكورات فهي دلالة على وجود القديم سبحانه بما وجب له
من صفات الكمال الثبوتية والسلبية ودالة على ما يليق بها من الاسما
الحسنى وهذه الدلالة منها ما لا يظهر الا للانبيا والرسل عليهم الصلاة
والسلام دون اتباعهم ومنها ما يمكن ظهوره للاتباع على حسب مراتبهم
في العلم الكسبي والفهم الوهبي والكشف النوري الربي ۝ ومنها ما استاثر
الله تعالى نفسه به عن من سواه وكذلك تدل هذه اللام ايضا على الوجودات
الحادثة التي استند وجودها الى الوجود القديم فهو سبحانه موجدها
ومبدعها بالقدرة وتخصيص الارادة وتعلق العلم لا بعلة ولا طبيعة تعالى
ربنا عن تخليط المبطلين وتخبط الجاهلين ۝ ثم هذه الدلالة انما هي في
سياق الارشاد الى الايجاد الخلقي والامري على سبيل اجمال التعريف
واما تفصيل الكلمة في الخلقيات بواسطة الامريات بما فيه من تكليف
وتشريف فمستفاد من اللام الثانية من هذا الاسم الشريف فاذا اعتبرت
هذه الاحرف الثلاثة المذكورة وحدتها دالة على وجوب وجود الله سبحانه

ووجوب كماله في ذاته وصفاته واسمائه واحكامه وعلى امكان مخلوقات
الله وكمال ما وقع عليه من النظام فتسير ذلك الى بدء الامر والى عوالم
الخلق والامر بما بينها من الروابط التعريفية والتكليفية والتشريفية
كل هذا بالنسبة الى العالم الاول وهو عالم الدنيا ثم انظر بصرك الله الى
سر الالف الثانية وتدبر احاطتها الاخرية الدالة على فنا هذا العالم
الدنيوي وفكر هداك الله في سر استتار صورة هذه الالف في الخط حتى
لا تكتب وفي النطق حتى لا ينطق الا بالمدة الدالة عليها ونزل على هذا الاحاطة
البرزخ بهذا العالم الاول وكونه برزخا فاصلا بينه وبين عالم الاخرة ۝
والمح استدل الله دلالة الالف في احاطتها الاخرية على ان الله سبحانه
الاخر الذي من اسمائه الباقي والوارث ونحو ذلك ۝ وجل في معاني خفا
هذه الالف تظهر بفهم ما دل عليه من ان الله سبحانه الباطن الذي من
اسمائه الخبير ونحو ذلك ۝ وانعطف الى تامل ما ظهر من ظهور الالف
الاولى من الدلالة على انه سبحانه الاول الظاهر الذي من اسمائه المبدي ونحو
ذلك ينتظم لك في هذا السلك ان اسعدت بالتوفيق ما يدل على صفات الله
واسمائه سبحانه مع ما وقع التنبيه عليه من مدلولات العوالم الى عالم البرزخ الذي
اخفاه الله سبحانه عن الحس واخفى ما فيه حتى ان اهل القبور ينعم سعيدهم
ويوسع له قبره التوسيع البعيد وينور بما قدر ضوء الشمس مرات ويفرش له
فراش من حرير الجنة ويفتح له باب الى الجنة ويمثل له عمله الصالح في احسن
صورة ونحو ذلك كما ان شقيهم يعذب ويضيق عليه قبره ويلتئم عليه حتى
تختلف اضلاعه وتتضاعف ظلمته ويقمع بمقامع الحديد والنار ويفتح له باب
الى النار ونحو ذلك ومع ذلك كله لا يقف الحس في العادة على شي من ذلك
بل يشاهد خلافه حتى قد يكون في الحفرة الواحدة اموات ينعم بعضهم
ويعذب بعضهم واحوالهم في مراى العين مستوية ويكون الحفرة في حق
بعضهم روضة من رياض الجنة وفي حق بعضهم حفرة من حفر النار وهذا
التمثيل يسهل عليك ان يعاد الذهن الى الايمان بما انطوى في عوالم الحروف من
الاسرار واستقر فيها من الانوار ۝ واما الهاء فانها توقف على سر النهاية التي
لا نهاية لمداه وترمز الى الابد الذي لا غاية لاباده مع انها اعني الهاء بالوضع

الاول دالة على الهوية بما لها من الاحاطات الاولوية التي منها البدو والاحاطات
الاخرية التي اليها المرد فهي دالة على الالهية بما وجب لها من الكمال دلالة
ظاهرة باعتبار خفية باعتبار وهي ايضا اصح من الالف الثانية في الدلالة
على ان الله سبحانه هو الاخر الذي لا مثل له ولا شبيه في اخريته ولا في شي من
صفاته تعالى ربنا عن الامثال والاشباه ٥ فمن تامل ما توقف عليه الها
من بحر الهاية اسعل ذهنه الى البرزخ الى ما بعد من نهاية الامر الذي فيه
مآل السعدا والاشقيا وقرار الاحبا والبغضا وانتهاوهم الى ما فيه خلودهم
الدايم على حكم الخبر من غير ان سعر اباده او تنقطع امداده فان قلت هذا
الاسم الشريف اسم خاص بالله سبحانه دال عليه لم يسم به غيره فكيف تستدل
انه به على المخلوقات والكاينات الحادثات حتى انك ادخلت في مدلولاته
ما ادخلت مما ذكرت قلت هذا الاسم الشريف اسم كامل بل هو اكمل الاسما
في الدلالة على الله سبحانه بما يجب للالوهية ويجوز لها فيدل على ذات الله سبحانه
وصفاته واسمايه وافعاله واحكامه وليس فيما ذكرته كلها ما يخرج عن ذلك
فالافعال من حيث نسبتها الى الله سبحانه مدلول عليها باسمايه سبحانه كما يستدل
باسمه المحيي والمميت على انه سبحانه يخلق الحياة والموت للاحيا والاموات
وباسمه الباعث على انه يبعث من في القبور وباسمه المعز المذل على انه
يخلق العز والذل للاعزا والاذلا وباسمه المحصي على انه احصى كل شي
عددا ونحو ذلك فلما دل اسمه الله على مدلولاته المذكورة اندرج فيها الخلق
كلهم على اختلاف عوالمهم ومعالمهم لان ذلك كله من افعاله سبحانه
واما النظر الى الافعال من حيث نسبتها الى الخلق فليستدل عليها باسمايهم
وصفاتهم فانظر بالعينين وفرق بين الحالتين اعني حالة النسبة الجمعية
وحالة النسبة التسريعيه واحذر ان توقعك الوهم في اغلاط الملحدين وجهل
الضالين الذين يزعمون انهم من الموحدين ٥ ومن محاسن ما يذكر في
حروف هذا الاسم الشريف ان اوله الهمزة ومخرجها من اقصى الحلق وهو مجاور
للصدر واخره الها ومخرجها من الصدر وفي ذلك اشارة الى ان الامر يعود من
حيث بدا وجه هذه الاشارة ان الامور الوضعية لا تخلو عن الحكمة في الوضع
ثم الموضوع قد يدل بجملته وقد يدل باجزايه وقد يدل من حيث ترتيب اجزايه

دلالة خاصة حتى لو غير ذلك الترتيب لاختلت تلك الدلالة واذا كان
الامر كذلك فابتدا هذا الاسم على هذا التركيب والترتيب بحيث ابتدي
بالهمزة وختم بالها لابد وان يكون لحكمة وكل ما امكن التناسب فيه في
المعاني اللايقة بمراد الشرع الشريف امكن ان يكون من تلك الحكمة ومن
جملة ذلك الممكن التنبيه على ان الامر يعود من حيث بدا ويدخل تحت ذلك
امور **منها** ان المبتدي للخلق هو الله فالمرجع اليه واليه يرجع الامر كله
ومنها ان الاسلام بدا غريبا وسيعود غريبا كما بدا **ومنها** ان الحوادث
كانت عدما تعود الى العدم **ومنها** ان الحوادث تبتدا في اضعف صفاتها
ثم تتقوى ثم تعود الى ما ابتديت به كما في نحو قوله سبحانه الله الذي خلقكم
من ضعف ثم جعل من بعد ضعف قوة ثم جعل من بعد قوة ضعفا وشيبة
ونحو قوله تعالى ومن نعمره ننكسه في الخلق **ومنها** ان الخلق امسح وجودهم
يوم الست بربكم بالتعريف فعرفوا واقروا ولم ينكر منهم احد ثم سيعودون
الى المعرفة والاقرار يوم البعث فلا ينكر منهم احد الى غير ذلك مما يظهر عند
التامل واستقرا الشرع الشريف ثم ان الهمزة ركن في الدلالة على الالهية كما
ان الها دالة على الهوية فافتتاح هذه الاحرف الخمسة بالهمزة واختتامها
بالها مشعر بان المفتتح به هو المختتم به هو الاول والاخر وان دققت
نظرك في مخرج الهمزة رايته اظهر من مخرج الها وشممت من ذلك برق ظهور
اسمه الظاهر فان التفتت فكرتك الى الحكمة الابتدا بالهمزة الدالة على
الظهور والاختتام بالها الدالة على الخفا وجدت هناك شاهدا على ما فوح
الخلق به من الظهور في مقام التعريف وردوا اليه من العجز عن كمال
الادراك والحيرة في نهاية التوقيف ثم ان تدبرت ما يلازم ذلك من تعلم
نعمة الظهور عرفت سر سبق الرحمة ثم ان جلت في ذلك حتى انتهيت الى
معنى كنت كنزا لا اعرف فاحببت ان اعرف على تقدير صحته في الاسرائيليات
وقفت على كمال المعرفة المحبوبة وتطلبتها وبحثت عن انواعها وسمت
همتك الى سماواتها وعرجت روحك الى عرشها وكوشفت هناك بروابط المعرفة
والمحبة وتحققت ان التفاضل في مقامات المحبة على قدر التفاضل في مقامات
المعرفة ٥ وان اتسع مجالك في حكمة الهمزة والها وصلت الى حد تفهم عنه

ان اسم المعروف سبحانه لا يتأتى النطق بكماله بظاهرك خاصة بل لا بد من
صحبة سرائرك الى ظواهرك فكيف بمعرفته فكيف بتوفيته حقوق ربوبيته
ولا يخفى ما تحتويه هذه المذكورات من المقاصد الشريفات والقضايا
الدينيات **تنبيه** اجمعوا على تفخيم اللام من اسم الله ما لم يعقب كسرة نحو
الله لطيف بعباده ونحو وما بكم من نعمة فمن الله وترقيقه اذا كان عقبها
نحو بسم الله والحمد لله **فاما** التفخيم فلتعظيم الاسم واشعار القلب عظمة
المذكور ليتفرغ لفضله وليوفي بآداب العبدية وتكاليف الربوبية وليكون
في اكمل مراتب التعظيم قولا وفعلا وحالا ولان اللام المرفوعة من طرف
اللسان والمطلوب هنا امتلاء اللسان بحركة التفخيم تنبيها على ما يسعى من التوجه
الكلي وايضا فليحصل الفرق بالتفخيم بين لفظ الله ولفظ اللات **واما**
الترقيق في نحو بسم الله فلثقل الانتقال من الكسرة الى فخامة اللام وقد
تقدمت الاشارة الى ان اللام المشددة التي هي في هذا الاسم لامان وسبب
التشديد ادغام لام التعريف وهي الاولى في لام الكلمة الاصلية وهي الثانية
وانما كتبت اللامان في الخط للاشارة الى ثبوت الشدة وللحمل على التفخيم في
اللفظ كما ان ذلك تفخيم في الخط ولغير ذلك ايضا ويستفاد من ذلك انا مطالبون
بتحقيق الاقوال بالافعال ثم الحروف التي يدغم فيها اللام اربعة عشر حرفا
وهي التاء نحو التائبون والثاء نحو الثواب والدال المهملة نحو اجيب دعوة
الداعي والذال المعجمة نحو والذاكرين الله والراء نحو واركعوا مع الراكعين
والزاي نحو قال موعدكم يوم الزينة والسين المهملة نحو والسابقون السابقون
والشين المعجمة نحو الشهر الحرام بالشهر الحرام والصاد المهملة نحو الصادقين
والصافات والضاد المعجمة نحو ولا الضالين والطاء المهملة نحو واعبدوا
الطاغوت والظاء المعجمة نحو انه لا يحب الظالمين واللام نحو اسمه الله والنون
نحو والناهون عن المنكر وسبب ادغام لام التعريف في هذه الحروف المذكورة
قرب مخارجها من مخرجه ولهذا لم تدغم في باقي الحروف نحو الامر والباب والحل
والحمد والخسران والعدوان والعلو والغفر والقلوب والكفار والمعروف
والهاوية والوعد والسبب في ذلك بعد مخارجها اذا علمت ذلك فقد قال
الامام فخر الدين رحمه الله في تفسيره عند ذكره لادغام التعريف في الجلالة انه

كالسه

كالسه على ان المعرفة اذا وصلت الى حضرة المعروف سقطت المعرفة
وبطلت وثبت وبقي المعروف الازلي كما كان من غير زيادة ولا نقصان
انتهى لفظه بحروفه وهو في غاية الحسن والكمال وليحذر من لا تحصيل له
ان يحمل بعض هذا اللفظ على غير محمله فيظن ان نهاية العارف سلب
معرفته بل المراد ان معرفته مع تزايدها اذا قوبلت بالمعروف ظهر تلاشيها
بالنسبة اليه حتى يصير عدما فنفي المعرفة الحكم عليها باستحقاق العدم لا انها
معدومة وهذا كقول القائل لا يزال العبد يتنقل في مقامات العبدية حتى
يذهب العبد ويبقى المعبود **فالصواب** في تعديد هذا الكلام وامثاله مما يقع
في كلام بعض اهل التحقيق والاشارات كقولهم يفنى الذاكر ويبقى المذكور ان
المراد من ذلك تلاشي ما كان معتدا به في البداية من المعرفة البرهانية
والذكر اللساني عند سطوع نور كشف النهاية لما يظهر هناك من قصور ما علم
من المعرفة والذكر الذين لبسا لائقين بالحال عند النهاية بل لما يظهره
هناك من تحقيق عدم ما كان معدودا في سلك الوجود من معرفة العبد
وذكره بسبب ما يبدو من احدية الله سبحانه في خلق المعارف والوظائف
وغيرها ففي البداية كان العبد ينظر الى الاسناد المجازي فيعد ذكره
ذكرا ومعرفته معرفة فاذا قطع مفاوز الاوهام ووصل الى مقام اليقين
راى ذكره مسببا عن ذكر الله تعالى الذي هو السبب المحرك لقلبه ولسانه
ورأى معرفته بجلال الله سبحانه وجماله وكماله نزرا يسيرا مما يتعلق به علم
الله سبحانه الذي اخبرنا ببعضه ففهمنا بعض ما اخبرنا به سبحانه من بعض
الوجوه فاذا لاحت الحقيقة ظهر التوحيد وتعالى القدوس سبحانه عن
مناسبة ما اتى به العبيد اعني من حيث حقيقة الامر لا من حيث الاذن
الشرعي فان الله سبحانه مع علمه بانا لا نحصي الثناء عليه اذن لنا فيه بل
امرنا به ايجابا وعلمنا سبحانه انه اذا اتينا بها على النحو المطلوب منا كانت
مرجوة القبول ومع علمه سبحانه ايضا بقصور مداركنا عن مطالعة عين كماله
تعرف لنا من وراء حجبنا باسمائه وصفاته وافعاله واحد ما في التعريف
عن ناحية التفصيل لكمال قدسه الى التعريف باجماله ولا يزال العارف يترقى
في معارفه والذاكر يجتهد في وظائفه الى ان ينتهي كل منهما الى مطلع بغيته

فيرى اجتهاده تقصيرا وموجوده معدوما ونسبه واضافاته هبا منثورا وبقي
بالغيبة عن شهود ما كان منه فناؤه معنوي لا حسي وليس كما تدندن
حوله كثير من زنادقة الملحدين الذين سموا انفسهم بالموحدين وزعموا ان
من التوحيد افراد الحق سبحانه بالوجود وانه ليس معه مربوبون ولا عبيد
وان ذلك انما هو خيال حكم على المدارس وان ارباب النفوس يشهدون الحق
وحده فيهم وفي ساير الوجود ويطلقون قولهم ليس مع الله احد وليس مع
الله شي ويقولون ما في الوجود الا الله ويقولون على مساق هذا الابدال العبد
يذكر حتى يفنى وينفي الذاكر وحده ويشيرون بذلك الى ان الناطق بهذا الذكر
هو الله من غير شايبة نسبة اسناديه للعبد ولا وجود للعبد بالكلية ولهم
ترهات مبنية على قاعدتهم الفاسدة ومنهم من يرى ان الله سبحانه يحل في الذوات
ومنهم من يخص الحلول ببعض الانواع الى غير ذلك من كفرهم الفسيح الذي لم
يوضع هذا التعليق لبيانه والرد عليه وملخص القول في ذلك ان كثيرا منهم
يبنون على قواعد الفلسفة بعيدة على القواعد الشرعية او من غير امعان
فيها فيحصل من الخلل ما يحصل فان قلت فقد وقع في كلام كثير من اكابر
المحققين كما اشرت اليه اولا اطلاقات منها فنا الذاكر وبقا المذكور
مهملا كان كلام كل من اطلق ذلك محمولا على ما قررته من التاويل قلت
من عرفنا من قاعدته اثبات النسب الشرعية وتحقيق مقام العبدية اولنا
كلامه على ما يليق بقاعدته ومن كان اصله فاسدا ارجعنا كلامه الى
اصله حتى ربما كان ظاهر الكلام صحيحا ومقصوده منه فاسدا الا انا اذا
راينا ما ظاهره السداد لا نرده وانما نرد ما فسد ظاهره مع فساد قاعدة قايله
ه ولنرجع الى ما كنا بصدده من الكلام على اسم الله فنقول الاسم
من حيث الجملة باعتبار وقوعه على المسميات تسعة انواع احدها الاسم
الواقع على الذات والثاني الواقع على الشي بحسب جزء من اجزايه والثالث
الواقع على الشي بحسب صفة حقيقية ثابتة لذاته كالسواد والبياض
والرابع الواقع على الشي باعتبار صفة اضافية كقولنا معلوم ومفهوم
ومالك ومملوك والخامس الواقع على الشي بحسب حالة سلبية كقولنا
فقير والسادس الواقع على الشي باعتبار صفة حقيقية مع صفة اضافية

كقولنا

كقولنا عالم وقادر والسابع الواقع على الشي باعتبار صفة حقيقية مع صفة
اضافية سلبية كقولنا قادر لا يعجز والثامن الواقع على الشي بحسب صفة
اضافية مع صفة سلبية كقولنا الاول والقيوم والتاسع الواقع على الشي
بحسب مجموع صفاته الحقيقية والاضافية والسلبية وهو كل اسم دل على
الذات بما لها من الصفات كلها اذا تقرر ذلك فاسمه الله سبحانه دال على ذاته
سبحانه وجميع صفاته فانه دال على الالهية وباللزوم على كل ما به كمال
الالهية ثبوتا وسلبا وبهذا يظهر ايضا ان هذا الاسم اعظم الاسما الحسنى لكن
شذ بعضهم فذهب الى انه اسم صفة وليس اسم ذات لان اسم الذات يعرف
به المسمى وذات الله تعالى لا تدرك ولا تعرف باسمه واذا تعذرت معرفة
الذات امتنع وضع اسم يدل عليها واكدوا هذا ايضا بان اسم العلم قائم مقام
الاشارة وهي ممتنعة في حق الله سبحانه والجواب عن كون هذا الاسم يدل
على الذات الموصوفة بالالهية مع كون ذاته سبحانه لا تعلم ان تعذر العلم بذاته
سبحانه انما هو من حيث الاحاطة والوقوف على حقيقة الكنه ونحن لا نسلم
ذلك من دلالة اسمه الله بل نثبت فيه الدلالة على ذات موصوفة بالالهية
مقدسة عن الاحاطة فوجود ذاته سبحانه معلوم لا يسوغ انكاره ومعرفتنا
بذلك من حيث الجملة لا من حيث التفصيل بل لنا ان نلتزم في ساير اسمايه سبحانه
ان كلا منها يدل على الذات الموصوفة بتلك الصفة التي تدل بظاهرها عليها
ومعنى قولنا مثلا السميع اثبات صفة السمع للمذكور لا اثباتها خاصة
مع قطع النظر عن الموصوف بها وهذا مراد من ميز الاسما الى اسما صفات
واسما ذوات فاسم الذات هو الخاص بمنطوقه على الذات خاصة وان
كان يدل باللازم على ان الذات لا بد ان تكون موصوفة واسم الصفة هو
الدال على صفة ثابتة لذلك المسمى يتصف بها ذاته وعلى هذا فاسم الله
تعالى لا نقول هو اسم ذات باعتبار انه يدل على الذات المجردة بمنطوقه
بل نقول هو اسم ذات باعتبار انه يدل على الذات الموصوفة بالالهية
فان قلت فاذا قلنا ان ساير اسمايه سبحانه يدل على الذات الموصوفة
فبماذا امتاز اسمه الله فالجواب ان هذا الاسم يدل بمنطوقه على الذات
الموصوفة بالالهية وهي الصفة العظمى التي معناها انه سبحانه قديم لا اول له

دايم لا اخر له قدوس لا شبيه له ولا مدرك له لا ند ولا احد وانه الخالق والرازق
والمحيي والمميت الي غير ذلك مما يشترط في صحة الالهية فيجب ان يكون له صفات
الكمال والجلال والجمال وذلك بخلاف بقية الاسما الحسني فانها تدل بالمنطوق
علي الذات الموصوفة بالصفة الظاهرة منها ولا يدل علي غيرها من الصفات الا
بطريق اللزوم فلما دل اسمه الله علي جميع صفات الذات كان اولي بان يكون
اسم الذات مما لا يدل الا علي بعض صفات الذات فيثبت بذلك كمال هذا الاسم
واستحقاقه لان يكون هو الاسم الاعظم وقد يعلم ما يؤيد ذلك ايضا ان ومما
استانس به بعضهم في كونه اعظم الاسما ان دلالته لا تنسلب بحذف شي من
حروفه فلو حذفت الالف الاولي بقي لله وفيه الدلالة عليه سبحانه وان حذفت
اللام الاولي بقي له وفيه الدلالة ايضا وان حذفت اللام الثانية لم يبق في الخط
الا الها وهي ضمير الاهية سبحانه ويعبر عنه ايضا بالهوية ان وبالجملة فالاكثرون
ذهبوا الي انه الاسم الاعظم وقيل هو ذو الجلال والاكرام وقيل هو الحي
القيوم وقيل بديع السموات والارض وقيل يختلف الحال باختلاف حالات
الداعين ان فمن اضطر الي توبة الله سبحانه عليه كان الاسم الاعظم في حقه
التواب وقياس علي هذا وقد تقدم ان اسمه الله شامل لصفاته كلها فمن
دعا به قاصدا اثر صفة من صفات الله تعالي فقد اصاب من حيث مطابقة
الاسم للمطلوب مع كون هذا الاسم اشرف من حيث اختصاصه به سبحانه ولكل
ذاهب الي عظمة اسم من اسمايه تعالي متمسك ومما يرجح عظمة هذا الاسم
علي غيره ربط الامور المهمة في الذكر به حتي لا يقوم غيره مقامه فمن ذلك
الشهادتان وتكبيرة الاحرام وغيرها من تكبير الصلاة والتسمية في القران
في هذه الامور ونظايرها تعين هذا الاسم وقد لا تعين في مواضع اخري
ولكنه يتفصل ويلتحق هنا ليلتبع ما تستحب فيه التسمية وذكر انواعها الوارده
في الشرع وبيان حكمها وحكم تنويعها والقول علي ما يتعلق بالاسم الاعظم
مبسوط في شرحي للاسما الحسني ان ومما يتعلق بتفسير اسمه الله سبحانه
الكلام علي ان اسماه سبحانه توقيفيه وذكر الخلاف في ذلك والكلام علي
انقسامها الي اسما صفات ثبوتيه وصفات سلبيه وغير ذلك من ما يتعلق
به حذفت ذلك كله اختصارا الان بعض من شرع في قراة هذا التعليق علي

فصل

قصد اختصاره ليسهل تحصيله وليبعد عن التقلب من الذهن فان الاطالة داعية
النسيان وايضا فلان مقصودي في هذا التعليق انما هو التنبيه علي مظان
الاستنباط ولتنبيهات الاستخراج ان واما الفضايل والمنافع المتعلقة باسمه الله
سبحانه فلا نتعرض لها كثير من الناس وساقوا منها جملا وان الامر في ذلك
لاجل من ان يحصر بل اشهر من ان يذكر واما قوله تعالي الرحمن هو من
اسمايه سبحانه بل من اجلها بل ذهب بعضهم الي انه الاسم الاعظم وهو عربي
عند الجمهور وقيل عبراني واختلفوا هل هو مشتق من الرحمة ام لا وهل هو اسم صفة
ام علم وهل هو بدل من اسمه الله او صفة له فمن رجح البدلية فيه والعلمية
استدل بوروده غير تابع لغيره من الاسما كما في قوله تعالي الرحمن علي العرش
استوي الرحمن علم القران فاذا لم يكن نعتا وكان علما كان في البسملة
بدلا من اسم الله ومنهم من منع البدلية فيه وعطف البيان ايضا لان الاسم
الذي قبله لا يحتاج الي بيان اذ هو اعرف الاعلام واثبتها ولهذا لما جهلوا اسمه
الله وجهلوا اسم الرحمن فقالوا وما الرحمن وعلي هذا هو وصف يراد به الثنا
وان كان يجري مجري الاعلام ووزنه يقتضي المبالغة في معناه وهو
الرحمة ولم يتسم به احد غير الله ان ولما تجاسر مسيلمة علي التسمي به الي الله الا
ان يفتضح فكان يقال له رحمان اليمامة ان واما الرحيم فهو ايضا من اسمايه
سبحانه ووزنه يقتضي المبالغة ايضا الا انه تعالي سمي به غيره فقال سبحانه
في حق نبيه محمد صلي الله عليه وسلم لقد جاكم رسول من انفسكم عزيز عليه ما
عنتم حريص عليكم بالمومنين روف رحيم ان وقد اختلف العلما في هذين الا
الاسمين هل دلالتهما واحدة كندمان ونديم او مختلفة واذا كانا مختلفين
فهل الرحمن اكثر مبالغة او الرحيم او كل منهما اكثر مبالغة من وجه ولهذا
وقع الجمع بينهما واختار الشيخ اثير الدين هذا فقال فلا يكون مجي الرحيم
بعد الرحمن للتوكيد قال فمبالغة فعلان مثل غضبان وسكران من حيث
الامتلا والغلبة ومبالغة فعيل من حيث التكرار والوقوع بمحال الرحمة ولذلك
لا يتعدي فعلان ويتعدي فعيل انتهي واختلف القايلون بتغاير الاسمين
فقال مجاهد رحمن الدنيا ورحيم الاخرة وهو معني قول يحيى بن معاذ
حيث قال رحمن بالمعاش رحيم في المعاد وفي ذلك حديث مرفوع الي النبي

الي النبي صلى الله عليه وسلم وقيل عكس ذلك اي رحمن الاخرة ورحيم الدنيا
وقيل رحيم باهل السما رحيم باهل الارض وقيل رحمن برحمة واحدة ورحيم
بمائة رحمة وقيل رحمن بمصالح الدنيا رحيم بالدين وقيل رحمن بجميع الخلق
حيث امطرهم ومن عليهم بالمزارع وبساير النعم العامة ورحيم بالمومنين ولهذا
قال تعالى وكان بالمومنين رحيما فرحيميته للمومنين هدايتهم وما اشبه ذلك وقال
ثعلب الرحمن امدح والرحيم الطف وعن ابن عباس قال هما اسمان رقيقان
احدهما ارق من الاخر ن واستشكل بعضهم هذا بان الرقة لا مدخل لها في
صفات الله وقال بعضهم ان هذا وهم من الراوي وان اصل الكلام رفيقان بالفا
الفا واحدهما ارفق من الاخر اي باثبات الفا وقال ابن المبارك الرحمن اذا
سيل اعطى والرحيم اذا لم يسيل يغضب ن ومن اقوال اهل الاشارات قول
الحارث المحاسبي رحمن بالنفوس رحيم بالقلوب وعن جعفر بن محمد الصادق
ان الرحمن خاص اللفظ بصيغة عامة في الرزق والرحيم عام اللفظ بصيغة خاصة
للمومنين وهذا معني ما تقدم من كون الرحمن اسما خاصا بالله سبحانه لم يتسم به
غيره ومن كون تعلقه عاما باهل الدنيا في مصالح معاشهم ونعمهم العامة حتى قيل
رحمن الدنيا ومن كون الرحيم عام اللفظ حتى جاز ان يقع اسما لبعض الخلق
خاص المعنى من جهة انه يخص المومنين كالمغفرة وهذا معنى قول الجمهور
وقد سرد بعض المصنفين اقوالا كثيرة في ذلك قد اعلت معانيها واختلفت
القايلها فظن تعددها وقد قدمت هنا بعض ذلك لغاية الكشف عن التداخل
في المعنى واصل الرحمة المنسوبة الى الخلق رقة تحمل على العطف والاحسان
وقد جات الرحمة في القران بارادة الرقة في قوله تعالى وجعلنا في قلوب
الذين اتبعوه رافة ورحمة ن واما الرحمة التي هي صفة الله سبحانه فتطلق
تارة ويراد بها ارادة الله سبحانه الخير والفضل وعلى هذا اقتصر بعضهم في
تفسير رحمه الله تعالى ويمكن ان يكون من ذلك قوله تعالى ولو رحمناهم
وكشفنا ما بهم من ضر فان الظاهر ان كشف الضر مرتب على الرحمة
ويستحيل ان يقوم بالله سبحانه رقة فناسب ان يحمل الرحمة على ارادة الخير
ويجوز ان يكون صفة الرحمة في حق الله سبحانه غير الارادة مما يليق بكماله
سبحانه ويكون اثر تلك الصفة الفضل والاحسان وتارة تطلق رحمة الله تعالى

على احسانه

على احسانه وجوده وامتنانه وهو من باب اطلاق السبب على مسببه فان
الرحمة الانسانية التي هي الرقة معنى وجدت بعثت على الاحسان واسداء
المعروف فالاحسان مسبب والرقة سبب للتلازم الذي بينهما جاز التجوز
باطلاق الاصل على الفرع وهذا الكثر ما استعملت فيه رحمة الله سبحانه قال عكرمة
في قوله سبحانه واما تعرضن عنهم ابتغاء رحمة من ربك ترجوها انها الرزق
وذكر المفسرون في قوله تعالى اوليك يرجون رحمة الله انها الجنة وقيل
غير ذلك ومما ورد من لفظ الرحمة بارادة الجنة قوله تعالى واما الذين ابيضت
وجوههم ففي رحمة الله هم فيها خالدون ن وقوله تعالى واذا اذقنا الناس
رحمة من بعد ضرا مستهم اراد بالرحمة الرخا والنعمة وبالضرا القحط والشدة
واطلق سبحانه الرحمة على المطر كما في قوله تعالى وهو الذي يرسل الرياح
بشرا بين يدي رحمته ونظيره قوله تعالى فانظر الى اثر رحمة الله وقد
قيل في قوله تعالى ويبشر رحمته انها الشمس والظاهر ان الشمس من جملة
رحمته المنشورة فهذه الايات تدل على اطلاق الرحمة على النعم الدنيوية
والدينية وقد سمى سبحانه اشياء من النعم الدنيوية رحمة ايضا كما اطلق على
القران الذي هو اعظم النعم رحمة كما في قوله تعالى ونزلنا عليك الكتاب
تبيانا لكل شي وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين ن ولها نظاير في القران وسمى
سبحانه النبي صلى الله عليه وسلم رحمة كما في قوله تعالى وما ارسلناك الا رحمة للعالمين
وسمى الاسلام رحمة كما قيل في قوله سبحانه يختص برحمته من يشا ولا شك في ان
الايمان بالله والاهتدا بالحق رحمة من الله سبحانه حتى لقد قال نوح على نبينا
وعليه وعلى ساير الانبيا والمرسلين الصلاة والسلام يا قوم ارايتم ان كنت على
بينة من ربي واتاني رحمة من عنده فعميت عليكم انلزمكموها وانتم لها كارهون
اراد بالرحمة الهداية والايمان ن واما قوله تعالى اهم يقسمون رحمة ربك
فالمراد النبوة والرسالة قال مقاتل ابايديهم مفاتيح الرسالة فيضعونها
حيث شاءوا وبالجملة فالرحمة في الغالب اسم لجميل افعال الله سبحانه والاكثرون
اقتصروا على تفسير رحمة الله على هذا المعنى ومنهم من قسم الرحمة الى ذاتية
وهي ارادة الخير وفعلية وهي النعم وهذه الرحمة الفعلية هي التي يتصور
فيها السبق والغلبة الواردان في الحديث الصحيح حيث قال صلى الله عليه وسلم

لما خلق الله الخلق كتب في كتاب فهو عنده فوق العرش ان رحمتي تغلب
غضبي وفي روايه غلبت غضبي وفي روايه سبقت غضبي ولذلك انضبا مورد
التقسيم والتعدد انما هو الرحمة الفعليه وهي التي تسمى مخلوقه ومجعوله
وتسند الى الخلق وكل ذلك يلتمسه قوله صلى الله عليه وسلم في الصحيح ايضا جعل الله
الرحمة مائة جزء فامسك عنده تسعه وتسعين وانزل في الارض جزءا واحدا
فمن ذلك الجزء تتراحم الخلايق حتى ترفع الدابة حافرها عن ولدها خشية ان
تصيبه وفي روايه ان الله مائة رحمة انزل منها رحمة واحدة بين الجن
والانس والبهايم والهوام فبها يتعاطفون وبها يتراحمون وبها يعطف
الوحش على ولدها واخر الله تسعا وتسعين رحمة يرحم بها عباده يوم القيامه
وفي روايه ان الله تعالى خلق يوم خلق السموات والارض مائة رحمة طباق
ما بين السما والارض فجعل منها في الارض رحمة منها يعطف الوالدة على
ولدها والوحش والطير بعضها على بعض فاذا كان يوم القيامه اكملها
بهذه الرحمة ٥ فاسمه سبحانه الرحمن الرحيم يدل على انه ذو الرحمة الواسعة
المتلون ٥ ولما كان اسمه الرحمن دالا على عطفه سبحانه بالجود والاحسان
على من ساله ومن لم يساله وانه سبحانه يقي عباده مصارع السوء ويحميهم عما
فيه ضررهم حتى انه سبحانه يامرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويعذر اليهم
بلبسط الاعذار ويهيئ لهم اسباب الطاعة وييسر عليهم اسباب المعاصي ٥
ويرشدهم بما ينزله من كتبه ويدعوهم على السن رسله الى غير ذلك من
انواع تعطفاته سبحانه ناسب ان الله خلقه على كمال رحمته سبحانه بهم
ارحم من الوالدين مع كمال شفقتهما وفي ضمن ذلك الحث على بر الوالدين ٥
والاقارب حيث كانوا اثرا من اثار رحمة الرحمن امره سبحانه للخلق رحمة
بهم وحثا لهم على التراحم والتعاطف لما يترتب على ذلك من الحكم الخفيه
والجليه وكل هذا المعنى قد بسطه النبي صلى الله عليه وسلم حيث امر بصلة
الارحام ووعد واصلها بصلة الله له وتوعد قاطعها بالقطيعة عن الله
والعياذ بالله واخبر ان الرحم يوم خلقت لاذت بالعرش وان الله تعالى
قال لها انت الرحم وانا الرحمن شققت اسمك من اسمي اما ترضين ان من
وصلك وصلته ومن قطعك قطعته والمعنى ان الله تعالى وضع في الرحم من

الوطف

العطف والرافة ما يحمل على البر وان ذلك اثر من اثار رحمته العامة العظمى
المدلول عليها باسمه الرحمن فاقتضى ذلك امرين احدهما الوفا بما وضع في
الرحم من التراحم والتعاطف والثاني الوفا لله بحقوق رحمته التي رحمة
الرحم اثر من اثارها ان اذا تقرر هذا تمكن تدبر اسميه الرحمن والرحيم وحال
تعلقه في اثار كل رحمة عامة ورحمة خاصة مما هو متعلق بالدين والدنيا
والظاهر والباطن والعاجل والاجل وفي النفس والاهل والولد
والاقارب والالزام وما ينشا عن ذلك من المصالح الخفيه والجليه وما هو
من تتمات ذلك وسوابقه ولواحقه وما كان من ذلك مستحقا للعبد بوجه
مجازي وما لم يكن مستحقا الى غير ذلك مما يستخرجه غواص النظر في بحر
الفكر من جواهر العبر علم ان مملكة الرحمة قد وسعت الوجود من العرش
الى الفرش وظهر له بعض اسرار اضافة العرش في الاستوا الى اسمه
الرحمن في قوله سبحانه الرحمن على العرش استوى وعند استخراج هذه الجواهر
ينتظم منها عقود حمل الانسان المسوله وغير المسوله فمنها ايجاده سبحانه
لنا ويندرج تحت ذلك كل ايه دلت على خلق الله لنا ولاصولنا وتصويرنا
وتطويرنا ومنها تكريمه سبحانه لنا وتسخيره لنا الكائنات ومنها ايجاده
سبحانه لما نحتاج اليه من مكان وزمان وحيوان ونبات وايات وغيره
ذلك مما لا يخفى من مصالح المعاش الدنيوي ويندرج تحت ذلك كل ايه
سيقت لذكر النعم بتلك الاشيا او بعضها كخلق السموات والارض والشمس
والقمر والنجوم والجبال والشجر والدواب والبحار والانهار والامطار
والرياح والسفن وغير ذلك ومنها ايجاده سبحانه لنا الرحمة في قلوب
الابا والامهات والاهل والاخوان ونحو ذلك ويندرج تحت ذلك كل
ايه نصت او نبهت على التراحم الموضوع في ذلك حتى يدخل في ذلك قوله
تعالى وجعل لكم من انفسكم ازواجا لتسكنوا اليها وجعل بينكم مودة ورحمة
ونظاير ذلك ومنها ايجاد الالسن واللغات ليتاتى بها الاعراب عما
في النفوس ويندرج تحت ذلك كل ما يتعلق به من الايات ومنها
ايجاد الاموال ليتاتى بها المعاملات وايجاد المعادن ونحو ذلك ويندرج تحت
ذلك من الايات ما يتعلق به ومنها ايجاد المصالح الدينيه ولا يخفى ما يدخل

في هذه الجملة من الجمل الكبار ايضا فمن ذلك ارساله الرسل وانزال الكتب
واظهار المعجزات وايضاح المشكلات وتبيين المجملات ورفع الاصار والتخفيف
في التكليف وتضعيف الاجور وتكفير السيئات والتشريف بالاسلام والايمان
في الدنيا والاخرة وادامة الثمرات الدينية التي لا حصر لها وكل ما يتعلق بشي
من هذه المذكورات كلها فهي مبنية على اثر من اثار رحمته المدلول عليها بالرحمن
او بالرحيم ثم في اسمه سبحانه الرحمن الرحيم من المبالغة والاختصاص به سبحانه
ما يستدعي النظر في تقدسه تعالى وتوحده وكمال صفته وكمال جوده الذي
لا شريك له فيه وكمال الهيبة سبحانه ويندرج تحت ذلك ايضا ما يتعلق به
من الاثار واذا اعتبرت هذين الاسمين ظهر لك ان النظر فيما يقتضيانه
يفضي الى الوقوف على اكثر مقاصد القران بل كلها حتى ان من رحمته سبحانه
التعريف بالاعداء القاطعين عن سبيله والتعريف بكيفية مجاهدتهم
والتعريف بما يحصل منهم والاخبار عن احوال الاشقيا تحذيرا من سلوك سبيلهم
ونحو ذلك واما النظر في كمال ترتيب البسملة وحسن تنزيلها فمجاله واسع
جدا ومن ذلك انه سبحانه ابتدا باسمه الله الدال على الالهية لانه اهم مقصود
ولانه اسم اذا طرق القلوب طردت انوار طلائعها وسكنت اسرار اضطرابها
وعطرت نفحاته وجودها الى غير ذلك من اثاره وبركاته ولانه اسم يزعج
النفوس ايضا من اوطان اوطارها ويسوقها الى حضرات فلاحها ومحارزها
ويسلب الالباب ويروح الارواح ويسر الاسرار ويحقق الحقائق ويكمل المعاني
ويعني ويغني وبه اعني بسره وباثره كانت الفواتح والخواتم والظهور والخفا
وعنه ظهر الجلال والجمال في صورتي العدل والفضل فناسب الابتدا به
ثم لما كانت بروق جلال كماله تخطف ابصار القلوب وسبحاته تحرق كل
مخلوق الا ما هو بلطف الرحمة محجوب ناسب ان يردفه سبحانه باسمه
الرحمن شفعا لجلاله بجماله ولظاهر عدله بظاهر افضاله ومزجا لشراب التعريف
وعونا على حمل اعبا التكليف فان قلت فقد ورد في الحديث الذي فيه ان
رحمتي سبقت غضبي فما الحكمة في تاخير اسم الرحمن هنا قلت لم تكن
العرب تعرف الرحمن ولهذا قال تعالى واذا قيل لهم اسجدوا للرحمن قالوا وما
الرحمن وقال تعالى وهم يكفرون بالرحمن وكانوا يعرفون اسم الله كما قال تعالى

ولئن سالتهم

ولئن سالتهم من خلقهم ليقولن الله وهذا المقام هو مقام التعريف
بالله مع التعريف بكمال رحمته فناسب تقديم الاسم المقصود في التعريف
ثم شفع باسمه الرحمن دون اسمه القهار والجبار ونحو ذلك اعتنا بايصال
الرحمة الى المدارك قبل ايراد الاسما الدالة على غيرها واعلم ايضا ان من
مناسبة تقديم الرحمن على الرحيم امران **احدهما** ان اسم الله خاص به
واسم الرحمن ايضا خاص به فناسب ان يردف الاسم الخاص بالاسم الخاص
فاقتضى ذلك تقديمه على اسمه الرحيم **الثاني** ان الرحمن عام التعلق
والرحيم خاصه كما تقدم فناسب ان يذكر ما يعم تعلقه اولا ثم ما يخص واذا
اعتبرت خصوصية الرحمن بالله وجواز اطلاق الرحيم في حق النبي صلى
الله عليه وسلم فهمت من ذلك سر الاتيان بالرحيم عقب الرحمن مع انه لا خلاف
ولا شك في ان الرحيم هنا اسم وانما اردت انه تفهيم عقل من تسمى به من
الخلق ويشغل الذهن الى معرفة الله ورسوله ومحبة الله ومحبة رسوله
وطاعة الله وطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم واما على راي من راى ان
الرحيم ابلغ فمن المناسبة التعريف بالرحمة ثم الانتقال الى الاخبار بالمبالغة
فيها وعلى راي من راى ان الرحمن يتعلق اثره بالدنيا وان الرحيم
يتعلق اثره بالاخرة كما في الحديث رحمن الدنيا ورحيم الاخرة فمن
المناسبة في ذلك مراعاة ترتيب الاثرين فلما كان اثر الرحمن وهو
الدنيا متقدما في الوجود قدم اسمه الرحمن في الذكر ولا يخفى ما
في هذا من الاشعار بالنشاة الاولى ثم الثانية واما على راي من جعل
اثر الرحمن النعم الظاهرة واثر الرحيم النعم الباطنة فمن المناسبة في ذلك
التعريف بالنعم الظاهرة اولا ثم الظاهر يتوصل الى الباطن والظاهر
عنوان الباطن ولان الظواهر شاغلة فناسب التعريف بالنعمة فيها
نقلا بذلك للمدارك الى البواطن وغالب استدلال الحق سبحانه في كتابه
العزيز بنعمه تقدم فيه ذكر النعم الظاهرة على النعم الباطنة حتى قال سبحانه
من جملة ذلك واسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة **لطيفة** اسمه الله سبحانه
دال على الكمال المستلزم للفضل والعدل الناشئين عن الجمال والجلال والكل
من فريقي الرغب والرهب فيه مسارح ثم ان غاية المسارح الرهبية تفنت

الاكباد رهبا كما ان غاية المسارح الرغبيه تعيل اهلها طربا وفصل الخطاب
في ذلك ان الجمال يسفر لمتامله عن الجلال فلما كان اسمه الله مثير الخطر
الرهب والرغب ناسب ان يردفه سبحانه باسميه الرحمن الرحيم فاذا
احترقت اكباد الخايفين اطفا داير انهم من سحايب اسمه الرحمن واذا اقضى
سرور الرغبه على ارواح الراغبين ابقى عليهم لطف اسمه الرحيم **لطيفه**
ثانيه اسمه الله عام التعلق واسمه الرحمن خاص التعلق واسمه الرحيم
خاص الخاص الاترى ان الرحمن يدل على الرحمة العامة مع كونه اخص
من جهة كونه دالا على الرحمة التي هي بعض ما يدل عليه اسمه الله
واسمه الرحيم يدل على رحمة خاصة مما يدخل في عموم تلك الرحمة الاولى
فحصل التعريف بالاسم العام ثم بالخاص ثم بخاص الخاص لان المخاطبين على
ثلاث مراتب فاسمه الله يتعرف به لعموم الخلق الذين فيهم الخاصه واسمه
الرحمن يتعرف به لخواصهم واسمه الرحيم يتعرف به لخواص خواصهم فموارد
اسمه الله مشتمله على سائر مشارب لطائف معاني الاسما والصفات يرد
العامه منها ما يليق بهم والخاصه كذلك وخاصه الخاصه كذلك قد علم كل اناس
مشربهم وموارد اسمه الرحمن مشتمله على المشارب الجماليه والفضليه وموارد
اسمه الرحيم مشتمله على صوافي تلك المشارب وخلاصتها ثم الشاربون من هذه
المناهل مختلفون فمنهم من يمزج له شرابه بما يغلب على الممزوج ومنهم من يمزج
له بالمزاج اليسير ومنهم من لا امتزاج لمه ثم اعلم ان مشارب الرحمانيه
تمزج غالبا بجلال الالهيه ومشارب الرحيميه غالبا تمزج بكمال الرحمانيه
وكل شارب يسقى على حسب ما يليق به وخلق له من الوسع والطاقه فنسال
الله تعالى ان يسقينا من شراب رحمته الخاصه ما يسعد به السعادة
الخاصه الكامله في الظاهر والباطن والعاجل والاجل **لطيفه** ثالثه وهي
كالتتمه لما قبلها لما كان اسمه الله مظهر الالهيه التي سرها الربوبيه
وكانت الربوبيه تقتضي تربيه الظواهر والبواطن شرح سبحانه ذلك بذكر اسميه
الرحمن والرحيم اشارة الى ان اثر رحمانيته تتعلق بتربيه الظواهر وان
اثر رحيميته تتعلق بتربيه البواطن كما ان كمال الربوبيه ولما كان المقتضي
ايجاد دارين احداهما للتكليف والاخرى للجزا جا اسمه الرحمن المتعلق بالدنيا

التي هي

التي هي دار التكليف ثم اسمه الرحيم المتعلق بالاخرة التي هي دار الجزا
ولما اقتضت الالهيه التكليف والجزا كان اسمه الرحمن معينا للمكلفين
ليتعلقوا به في الاستعانة على ما كلفوا به من العبادة وكان اسمه الرحيم
معينا للعاملين ليتعلقوا به يوم الجزا ومن تامل هذه اللطائف وتدبر هذه
الفاتحه وجدها اعني الفاتحه شارحه لهذه اللطائف الاترى الى تعريفه
سبحانه الالهيه بربوبيته في قوله الحمد لله رب العالمين وشرحه لربوبيته
باسمه الرحمن والرحيم وتعرضه سبحانه بقوله ملك يوم الدين الى اثبات
الجزا الذي هو مسبوق بيوم العمل وتنبيهه سبحانه على الاستعانه به في
العبادة وفتحه سبحانه لنا باب سوال حاله المنعم عليهم المرضيين الذين يوول
نعيمهم الى رضى الله سبحانه عنهم وهو اكبر ما اعطوه من اثار الجزا ورضوان من
الله اكبر وهنا مجال للنظر في اكبر الامرين واعظمها من رويه القوم لربهم
في الجنة ومن رضاه سبحانه عنهم يحقق في غير هذا الموضع ان شا الله تعالى ولعل
ان يكون عند تفسير قوله تعالى غير المغضوب عليهم قوله تعالى الحمد لله رب
العالمين قد تقدم تفسير الحمد في الكلام على تسميه الفاتحه بالحمد وتقدم هناك
التنبيه على امور يتعلق به والالف واللام فيه لاستغراق الجنس ليدخل
في ذلك حمده سبحانه ومحامد خلقه الاولين والاخرين وما يستاهلونه من المحامد
وقيل الالف واللام هنا للعهد اي الحمد المعروف بينكم واشار سيدي الشيخ
ابو العباس المرسي رضي الله عنه الى انهما عهديتان لكن بوجه اخر فقال لما
لفظه علم الله عجز خلقه عن حمده حمد نفسه بنفسه في ازله فلما خلق الخلق
اقتضى منهم ان يحمدوه بحمده فقال الحمد لله رب العالمين اي قولوا الحمد
لله رب العالمين اي الحمد الذي حمد به نفسه بنفسه هو له لا ينبغي ان يكون لغيره
فعلى هذا يكون الالف واللام عهديتين انتهى كلامه رضي الله عنه وقيل
هما للتعريف الماهيه واللام في لله للاستحقاق واللام الجر اثنان وعشرون
معنى لا ضرورة الى عدها هنا والرب يطلق على المعبود وعلى السيد وعلى
المالك وعلى الثابت وعلى المصلح والمربي والقائم بالامر والمنشي المنشي قيل
وعلى الصاحب وعلى الخالق لكن عند التحقيق يتحد معنى المالك والصاحب في معنى
الخالق والمنشي والمصلح من وجه وجميع معاني الرب داخلة في اسمه الرب

سبحانه ثم ان لفظة رب في الاصل مصدر من التربية والفاعل منه راب
يقال رب كذا وربّاه وربّبه فهو راب له ثم اطلق المصدر على الفاعل فعل لمن
لم يرب ربا او يكون رب اسم فاعل حذفت الفه كبار وبر قاله ابو حيان وعند
تعريف هذه الكلمة اعني الرب لا يطلق الا على الله سبحانه وعند عدم التعريف
ينظر الى القراين والسياق والاضافة فرب العالمين ورب الخلق ورب محمد
ونحو ذلك صريح في اسم الله سبحانه ورب الدار ونحوه فيه قرينة دالة على ارادة
المالك او المربي ونحو ذلك ه والعالمون جمع عالم ولا مفرد للعالم من لفظه
واختلف في العالم هل هو مشتق من العلم او العلامة وانبنى على ذلك اختلاف
المفسرين في العالمين فمنهم من نظر الى انه مشتق من العلم ففسر العالمين بالملائكة
والانس والجن ويروى هذا عن ابن عباس ومنهم من خصه ببعض ذوي
العلم ففسر العالمين بالانس والجن خاصة وعبر بعضهم عن هذا بالثقلين
ويحتمل ان يكون مراده بالثقلين اهل السموات واهل الارض فهو غير القول
المتقدم وقد غاير بعض الاكابر بينهما في النقل كما غاير ابن عباس قولين احدهما
ان العالمين اهل الجنة والنار والثاني انهم المكلفون وتغايرهما واتحادهما
ايضا ممكن وتفسير العالمين بالمكلفين نسب ايضا الى ابن عباس وغيره
واختاره الشيخ ابو حيان واستدل له بقوله تعالى ان في ذلك لآيات للعالمين ن
واستدل غيره بقوله تعالى ليكون للعالمين نذيرا ومنهم من قصره على الانس
خاصة وعبر بعضهم عن هذا ببني ادم وعده بعض من غلط قولا اخر ومنهم
من عكس فقال العالمون الجن خاصة ومنهم من زاد على ما ذكره ابن عباس هو
الشياطين فعمها لكل ذي علم ومنهم من نظر الى مظنة قيام العلم وهي الحياة ففسر
العالمين بكل ما فيه روح ويروى ذلك ايضا عن ابن عباس وعبر بعضهم عن
هذا بانهم المرتزقون وليس هو قولا اخر كما توهمه بعضهم ومنهم من
قال العالمون هم الروحانيون وهو يحتمل ان يراد به كل ذي روح فيكون
مرادفا لما تقدم ويحتمل ان يراد به الجن خاصة كما تقدم نقله فانهم يخصون
في الاستعمال غالبا بالروحانيين ويحتمل ان يراد به الملائكة واهل الملأ الاعلى
خاصة او يراد دون مع الجن وكل هذه الاحتمالات تقدم انها اقوال الا تخصيص
الملائكة فلم يتقدم ومنهم من بنى على ان العالم مشتق من العلامة فقال العالمون

كل شي

كل شيء سوى الله تعالى ن ويروى ذلك ايضا عن ابن عباس يشير الى كل حادث
وعبر بعضهم عنه بكل مصنوع واختلف في عدد العالمين فقال سعيد بن المسيب
لله سبحانه الف عالم ستمائة في البحر واربعمائة في البر وقال وهب ثمانية عشر
الف عالم الدنيا منها وما العمران في الخراب الا كفسطاط في صحراء وقال مقاتل
وابن حيان ثمانون الف عالم اربعون الفا في البر واربعون الفا في البحر وقال
كعب الاحبار لا يحصي عددهم العالمين احد الا الله عز وجل وقال سبحانه وما يعلم
جنود ربك الا هو انتهى ن ولما كانت اجناس الموجودات متسعة وفوقها
اجناس لاجناس صير كل جنس من تلك الاجناس عالما منفردا ثم جمع الله سبحانه
ذلك في قوله العالمين والله سبحانه اعلم بما خلق من العالمين واتفق السبعة
على قراءة الحمد لله رب العالمين بضم الدال وكسر اللام وقرئ الحمد لله بنصب
الدال مقدر بعضهم للعامل في النصب فعلا غير مشتق من الحمد اي اقرؤا الحمد لله او
قولوا الحمد لله او الزموا الحمد لله وقرئ الحمد لله بضم الدال واللام اتباعا ايضا
بجعل الدال تابعة في الكسرة للام وقراءة السبعة والجمهور ايضا رب العالمين بكسر البا
وقرئ بفتح البا على المدح اذا تقرر هذا فقد يسال هنا عن حكمة تقديم الحمد على اسم
الله سبحانه وهلا قدم الاسم كما في قوله سبحانه فلله الحمد رب السموات ورب
الارض رب العالمين والجواب عنه على قاعدتين اما على قاعدة النحاة فان
التقديم والتاخير في مثل ذلك سوا وربما يستدلون على قولهم بهاتين الايتين
واما على قاعدة البيانيين من جهة ان التقديم يفيد الاختصاص وان قوله
تعالى فلله الحمد معناه لا لغيره فلا شك ان كل محل له ما يناسبه من الخطاب
وقد يلمح هنا وجوه في مناسبة تقديم الحمد احدها وهو مبني على مقدمة وهي
ان الحمد الحقيقي لا يستحقه الا الله سبحانه وحده فانه المتصف بصفات الكمال
التي لا يتطرق اليها عدم سابق ولا لاحق واما الحمد الاستنادي فلله سبحانه
ان ينسبه الى من شاء من خلقه على حسب ما كملهم به من الصفات ثم ان الله
سبحانه انزل هذا الكتاب العزيز تشريفا للنبي صلى الله عليه وسلم ولقومه وذكرا
لهم ولبعض منه قصص انبيائه ورسله وملائكته عليهم الصلاة والسلام
وقصص اهل طاعته من المتقدمين والمتاخرين فلو افتتح سبحانه كتابه بما
يقتضي اختصاصه سبحانه بالحمد المطلق قبل ان تتقرر المعارف القرانية التي

من جملتها التفرقة بين المحامد الحقيقية والمحامد الاسنادية لا تلتبس الحال
على بعض من ابتدئ بذلك وظن امتناع حمد احد من الخلق واما قوله فلله
الحمد فانما جا بعد ان تعذر الفرق بين ما يستحقه الحق سبحانه وبين ما ينتسب
الفضل الى بعض الخلق فهذا فيما يظهر لي وجه مناسبة الثاني وهو كالتتمة
للاول ان في ذلك الغاز ابثبوت الحمد لله سبحانه ولمن يلبسه سبحانه له الوجه
الثالث انه لما تقدم اسمه الله سبحانه في التسمية وكان التعريف به تهما
ناسب ان يردف ذلك بذكر المهم الاخر الذي هو تلحقه التعريف بالاسم وهو
الحمد ولاهتمام الشرع تطلب الحمد عند ذكر الالهية ابتدا سبحانه به وقدمه
على الاسم تنصيصا على المطلوب بالابتدا مع كون ذلك لا يمنع من اختصاص الله
سبحانه بالحمد وانما تقديم الاسم انص واول الوجه الرابع انه سبحانه لما قدم
البسملة المشتملة على اثبات صفات الكمال له سبحانه وعلى توحده سبحانه فيهام
من حيث المجي بالتعريف في الاسما اقتضى ذلك استحقاقه سبحانه للحمد واختصاصه
به فلما اثبت اقتضا ذلك لم يبق فرق بين تقديم الحمد وتاخيره اذ المقصود
قد فهم وتقرر بخلاف قوله سبحانه فلله الحمد فان سورة الجاثية كلها
رادة على عباد الاصنام والمنزلين وعلى المنكرين للبعث باسلة لدلايل
التوحيد مناسب ان يختتم بما يفيد اختصاصه سبحانه بالحمد وهو قوله
فلله الحمد فهذه وجوه في المناسبة والله تعالى اعلم بحكم كلامه ۝ وقد افتتح
الله سبحانه خمس السور بعد البسملة بالحمد وكرر ذلك في اربع سور اخر
فالمجموع خمس سور حمد سبحانه نفسه في الفاتحة على جملة العالمين معمم وحمد
نفسه في سورة الانعام على ما هو اخص من ذلك وهو خلق السموات
والارض وجعل الظلمات والنور والمحمود عليه في هذه السورة ملاك النعم
الدنيوية وحمد سبحانه نفسه في سورة سبا على ما هو نتيجة المذكور في سورتي
الانعام والكهف من نعمتي الدين والدنيا فان من نتايج حكمة الدنيا الاستعانة
على الوفا بالتكليف ومن نتايج حكمة الدين الاستعداد ليوم الجزا فقال سبحانه
الحمد لله الذي له ما في السموات وما في الارض وله الحمد في الاخرة وهو الحكيم الخبير ۝
وحمد نفسه سبحانه في سورة فاطر على كمال قدرته التي اوجد بها النعم من
المعدوم فقال الحمد لله فاطر السموات والارض جاعل الملائكة رسلا اولي اجنحة

مثنى وثلاث ورباع ومن تامل كل سورة وجدنا بحمدها مناسبة لباقيها مطابقة
لمقاصدها وقد ظهر بهذا التقرير شمول تعلق الحمد في الفاتحة واستغراقه
للمخلوقات اكثر من باقي السور وفي ذلك دليل على فضل الفاتحة فليلحظ هذا
عند النظر في فضايلها محمدها كالاجمال وحمد ما بعدها من السور كالتفصيل
ومن حكمة الابتدا بالحمد في اول الفاتحة بعد البسملة تاسيس عظمة الله سبحانه في
قلوب المخاطبين ليبنوا على ذلك تعظيم كلامه وتعظيم احكامه وحدوده ولتفقوا
عند نقضه وابرامه الى غير ذلك مما يتعلق به ومنها تعليم الابتدا بالحمد كما
علمنا سبحانه ان نختم بالحمد ايضا في قوله تعالى وقضي بينهم بالحق وقيل الحمد
لله رب العالمين وفضايل الابتدا والختم بالحمد مشهورة معروفة وفيها
نسبح بالحمد الدعا وكل دعا افتتح به فقمن ان يستجاب ومن مناسبات الحمد
في اول الفاتحة على العالمين بعده الدعا المطلوب منافي ما فيها للاستجابة ۝
ولتلمح المناسبة بين هذا الترتيب القراني والترتيب النبوي فقد ثبت
في صحيح البخاري ان النبي صلى الله عليه وسلم قال من تعار من الليل فقال لا اله
الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شي قدير الحمد لله وسبحان
الله والله اكبر ولا حول ولا قوة الا بالله ثم قال اللهم اغفر لي او دعا استجيب له
فان توضا قبلت صلاته ۝ فمن وجوه المناسبة في ذلك ان القران هو الموقظ
للناس من رقدات غفلاتهم فعلموا في ابتدا اسقطهم توحيد الله وحمده على مملكة
العالمين ثم علموا الدعا الموعود باستجابته كما ان العبد اذا استيقظ من الليل
ووحد الله وحمده على مملكته بقوله له الملك وله الحمد ثم دعا عقب ذلك
يستجب له وقبلت صلاته ۝ وفي الحديث مناسبات اخرى تظهر للمتامل
ومن هنا تنبيه لفضل الحامدين لا سيما على كل حال ۝ ومن اسباب فضل هذه
الامة على غيرها انهم امة حمادون يحمدون الله على كل حال والحمد وظيفة
الانبيا والاتقيا فمنهم من ياتي به في مفتاح الشكر ومنهم من ياتي به مقلما
على الكمال ومنهم من ياتي به مبينا على الكمال ومنهم من ياتي به مادحا
شاكرا وهذا هو الغالب في حمدهم وقد روي عن ابن عباس رضي الله عنهما
انه قال الحمد لله كلمة كل شاكر وان ادم عليه السلام قال حين عطس الحمد
لله وقال الله لنوح وقل الحمد لله الذي نجانا من القوم الظالمين ۝ وقال ابراهيم

الحمد لله الذي وهب لي على الكبر اسمعيل واسحق وقال في قصة داوود وسليمان
وقالا الحمد لله الذي فضلنا على كثير من عباده المومنين وقال لنبيه محمد صلى الله
عليه وسلم وقل الحمد لله الذي اذهب عنا الحزن واخر دعواهم ان الحمد لله رب العالمين
فهي كلمة كل شاكر واختلف الناس في افضل الكلمتين لا اله الا الله والحمد لله
فقيل الحمد لله افضل لما فيها من اثبات الالهيه مع الحمد وقيل لا اله الا الله لقوله
صلى الله عليه وسلم افضل ما قلت انا والنبيون من قبلي لا اله الا الله واذا كانت
لا اله الا الله افضل ما قاله الانبيا في عرفة التي هي موطن الحج الاكبر فلان يفضل
في غيرها اولى واختار جماعة القول بافضلية لا اله الا الله وهو ظاهر
واعلم ان هذا الخلاف انما هو في غير الكلمة التي يدخل بها في الاسلام فتلك
افضل بلا خلاف لانه لا يصح الدخول في الاسلام بغيرها ولانه يقابل على تركها
الي غير ذلك من فضايلها وقد اختلفوا في تحقيق حمد الانسان لله سبحانه بماذا
يكون اكمله وابلغه فقال الشافعي رحمه الله هو قوله الحمد لله حمدا يوافي
نعمه ويكافي مزيده وهذا وان كان ظاهره انه تفسير الحمد الذي هو الشكر
لكن يلزم عنه الثنا على الكمال فهو من حيث المطابقة تفسير للشكر ومن حيث
اللزوم تفسير للحمد الذي منه الشكر وروى ابن ماجة من حديث ابن عمر
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم حدثهم ان عبدا من عباد الله قال يا رب لك
الحمد كما ينبغي لجلال وجهك وعظيم سلطانك فعضلت بالملكين فلم يدريا كيف
يكتبانها فصعدا الى السما فقالا يا ربنا ان عبدا قال مقالة لا ندري كيف نكتبها
قال الله وهو اعلم بما قال عبده ماذا قال عبدي قالا يا رب انه قد قال يا رب
لك الحمد كما ينبغي لجلال وجهك وعظيم سلطانك فقال الله لهما اكتباها كما قال
عبدي حتى يلقاني فاجزيه بها ان يقال اعضل الامر اذا اشتد وعضل بالتشديد
اذا اشتد وقال جعفر بن محمد الصادق فيما يروى عنه في قوله تعالى الحمد لله
رب العالمين من حمله بصفاته كما وصف نفسه فقد حمده لان الحمد حا وميم ودال
فالحا من الوحدانيه والميم من الملك والدال من الديمومة فمن عرف بالوحدانيه
والملك والديمومة فقد عرفه وهذا هو حقيقة الحمد لله وعن شقيق بن ابراهيم
في تفسير الحمد لله قال هو على ثلاثة اوجه اولها اذا اعطاك الله شيا تعرف من
اعطاك والثاني ان ترضى بما اعطاك والثالث ما دامت قوته في جسدك فلا

تعصيه فهذه شرايط الحمد وهو موافق لقول بعضهم شروط الحمد ثلاثة ان تعرف
من انعم وان ترضى وان ترضيه في نعمه بطاعته فيها واعلم ان الحمد لما كان
لفظه ثلاثيا ناسب ان ينظر الى ما يلازمه من الثلاثيات فاقول
الحمد على محاسن الافعال لا يتحقق ماهيته الا بثلاثه اشيا شهود حسنها ونسبتها
الى خالقها سبحانه والثنا عليه سبحانه فاذا تمت هذه الماهيه افتقر كمالها الى
ثلاثة مطابقة الجنان للسان وموافقة الاركان بالطاعة ومتابعة الشرع
فيما اذن فيه من المحامد حتى لا يجوز ان يثنى على الله بما لم يجوز الشرع اصله
ومادته واذا حصلت هذه الثلاثه المكملة للحمد لزم عنها ثلاثه تصفحه
حسن صنيع الله والرضى عن الله والتفويض الى الله واذا انسحبت على منوال
الناظرين في احرف الحمد المتكلمين على مناسباتها امكنك ان تقول الحمد
حا وميم ودال فالحا حا الحب والميم ميم المدح والدال دال الدوام اي كن
محبا مادحا دايما على ذلك فاذا ذاك تكون حامدا كاملا وان شيت ان تنظر
في هذه الاحرف الى مناسبات صفات الله سبحانه فلك ان تقول الحا تشير
الى حا اسمه الحق سبحانه والميم تشير الى ميم مجده سبحانه والدال تشير الى
دال دوامه سبحانه فهو الحق في الهيته والحق في ثبوت صفات كمالاته والخالق
للوجود بالحق ما خلق الله ذلك الا بالحق فبالحق ظهرت الموجودات
وبدت حكمها فاستحق فاعلها الثنا عليه كما انه سبحانه المجيد الذي اتسع جلال
كماله وكمال افضاله وله عنت الوجوه واليه يرجع الامر كله فاستحق ان
لا يتوجه بالثنا الا اليه وحده سبحانه كما انه سبحانه الدايم المطالب بدوامه
ادامة الطاعة والشكر والثنا عليه بمقتضى دوام فضله سبحانه ومن تدبر
ما يتعلق بالحمد مما تقدمت الاشارة اليه وما لم تتقدم وتتبع معانيها
واستقرا الايات الدالة على تلك المقاصد امكنه ان يستحصر عند ذلك غالب
المقاصد القرانيه فان قلت ما معنى حمد الله سبحانه على العالمين مع تفسير
العالمين بكل حادث وذلك يشمل الخير والشر من الطاعة والمعصية وغير
ذلك فهل الحمد مطلوب هنا على ظاهره عند كل شي او هو مخصوص بالبعض
دون البعض فالجواب ان الحمد مطلوب على كل حال الا ان الاعتبار فيه
مختلف وذلك ان كل شي فعله نسبتان نسبة الى الحق سبحانه ونسبة الى العبد

من حيث نسبة الفعل الى الله سبحانه تظهر حسن كل فعال فانه اثر كمال الله سبحانه
وتعالى ومن حيث نسبة الفعل الى العبد يختلف الحال فتارة يتعلق الحمد بتلك
النسبة وتارة لا تتعلق مثال ذلك لو اذا وفق العبد لطاعة فالطاعة محمود
عليها من حيث هي فعل الله سبحانه ومحمود عليها ايضا من حيث هي نعمة على
العبد ومن حيث هي كمال في حقه ايضا واذا وقع العبد في معصيته والعياذ بالله
فهي من حيث نسبتها الى العبد والحكم عليها بكونها معصية لا يتعلق الحمد بها من
هذا الوجه ومن حيث كونها من جملة ما قدره الله سبحانه يتعلق بها الحمد فانه
سبحانه لا يقدر شيئا الا وحكمته بالغة الا ترى ان لخلق المعاصي من الحكم
والفوائد اشياء منها اظهار المنة الكاملة على الطائعين بسلامتهم من تلك
المعاصي ولا تعرف الاشياء الا باضدادها فلو لم يخلق المعاصي لما عرف قدر
الطاعات ولفات التمييز بين الطائعين والعاصين الى غير ذلك ومنها اظهار
آثار تمجيد العدل بخذلان العاصين نعوذ بالله من الخذلان ومنها ابراز ما هو
يتعلق به العلم من ما انطوى عليه وجود المكلفين ومنها وضع الاسباب
التي يترتب عليها وجود العفو والمغفرة ومنها هضم نفوس الطائعين لما
يقدر عليهم من بعض المعاصي وان صغرت ليخلصوا بذلك من شرك الاعجاب بالطاعة
ومنها الايقاظ لكمال احاطة الله سبحانه بعبده وانه سبحانه يحول بين المرء وقلبه
فيأخذ بناصيته الى الطاعة مرة والى غيرها اخرى ليكون العبد مطالعا
لكمال مقداره سبحانه خائفا منه راجيا له وبالجملة ففي خلق المعاصي من
الفوائد التي قد يتعلق بعضها بالمعاصي ما يكثر تعداده حتى كان ذلك من كمال
حكمة الوجود ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم كما ثبت في صحيح مسلم والذي نفسي
بيده لو لم تذنبوا لذهب الله بكم وجاء بقوم يذنبون فيستغفرون الله فيغفر لهم
واذا تاملت بحرك الله الوجود كله رأيته دالا على كمال الله مكملا لخلق الله الا
ان تكميله للخلق تارة يكون لمن قام به وتارة لغيره ثم ما من شيء الا وهو
نعمة باعتبار وقد يكون نقمة باعتبار اخر حتى ان المعصية قد تقترن
بها طاعة وتقترن بالطاعة معصية وفي كل ذلك حكم تظهر للموفقين
فالحمد لله رب العالمين قوله تعالى الرحمن الرحيم قد تقدم الكلام على هذين
الاسمين واجمع السبعة والجمهور على اعرابهما هنا بالخفض وقرئ بنصبهما

ويرفعهما

ويرفعهما وقد استدل بعض الاعيان بتكرار هذين الاسمين بعد ذكرهما في
البسملة على ان البسملة ليست من الفاتحة وقرر ذلك تقريرا غير صحيح لا
جرم ان ابا حيان لما نقله قال وهو كلام مدخول من غير وجه واعلم
ان لمجيئهما في هذا المحل بعد مجيئهما في التسمية معاني منها ما ذكره القرطبي
رحمه الله فقال وصف سبحانه نفسه بعد رب العالمين بانه الرحمن الرحيم
لانه لما كان في اتصافه برب العالمين ترهيب قرنه بالرحمن الرحيم لما تضمن
من الترغيب ليجمع في صفاته بين الرهبة منه والرغبة اليه فيكون اعون على
طاعته وامنع اي من مخالفته كما قال تعالى نبئ عبادي اني انا الغفور الرحيم
وان عذابي هو العذاب الاليم وقال غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب
ذي الطول ومنها ما نبه عليه الشيخ اثير الدين رحمه الله فقال ان الترتيب
القرآني جاء في غاية الفصاحة لانه سبحانه وصف نفسه بصفة الربوبية وصفة
الرحمة ثم ذكر شيئين احدهما ملكه يوم الجزاء والثاني العبادة فناسب
الربوبية الملك والرحمة العبادة فكان الاول للاول والثاني للثاني انتهى
ومنها انه سبحانه لما قدم في البسملة الهيته والله الرحمن الرحيم طالبنا بالحمد له
سبحانه من حيث انه الله الرحمن الرحيم فاعادة الرحمن الرحيم اشعار بوجه
استحقاق الحمد بثبوت الرحمانية والرحيمية في ربوبيته كما تقول فلان هو
العالم بنشر العلم فاكرم القائم بنشر العلم ومنها ان الرحمن الرحيم في البسملة
وصفان للالوهية والرحمن الرحيم في الفاتحة وصفان للربوبية فان قلت
فاي فرق بين الالهية والربوبية قلت الفرق من حيث المتعلق فان الالهية
تتعلق بالايجاد والتكليف ونحو ذلك والربوبية تتعلق بالتربية الغلبية
والعالمية الدنيوية والاخروية ففي البسملة اثبات الرحمانية والرحيمية لمقام
الالهية التي اثرها الايجاد والاستعباد وما يدور عليهما وهو اعم من اثر
الربوبية وفي الفاتحة لما ذكرت الربوبية هي اخص من الالهية ناسب ان تثبت
معها الرحمانية والرحيمية اشارة الى وجود اثر الرحمانية والرحيمية في مقامي
الاعم والاخص ومنها تأكيد الرجاء بتكرار اسمي الرحمة لا سيما والوارد عقب ذلك
قوله تعالى ملك يوم الدين فلولا ما سبق من الرجاء وتأكيده بالتكرار لكادت النفوس
تزهق عند ذكر ملك يوم الدين ومن هنا يظهر ان المطلوب من الرجاء القدر

الدافع لضرر الخوف المفرط الموقع في القنوط او القابض عن توفية الحقوق
ولاجرم ان مطالبة العبد بالرجا مختلفة ففي حال صحته يكفيه ما يعدل به الخوف
وعند الموت يطالب بتوسعة الرجا مرجا لما يرد عليه من سكرات الموت ومخا
مطالعات ما بعد الموت ومن تدبر مجاورة قوله تعالى الرحمن الرحيم لقوله تعالى
ملك يوم الدين وكون هذا قبيل هذا لاح له ما قررته من المطالبة ببسط الرجا
عند الموت كما قاله العلما وكما نص عليه النبي صلى الله عليه وسلم فقال لا يموتن احدكم
الا وهو يحسن الظن بالله تعالى رواه مسلم والمراد باتساع الرجا بسطه اكثر
مما كان عليه مع وجود الخوف ايضا فالخوف لا يزايل المومن الا في الجنة وقد
روى الترمذي عن انس رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال دخل على
شاب وهو في الموت فقال كيف تجدك فقال ارجوا الله واخاف ذنوبي فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يجتمعان في قلب عبد في مثل هذا الموطن الا اعطاه
الله ما يرجوا وامنه مما يخاف **قوله تعالى** ملك يوم الدين اجمع السبعة
على كسر اللام والكاف من هذا الاسم واختلفوا في اثبات الالف وحذفها فاثبت
الالف عاصم والكسائي وخلف في اختياره ويعقوب وحذفها الباقون وكل من
القرائتين قراها كثير من الصحابة والتابعين واختلف في ايهما ابلغ فرجح
كلا منهما جماعة وينقل من قال كل من الاسمين ابلغ من وجه وكان بعض السلف
يقرا بهما في الصلاة كل واحدة في ركعة ونقل في غير السبعة قراات اخر
حذفتها اختصارا وكلها ترجع الى الملك بكسر الميم او الملك بضمها واصل مادتها
الملك بفتحها وجميع تقاليب هذه المادة تدل على الشدة والقوة كذا قاله
ابو حيان **قال** القرطبي رحمه الله ان وصف الله سبحانه بانه ملك كان ذلك
من صفات ذاته وان وصف بانه مالك كان ذلك من صفات فعله ويوم الدين
هو يوم القيمة واليوم في اللغة القطعة من الزمان وفي الشرع ما بين طلوع
الفجر وغروب الشمس ويوم القيمة من ابتدا النشر الى ان يستقر اهل الجنة
في الجنة واهل النار في النار وبعضي الحسبان والدين يطلق بارادة امور
منها التوحيد والاسلام والحساب والجزا والحكم والطاعة والملة والقهر
والعدة والملك وغير ذلك وفي بعضها تجوز يظهر لمتاملها وسمي يوم القيمة
يوم الدين اما لما فيه من الجزا او الحساب او لانه يوم لا يقبل فيه

الا التوحيد او يوم يعلوا فيه الاسلام او ينفذ فيه الحكم او يظهر فيه القهر او
يظهر فيه انفراد الله سبحانه بالملك والملك **وقوله** سبحانه مالك يوم الدين
تنصيص على مملكة خاصة بعد ذكر المملكة العامة في **قوله** رب العالمين قال
ابو حيان ومتعلق المضاف اليه في الحقيقة هو الامر كانه قال ملك او مالك
الامر في يوم الدين لكنه لما كان اليوم ظرفا للامر جاز ان يتسع فيتسلط عليه
الملك والملك لان الاسلام على الظرف استيلا على المظروف قال وفايدة هذه
الاضافة وان كان تعالى مالك الازمنة كلها والامكنة ومن حلها والملك فيها
التنبيه على عظم هذا اليوم بما يقع فيه من الامور العظام والاهوال الجسام
من قيامهم فيه لله والاستشفاع لتعجيل **الحساب** والفصل بين المحسن والمسي
واستقرارهما فيما وعدهما الله به او على انه يوم يرجع الى الله فيه جميع ما ملكه
لعباده وخولهم فيه ويزول فيه مملكة كل مالك انتهى كلامه وهو حسن ثم
نقل عن ابن السراج ان معنى مالك يوم الدين انه يملك مجيه ووقوعه **قال**
فالاضافة الى اليوم على **قوله** اضافة الى المفعول به على الحقيقة وليس ظرفا
اتسع فيه وفي **هذه** الاية تنبيه على ثبوت المعاد والجزا ورد على منكريهما
ويلزم من وجود الجزا وجود العذاب والنعيم وقد قام الدليل على ان التعذيب
يقع لنا بالنار وما فيها وما يقترن بها من الحجاب عن الله وغضب الله نعوذ بالله
من غضبه وان التنعيم يقع بالجنة وما فيها وما يوجد معها من النظر الى الله سبحانه
ورضاه ومزيده فاذا تامل الفطن اتساع مملكة الاخرة التي لا اخر لها ولعاس
مملوكاتها وتفاصيل ما يكون يوم القيمة من اثار العدل والفضل ظهر له تناول
الاية تفاصيل ذلك بالمطابقة ولبا قيه باللزوم وبسط هذه المقاصد كلها
واستشهد لها من القران الكريم عرف انها اية جامعة لغالب المقاصد القرانية
من اعتقاد وحدانية الله سبحانه ومن الايمان بالبعث والنشور وبالجنة والنار
والصراط والميزان والحساب وما اشبه ذلك ومن ابواب الترغيب والترهيب
وغير ذلك ومن هنا يظهر لك ان اسمه الملك او المالك يدل على مزج الانس والجهال
الكمال من اثر العدل والافضال الا انه مع ذلك يغلب في ايراده مطالعة
الجلال وبدوا من صفحات بوادره الهيبة ولذلك قدم سبحانه قبل ايراده
اسميه الرحمن والرحيم كما تقدم ذلك قريبا **لطيفة** تنبه بعضهم على ان

قوله تعالى ملك يوم الدين يلوح منه الامر بان يكون الان بين يديه سبحانه
كما يكون يوم الدين اي فان الذي يخاف ويرجى هناك هو الموجود على الدوام
ولا يخفى ما يلزم من الادب بين يدي الملك ولا سيما وهو الملك الحق الواحد
في المملكة فلا يخرج شي عن مملكته وملكه ووظيفة من عرف ذلك الاشتغال
بوظيفة العبودية ولزوم الاداب اللائقة بممالكة الربوبية وان لا يبالي
شيا من المملكة ان كان لا بد من السوال الامن مالكه الملك سبحانه **تذييل**
اذا اردت ان تخرج او اهذا الاسم حذو ما سلكوه في اسمه الله وفي لفظ الحمد من
النظر الى الاحرف التي هي اجزا الاسم ملك ان تقول يناسب ان يكون الميم ميم المجد
واللام لام الالهية والكاف كاف الكمال اي المجد والالهية والاهتية وكماله
في ذلك استحق ان يكون ملكا مالكا ولهذا كان اسمه سبحانه وتعالى مالك الملك ولم
يجز لاحد ان يتسمى بملك الاملاك غيره سبحانه ويجوز لمن ملكه الله سبحانه مملكة
ان يسمى ملكا فقد نطق القران بتسمية بني اسرائيل ملوكا والاولى ان يسمى ملك
الكفار عظيمهم كما سماه النبي صلى الله عليه وسلم ن ولنستحضر هنا ما يتعلق بذلك
ان شا الله تعالى ن ولما كان اسمه الملك بحذف الالف ثلاثيا ناسب تقسيم
المملكة الى ثلاثة اشيا ذوات وصفات واحكام واعني بالاحكام ما هو اعم من تعريف
الماهيات حتى يدخل الاسامي ذلك وجعلت الامكنة ثلاثة دنيا واخرى وبرزخا
بينهما وباعتبار اخر جعلت الادر ثلاثة دار تكليف وهي الدنيا ودار محاسبة
وهي الموقف ودار جزا وهي الجنة او النار والناس يوم القيمة ثلاثة اقسام
فريق في الجنة وفريق في السعير وفريق على الاعراف هذا قبل انقضا الحساب
واما بعد انقضائه فلا يبقى الا الجنة والنار وعوالم الدنيا يحتوي شيها ثلاثة اشيا
جواهر واجسام واعراض والعالم العلوي ثلاثة ملكوت ورحموت وجبروت
وحضائر القدس مظاهر لثلاثة اشيا اسرار الاسما وانوار الصفات وتجليات
الذات والمخلوقون ثلاثة اجناس ملائكة وانس وجن ومكلفوا هذه
الامة ثلاثة ظالم لنفسه ومقتصد وسابق وباعتبار اخر ينقسمون الى عوام
وخواص وخواص خواص ولهذا الانقسام في الظالم والسابق والمقتصد انقسمت
الحالات في جميع المعاملات الى ثلاثة حالة ظلم وحالة عدل وحالة احسان
وكثيرا ما يذكر الحق سبحانه المراتب الثلاث محاورات وجوامع الخبر بلا

نحو

جمعت في قوله تعالى خذ العفو وامر بالعرف واعرض عن الجاهلين ن ومقامات
الشرع بوجه واعتبار ثلاث اسلام وايمان واحسان وللايمان ثلاثة اركان
قول باللسان وعمل بالاركان وتصديق بالجنان ن ولما كان بين الصلاة وبين
الايمان مناسبات حتى انه يطلق عليها الايمان كانت اعدادها على ثلاث مراتب
مثنى وثلاث ورباع واليقين يرجع الى ثلاث مراتب علم يقين وعين يقين
وحق يقين والناس عند الموت على ثلاثة اقسام ذلكوا في قوله تعالى فاما ان
كان من المقربين الاية ن وهم في المحشر ايضا ثلاثة ازواج كما قال تعالى وكنتم ازواجا
ثلاثة وجميع بني ادم في الدنيا ثلاثة انواع رسل وانبيا واتباع والانبيا عليهم
الصلاة والسلام على ثلاث طبقات اولو العزم في الرسالة وهم خمسة نوح وابراهيم
وموسى وعيسى ونبينا محمد صلى الله عليه وسلم وذووا رسالة ليسوا باولي العزم
وهم باقي الرسل عليهم الصلاة والسلام وانبيا ليسوا بمرسلين عليهم اجمعين الصلاة
والسلام واعلم ان الثلاثيات كثيرة جدا ولم اذكر ما ذكرته الا منبها به على اتساع
ذلك **قوله تعالى** اياك نعبد واياك نستعين مفردات هذه الاية خمسة
وهي ايا والكاف والعبادة وواو العطف والاستعانة فاما ايا فهو ضمير منفصل
مختص بمحل النصب ويردف بما يدل على المعنى المراد نحو اياي للمتكلم واياك للمخاطب
واياه للغايب وفروعها ايانا واياك واياكما واياكم واياكن واياها واياهما واياهم
واياهن وقيل ايا ليس بضمير وانما هو موصل الى الضمير وقيل هو وما بعده من اللاحق
المفسر ضمير وقيل ايا اسم ظاهر غير ذلك والمختار كما قاله ابن هشام انه ضمير نصب
كما تقدم والكاف المفردة تكون جارة وغير جارة فالجارة قد تكون حرفا وقد تكون
اسما فالحرف له معان **منها** التشبيه نحو قولك زيد كالاسد **ومنها** التعليل عند
بعضهم **ومنه** على خلاف في الاعراب قوله تعالى واذكروه كما هداكم وقوله تعالى
كما ارسلنا فيكم رسولا منكم على خلاف في اعرابه ايضا **ومنها** الاستعلاء على خلاف
فيه ايضا ومن امثلته جعل منه ما نقل ان اعرابيا قيل له كيف اصبحت فقال كخير اي
على خير ومنهم من جعلها كاف التشبيه وقدر المضاف محذوفا اي كصاحب خير
ومنها المبادرة كما في نحو قولك صل كما يدخل الوقت وسلم كما يدخل **ومنها** التوكيد
ويسمى هذه الكاف زائدة في الاصطلاح وقد تقدم انه لا ينبغي اطلاق الزيادة
في كتاب الله ومن مجيئها للتوكيد قوله تعالى ليس كمثله شي فهي مؤكدة لنفي

المثل وقبل البيت رايك وتعرف كل من القولين على ما بسط موضعه ن واما الكاف
غير الجارة فنوعان مضمر منصوب او مجرور كما في نحو قوله تعالى ما ودعك
ربك وحرف معنى لا محل له ومعناه الخطاب وهي اللاحقة لاسم الاشارة نحو ذلك
وتلك واللاحقة للضمير المنفصل المنصوب مثل اياك على الصحيح واللاحقة لبعض
اسماء الافعال نحو رويدك واللاحقة كقولك ارايتك فتصير بمعنى اخبرني ومنه
قوله تعالى قال ارايتك هذا الذي كرمت علي فالتاء فاعل والكاف حرف خطاب
وقال الفراء التاء حرف خطاب والكاف فاعل ن والعبادة والعبودية والعبودة
كلها في الاصل الخضوع والذلل والتعبيد التذليل والطريق المعبد المذلل والسفينة
المعبدة المقيرة لانها ذللت للسير في البحر والتعبد ايضا الاستعباد وتعبد فعل
بتشديد الباء اي اتخذ عبدا ومنه قوله تعالى ان عبدت بني اسرائيل
والاعتباد ايضا مثل التعبيد وفي الحديث ورجل اعتبد محررا والاعباد ايضا
مثله وكذلك التعبد وعلى هذا فلفظ التعبد يستعمل في تذلل الانسان نفسه لمعبوده
بالطاعة ويستعمل في تذليل المعبود عابده بالتسخير والتكليف ولاجل هذا
سميت الطاعة عبادة والعبادة الشرعية كل طاعة شرعية ن ثم هذه المادة
واسعة يتركب منها الفاظ لمعان مختلفة منها العبد بفتح العين والباء بمعنى
الانفة والغضب فتبلد ومنه قوله تعالى قل ان كان للرحمن ولد فانا اول
العابدين اي الانفين والعبلة بالفتح ايضا القوة والسمن ومنه يقال ناقة
ذات عبلة اي ذات قوة وسمن ويقال ما لثوبك عبلة ايضا اي قوة والعبد
ضد الحر وجمعه عبيد واعبد وعباد وعبدان بضم العين وفي اخره الف ونون مثل
تمر وتمران بالضم ويقال عبدان ايضا بكسر العين مثل جحشان وعبدان بتشديد
الدال والنون في اخره وعبد بالتشديد ايضا مع حذف النون ومنه المد
والقصر ومعبوداء بالمد قال الجوهري وحكى الاخفش عبد اي بضم العين والباء
مثل سقف وسقف هذا كله ملخص من كلام الجوهري وغيره وتكلم الراغب
على هذه المادة فاحسن فقال العبودية اظهار التذلل والعبادة ابلغ منها لانها
غاية التذلل ولا يستحقها الا من له غاية الافضال والعبادة ضربان ضرب بالتسخير
وهو كما ذكرناه في السجود وعبادة بالاختيار وهو لذوي النطق وهو المامور به
في قوله اعبدوا ربكم والعبد يقال على اضرب الاول عبد بحكم الشرع وهو الانسان

الذي

الذي يصح بيعه وابتياعه نحو العبد مملوكا والعبد والثاني عبد بالايجاد وذلك ليس الا لله
واياه قصد بقوله ان كل من في السموات والارض الا اتي الرحمن عبدا والثالث
عبد بالعبادة وهو المقصود بقوله واذكر عبدنا ايوب فوجدا عبدا من عبادنا
وعبد الدنيا واعراضها وهو المعتكف على خدمتها ومراعاتها واياه قصد النبي صلى الله
عليه وسلم بقوله تعس عبد الدينار وعلى هذا النوع يصح ان يقال ليس كل انسان
عبد الله فان العبد على هذا المعنى العابد لكن العبد ابلغ من العابد والناس كلهم
عباد الله بل الاشياء كلها كذلك لبعضها بالتسخير وبعضها بالتسخير والاختيار وجمع
العبد الذي هو مسترق عبيد وقيل عبدى وجمع العبد الذي هو العابد عباد
فالعبد اذا اضيف الى الله تعالى اعم من العباد ولهذا قال وما انا بظلام للعبيد
فنبه انه لا يظلم من يختص بعبادته ومن انتسب الى غيره من الذين تسموا
بعبد الشمس وعبد اللات ونحو ذلك ويقال طريق معبد اي مذلل بالوطء
وبعير معبد مذلل بالقطران وعبدت فلانا اذا ذللته والعبد اذا ذللته انتهى ن
كلامه كله في هذه المادة وهو كلام حسن الا ان في بعضه مناقشة من
جهة الاطلاق وغيره ن ثم مع ذلك صحته ان يقال ليس كل انسان عبد الله بمعنى
انه عابد فان في طريق اطلاق مثل هذا نظر بعد قولنا ليس كل انسان عابد الله
صحيح واما واو العطف ففيها ثلاث مذاهب احدها انها للمعية والثاني
للترتيب والثالث انها لا تفيد شيئا من ذلك بل يدل على مطلق الجمع فاذا
عطف بها شيء على شيء دلت على جمع الشيئين في ذلك المعنى الذي عطف فيه
ثم يصير ذلك الجمع محتملا لارادة المعية او تقدم المعطوف على المعطوف عليه او تاخره
وبعد الترتيب كما اذا قلت جاء زيد وعمرو فانه يحتمل مجيئهما معا ومجيء عمرو قبل زيد
وعكسه وقد ورد ذلك كله في القران فمن المعية نحو قوله تعالى فانجيناه واصحاب
السفينة ومن تقدم المعطوف قوله تعالى كذلك يوحي اليك والى الذين من قبلك
ومن الترتيب نحو قوله تعالى ولقد ارسلنا نوحا وابراهيم قال ابن مالك رحمه
الله في التسهيل احتمال تاخر المعطوف كثير وتقدمه قليل والمعية احتمال راجح
واعترض عليه بعض اشياخنا في رجحان احتمال المعية بقول سيبويه وذلك مررت
برجل وحمار كانك قلت مررت بهما وليس في هذا دليل على انه بدا بشيء قبل
شيء ولا بشيء مع شيء وفي هذا الاعتراض نظر فانه لا يلزم من عدم الدليل عدم

رجحان الاحتمال ولهذا لما ذكر ابن هشام رحمه الله قول ابن مالك هذا أشكل عليه
ولم يعترض إذ التقدير ذلك فهذا الحكم ثابت لواو العطف مطلقا واستثنى بعضهم
منها أشياء منها أن تكون بمعنى أو وأما في معنى التقسيم أو التخيير أو الإباحة
ومنها أن تكون بمعنى باء الجر ومنها أن تكون بمعنى لام التعليل قال ابن هشام
رحمه الله والصواب أنها غير خارجة عن إفادة مطلق الجمع أو المعية وبيّن ذلك
فمن أحب الوقوف عليه فليراجعه من كلامه إن شاء الله تعالى وجوّز جماعة منهم ابن عصفور
وابن مالك حذف واو العطف إذا دل عليها دليل وذكروا أن من ذلك قوله تعالى
وجوه يومئذ خاشعة عاملة الآية ثم قال تعالى بعد ذلك وجوه يومئذ ناعمة
أي ووجوه ومنع حذفها آخرون وإذا عرف ذلك فالواو في قوله وإياك نستعين
محتملة لأن يكون العبادة والاستعانة واقعين معا وأن تكون الاستعانة قبل
العبادة وبالعكس ولكل من هذه الاحتمالات هنا وجه ظاهر والله تعالى أعلم
وأما الاستعانة فهي طلب العون وهو المظاهرة على الشيء والعون فيه و
والعون مصدر كالإعانة وقد يكون أعني العون اسم فاعل فيقال فلان عون
لفلان أي معين له إذا تقرر ذلك فلنرجع إلى تفسير الآية وتقرير كمال
تركيبها وما يتعلق بلطائفها فقوله سبحانه إياك نعبد وإياك نستعين بعد
قوله الحمد لله رب العالمين الآيات يسمى التفاتا لما فيه من الانتقال من الخبر عن
الغائب إلى خطاب الحضور وإذا قدرنا على القول بإضمار قولوا الحمد لله وهو
ضعيف فلا التفات حينئذ ومن فوائد الالتفات تنويع الخطاب بلاغة
ولما يناسب السياق في كل موضع ومن تأمل هذا الموضع ظهرت له مناسبته
ومن وجوه المناسبة على تقدير أن يكون ما تقدم من السورة إخبار الله سبحانه عن كلام
نفسه لا عن المكلفين أنه سبحانه عقب ذلك بكلام العلماء العاملين وهم العباد
المستعينون وفي ذلك إثبات لكلامهم عقب كلامه كما أثبت شهادتهم بعد شهادته
في قوله تعالى شهد الله أنه لا إله إلا هو الآية وقوله سبحانه إياك مفعول مقدم
وتقديم المفعول على عامله يقتضي التخصيص على قاعدة الناس كما تقدم في البسملة
ورد أبو حيان ذلك على قاعدة النحاة والحال يقرر الرد على ما تقدم له عند
البسملة وزاد هنا استشهادا آخر فقال وسب أعرابي آخر فأعرض عنه فقال
إياك أعني فقال له وعنك أعرض فقدم الاسم يعني وهو المفعول وإذا

تأملت

تأملت استشهاده رحمه الله رأيته عليه لا له فإن الساب تعجب من إعراض
المسبوب عنه وجوز في إعراضه أن يكون حاملا للسب على أنه خطاب لغيره
فأراد إعلامه بأنه المختص بسبه فقال إياك أعني أي لا غيرك فأجابه الآخر بقوله
وعنك أعرض أي أنا عرفت أنك الذي تسبني لا غيرك فقابلتك بالإعراض عنك
ولم أعرض عن غيرك والظاهر أن الذي أوقع الشيخ أثير الدين أبا حيان رحمه
الله في هذا التغليط هو الموقع للقرطبي رحمه الله فإنه استشهد بذلك على
عدم الاختصاص وعلى الاهتمام في المذكر بالاسم وإنما نبهت على هذا تحريضا
على تأمل المنقولات فقوله سبحانه إياك نعبد على هذا معناه لا نعبد إلا أنت
وهذا كقوله صلى الله عليه وسلم ولا نعبد إلا إياه وهو المأمور به أيضا في قوله
سبحانه وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه أي أمر ولما كانت مادة عبد شاملة
لأنواع الخضوع والتذلل وأسبابها ولشمولها من العبودية والعبودة والعبادة
أمرنا أن نقول إياك نعبد أي كل يكون عبيدا عبادا إلا لغيرك أو أنت
الذي يستحق انفراده في ربوبيتك المقتضية لاستعباد العبيد فيكون إياك
نعبد محتملا لأن يكون إقرارا بالتعبد وأن يكون إخبارا بوصفهم وقريب
من هذا ما يبدو من الاحتمالين في قوله النبي صلى الله عليه وسلم في سيد
الاستغفار اللهم أنت ربي لا إله إلا أنت خلقتني وأنا عبدك وأنا على عهدك
ووعدك ما استطعت فإنه في حق الكامل من المكلفين إخبار عن حالته
وفي حق المقصرين ليبذل الجهد وهو ظاهر أو إخبار بالعجز الحقيقي الكسبي فإن
فإن حقيقة الأمر أن العبد لا قدرة له إلا على ما يقدر له وهو ظاهر أيضا والله
تعالى أعلم فإذا قرأ العبد إياك نعبد فليطالب نفسه بتحقيق إقراره في ذلك
أو بتصديق إخباره بما يستحقه الرب المالك سبحانه ولا يتم له التحقيق والتصديق
إلا بتوفيه مقام إفراد العبدية لله سبحانه بالتحرر من كل رق يضاف إلى
سواه سبحانه فلا يكون الإنسان عبد بطنه ولا فرجه ولا درهمه ولا ديناره
ولا رياسته ولا غير ذلك مما يطول تعداده من الدنيا وأسبابها وإضافاتها
وحظوظ النفوس ولذاتها وليخلص العبادة لله سبحانه فيفعل امتثالا لأمره
وتعظيما وإجلالا له سبحانه حتى إن حذاق المحققين رفعوا هممهم في العبادات
عن طلب الجزاء والأمور الأخروية خوفا من أن يشوب تشوفهم لذلك بواعثهم

على العبادة فتفلح في الاخلاص وفهموا ان الجنة باعثة للنفوس على القربات
وان النار زاجرة لها عن السيئات وانهما اعني الجنة والنار لو لم يخلقا لكان
الانزجار عن نواهي الله سبحانه متحتما والوفا بطاعته متعينا ولاجل هذا
المعنى روي ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال نعم العبد صهيب لو لم
يخف الله لم يعصه اي لو لم يطالع سببا مخوفا له حاملا له على ترك المعصية
لما عصى ايضا لانه معظم لله محب له سبحانه وايضا ولو امتلا بالرجا حتى غرّ
من خلوه من الخوف لما اوقعه فرط الرجا في معصية لصحة رجائه فان الرجاء
الصحيح هو ما نشا عن الاجلال والاعظام ولهذا يلازمه الطاعة وما سوى
ذلك فهو غرور وفي بعض الكتب المنزلة كما قيل يا ابن ادم هب اني لم اخلق
جنة ولا نارا اما كنت اهلا لان اعبد ومن كمالات من يقرا اياك نعبد
ان يتصور الشي المسند والمسند اليه والاسناد الرابط بينهما ويعرف المسند
الحقيقي وهو الله سبحانه وذلك موقوف على معرفة الجميع فيعرف نفسه
ويعرف العبادة التي يسندها لنفسه بانواعها واقسامها ويعرف حقيقة
الاسناد وانه مجازي منحه الله سبحانه لعبده من دايرة فضله ويعرف ربه
الواحد المستحق لافراده بالعبادات فهذه المعارف الاربعة اركان كمال
قراة اياك نعبد فان قلت ما معنى معرفة الله سبحانه ومعرفة النفس
قلت معرفة ما انتهى اليه تعريف الشرع الشريف من صفات كمال الله سبحانه
ومعرفة صفات النفس في تقالبها وتداعيها وتلوناتها وما في ذلك من دسايس
الخدع واماني البدع التي يستمدها من الالتفات الابليسية والنزغات
الشيطانية نعوذ بالله من ذلك فهذا تمام المعرفة ودرجاتها متفاوتة وعلى حسب
اتساع المدارك في تصور العبادات والاحتفال بادابها لله سبحانه يتسع
مجال التدبر في قوله اياك نعبد وقد ينتهي به التدبر الى استجلا كمال
المعبود فتتلاشى عباداته في نظره وقد يستقر له التدبر عن جلال الجمال
وجمال الجلال فيدهشه ذلك عن روية العبادة ويصطلم روية المعبود
سبحانه وهنا مسارح فهوم ومطارح علوم يسعد بها الموفقون وبعض قلادة
العبادة امر الله سبحانه بها عموم المكلفين كما في نحو قوله تعالى يا ايها الناس
اعبدوا ربكم وخواص خلقه حتى قال لاخصهم نبيه محمد صلى الله عليه وسلم

واعبد ربك

واعبد ربك حتى ياتيك اليقين ونبه سبحانه على انها المرادة بخلق الخلق كما
في قوله تعالى وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون وحصر سبحانه العبادة
المذكورة فيما كان له بقوله يعبدون اي لا يعبدون غيري وهذا ملاك
امر الاخلاص ويستلزم الطاعة الفرعية ولهذا بسطه في الاية الاخرى
فقال سبحانه وما امروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفا ويقيموا الصلاة
ويوتوا الزكاة وذلك دين القيمة وقوله سبحانه اياك نعبد اطلق فيه العبادة
ليعم انواع العبادات وقد فسرت العبادة في قوله تعالى واعبدوا الله ولا تشركوا
به شيا وقوله تعالى في سورة نوح عليه الصلاة والسلام ان اعبدوا الله واتقوه
واطيعون وتطابق ذلك بانها التوحيد وهو ظاهر ولا سيما مع ضميمة قوله
ولا تشركوا به شيا وقوله واتقوه ويحتمل ان يكون اعم من ذلك واكثر ما
يستعمل العبادة في فروع التوحيد من صالح الاعمال ايراد العبادة بارادة
الطاعة ومن ورودها بمعنى الطاعة قوله تعالى الم اعهد اليكم يا بني ادم ان لا
تعبدوا الشيطان وقال تعالى ان الذين يستكبرون عن عبادتي اي عن طاعتي
والعبادة هنا شاملة والغالب استعمال العبادة فيما هو اعم من التوحيد وفروعه
ثم لا يسمى الانسان عابدا الا اذا انقطع للعبادة وغلبت عليه واعتادت نفسه
وبدنه البهاس بغير تكلف بل ربما تكون ملذوذة له حتى ان فحول العباد
يتيقظون لذلك ويخشون ان يشوب اخلاصهم لذاتهم بها واما من الزم نفسه
العبادة بالمجاهدة مع المشقة في ذلك والتكلف له فهو المتعبد ومن تامل
انواع العبادات وجد حقائقها كلها الخضوع لله سبحانه اما لعظمته في امره
او لعظمته في ملكه او لعظمته في بعض تفاصيل ذلك حتى ان الزكاة مثلا وان
كان سرها المواساة للفقرا الا ان من حقيقة هذه المواساة حفظ حرمة
الله سبحانه في خلقه وقس على هذا ثم ان العبادة لا تتميز عن العادة الا بالنيات
فلهذا كانت النية ركنا او شرطا في العبادات وقد تقدم على ان العبادة خضوع
بالقلب والقالب والمال وان المقصود بذلك هو الله سبحانه في كل من معاملتي
الحق والخلق فاذا بسطت ما يتعلق بقوله تعالى اياك نعبد واعتبرت الايات
المتعلقات بذلك تلوت كل اية تعلقت بمعاملة الحق سبحانه وتوحيده واثبات
صفاته واسمايه وكمال افعاله وحسن صنعه وما اشبه ذلك او كل اية تعلقت

لمعاملة الخلق وما كان من ذلك موسوما بانه عبادة حتى يدخل في ذلك الايات
المحرضة على قتال الاعدا ومجاهدة الشيطان والنفس والهوا فان ذلك كله
من العبادات بل من اجلها واذ ذاك تظهر لك اشتمال قوله اياك نعبد على
مقاصد القران كلها التي مرجعها تعظيم الوسايط ومحاربة الاعدا وقوله سبحانه
واياك نستعين اتعاظ لان عبادتنا لا تنفع الا باعانته سبحانه وهذا جمع بعد الفرق
وكشف للحقيقة بعد تقرير معالم الشريعة واليه يشير قوله صلى الله عليه وسلم يوم
حفر الخندق والله لولا الله ما اهتدينا ولا تصدقنا ولا صلينا الخ وتسليم
هذا الامر كل ما يتعلق بالتبري من الحول والقوة وشهود السوابق القضايية
واللواحق القدرية وتفردانية الحق سبحانه في التاثير وما يتعلق بذلك وليفهم هنا
من قوله صلى الله عليه وسلم فيما حكاه عن الله تعالى انه اذا قال العبد اياك نعبد
واياك نستعين قال هذا بيني وبين عبدي ولعبدي ما سال فانه سبحانه اسند الى العبد
قدر اجادته من عليه بها واقامه بها في مقام الاستطاعة الشرعية فيها يسند
عباداته اليه فكانه اذا عبد اهدى عباداته الى الحضرات العلية ثم كشف
سبحانه عن ان تلك الاستطاعة انما هي باعانته وكان العبادة بين العبد وبين الله
سبحانه باعتبار الاسناد المجازي والامر الحقيقي ولله سبحانه وهذا الاسناد
المجازي للعبد يترتب له عليه الجزا كما في قوله تعالى ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون
ولما خشي صلى الله عليه وسلم على النفوس التشبث باعمالها قال لا يدخل احد الجنة بعمله
اشارة الى معنى قوله تعالى واياك نستعين والتعمد بالرحمة في حق الاتباع
قد يكون بالعفو عن التفريط وقد يكون بالتوفيق للعمل الصالح ومن لطايف
الاية ما جمعه ابو حيان فقال قرنت الاستعانة بالعبادة للجمع بين ما
يتقرب به العبد الى الله وبين ما يطلبه من جهته وقدمت العبادة على الاستعانة
لتقديم الوسيلة قبل طلب الحاجة لتحصل الاجابة واطلق العبادة والاستعانة
لتتناول كل معبود وكل مستعان عليه وكرر اياك ليكون كل من العبادة
والاستعانة جملة مقصودة وللتنصيص على طلب العون منه بخلاف لو كان
اياك نعبد ونستعين فانه كان يحتمل ان يكون اخبارا بطلب العون اي
ونطلب العون من غير ان يعين ممن نطلب قال ونقل عن المتقين للصلاح
تعبدات مختلفة للعبادة والاستعانة تقول بعضهم اياك نعبد بالعلم واياك

نستعين

نستعين عليه بالمعرفة وليس في اللفظ ما يدل على ذلك قال وفي قوله نعبد
ما الوارد على الجبرية وفي نستعين رد على القدرية انتهى كلامه وكله
حسن الا انه لو ابدل قوله وبين ما يطلبه من جهته بقوله من غيره لكان
احسن وقوله وقدمت العبادة على الاستعانة اي في الذكر لا في الوقوع
فان الواو لا تقتضي الترتيب كما تقدم وقوله لتقديم الوسيلة قبل طلب الحاجة
يشمل الوسايل المتعبد بها كالصدقات والاستغفار والاعتراف بالخطيئة توبة
منها وغير ذلك واما ما عرض به من كلام الصوفية فليس مرادهم التعبد
بل التمثيل وعلى تقدير ارادة التعبد فهو كلام صحيح فان العبادة لا تنفع الا بالعلم
والمعرفة والمحقق للاستعانة انما هو المعرفة بقدرة الله تعالى وعجز ما سواه
واما قوله نعبد فالوارد على الجبرية ففي قوله فالواشعار بضعف هذه المقالة
وليس كذلك **قوله تعالى** اهدنا الصراط المستقيم اصل الهداية في اللغة
البيان وبيان كل شي بحسبه والى هذا يرجع كل معنى فسرت به الهداية
كالارشاد والدلالة والدعا الى الله سبحانه والالهام والتعلم ومن التقدم قولهم
اقبلت هوادي الخيل بكسر الدال وهي جمع هادية لما تقدم من الخيل لانها اول ما
بان منها او لانها مبينة لان بعدها خيل اخرى وهادية الشاة عنقها وهادية
كل شي اوله لانه اول ما يبدو منه ويبين وقوله تعالى ان الله لا يهدي
كيد الخائنين اي لا يمضيه والامضا والانفاذ اشعار بان من وجه وقيل لا ينفذه
وقيل لا يصلحه ثم البيان قد يعبر به التوفيق للعمل بما اتضح وهذه هي الهداية
الكاملة التي انفرد الله سبحانه بها كما في نحو قوله تعالى انك لا تهدي من احببت
ولكن الله يهدي من يشاء وقوله ومن يضلل الله فما له من هاد وذلك في
الحقيقة راجع الى كمال البيان حتى يبلغ البيان منتهاه من القلوب والعقول
اثمر الاستجابة والانبعاث في السبيل المبين ولهذا لما لم يصل البيان الى قلوب
الكفار وعقولهم بسبب الختم عليها والزيغ كفروا وتارة يعبر البيان
على اقامة الدلايل وترتيب الحجج وايضاح السبيل وما اشبه ذلك من عدم كشف
الغيب والدين والقلوب واتقانها على حقيقة المطلوب فهذه هي الهداية
التي فوضت لاكابر الخلق واملك الخلق لها سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال الله تعالى وانك لتهدي الى صراط مستقيم اي تدعو وتبين ونحن نوفق ان

شيئا ان علينا للهدى ثم انه سبحانه اطلق الهدى تارة على البيان وتارة على
المبين وتارة على ما يحصل به البيان فاطلق سبحانه الهدى على الرسول
كما قيل في قوله تعالى فاما ياتينكم مني هدى وعلى القران والتوراة والتوحيد
والحق ودين الاسلام والفرقان وامر النبي صلى الله عليه وسلم والسنة والاصلاح
والاستبصار والدليل والتعليم والتقدم مثل والثواب والتذكير وغير ذلك
وكل ذلك لا يخفى وجه التجوز فيه وقد عد جماعة من المفسرين المعاني التي استعمل
فيها اسم الهدى والتزم جمعا في ذلك ابو الفرج ابن الجوزي رحمه الله فبلغ
تعدادها اربعا وعشرين ووقع له في ذلك تكرار وتداخل وكثير من المعاني مداخل
وكلها يرجع الى ما قدمته وفسر الراغب الهدى بالدلالة بلطف ثم اورد على
نفسه فقال ان قيل كيف جعلت الهداية دلالة بلطف وقد قال تعالى فاهدوهم
الى صراط الجحيم قيل ذلك استعمل فيهم استعمال اللفظ على التهكم مبالغة في المعنى
نحو فبشرهم بعذاب اليم ثم قال وهداية الله تعالى للانسان على اربعة اوجه
الهداية التي عم بها كل مكلف من العقل والفطنة والمعارف الضرورية التي
عم بها كل شيء بقدر منه حسب احتماله كما قال ربنا الذي اعطى كل شيء خلقه ثم
هدى الثاني الهداية التي جعل للناس بدعائه اياهم على السنة الانبيا وانزال
القران ونحو ذلك وهو المقصود بقوله وجعلناهم ايمة يهدون بامرنا
الثالث التوفيق الذي يختص به من اهتدى وهو المعني بقوله والذين اهتدوا
زادهم هدى وقوله ومن يومن بالله يهد قلبه الرابع الهداية في الاخرة الى
الجنة المعني بقوله الحمد لله الذي هدانا لهذا وهذه الهدايات الاربع مرتبة
فان لم يحصل له الاولى لا يحصل له الثانية بل لا يصح تكليفه ومن لا يحصل له الثانية
لا يحصل له الثالثة والرابعة والانسان لا يقدر ان يهدي احدا الا بالدعاء وتعريف
الطرق دون سائر انواع الهدايات هذا كلامه رحمه الله بحروفه ثم اخذ
بعد ذلك في بسط ما قدمه وتقريره وتعرض في اثنا كلامه الى الفرق بين
الهداية والهدى من حيث الاستعمال لا من حيث موضوع اللغة وفي بعض
كلامه رحمه الله مسامحة واذا تاملته وتاملت كلام الجادة في تفسير معاني
الهداية ظهر لك انعطاف جميع المعاني على اصل البيان والبدو والهدى يتعدى
الى معموله الثاني تارة بنفسه كما في قوله تعالى اهدنا الصراط المستقيم وتارة

باللام

باللام كما في قوله تعالى ان هذا القران يهدي للتي هي اقوم وتارة بالى
كما في قوله تعالى وانك لتهدي الى صراط مستقيم وقد جا التعدي بالى وباللام
في قوله تعالى قل هل من شركائكم من يهدي الى الحق قل الله يهدي للحق
وجعل ابو حيان رحمه الله الاصل ان يتعدى اما باللام واما بالى وان تعديه
بنفسه توسع وكلامه رحمه الله محمول على ما اذا اقتصرنا في تفسير الهداية
على دللت او ارشدت او قدت ونحو ذلك واما اذا فسرناها بمعنى بين او
الهمت كما قدم ذكره فلا توسع ن واعلم ان السبب في تعدي الهداية تارة
بنفسها وتارة بالى او باللام اختلاف المعنى الذي يستعمل له الهداية نعم اللام والى
متقاربان في الاستعمال ونا في الاصل ضمير متكلم معظم لنفسه او ضمير
متكلمين او ضمير متكلمين او متكلم واحد ضام لغيره معه ويكون في موضع رفع
ونصب وجر والصراط هو الطريق بالصاد والسين والزاي الخالصة واشمام
الصاد زايا وكلها لغات وقري بها وافصحها الصاد وعليها خط المصحف واضعفها
الزاي الخالصة وربما غلط الاصمعي في نقلها والاصل فيه السين ن ومادته
من سرط اي ابتلع من ابتلع لان السالك يبتلع الطريق اذا عرفه وقدر على قطع
مسافته او لان الطريق يبتلع السالك اذا جهله وعجز عن سلوكه وتعال مثل ارضا
عالمها وقلت ارض جاهلها قال الراغب وعلى التطرين قال ابو تمام ش
رعته الفيافي بعد ما كان حقبة • رعاها وما المزن ينهل ساكبه •
والصراط يذكر ويونث وتذكيره اكثر واهل الحجاز يونثونه كالسبيل والطريق
والسوق وبنو تميم يذكرون الجميع ويجمع في الكثرة على صرط نحو كتاب وكتب
ويجمع في القلة في قياس ابي حيان على اسرطة ان جعلناه مذكرا كحمار واحمرة
وان انث فقياسه عنده اسرط كذراع واذرع وشمال واشمل والمستقيم
القويم الذي لا عوج فيه ولا انحراف عن صوب المقصد فاستقامته في ايصاله
الى الغرض المطلوب به وقرئ اهدنا صراطا مستقيما بالتنوين من غير تعريف
وقرئ صراط المستقيم بالاضافة وفيه حذف تقديره صراط الدين المستقيم ن
واعلم ان قوله تعالى اهدنا امر لنا بان نقول له سبحانه اهدنا وهو طلب
ودعا ورغبة بتحقيق ارادة وقوع ذلك وصيغة افعل في الاصل موضوعة
للطلب لكن تارة يقترن بالارادة وتارة لا يقترن ويعم معانيها في الطلب

الى ستة عشر معنى ذكرها الاصوليون ثم الطلب المجرد لا يقتضي الفورية ولا التكرار
ولا التحتم على ما في ذلك من خلاف بينهم واذا كان لا يقتضي ذلك مع انه قد يكون
امرا من الاعلى للادنى فكيف اذا كان دعاء وضراعة ولهذا كان من حق
الداعي وادبه ان لا يستعجل في الدعاء باستنجاز الاجابة حتى اذا تاخر عنه ما
ساله استحسر وترك الدعاء وشاهد ذلك موجود في الحديث الصحيح وكذلك لا
يدري استحقاقه للاجابة بل يرجو ها من فضل الله سبحانه وقد اختلف المفسرون
في تفسير اهدنا الصراط المستقيم فقيل اهدنا اي ارشدنا وقيل دلنا وقيل ثبتنا
ومن اختار التثبيت هنا علله بان المومنين سلكوا الصراط وارشدوا اليه ولكنهم
انما يسالون الثبات عليه وقد يقع الامر بالشي بمعنى مداومته لقوله تعالى
يا ايها النبي اتق الله فاستقم كما امرت اي دم وهذا التعليل وان كان حسنا
من وجه الا انه مخدوش من وجه اخر وهو ان الصراط المستقيم لا يتناهى
في حق كل مكلف الا بانقضا تكليفه والمومنون وان ارشدوا الى الصراط فهم
محتاجون للهداية الى سلوك باقيه وهذا باب الله سبحانه لا يتناهى وما
من مهتد الا وهو محتاج الى الهداية وقد قال سبحانه والذين اهتدوا زادهم
هدى اذا تقرر هذا فيظهر لي ان تفسير الهداية هنا بالتثبيت اذا سلمنا
له مراده لو ابدل التثبيت بالالتزام لكان اظهر في توفيه المعنى مع تركيب الاية
فان اللزوم يتعدى بنفسه والتثبيت يتعدى بعلى وقيل بصرنا الصراط المستقيم
وقد قرئ بها في الشاذ وقيل الهمنا وقيل بين لنا واختلفوا في تفسير الصراط
المستقيم فقيل هو السبيل المعتدل وليس هذا تفسير المراد من هذا الصراط
المستقيم وانما هو تفسير للصراط المستقيم من حيث هو والمراد هنا انما هو
بيان هذا الصراط بخصوصه وقيل هو القران ورد الامام فخر الدين هذا
بان المراد صراط المنعم عليهم كما فسره الله تعالى والمنعم عليهم يدخل فيه الانبيا
عليهم الصلاة والسلام وانبيا الامم الماضية ولم يكن عندهم القران وهذا
الرد فيه نظر سياتي بسطه في قوله تعالى صراط الذين انعمت عليهم وقد
ورد في الحديث المرفوع تفسير الصراط المستقيم بالقران وروي ايضا موقوفا
على علي وابن عباس وابن مسعود وقيل هو الايمان وتوابعه وقيل
الاسلام وشرايعه هكذا حكاهما ابو حيان رحمه الله وغيره منقا برنهج

ويحتمل

ويحتمل اتحادهما واختلافهما وقيل هو طريق رسول الله صلى الله عليه وسلم والمراد
بهذا القول ما لم يكن خاصا به صلى الله عليه وسلم وهذا حق لا شك فيه وهو
معنى قول من قال الايمان وشرايعه ومن زعم ان الصراط المستقيم في حقنا
غير ما جانا به رسول الله صلى الله عليه وسلم فقد اعظم الفرية وكفر وقيل هو شرع
رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بمعنى ما تقدم وقيل هو طريق رسول الله صلى
الله عليه وسلم وابي بكر وعمر رضي الله عنهما قاله ابو العالية والحسن هكذا نقله
بعض المفسرين لكن قد اخرج الحاكم في مستدركه في تفسير الفاتحة عن ابي العالية
عن ابن عباس في قوله تعالى الصراط المستقيم قال هو رسول الله صلى الله عليه وسلم
وصاحباه قال فذكرنا ذلك للحسن فقال صدق والله ونصح هو والله رسول الله
صلى الله عليه وسلم وابو بكر وعمر وهذا القول ايضا بمعنى ما تقدم وانما وقع التنصيص
على ابي بكر وعمر دون غيرهما من باقي الصحابة رضي الله عنهم اجمعين لانهما افضل
الصحابة واكرمهم والزمهم للنبي صلى الله عليه وسلم ولهذا لم يتقدم عليهما احد في الخلافة
مع وجودهما وروى البخاري رحمه الله في صحيحه عن محمد بن علي بن ابي طالب
انه قال لابيه اي الناس خير بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ابو بكر قلت
ثم من قال عمر وروى البخاري ايضا عن ابن عباس قال اني لواقف في
قوم يدعون الله تعالى لعمر وقد وضع على سريره فتكنفه الناس يدعون ويصلون
قبل ان يرفع فلم يرعني الا رجل اخذ بمنكبي فاذا علي فترحم على عمر وقال ما
خلفت احدا احب الي ان القى الله بمثل عمله منك وايم الله ان كنت لاظن ان
يجعلك الله مع صاحبيك اني كنت كثيرا اسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول
ذهبت انا وابو بكر وعمر ودخلت انا وابو بكر وعمر وخرجت انا وابو بكر وعمر
وفي وقوع ذلك من علي رضي الله عنه الذي هو صهر رسول الله صلى الله عليه وسلم وابن
عمه وباب العلم باشارة قوله صلى الله عليه وسلم انا مدينة العلم وعلي بابها الى غير
ذلك من فضايله المعروفة المشهورة ادل دليل على كمال فضل ابي بكر وعمر
رضي الله عنهما وانما نبهت على ان عليا باب العلم اشارة الى انه تكلم في فضل
ابي بكر وعمر وفيما يتعلق بغيرهما من الاحكام والحكم الدقيقة بالعلم الغزير
ومن تتبع دقايقه وحقايقه وجواهره التي استخرجها من بحار العلوم
علم ان بحار علومه الزاخرة ممدودة بامداد فضل الله تعالى وظهر له وجوب

التمسك بما قدره ومن جملة ما قدره تعظيم الشيخين ابي بكر وعمر رضي الله عنهما
ممن زعم محبة علي وتعظيمه فليحب من احبه وليعظم من عظمه رضي الله عنهم
اجمعين ﴿ وقيل الصراط المستقيم طريق السنة والجماعة قاله سهل بن عبد
الله التستري وهو موافق لما قبله وقيل هو طريق الجنة وهذا القول يحتمل
ان يراد به الاعمال الموصلة الى الجنة في عادة فضل الله تعالى ويحتمل ان يراد
الصراط الذي يوصل منه يوم القيمة الى الجنة وهو المنصوب على متن النار ﴿
وكلا الاحتمالين ظاهر مصرح بالقول به اما الاول فهو معنى ما تقدم نقله
واما الثاني فعبر عنه بعضهم بقوله جسر جهنم وعلى هذا فالمسول هداية هذا
الجسر لانه الوسيلة الى الجنة او لان الاستقامة عليه لا يكون الا للمتقين او المعفو
عنهم وقيل الصراط المستقيم طريق الحج وهذا يحتمل ان يكون قايله وهو
الفضيل رحمه الله نص عليه لانه من اعظم اركان الصراط المستقيم او لانه جامع
لساير متعلقات الصراط المستقيم فانه لا يصح الا بالاسلام ويتضمن الصلاة ﴿
وغالب الاحكام وان خرج عنه البعض في حكمته وكمال كيفية ما يظهر منه
للمتامل بتحقيق قول القايل ان الحج مشتمل على العبادات القلبية والبدنية
والمالية وقيل الصراط المستقيم طريق الخوف والرجاء وقيل غير ذلك ﴿
ومجموع الحق من الاقوال ان الصراط المستقيم دين الله الذي جاء به النبي
صلى الله عليه وسلم بواسطة كتاب الله والوحي وقرره بسنته المطهرة على
مقتضى ما فهمه عنه اكابر اصحابه كابي بكر وعمر وعثمان وعلي وابن عباس
وابن مسعود ونحوهم من فقهاء الصحابة وعلمائهم رضي الله عنهم اجمعين ﴿
وهذا هو الصراط المذكور في قوله تعالى وان هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا
السبل فتفرق بكم عن سبيله فاول هذا الصراط التزام الدين الذي شرعه النبي
صلى الله عليه وسلم والعمل بمقتضاه ومنتهاه رضى الله والجنة ونوضحه قول
ابن مسعود رضي الله عنه الصراط المستقيم تركنا رسول الله صلى الله عليه وسلم
على طرفه والطرف الاخر في الجنة انتهى ويشتمل هذا الصراط على العلوم الشرعية
بما يتصل بها من المعارف العقلية واللطايف الحكمية وعلى الاعمال البدنية
والاحوال السنية والاخلاق السنية وما يتعلق بذلك كله جملة وتفصيلا ﴿
وعلى حسب استقامة المكلف على هذا الصراط في دار التكليف تكون استقامته

على الصراط

على الصراط في دار الجزاء ولا يخفى ما تحت ذلك من التنظير بالظالمين والمقتصدين
والسابقين وقد تكلم اهل الاشارات على الصراط المستقيم بحسب اذواقهم ومواجيدهم
وكل تكلم على ما طمح اليه فكره وغلب على حالته او ناسب السايل له في ذلك
الوقت واكثرهم تكلم على شرح ما تقدم نقله عن المفسرين من تفسير الصراط بالدين
وشرايع الاسلام ونحو ذلك ومنهم من تكلم على بعض افراد ما يشتمل عليه الصراط المستقيم
ملتبسا عليه لكن لا يهمل لا قصر الصراط على ذلك ومنهم من فهم عند ذكر الصراط المستقيم
حالة من حالات العبد مع الله سبحانه فتكلم عليها تطبيقا للمعنى لا تفسيرا للكلام ولما
كان كلامهم على قدر فهومهم اختلفت مراتبه كما تقدمت الاشارة اليه في ﴿
مقدمة هذه التعليقة وها انا اذكر بعض اقوالهم في الصراط المستقيم تمثيلا بها ﴿
لبعض ما تقدم الان من تعدد اسباب اقوالهم فقيل اهدنا الصراط المستقيم معناه
امل قلوبنا اليك واقم هممنا بين يديك وكن دليلنا منك اليك حتى لا ينقطع عن ما لك
بك وقيل معناه ارشدنا الى طريق المعرفة حتى يستقيم معك بحد منك قال
السلمي وهذا للمريدين وقيل اهدنا هدايتك لي يستقيم معك على توحيدك قال
السلمي ايضا وهذا للمؤمنين وقيل ارنا طريق انسك لنفرح ونطرب بقربك ﴿
قال وهذا للعارفين وقيل اهدنا بك اليك ليسقط بهدايتك عن وسايط المقامات
والمجاهدات وقيل اهدنا بعنا واوصافنا فينا الطريق الى اوصافك التي لم
تزل ولا تزال وقيل اهدنا بكشف الغفلة عنا طريق الوصول الى رضاك وقيل
اهدنا هدى العيان بعد البيان لنستقيم لك على حسب ارادتك فينا وقيل
اهدنا هدى من انت المتولي هدايته طريق حقيقة معرفتك ان نستقيم لك
وبعنا واوصافنا بلك وقيل اهدنا هدى من يكون منك مبداه حتى يكون اليك
منتهاه ﴿ وقيل اهدنا اي اكشف عنا ظلمات احوالنا لنظر في حقي غيبك في
نظرة الاستقامة وقيل اهدنا الصراط المستقيم بالغيبوبة عن الصراط حتى لا
نكون مربوطين بالصراط وقيل اهدنا بك ولا تشغلنا بمواد الصراط والاستقامة
عنك وهذان القولان معناهما سوال شهود ما من الله سبحانه اليهم لكي لا يشتغلوا
برؤية ما منهم من ظاهر العبادات وباطن المقامات والحالات وقيل ارشدنا
لاستعمال السنن في دار فرايضك وقيل اهدنا الصراط المستقيم ليستتر بهدايتك
عن الشيطان فانه قال لاقعدن لهم صراطك المستقيم وقيل الصراط المستقيم الفقر

الى الله سبحانه وقيل لابي حفص النيسابوري رحمه الله بماذا تقدم على الله فقال
ما تقدم الفقير على الغني الا بفقره وفي تابعين شيخ شيخنا ابي الحسن الشاذلي
رحمه الله عليهما في هذا المعنى ورأى ان الكمال التجرد حتى عن النسب والاضافات
فلا يرى لنفسه فقرا ولا حالا ولا وصفا بل الحق سبحانه يبدي ما يشا على من يشا فقال
رحمه الله لتلميذه سيدي ابي الحسن بماذا تلقى الله قال بفقري قال لقد لقيته اذا بالصنم
الاعظم ولكن الق الله بالله ن وهذا الشيخ المشار اليه هو الشيخ الكبير الامام العالم
العارف الواحد عبد السلام بن مشيش احل من اخذ عنه شيخنا السيد الشريف العالم
العلامه الواحد في عصره باتفاق من يعول عليه من اهل زمانه ابو الحسن الشاذلي
في طريق التصوف وعلم السلوك ثم اوصله الله سبحانه الى ما اوصله اليه من التحقق
باليقين والتخلق باخلاق سيد المرسلين صلى الله وسلم عليهم اجمعين ن فاغترف
من البحار المحمديه والاحمديه والقاسميه وتلقى ما نزلت له العنايه الصمدية
من الكلمات اللدنيه من سماوات التعريفات النبويه وانكشف له بذلك صراطه
ومفصله فسلك ووصل على بصيرة ودعى كذلك ونصب لاتباعه ميزان السنة
وقال الشرع نقاد على ولي به اخذ وبه اعطي نفعنا الله ببركاته وبركه
اشياخه وخاصة اتباعه وقيل ارشدنا لمعونتك الطريق اليك وهو من احسن
الاقوال منسوبا الى سهل ابن عبد الله التستري العارف الكبير الواحد في زمانه
رحمه الله عليه وينقل عن الشيخ ابي القاسم الجنيد رحمه الله عليه انه قال ان القوم
سالوا الهدايه التي وردت عليهم من اشهاد صفات الازليه فسالوا الهدايه الى
اوصاف العبوديه ليلا يستغرقوا في رويه صفات الازليه وقال القشيري رحمه
الله في لطايفه اهدنا الصراط المستقيم اي ازل عنا ظلمات احوالنا لنستضي
بانوار قدسك عن التفيي بظلال طلبنا وارفع عنا ظل جهدنا لنستبصر بنجوم جودك
فنجدك بك وهذا المعنى موجود فيما تقدم من كلام الصوفيه وقال ايضا اهدنا
الصراط المستقيم حتى لا نتحيبنا فريب من نزعات الشيطان ووساوسه او رفيق
من خطرات النفس وهواجسها او يصدنا عن الوصول لعريج في اوطان التقليد
او يحول بيننا وبين الاستبصار ركون الى معتاد من التلقين او نستهوينا آفة من
نشو او هوادة او ظن او عادة او كسل وضعف ارادة او طمع مال واستزادة
وقال ايضا الصراط المستقيم ما عليه من الكتاب والسنة دليل وليس للبدع عليه

عليه سلطان

عليه سلطان ولا سبيل وله ايضا كلام عقب هذا لا يبعد معناه مما تقدم تنبيه
امره سبحانه لنا بطلب الهداية منه وحده دليل على انه لا يملكها الا هو وان
كان الدعا اليه ينسب هدايه كما تقدم فاللايق بالموفق ان يساله سبحانه
الهدايه مع تحقق انفراده بها وبكل شي سواها وتعظيم الوسايط الذين جعلهم
الله سبحانه اسبابا في الهداية من الانبيا والرسل والعلما والاوليا على ما يليق بكل
منهم من التعظيم الشرعي ولا يعطل مجاز الحقيقة ولا حقيقة المجاز بل يوفي لكل
رتبه حقها ومما يبعث على سوال هدايه هذا الصراط من الله سبحانه اضافته
اليه سبحانه كما في قوله وان هذا صراطي مستقيما وقوله وانك لتهدي الى صراط
مستقيم صراط الله ومن هنا يعلم ان الرغبه في الصراط لا لذاته بل لله وهو سر
قوله تعالى وما امروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين وبهذا يظهر لك ان
مقصود الصراط وغايته انما هو الله ن ومن هنا توسع من توسع باطلاق الوصول
الى الله تعالى عن من تكمل سلوكه والمراد بتكمل السلوك انتهاوه فما في وسع السالك
من موافقه الامر والوفا بالتكاليف الدينيه ولهذا كان الوصول متفاوتا
والواصلون مختلفي المراتب فليس وصول من سلك بعوالمه الظاهره خاصه كمن
سلك بجميع عوالمه ومعالمه الظاهره والباطنه كما انه ليس من سلك بنفسه
كمن سلك بقلبه ولا من سلك بقلبه كمن سلك بروحه وقس على هذا ثم اعلم ان
احاطة الربوبيه كما في نهايه الصراط كذلك هي في اوله واثنايه فلا يخلو
جز من اجزا الصراط من احاطة الربوبيه به وبهذا اسر مدد القدسيه الربانيه
التي بها يحصل استجابه العوالم والمعالم والمدارك وانفعالياتها وما يتعلق
بذلك ومن تدبر قوله تعالى في قصة هود عليه الصلاة والسلام ما من
دابه الا هو اخذ بناصيتها ان ربي على صراط مستقيم لاح له هذا المعنى ولاسيما
على قول من قال ان في الايه مضمرا وان معناها ان ربي يحثكم ويحملكم على
صراط مستقيم وقيل ان ربي على صراط مستقيم وقيل هذا كناية عن
عدل الله تعالى وانه لا يظلم وقيل غير ذلك ن وقد تقرر عند اهل السنة
والجماعة ان سعي العباد على اختلافه انما هو بخلق الله تعالى له بقدرته
على مقتضى علمه وما احسن قول هود هنا عليه الصلاة والسلام اني توكلت
على الله ربي وربكم ما من دابه الا هو اخذ بناصيتها فان من ياخذ بالنواصي ويطوف

المنفرد بخلق الاعمال لا يتوكل في سلوكي الصراط المستقيم الا عليه كما انه لا
يتوكل في النصر على الاعدا والمعاندين الا عليه فانه الاخذ بنواصيهم في
المسالك لهم ان شا بفضله طريق الهدايه وما يكون جزا عليها وان شا بعدله
طريق الغوايه وما يكون جزا عليها واذا اعتبرت احاطة الله تعالى بجميع الصراط
المستقيم فالاليق بسالكه مراقبه المحيط والادب بين يديه ولقد تغلب هذه
المراقبه على بعض المبصرين حتى ينتهي به الى المقام المشاهده العليه فلشاهد
من هو ساير اليه في سيره فاذا هو سار به اليه هو الذي يسيركم في البر والبحر
وان انفسح مجال العبد راى افتتاح وجوده من ربه ثم ارادته له سابق ارادته
ومحبته له سابق محبته فاذا هو عبد سيره مولاه منه اليه به له فمن بدايه
كان بدوه لا من غيره والى كبريايه مسيره لا الى غيره وبه سبحانه سيره لا
بغيره ولوجهه سبحانه سعيه لا لغيره وهذا اثر تجلي الصفات الالهية في
المدلول عليها بقوله تعالى هو الاول والاخر والظاهر والباطن وهو بكل
شي عليم ومن حقق هذا الحق فهم ان الوجود الحق للحق وان نسب العبد
واضافته انما هي عوار مستنده اليه استنادا مجازيا بخبران تلك الاسنادات
المجازيه اثبتت في الشرع اثبات الحقايق ولهذا اتوجب المدح والذم والقبول
والرد والبصير الكامل من نظر بكلتا عينيه على السداد ثم نظر كل لكل مع صحة
الادراك وزوال الموانع والحجب ظفر بالمراد فانظر بصرك الله بعيني
الحقيقه والشريعه عالما ان الحقيقه باطن الشرع وان الشريعه ظاهره ولا
يصح الى حقيقه الامر مع تعطيل الظاهر فتنظل والعياذ بالله كما ان من
وقف مع ظواهر الشريعه ولم ينفذ الى ما بطن من حقايقها وخفي من معانيها
وحكمها التبست عليه الامور وتحير **تنبيه** من شاهد مطلوبه استحثه
الطلب لا جرم اجتهد القوم وايضا من شاهد مسيره فوض اليه وتوكل عليه
وايضا من شاهد مدبره احبه ومنه قوله صلى الله عليه وسلم احبوا الله
لما يغذوكم من نعمه وايضا من شاهد جماله استفرغ فؤاده في شكره وايضا
من شاهد جلاله لمعيه القرب ومقابله الحب انس به واستوحش من غيره
وايضا من شاهد احاطات اوليته سبحانه واخريته فهم سر قوله صلى الله عليه
وسلم اللهم انت الصاحب في السفر والخليفه في الاهل فما اسفل عنه السالك عبد الله

كما انه

كما انه فيما هو سالكه بما هو سالكه عبد الله وايضا من شاهد ظاهريته سبحانه
وباطنيته استملا من ايات ظهوره علوما والواعطي اجزا العوالم السنا منطق بها
لما وعي وبادته عن الباطن اسكت فمن ابى تعرف ان تصف من لا يحاط به علما
فسبحان من جعل اجزا الحوادث لظهوره مبصره وكل طرف مكفوف عن حقيقة
هويته اعمي **انعطاف** من تامل ما اشتمل عليه قوله تعالى اهدنا
الصراط المستقيم ظهر له تعلق الايه بالسالكين وسلوكهم ومسلوكهم ومقصودهم
ومواددهم الباعثه وسوابقهم السابقه بالسالكين ولواحقهم الجاذبه وصوارفهم
القاطعه وعوارضهم الصاده وهداياتهم ودعاياتهم وغير ذلك مما يعلم ان مقاصد
القرانيه الكريم راجعه اليه علم اشتمال هذه الايه على المقاصد القرانيه فكيف
بالفاتحه التي هذه ايه منها والله تعالى الملهم للصواب **قوله تعالى**
صراط الذين انعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين المفردات التي لم
تعلم تفسيرها هي الذين وهمزة انعمت . والنعمه والتا وعلى . وهم . وغير
والغضب . والضلال . فلا قدم تفسيرها ثم اردفه بتفسير المنعم عليهم والمغضوب
عليهم والضالين مع ذكر ما يتعلق بالايه من امور اخرى **فالذين** اسم موصول
موضوع لجميع العقلا ثابت اليا في حالاته الثلاث وهي الرفع والنصب
والجر تقول مثلا جا الذين علموا ورايت الذين علموا ومررت بالذين علموا وبنوا
هذيل ياتون بالواو بدلا من اليا في حالة الرفع فيقولون جا اللذون علموا
وياتون باليا في حالتي النصب والجر ومقتضى كلام ابي حيان ان الخلاف في
الافصح لا في اصل تسويغ اللغة ويجوز حذف النون منه وبعضهم يخصه
بالضروره ويجوز حذف ال منه فيقالو الذين وقد ابدلت كلمة الذين بكلمة
من في قوله تعالى صراط الذين انعمت عليهم في قراة عمر بن مسعود وابن
الزبير فقروا صراط من انعمت عليهم واما الهمزة في انعمت فقال ابو حيان رحمه
الله هي لجعل الشي صاحب ما صيغ منه الا انه ضمن معنى التفضل فعدي بعلى
واصله التعديه بنفسه انعمته اي جعلته صاحب نعمه قال وهذا احد
المعاني التي لافعل وهي اربعه وعشرون معنى ثم عدها رحمه الله تعالى
واما النعمه بكسر النون فهي المنة التي يحصل بها خفض العيش ولذة
النفس والنعمه بالفتح التنعم والتلذذ فالنعمه بالكسر هي السبب في النعمه بالفتح

قال الجوهري النعمة اليد والصنيعة والمنة وما انعم به عليك قال وكذلك
النعمى فان فتحت النون مددت وقلت النعماء والنعيم مثله انتهى وقال
الراغب النعمة الحالة الحسنة وبناؤها بناء الحال التي يكون عليها الانسان
كالجلسة والركبة والنعمة التنعم وبناؤها بناء المرة من الفعل كالشتمة والضربة
انتهى والنعمة على قسمين جلب نفع ودفع ضر ومن ورود النعمة باعتبار دفع الضر
قوله تعالى يا ايها الذين امنوا اذكروا نعمة الله عليكم اذ هم قوم ان يبسطوا
اليكم ايديهم فكف ايديهم عنكم ومن الايات المنبهة على جلب النفع قوله
تعالى واذكروا نعمة الله عليكم وما انزل عليكم من الكتاب والحكمة وغالب ما يرد
ذكر النعمة المطلقة يراد به ما يشمل القسمين معا ومن ذلك قوله تعالى واسبغ
عليكم نعمه ظاهرة وباطنة وقوله وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها وقد يرد ذكر
النعمة بارادة بعض النعم الخاصة كما في قوله تعالى يعرفون نعمة الله ثم
ينكرونها قيل المراد بالنعمة هنا النبي صلى الله عليه وسلم وقيل المراد الاسلام
وقيل هي النعم المذكورة قبل ذلك في السورة من اخراجهم من بطون امهاتهم
الى غير ذلك وكذلك قال تعالى ومن يبدل نعمة الله من بعد ما جاءته فان
الله شديد العقاب وقال تعالى الم تر الى الذين بدلوا نعمة الله كفرا
قيل المراد القران وقيل غير ذلك وقال تعالى يستبشرون بنعمة من الله
وفضل اي بثواب وفضل وقال تعالى واما بنعمة ربك فحدث قيل بالنبوة
وقيل هي النعم المذكورة في سورة والضحى وقيل كل نعمة انعمها الله تعالى
عليه وقيل غير ذلك وبالجملة فتفاصيل النعم لا تحصى والنعمت في النعمت ونحوها
من الضمير المخاطب والمراد هنا الله سبحانه والاصل ان المفردة على
اقسام فالمتحركة في اوائل الاسماء حرف جر معناه القسم وتختص باسم الله
تعالى وربما سمع تربي وترب الكعبة وبالرحمن قال الزمخشري الباء اصل
احرف القسم والواو بدل منها والتاء بدل من الواو وفيها زيادة معنى
التعجب والمحركة في اواخر الاسماء حرف خطاب نحو انت وانت والمحركة
في اواخر الافعال نحو قمت وقمت اما على فعلى قسمين احدهما ان يكون
اسما بمعنى فوق ولا يكون ذلك الا اذا دخلت عليها من كقول الشاعر

غدت من عليه بعدما تم ظمؤها

اي غدت

اي غدت من فوقه فيكون اسم ظرف والثاني ان يكون حرف جر على راي
الاكثرين كما قاله ابو حيان واختاره الشيخ جمال الدين بن هشام رحمهما الله
تعالى وذهب جماعة الى انها لا تكون الا اسما اذا علمت ذلك فلها تسع معان
احدها الاستعلاء وهو يكون في الغالب على المجرور نحو قوله تعالى وعليها
وعلى الفلك تحملون وقد يكون على ما يقرب منه نحو قوله تعالى في قصة موسى عليه
السلام او اجد على النار هدى وقد يكون الاستعلاء معنويا نحو قوله ولهم علي
ذنب ونحو قوله تعالى تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض الثاني المصاحبة
مثل مع كما في نحو قوله تعالى واتى المال على حبه اي مع حبه وقوله تعالى
وان ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم الثالث المجاوزة مثل عن واستشهد
له بقول الشاعر

اذا رضيت علي بنو قشير ❊ لعمر الله اعجبني رضاها ❊

اي اذا رضيت عني وجوز الشيخ جمال الدين بن هشام رحمه الله تعالى ان يكون
الرضى في هذا البيت ضمن معنى العطف ونقل عن الكسائي ان ذلك محمول
على نقيضه وهو السخط الرابع التعليل مثل اللام ومنه قوله تعالى ولتكبروا
الله على ما هداكم اي لهدايته اياكم الخامس الظرفية مثل في كما في قوله تعالى
ودخل المدينة على حين غفلة من اهلها وكذلك قوله تعالى واتبعوا ما تتلوا
الشياطين على ملك سليمان اي في زمن ملكه وجوز الشيخ جمال الدين بن
هشام رحمه الله تعالى ان يكون قوله تعالى تتلوا قد ضمن معنى تقول فيكون
بمنزلة قوله تعالى ولو تقول علينا بعض الاقاويل السادس موافقة
من كما في قوله تعالى الذين اذا اكتالوا على الناس يستوفون اي اكتالوا من
الناس السابع موافقة الباء كما في قوله تعالى حقيق على ان لا اقول على
الله الا الحق اي حقيق بان وهكذا قراها ابي بن كعب وقد سمع
من العرب اركب على اسم الله اي باسم الله الثامن ان يكون زائدا ثم قد
يكون للتعويض اي يعوض بها غيرها اذا حذفت ومثلوا لذلك بقول القائل

ان الكريم وابيك يعتمل ❊ ان لم يجد يوما على من يتكل ❊

اي ان لم يجد من يتكل عليه فلما حذف قوله عليه زاد قبل الموصول
لفظة على وفي هذا التعويض خلاف وقال بعضهم انها تكون زائدة لغير التعويض

ايضا التاسع ان يكون للاستدراك والاضراب كقولك فلان لا يدخل الجنة
لسوء عمله على انه لا باس في رحمة الله تعالى وفيه قول القايل

بكل تداوينا فلم يشف ما بنا · على ان قرب الدار خير من البعد ·
على ان قرب الدار ليس بنافع · اذا كان من تهواه ليس بذي ود ·

فابطل بعلى الاولى عموم قوله لم يشف ما بنا كانه قال بلى ان في قرب
الدار لشفا ما ثم ابطل بعلى الثانيه وقوله على ان قرب الدار خير من
البعد **واما هم** فهي ضمير جمع غايب مذكر عاقل ويكون في موضع رفع ونصب
وفيها لغات حكاها اللغويون ولبعضها اختلفت قراآتها فمنها كسر الهاء
واسكان الميم وهي قراة الجمهور وضم الهاء مع اسكان الميم ايضا وهي قراة
حمزة وكسر الها وضم الميم بواو وهي قراة بن كثير وقالون بخلاف
عنه وكسر الها والميم وهي قراة عمرو بن فايد وكسر الها والميم بزيادة
اليا وهي قراة الحسن ورواها ابن مجاهد عن ابن فايد ايضا وضم الها
والميم وبعدها واو وهي قراة الاعرج ومسلم بن جندب وجماعة وضم
الها والميم من غير واو ونسبها ابو الفضل الرازي الى قراة ابن هرمز
وكسر الها وضم الميم من غير واو وهي قراة الاعرج والخفاف عن ابي عمرو
وضم الها وكسر الميم بغير يا وكذا مع اليا وقرى بهما ايضا وملخص القول
في هذه اللغات ضم الها مع سكون الميم او ضمها باشباع او دونه او كسرها
باشباع او دونه وكسر الها مع سكون الميم او كسرها باشباع او دونه او ضمها
باشباع او دونه واما توجيه هذه اللغات فقد ذكره النحاة فليراجع
من كلامهم **واما غير** فهو اسم ملازم للاضافة في المعنى لا يتخلف عنها
ابدا ولكنه قد يتخلف عن الاضافة اللفظيه اذا فهم المعنى وتقدمت
كلمة ليس وادخال ال على غير خطا ان ثم اذا جات غير وهي مضافة
في اللفظ فانها تستعمل على وجهين احدهما وهو الاصل ان تكون صفه اما
للنكرة كما في قوله تعالى نعمل صالحا غير الذي كنا نعمل واما المعرفة
تقرب من النكرة ومن ذلك قوله تعالى صراط الذين انعمت عليهم غير
المغضوب عليهم وبو يدكون غير هنا صفه وجود العرف الجنسي
وايضا انها جاءت بين ضدين وهي حيث جاءت بين ضدين ضعف ابهامها

الوجه الثاني

الوجه الثاني ان يكون للاستثنا فيعرب باعراب الاسم الذي يكون بعد الا لو
كانت في ذلك الكلام فتقول مثلا جا القوم غير زيد بالنصب كما
انك لو اتيت بكلمة الا قلت جا القوم الا زيدا وتقول ايضا ما جاني احد غير
زيد بالنصب والرفع وغير في قوله تعالى غير المغضوب عليهم بكسر الراء
في قراة الجمهور وعن ابن كثير فتحها كما قراها عمر وعلي وابن مسعود وعبد
الله بن الزبير فاما الجر فهو عند سيبويه جر بالنعت وقيل بدل من الذين
او من الضمير في عليهم وضعف ابو حيان هذا القول بان اصل غير الوصف
والبدل بالوصف ضعيف واما قراة النصب فقيل على الاستثنا وعلى
هذا فهو منقطع وراى الفرا الاستثنا لاجل لا في ولا الضالين وقال انه
النصب بالحال وبه قال غيره واختاره ابو حيان وقال الوجه انه حال من
الضمير في عليهم وخطا قول من قال حال الذين وقدر بعضهم في غير المغضوب
محذوفا قال التقدير غير صراط المغضوب عليهم قال ابو حيان ولا يتاتى
ذلك الا على قراة النصب ثم ذكر ابحاثا تتعلق بذلك **واما الغضب**
فهو على قسمين مضاف الى الله سبحانه ومضاف الى المخلوقين فالمضاف
الى الله تعالى قيل هو ارادة الانتقام فيكون صفة فعل ووقع من كلام
بن عرفة ان غضب الله تعالى انكاره على من عصاه فيعاقبه وكلامه
محتمل لان الغضب هو الانكار مع المعاقبه ولانه الانكار خاصة وتكون
المعاقبه نتيجة الانكار الذي هو الغضب واما الغضب المضاف الى
المخلوقين فقال بن عرفه هو شي يداخل قلوبهم ويكون فيه محمود
ومذموم فالمذموم ما كان في غير الحق وقال الراغب الغضب ثوران دم
القلب بارادة الانتقام قال ولذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم اتقوا الغضب
فانه جمرة توقد في قلب ابن ادم الم تروا الى انتفاخ اوداجه وحمرة
عينيه قال واذا وصف الله تعالى به فالمراد به الانتقام دون غيره
واما لا النافيه فهي اقسام منها ان تكون عاملة عمل ان وذلك اذا
اردت بها نفي الجنس على سبيل التنصيص لكنها تخالف ان من وجوه
مذكورة في موضعها ومنها اي من اقسامها ان تعمل عمل ليس وهي
ايضا تخالف ليس من وجوه اخرى ومنها ان تكون عاطفة ولها ثلاثة

احدها
شروط ان يتقدمها اثبات مثل قولك جاء زيد لا عمرو او يتقدمها امرٌ كقولك
اضرب زيدا لا عمرًا او يتقدمها ندا نحو يا ابن اخي لا ابن عمي على خلاف
في هذا الاخير الشرط الثاني ان لا تقترن بعاطف وقد امتنع ان تكون
لا في قوله تعالى ولا الضالين عاطفة لانها لم يتقدمها اثبات ولا امرٌ ولا
ندا وقرنت بواو العطف الشرط الثالث ان يتعاند متعاطفاها فلا
تقول مثلا جاءني رجل لا زيد لان اسم الرجل يصدق على زيد ويصح قولك جاءني
رجل لا امراة لوجود المخالفة بينهما ومن اقسامها ان تكون جوابا مناقضا
لنعم وحينئذ فالغالب من الكلام ان تحذف الجمل بعدها فيقال مثلا في الدار
زيد فتقول لا والاصل لا ليس زيد في الدار ومن اقسامها ان تكون على
غير ما تقدم ولها حالات منها ما يجب فيه تكرارها وذلك فيما اذا كان الذي
بعدها جملة اسمية مصدرة بمعرفة كقوله تعالى لا الشمس ينبغي لها
ان تدرك القمر ولا الليل سابق النهار او كانت اعني الجملة الاسمية مصدرة
بنكرة ولم تعمل فيها كقوله تعالى لا فيها غول ولا هم عنها ينزفون وكذلك
اذا كان الذي بعدها فعلا ماضيا في اللفظ والتقدير كقوله تعالى فلا صدق
ولا صلى وذهب الكوفيون الى ان لا النافية اذا اعترضت بين الخافض
والمخفوض مثل قولك جئت بلا زاد تكون اسما وغيرهم لا يخرجها عن الحرفية
ولا في ولا الضالين لتاكيد النفي والمستفاد من غير العطف على المغضوب
عليهم مع لا لئلا يتوهم عطف الضالين على الذين وايضا لمناسبة غير وقرا
بعض السلف ومنهم عمر بن الخطاب وغير الضالين فمنهم من جرّه
ومنهم من نصب **واما الضلال** فاصله الغيبوبة والخفا كذا قرره ابن
الاعرابي وغيره لكن ابن عرفة قال انه سلوك غير الطريق القصد
انتهى ولا تكاد في المعنى تخرج عن الاول وتختلف انواعه على قدر اختلاف
المغيب عنهم والغايب واختلاف مراتب الغيبة والخفا تقال منه
ضل واضل لغتان ومن تامل انواع الضلال المذكورة في تفسير القرآن
واللغة وجدها راجعة الى هذا الضابط الاثري الى قولهم ضل اللبن
في الما اذا غاب فيه عن البصر فلم يتبين البصر من الما واضل القوم
ميتهم اذا غيبوه في القبر وضل الميت اذا بلي وغابت اجزاوه في التراب

وحسن

فلم يبصرها

فلم يبصرها البصر او غابت بالعدم عن الوجود ومن هذا قوله تعالى وقالوا
اءذا ضللنا في الارض ائنا لفي خلق جديد ويقرب من هذا اطلاق الضلال
على البطلان فيقال ضل عمله اي بطل وقريب منه ايضا ضل بمعنى ضاع
ومن هذا قوله تعالى الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله اضل اعمالهم اي
ابطلها فلا يعتد لهم بشي مما فعلوه من صور الطاعات وقوله تعالى والذين
قتلوا في سبيل الله فلن يضل اعمالهم اي لن يبطلها ولهذا اجرى على الشهيد اجر
عمله الصالح الذي كان يعمله وقد ظهر لك ان قوله تعالى فلن يضل اعمالهم يشمل
قبول اعمالهم الصالحة في الدنيا كما قال تعالى انا لا نضيع اجر من احسن عملا
ويشمل ادامة اجور اعمالهم بعد قتلهم وقد عبر بعضهم عن الضياع ونحوه
بالذهاب فقال ضل الما في اللبن او ضل اللبن في الما اذا ذهب فيه وضل الميت
في الارض اذا ذهب فيها وهو اختلاف في التعبير دون المعنى وفسره
بعضهم الضلال بالشقا في قوله تعالى بل الذين لا يؤمنون بالاخرة في العذاب
والضلال البعيد فان سلمنا من هذا التفسير فيكون الشقا ضلالا
باعتبار غيبوبة الراحة لكن الاكثرون فسروا الضلال هنا بالضلال الذي
هو ضد الهدى وسياتي بيانه ○ ثم الغيبة قد تكون عن البصر وقد تكون عن
الذهن فغيبة الشي عن الذهن ضلال الا ان مراتبه مختلفة فمنه
النسيان قال تعالى ان تضل احداهما فتذكر احداهما الاخرى ومنه
الخطا قال تعالى يبين الله لكم ان تضلوا اي لئلا تخطئوا الحكم والخطا هو
الضلال من غير عمد وعليه حمل قوله تعالى في قصة موسى عليه السلام
قال فعلتها اذا وانا من الضالين اي لم اقصد الخطا وقال بعضهم
وانا من الضالين اي الناسين ولا شك في وجوب تاويل الضلال اذا
اضيف الى الانبيا عليهم الصلاة والسلام كما انه اذا اطلق في حق المذموم
حمل على ضد الهدى وقوله تعالى ولقد اضل منكم جبلا كثيرا اي فتن فغيب
الذهن بالفتنة او امال عن طريق الحق فقال اضل غيره واضل هو مثل
ضل ويقال لمن غاب عنه العلم ضال اي جاهل كما يقال ضال لمن غاب
عنه الطريق الحسي او غاب هو عنه فلم يهتد اليه وارض مضلة اي
يكثر فيها ضلال السالكين ومتى وقع الضلال للعقل استتبع ضلال البدن

ثم ضلال العقل قد تعبر به عن سذاجته الفطرية قبل التعليم لكون ما سيعلمه
غائبا عنه في تلك الحالة وهي الحالة التي افتتح الله تعالى بها وجود
الصور في حسب قوله تعالى والله اخرجكم من بطون امهاتكم لا تعلمون شيا وحمل
عليه بعضهم قوله تعالى ووجدك ضالا فهدى فجعل هذا نظير قوله تعالى وعلمك
ما لم تكن تعلم ومن الذي اختاره ما اختاره جماعة من حمل الضلال في قوله
ووجدك ضالا فهدى على المحبة وقد سمع ذلك في اللغة وانما سميت المحبة ضلالا
لان المحب يغيب بوجده عن تدبرات وجوده الحسي وتحرجه هيمانه عن غير
طريق محبوبه اولانه يذهب الى محبوبه اولانه يتحير في طلب الوصول والحيرة
يسمى ضلالا اولانه تغنى في محبوبه والفنا ضلال ونحو ذلك ويصير معنى قوله
تعالى ووجدك ضالا فهدى اي محبا له فهداك اليه او محبا للدين الحق فهداك
اليه وما اشبه ذلك وقد حمل ايضا على هذا قوله تعالى في قصة يوسف
عليه الصلاة والسلام ان اخوته قالوا لابيهم عليهم الصلاة والسلام اجمعين تالله
انك لفي ضلالك القديم اي في حبك القديم ليوسف وهو اشارة الى ما قالوه قبل
ذلك من قولهم ان ابانا لفي ضلال مبين اي حب بين ليوسف ومما يحتمل
ايضا الحمل عليه في قوله تعالى ووجدك ضالا فهدى ان تقدير الايه ووجدك
في قوم ضلال فهداهم بك تخاطبهم بارادة اتباعه وهذا نظير ما قيل ايضا
في قوله تعالى ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تاخر قيل المراد من
ذنب امتك فخاطب الكبير بارادة اتباعه وقيل ووجدك ضالا في شعاب مكة
وقيل متحيرا في طلب القبلة فهداك وقيل غير ذلك واذا علمت اختلاف
مراتب ما يسمى ضلالا فاعلم ان اعظمه قبحا وعقابا وسوعا قبه ضلال العقل
عن الله سبحانه وصفاته واسمايه وما يجب له من كمال الالهية وضلاله
ايضا عن جانب النبوة وما يليق بها حتى يحمله ذلك على الانكار وهذا
الضلال هو الكفر والطغاه ما كان مع وضوح الحق بقيام الحجج وصحة
البراهين ولهذا وصف ضلال الكفار الذين ظهرت لهم الايات
بالضلال المبين كما انه لما كان عنادا بعد زواله ووصف بالضلال
البعيد بخلاف ضلال غير المعاند فانه قريب من الهداية ما لم يختم على قلبه
ويطبع والعياذ بالله ثم يلي هذا الضلال الضلال عن احكام الشريعة

الفرعيه

الفرعيه ودونه الضلال عن معرفة ادلتها ودونه الضلال عن فهم
اسرارها وحكمها وتفاوت الناس في ذلك كما يتفاوتون في الهداية
والمراد بالضالين في قوله تعالى ولا الضالين سياتي بيانه ان شا الله تعالى
وقرا ايوب السختياني ولا الضالين بابدال الالف همزة فرارا من التقاء
الساكنين وحكى ابو زيد دابة وشابة بالهمز فيهما ولنعد الى تفسير الايه
صراط الذين انعمت عليهم بدل من الصراط المستقيم فالصراطان شي واحد هذا
هو الذي عليه الجمهور وقيل هو غيره وواو العطف محذوفة وقد
تقدم ما في جواز حذفها ثم اختلف القائلون بانه غير الاول فقيل هو العلم
بالله وقيل الفهم عن الله وقيل التزام الفرايض واتباع السنن وقيل
موافقة الظاهر والباطن كما وقع التوافق بينهما في النعمة حسب قوله
تعالى واسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة والقول الاول من اتحاد
الصراطين هو الصواب فان كل ما جابه رسول الله صلى الله عليه وسلم
من التوحيد والعلوم والاعمال الصالحات والاخلاق المرضيات
طريق الى مرضات الله تعالى لا يتوصل الى رضى الله بغيره وقد وحد
الله سبحانه الصراط وامرنا باتباعه ونهانا عن السبيل فقال تعالى وان
هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله
وقال تعالى وانك لتهدي الى صراط مستقيم صراط الله الذي له ما في السموات
وما في الارض ونعم السبل وان كان واحدا الا ان المسالك فيه مختلفة
بحسب قوى السالكين ومآخذهم وتوجهاتهم واختلاف اهدايهم واجتهادهم
ولا يقدح هذا التعدد في اتحاد الصراط فان قلت فما الحكمة في تكراره
مع اتحاده فمن الجواب ما نبه عليه شيخنا اثير الدين رحمه الله تعالى
قال ما لفظه لما ذكر قبل اهدنا الصراط المستقيم كان فيه بعض ابهام
فعينه بقوله صراط الذين ليكون المسول الهداية اليه قد جرى
ذكره مرتين وصار بذكر البدل فيه حوالة على طريق من انعم الله
عليهم ليكون ذلك اثبت واوكد وهذا فايدة نحو هذا البدل ولانه
على تكرار العامل فيصير في التقدير جملتين ولا يخفى ما في الجملتين من
التاكيد وكانهم كرروا طلب الهداية انتهى كلامه وفاذ انفرد

انه صراط واحد فلا يخفى عليك مما تقدم من ذكر الاقوال في الصراط المستقيم انه
صراط الذين انعم الله عليهم ؟ وقد استشكل الامام فخر الدين الخطيب رحمه
الله تعالى في قول من قال ان الصراط المستقيم هو القران او دين الاسلام
وشرايعه بان المراد صراط المنعم عليهم من المتقدمين ولم يكن لهم القران
ولا الاسلام يعني هذه الملة الاسلامية المختصة باحكام دون المتقدمين
قال الشيخ اثير الدين رحمه الله ولا يتاتى له هذا الا اذا صح ان الذين انعم الله
عليهم متقدمون قال وسائر الاقوال في تفسير الذين انعم الله عليهم انتهى
والذي اقوله ان قول من قال الصراط المستقيم القران لم يرد به نفس
الكلام المتلو وانما اراد احكامه وهي شرايع الاسلام وعقايده وهي اذا نظرت
اليها من حيث حقايقها رايتها مطلوبة من كل من تقدم وتاخر من المكلفين
لم تختلف الشرايع في التكليف بتوحيد الله تعالى والاقرار بالالهية والاقرار
بالنبوات والشرايع والتزام احكام العبدية اخلاصا للربوبية وجماع ذلك
كله التقوى وقد قال تعالى ولقد وصينا الذين اوتوا الكتاب من قبلكم واياكم
ان اتقوا الله لكن كيفية التقوى في بعض الفروع المشروعة قد تختلف
باختلاف المكلفين من الامم المتعدده بل والامة الواحدة ومع اختلاف
كيفيات هذه الشرايع لا تختلف اصل المقصود وهو موافقة الامر الوارد
من نبي ذلك المكلف وهذا كما ترى لك عن اتحاد الصراط مع تعدد ماخذ
السالكين وبهذا اسطل رد الامام فخر الدين رحمه الله وقد تقدم ذكر ورود
ذلك في الحديث المرفوع والموقوف وقد ذكر المفسرون في المنعم عليهم
اقوالا منها انهم النبيون والصديقون والشهدا والصالحون وشاهده
قوله تعالى فاولئك مع الذين انعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهدا
والصالحين ؟ وقد ذكر بعض المفسرين ان ذلك روي مرفوعا الى النبي
صلى الله عليه وسلم وتعرض السهيلي رحمه الله لهذا القول من غير ان ينبه
حديثا فقال في مبهمات القران له قوله تعالى صراط الذين انعمت
عليهم هم الذين ذكرهم الله تعالى في سورة النسا حيث قال فاولئك مع
الذين انعم الله عليهم من النبيين والصديقين الاية قال وانظر الى
قوله تعالى وحسن اولئك رفيقا واجمع بينه وبين قوله صراط الذين

انعمت

انعمت عليهم تجد شرحا له لان الصراط الطريق ومن شان سلاك الطريق
الحاجة الى الرفيق فلذلك قال تعالى وحسن اولئك رفيقا انتهى وحينئذ
فهذا اشارة الى سوال الهداية الى اعلى الصراط واقومه واكمله وهو جماع
التقوى الظاهرة والباطنة التي هي واجبة بالعصمة والتوفيق للانبيا
والرسل عليهم الصلاة والسلام وواقعة بالفضل من خواص اتباعهم من
الصديقين والشهدا والصالحين الذين سلكوا منهج متبوعهم من غير خلل
على قدر استطاعتهم واعلم ان من تامل هذا التقرير ظهر له ان كل
تابع يحتاج لسوال الهداية للصراط المستقيم باعتبار عدم استيفائه
لسلوكه اذ لا يتاتى لغير نبي ان يسلك لسلوك نبي من كل وجه وان
وافق صورة العمل فمادة الحكم والحكمة فلهذا ينبغي لكل سالك ان
يسال المدد بالعون الوهبية والبصيرة النافذة والتوفيق لسلوك ما ينكشف
له من صراط نبيه ورسوله الذي هو من امته وهو في الحقيقة صراط الانبيا
والمرسلين عليهم الصلاة والسلام اجمعين من غير ان يطمع في الاحصا ولهذا
قال صلى الله عليه وسلم استقيموا ولن تحصوا وقيل المنعم عليهم الانبيا خاصة
ومراد هذا القايل تخصيصهم باضافة الصراط اليهم لا اختصاصهم بالانعام
عليهم اذ لا شك في ان من سلك سبيلهم كان قد انعم الله عليه واذا
حققت هذا القول رايته موافقا لما قبله في المعنى فان الانبيا هم اصحاب
الصراط المشرعون له والصديقون والشهدا والصالحون وساير المومنين
اتباع لهم في ذلك غير ان الفارق بين القولين اطلاق اسناد الصراط
الى خواص الاتباع من الصديقين والشهدا والصالحين وعدم الاطلاق
وقيل هم المومنون وهذا عكس الذي قبله في اطلاق اسناد الصراط الى
الاتباع دون ذكر انبيائهم وقيل هم الملائكة عليهم الصلاة والسلام وكان هذا
القايل نظر الى كونهم سلكوا صراط العبادة قبل البشر فناسب اسناده
الصراط اليهم وقيل هم المومنون من قوم موسى وعيسى عليهما الصلاة والسلام
الذين لم يغيروا وكان هذا القايل نظر الى مناسبة منهم على راي من
قال ان المغضوب عليهم ولا الضالين هم اليهود والنصارى بسبب تغييرهم
لدين موسى وعيسى وقيل هو النبي صلى الله عليه وسلم ومقتضى هذا انه صلى الله عليه

وسلم يسمى باسم الجمع في قوله الذين انعمت عليهم نظير اطلاق اسم الناس
عليه في قوله تعالى ام يحسدون الناس وقد تعلم في مقدمة هذا الكتاب
بعض الحكمة في ذلك وعلى هذا فالصراط مسند الى نبينا صلى الله عليه وسلم وجل
وما احق هذا القول واصحه واصوبه فقد قدمت لك ان الله صراط والحمد
وانما الكلام فيما يناسب من اطلاق اضافته وتقييده فالذي ينبغي ان لا
يضاف الصراط الا الى اكبر من شرع على بابه واجل من سلكه وسلكه وهو سيد
ولد آدم الذي اخذ له العهد والميثاق على الانبيا والرسل عليهم الصلاة والسلام
اجمعين ومن نتبصر في مشكاة نبوة نبينا صلى الله عليه وسلم وانبث اشراقها
من افاقها على اعماق كل نبي وولي وتابع وادرك وصول تلك الامداد
النوريات التي هي اسباب الهدايات على اختلاف مراتب الاستعدادات
وسريان سر السيادة وحقق اللوا الذي آدم فمن دونه تحته يوم القيامة
وعظمة المقام المحمود وكرم قبول الشفاعة العظمى التي خص بها مع احالة
الانبيا في ذلك الموقف عليه وما يكون له صلى الله عليه وسلم في ذلك اليوم
من الاولية والاولوية والفردية في امور لا يشاركه فيها علم بمقتضى ذلك
ان اضافة الصراط اليه احق صلى الله عليه وسلم وعلى آله واصحابه وازواجه
وذرياته صلاة وسلاما دائمين لا يفنين لكمال تكريم الله وتعظيمه له
وقيل هم النبي صلى الله عليه وسلم وابو بكر وعمر نقله المفسرون عن ابي العالية
والحسن وقد تقدم نقله عنهما وعن ابن عباس في الصراط المستقيم وتقدم
ايضا سر تخصيص ابي بكر وعمر بالذكر وقيل هم الصحابة كلهم ويشاهد له
ما روي من قوله صلى الله عليه وسلم اصحابي كالنجوم بايهم اقتديتم اهتديتم
لكنه حديث ضعيف كما تعلم وكان قايله نظر الى كونهم حملة الشريعة
ونقلها فيحسن عنده بذلك اضافة الصراط اليهم واعلم ان في تسميه اصحاب
الصراط المستقيم بالمنعم عليهم تنبيها على ان اجل النعم ما كان في الدين وان
ذلك اولى باطلاق النعمة عليه ولو قال القايل ليس في التحقيق نعمة
الا نعمة الدين لكان له وجه نعم تطلق النعم على ما من الله تعالى به
من الامور البدنية والدنيوية الا انها نعم فانه لا تخلو النعم عليه بها
اما ان يتوصل بها الى الطاعات فلا شك انها والحالة هذه نعم دينية

وان كان

وان كان ظاهرها دنيويا او يتوصل بها الى المعاصي والعياذ بالله تعالى فهي
نقم محققة وان كانت في الظاهر نعما وان ان يتوصل بها الى المباحات
بحيث لا يوصف بمدح ولا ذم ولا ثواب ولا عقاب فهي يحاسب عليها
يوم القيامة ويسول عنها حتى يظهر الله تعالى من حال العبد انه لم يتجاوز
الاباحة ويكفي قول النبي صلى الله عليه وسلم لا تزول قدما عبد عن الصراط
حتى يسال عن ماله من اين اكتسبه وفيم انفقه هذا مع انها اعني النعم الموصلة
للمباح مشوبة بالكدر معقبة بالنغص فصبر العمر فلا يكون مشاركة لحقائق
النعم الخالصة التي هي وسايل الى نعايم الاخرة الدائمة ولهذا المقام
كان مدار النعم على ما ينتفع به العبد في دينه واخرته اختلف الناس هل
لله تعالى على الكفار نعمة ام لا فنفاها الاكثرون والحق في ذلك ان النعم
الدنيوية لا يمكن جحودها ولا يمتنع اطلاقها وقد خاطب الله تعالى في كتابه
العزيز بني اسرائيل مع من فيهم من الكفار بقوله تعالى يا بني اسرائيل اذكروا
نعمتي التي انعمت عليكم فذكرهم بنعمة عليهم ابايهم وجعلها نعما عليهم وان لم
يلاقوها في ذواتهم فكيف بما لاقاهم من نعم الايجاد والتسوية والمطاعم والمشارب
وغير ذلك مما لا يحصى وكم عدد الله تبارك وتعالى في كتابه العزيز على الكفار
وغيرهم من النعم الظاهرة في خلق السموات والارض والشمس والقمر والليل
والنهار وانزال الما واخراج النبات وغير ذلك ولقد ذكر تعالى هذه النعم في
سورة ابراهيم عليه السلام ثم قال عقبها وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها
ان الانسان لظلوم كفار وسرد تعالى كثيرا من نعمه الظاهرة في سورة النحل
ثم قال عقبها وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها ان الله لغفور رحيم والخطاب
فيها شامل لعباد الاصنام بدليل انه تعالى قال افمن يخلق كمن لا يخلق
افلا تذكرون وقال تعالى ناهيا عن الاشراك وقال الله لا تتخذوا الهين
اثنين انما هو اله واحد فاياي فارهبون وله ما في السموات والارض
وله الدين واصبا افغير الله تتقون وما بكم من نعمة فمن الله ثم اذا مسكم
الضر فاليه تجئرون ثم اذا كشف الضر عنكم اذا فريق منكم بربهم يشركون
ومن تتبع القرآن وجد من ذلك كثيرا فلا سبيل الى القول بان الله لم ينعم على
الكافر نعمة دنيوية لكنها لما كانت ايلة بهم الى شدة الحساب والعذاب

وكانت استدراجا لهم انكشف بموتهم على الكفر انها كانت في حقهم نقما في
صور نعم وأما النعم الدينية فلا شك ان الله تعالى لم ينعم عليهم في العقائد
بشي وكذلك فروعهم وصور الطاعات الواقعة منهم فانها محبطة بالكفر
كما قال تعالى وقدمنا الى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا فظهر ان
الكفار ما حظ لهم من النعم الدينية وانهم غرقى في النعم الدنيوية الا انها
استدراج لهم حيث لم تحملهم على توحيد الله تعالى وطاعته فان قلت
قد ثبت في السنة ان الكافر اذا احسن وعمل البر جوزي به في الدنيا فما
يمنع من كون ما يقع منه من البر ويحصل له من حسن الجزا نعمة دينية فاعلم
ان هذا هو مدرك الخلاف في ذلك لكن الحق عندنا انها كلها نعم دنيوية انعم
الله بها عليه في الدنيا وجعل بعضها في مقابلة بعض من غير ان يكون
مستحقا بعمله ذلك جزاء وليس ذلك البر الصادر منه طاعة صحيحة عند الله
لفقدان شرط الصحة وهو الايمان فظهر بهذا التقرير انه ليس لله على الكافر
نعمة في دينه وان نعم الدنيا في حقه نقم لكنها تسمى نعما اقامة للحجة عليه
وزيادة في توبيخه حيث كفر بالذي انعم عليه بهذه النعم الجليلة كلها مع
انه كان من حقه ان يشكره على نعمه ويطيعه ويفرده بالعبادة واذا عرفت
ذلك عرفت ان كل مومن منعم عليه في دينه ودنياه وانه داخل في اطلاق
المنعم عليهم وانه من اهل الصراط المستقيم بانه تعالى ضرب المثل للكافر والمومن
بقوله تعالى وضرب الله مثلا رجلين احدهما ابكم لا يقدر على شي وهو كل على
مولاه اينما يوجهه لا يات بخير هل يستوي هو ومن يامر بالعدل وهو على
صراط مستقيم على احد الاقوال المروية عن ابن عباس في ذلك ولذلك قوله تعالى
فستعلمون من اصحاب الصراط السوي ومن اهتدى يريد سبحانه كل من امن
فالمومن صاحب الصراط السوي اي المستقيم كما انه مهتد بفضل الله تعالى فالحمد
لله على الايمان **لطيفه** لا يزال العبد يسلك الصراط المستقيم حتى يتحقق سلوكه
ويصير معدودا من سالكيه واصحابه بحيث يصح اضافة الصراط اليه فيقال
بذلك من جملة معالي الدين رتبته ان يقال صراطه المستقيم ومنهجه القويم هو
وبالجملة من رتبة ترفع العبد بعد العدم الى الوجود وتميز بعد الخفا بان يظهر
ويصير قدوة بعد ان كان مقتديا وينتصر بحركة الله في كونه يقال

متوالمه في الصلوات ويعرج على ذكره في حضرة المناجاة ويجمل في الذكر مع
خواص السادات ولعمري لقد تبدوا هنا من خصايص التشريف لذوي
التعريف ما لا يحيط بنهاية حقايقه الا الخبير اللطيف لكنه سبحانه بيديه
شيا فشيا ويبيعه للقلوب والارواح والعقول والاسرار هنيا مريا اذاقنا
الله هذا الشراب وجمعنا مع الاحباب **تنبيه** لم تنص الاية على ما انعم الله
به عليهم وقد اختلفوا فيه **فقيل** انعم عليهم بخلقهم للسعادة وقيل بانجائهم من
الهلكة **وقيل** بالهداية **وقيل** باتباع الرسول صلى الله عليه وسلم وقيل غير ذلك
وقال الشيخ اثير الدين لم يقيد الانعام ليعم جميع الانعام اعني عموم البدل
انتهى والظاهر من السياق انه انعم عليهم بسلوك هذا الصراط المستقيم الذي
في ضمنه كل نعمة دينية ودنيوية اما الدينية فلانها من لوازم سلوك هذا
الصراط المستقيم واما الدنيوية فلانها من ثمرات الاعمال الصالحات قال تعالى
من عمل صالحا من ذكر او انثى وهو مومن فلنحيينه حياة طيبة ولهذا كان
من دعا المومنين الذي امر به ربنا اتنا في الدنيا حسنة وفي الاخرة حسنة
وقنا عذاب النار **فان قلت** الغالب على اهل السلوك والواصلين الى مرضاة
الرب سبحانه ضيق عيشهم في الدنيا واستداد البلا عليهم وما اشبه ذلك **قلت**
حقايقها كلها نعم لما يترتب عليها من حسن الجزا في الاخرة كما ان النعم التي
واجهت الكافرين نقم في حقهم لما يترتب عليها من الجزا في الاخرة بل من
عباد الله تعالى من يتلذذ بالبلاء واللاواء كما يتلذذ بالراحة والرخا ويشكر
عليه كما يشكر على اجل النعماء وهم في ذلك اقسام منهم من ينظر الى ما في الفقر
مثلا من الراحة من الحرص على حفظ المال والاستراحة من همه ووجوه
تحصيله ومصارفه والسلامة من حسد الحاسدين عليه ومكر الماكرين وكيد
الكايدين وضرر السارقين والمعاندين وما اشبه ذلك هذا كله في الدنيا
وينظر ايضا الى ان الفقر يثمر له في الاخرة خفة الحساب وقلة العذاب
والسبق الى دخول جنة الماب وما يسره هناك من جزا الفقر وحسن
الثواب **واما** البلا فمن ملذوذاته العاجلة انه دافع لما هو اشق منه
مميل لقلوب الرحما مانع من الاشر والبطر والمعاصي وما اشبه ذلك ومن
ملذوذاته في الاخرة الحصول على ثواب الصابرين مما لا يخفى على المتأمل لكتاب

الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ٥ واما ضعف الجاه في الدنيا وقصور
الكلمة واستهزاء عظماء الدنيا واذلالهم واستهانتهم وما اشبه ذلك فيبدل ايضا
باعتبار ما يعقبه من الوجاهة في الاخرة والفوقية على الساخرين وفي
قوله تعالى ويسخرون من الذين امنوا والذين اتقوا فوقهم يوم القيمة ٥
مسارح لانظار المتدبرين والمتفكرين هذا كله حال اقوام من اهل البصائر
ومنهم من هو اعلى رتبة منهم وهم اقوام يرون في الفقر والبلاء وما يتخلل من
ضعف الجاه في الدنيا اسوة حسنة بخواص احباب الله تعالى وعظماء خلقه
الذين هم عند الله تعالى في معالي رتب الخيرية دون غيرهم وفي الصحيحين
انه صلى الله عليه وسلم مر عليه رجل فقال صلى الله عليه وسلم لرجل عنده جالس ما
رايك في هذا فقال رجل من اشراف الناس هذا والله حري ان خطب ان ينكح
وان شفع ان يشفع فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم مر رجل فقال له
رسول الله صلى الله عليه وسلم ما رايك في هذا فقال يا رسول الله هذا رجل من فقراء
المسلمين هذا حري ان خطب ان لا ينكح وان شفع ان لا يشفع وان قال لا يسمع
لقوله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا خير من ملء الارض مثل هذا ٥
واذا عرف المتدبر ان الفقر شعار الصالحين وان البلاء دثار المحبين وان
الضعف في الدنيا قوة للمخصوصين احب ان يكون له من ذلك اوفر نصيب
لا سيما اذا احكمت عليه محبة هؤلاء السادة وبذل في اللحاق بهم اجتهاده فانه
يحرص على التخلق باخلاقهم والتزيي بزيهم بل اقول متى صدقت المحبة
كست المحب ما يمكن ان يكتسبه من اثار التاسي بالمحبوب في صفاته وظهرت
عليه لو لم يمكن محبوبه منه اكثر حالاته ٥ ولما كان النبي صلى الله عليه وسلم
يحب الفقر لزم حصوله لكل من احبه حتى لقد روى الترمذي ان رجلا قال للنبي
صلى الله عليه وسلم يا رسول الله والله اني لاحبك فقال انظر ماذا تقول فقال والله
اني لاحبك ثلاث مرات فقال ان كنت تحبني فاعد للفقر تجفافا فان الفقر اسرع
الى من يحبني من السيل الى منتهاه ٥ التجفاف بكسر التاء المثناة فوق وبالجيم
وفاءين شيء يلبسه الفرس والانسان ليتقي به الاذى وهنا مطارح
للقوم لم اخض في ذكرها لان هذا الكتاب موضوع لما اخذ الفهوم لا للتعرض
لحقائق المقامات والاحوال ومن القوم اخرون ارتفع مقامهم عن

المذكورين

المذكورين ايضا فاحبوا ما اصابهم من مصائب الدنيا لعلمهم انها مرادة لربهم
سبحانه ومحبوبة له وعنوان محبته سبحانه لهم فان الله سبحانه اذا
احب قوما ابتلاهم ولا يفعل المحب بمن يحب الا ما يحب فمن هنا طرب
بعضهم مما يتبرم منه غيره وتلذذ بما يتمرر به غيره ومن القوم من اقتصر
في استحسان ما اصابه والفرح به على شهود رضى الله تعالى فيه فقال حسبي
ان يرضى محبوبي شيئا فذلك غاية رضاي وكل سولي ومناي وبغيتي وهواي
فيا لهم من قوم لا ينفك عنهم نعيمهم لانهم ان ساءهم ابدانهم فقلوبهم معافين
مما يتنعم به ارواحهم فيشغلهم ذلك عن الاحساس بمؤلمات البشرية بانهم جمعهم
الصراط المستقيم وضمهم في مدائن النعيم ولقد حق لهم ان ينوه بذكرهم في
الكتاب الكريم ويعرفون بانهم المنعم عليهم وانهم اصحاب الصراط المستقيم ٥
فان قلت فما الحكمة في التعوذ من الفقر ومن غلبة الدين وقهر الرجال
وشماتة الاعداء وفي سؤال العافية ونحو ذلك فالجواب ان فيه حكما
منها علم صاحب الشرع صلى الله عليه وسلم بضعف غالب البشريات عن حمل
البليات فدعا بهذه الادعية رعاية لغالب الامة ومن تامل الشرع
الشريف وجده مبنيا على مراعاة الامور الغالبة ومنها ان المستعاذ
منه ما يقترن بالتضجر والتسخط ويعدم معه الصبر ولهذا استعاذ صلى الله
عليه وسلم من جهد البلاء وجهد البلاء ما لا صبر عليه وبهذا يحصل الجمع بين ما ورد
في الشرع من مدح الفقر وذمه فيكون فيه المحمود والمذموم ومنها حسم
باب دعوى القوة تحت احكام القضاء والقدر فان في ذلك نوع مشابهة
للجبابرة والعتاة ولهذا لما سمع النبي صلى الله عليه وسلم رجلا يسال الله الصبر
قال يا هذا سالت الله البلاء فاساله العافية وقال صلى الله عليه وسلم الا
اخبركم باهل الجنة كل ضعيف متضعف لو اقسم على الله لابره الا اخبركم
باهل النار كل جواظ معتل مستكبر ومنها اظهار الضراعة التي هي عنوان
اضطرار العبدية الى غير ذلك من الحكم التي تظهر للمستبصر فان قلت فقد
نقلت عن الاكابر ما ظهر عليهم عند بعض ما اصابهم من البكاء والتالم ونحو
ذلك فالجواب ان هذه اثار بشرياتهم التي بها يحسون الجوع والعطش فهم
يحسون الالام كلها بتلك الاثار لكن قلوبهم مطمئنة بما وعدت ارواحهم ٥

مسرورة بما تولوه وهم موفون لله تعالى بكل ما كلفهم بتوفيقه في عالمي الروحانية [نبيه]
والبشرية ولولا ان الله تعالى عمرهم دوابر البشريات لما امكن التلقي منهم
والاخذ عنهم بشي من علومها فهم بالبشرية يلقنون وبروحانيتهم يتلقون
يجمعهم جنس البشرية وتفصلهم خصوص الروحانية ومن هذا المعنى قوله
تعالى قل انما انا بشر مثلكم يوحى الي فكم فصل من جنس بشر مثلكم ن
عود والعطاف الى تفسير قوله تعالى صراط الذين انعمت عليهم منه
لطايف ذكر نعمة المسول في اثنا سواله استجلاب خيره كانه يقول انا اسالك
ما فد انعمت به على من قبلي وانت ذو النعم فليس ببدع ان تنعم علي فقيه ثناء
في ضمن دعا ومن لطايف افراد المطلوب بانعمت اشارة الى توحده
وانفراده بالنعم الكثيرة التي لا تحصيها الا هو على المنعم عليهم الذين لا تحصيهم
الا هو مع اختلاف انواع نعمهم ففيه التعرض لاتساع القدرة ووحدانية
القادر ولكثرة النعم وكل ذلك يحصل للثنا الذي اشتملت عليه كلمة فو
انعمت ومن اللطايف وهو مما نبه عليه ابو حيان ايضا فقال انه
تعالى اتي بالانعام في صلة الذين وبالغضب في صلة ال لان صلة الذين
تكون فعلا فيتعين زمانه وصلة ال تكون اسما فيبهم زمانه قال
والمقصود طلب الهداية الي صراط من ثبت انعام الله عليه وتحقق ولذلك
اتي بالفعل ماضيا واتى بالاسم في صلة ال ليشمل ساير الازمان قال وبناه
يعني الغضب للمفعول لان من طلبت منه الهداية ونسب الانعام اليه لا يناسب
نسبة الغضب اليه لانه مقام تلطف ورفق وتذلل لطلب الاحسان فلا
يناسب مواجهته بصفة الانتقام قال ولكون المغضوب توطية لختم السورة
بالضالين لعطف موصول على موصول مثله لتوافق اواخر الاي انتهى ن
قوله تعالى غير المغضوب عليهم ولا الضالين قد تقدم القول في حقيقة
الغضب المضاف الى الحق سبحانه والمضاف الى الخلق وان غضب الله تعالى
هو ارادة الانتقام او نفس الانتقام على الخلاف في ذلك ومقتضى هذا الضابط
ان الغضب يتعلق بالعصاة سوا كانت معاصيهم تنتهي الى الكفر ام لا لان ه
الانتقام بالعذاب متوقع لكل عاص وقد اختلف العلما هل يتعلق الغضب
بالكفار وعصاة المومنين او يختص بالكافرين فذهب بعضهم الى الاول

والبعض

وبعضهم الي الثاني وبه جزم البغوي في تفسيره فقال وغضب الله سبحانه لا يلحق
عصاة المومنين انما يلحق الكافرين انتهى ن والذي يظهر لي والله
تعالى اعلم ان الغضب المويد هو الذي لا يلحق المومنين ابدا وان واما الغضب
المتعلق بحالة العصيان وان لم يصل الى الكفر فلا بعد في اطلاقه على المومن
العاصي باعتبار ارادة العذاب او نفس العذاب على ما تقدم ويحتمل ان يكون منه
قوله تعالى في حق مومني بني اسرايل ونزلنا عليكم المن والسلوى كلوا
من طيبات ما رزقناكم ولا تطغوا فيه فيحل عليكم غضبي الاية اذا فسرنا
الطغيان بالانفاق بالمعصية او بالادخار او بكفر النعمة وترك شكرها ونحن
ابن عباس تفسير الطغيان هنا بالظلم وهو محتمل للظلم الخاص الذي هو
الكفر والظلم العام المتناول للمعاصي التي هي دون الكفر وفي الحديث من لم
يسال الله يغضب عليه وفي الحديث ايضا ان الصدقة تطفي غضب الرب سبحانه
ونحو ذلك ن اذا تقرر هذا فقد اختلف في المراد بالمغضوب عليهم والضالين
هنا فالجمهور على ان المغضوب عليهم اليهود والضالين النصارى ن وقد رواه
عدي بن حاتم في قصة اسلامه عن النبي صلى الله عليه وسلم كما اخرجه الامام
احمد في مسنده والترمذي في جامعه واستشهد له المفسرون بقوله تعالى
في حق اليهود وغضب الله عليهم وبقوله تعالى وباوا بغضب من الله ومن
ذلك قوله تعالى يا ايها الذين امنوا لا تتولوا قوما غضب الله عليهم يعني اليهود
وقوله تعالى الم تر الي الذين تولوا قوما غضب الله عليهم يريد اليهود ايضا و
وقال تعالى في حق النصارى قد ضلوا من قبل واضلوا كثيرا وضلوا عن
سوا السبيل وقيل المغضوب عليهم المشركون والضالون المنافقون واداله
من الخطيب احتمالا ورجحه ثم في اخر الكلام على الاية بنيه على ان الاية
تدل على ان الناس ثلاث فرق فرقة الطاعة وهم المنعم عليهم وفرقة
المعصية وهم المغضوب عليهم وفرقة الجهل وهم الضالون وقيل المغضوب
عليهم باتباع البدع والضالون عن الهدى وقيل غير ذلك واختار الشيخ
اثير الدين رحمه الله تعالى ان ذلك عام في كل من غضب الله عليه وضل وكلامه
يتناول كل من امكن تعلق الغضب به وان كان من عصاة المومنين وكل
من ضل عن الصواب والهدى وان كان في فروع الدين لكن الضلال المختلف

فيه من المجتهدين لا ينبغي ان يكون من هذا القبيل فان من اجتهد فصوب شيئا
لا يقدح في حقه تضليل اخر وانما ذكرت هذا توطية للرد على من قال المغضوب
عليهم الذين لم يقولوا بفرضيته هذه السورة في الصلاة والضالون الذين لم
يعرفوها فانه قول قبيح يودي الى تناول الاية لكل مجتهد خولف في اجتهاده
اذ ليس احد المجتهدين في تضليل الاخر بالاولى من الاخر ولو لم يتمسك المجتهد
بما يسوغ له القول بما اجتهد فيه لما اقدم عليه وقد ذكر القرطبي رحمه
الله تعالى هذا القول وحكاه عن حقائق السلمي وتفسير الماوردي ثم قال
وليس بشي قال وقال الماوردي هذا وجه مردود لان ما تعارضت فيه الاخبار
وتقابلت فيه الاثار وانتشر فيه الخلاف لم يجز ان يطلق عليه هذا الحكم انتهى
قال ابو حيان رحمه الله واذا صح الحديث لم يجز العدول عنه يعني الحديث
المذكور في ان المغضوب عليهم اليهود والضالين النصارى ولا شك فيما قاله
الا ان الحديث يمكن حمله على بيان اعظم المغضوب عليهم والضالين في على
الغضب عليهم وتلبيس نظير الحج عرفة فعرفة اعظم اركان الحج لا جميعه ويحتمل
ايضا التنبيه بذكر اليهود والنصارى على كل من كان داخلا في مادة
كفرهم من الاشراك بالله سبحانه ونحو ذلك فيشتمل كل غضب وضلال نشا عن
خلل في الاعتقاد وابطال حكم شرعي ويمكن ان يحمل ايضا على بيان ان الغضب
والضلال المعاكس الصراط المستقيم هو ما وصف به اليهود والنصارى لا مطلق
كل ضلال ويصير هذا الاحتمال نظير كما صح به النبي صلى الله عليه وسلم في الظلم
لما نزل قول الله تعالى الذين امنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم وشق ذلك على
الصحابة رضي الله عنهم وقالوا اينا لم يظلم نفسه فقال انه النبي صلى الله عليه وسلم
ليس ذلك بظلم الم تسمعوا ما قال لقمان لابنه وهو يعظه يا بني لا تشرك
بالله ان الشرك لظلم عظيم وهذا من باب التوسعة على السالكين حتى لا
يخرجهم القنوط عن تكميل سلوكهم والله تعالى اعلم وبحسب اختلاف الناس في
تفسير الغضب والضلال بالكفار او التعميم لكل مغضوب عليه وضال اختلفت
اقوالهم في ذلك واشتهرت اقوالهم في متعلقات الغضب والضلال وتعددت
مراتب ذلك في اقوالهم وقد ساق السلمي رحمه الله في كتابه المسمى بالحقائق
اقوالا عن السادة الصوفية في ذلك وكان كلا منهم نص على ما ظهر له انه احذر

بالغضب

بالغضب واخطر في الضلال وقد تركت ذكر هذه الاقوال هنا اختصارا ولان
ما قررته ينبه عليها ان واذا تاملت ذلك عرفت اشتمال الاية على ذكر اعداء
الله سبحانه واعداء انبيايه ورسله وملايكته واوليايه ودينه سبحانه من
سائر الانس والجن فكلهم لا يخرج عن ان يكون مغضوبا عليه او ضالا
فان قلت ما الحكمة في عطف الضالين على المغضوب عليهم وجعلهم فريقين
فهل يتصور مغضوب عليه غير ضال وضال غير مغضوب عليه قلت قد تقدمت
الاشارة الى الخلاف في كلمة لا وهل هي للتاكيد او صلة وغير ذلك ومن
تامل ما تقدم ظهر له ان كلام الاكثرين يدل على المغايرة بين الفريقين
وكلام بعضهم يدل على انهما فريق واحد وان تنوع كفرهم وانه يلزم من الغضب
الضلال ومن الضلال الغضب ن ومما يمكن ان يقال انه يمكن ان يتصور
غضب من غير ضلال وضلال من غير غضب من حيث الجملة من حيث المفهوم
ذلك في مراد هذه الاية مع ان بعضه يوجد في الاية وذلك ان الذين كفروا
عنادا كاليهود لعنهم الله كانوا يعلمون الحق ويعرفون النبي صلى الله عليه وسلم
بصفة نبوته كما يعرفون ابناءهم وانما حملهم على انكار الحق والكفر بالله سبحانه
حرصهم على بقاء مملكتهم والحسد وغير ذلك فلم تكن عقولهم ضالة عن الحق في
الاعتقاد لكنهم رؤوس الضلال وموصوفون بالضلال باعتبار ما تجرؤا عليه من
الكفر وحادوا به عن طريق الهدى فاستحقوا غضب الله سبحانه مع امكان نفي
الضلال من بعض الوجوه عنهم واما الضلال من غير غضب فيتصور في المجتهد
المخطي اذا كان ماذونا له في الاجتهاد ومن اهله واما التعريض الواقع في
الاية بين المغضوب عليهم والضالين فان اليهود لما كان ضلالهم من وجه دون
وجه مع ان الغضب محيط بهم من كل وجه اعني من حيث كفروا ومن حيث كتموا
الحق وستروا فناسب ان يخصوا في التسمية بالمغضوب عليهم والمنافقون عكس
هؤلاء كان ضلالهم في الاعتقاد وظاهرهم في جملة المقتدين بالانقياد وقد
شاركوا اليهود في الغضب واما النصارى فمع كونهم مغضوبا عليهم ضلوا
من كل الوجوه اعني في باطن الاعتقاد وظاهر الانقياد فناسب ان يخصوا
في التسمية بالضالين فالفريقان مشتركون في غضب الله سبحانه ولكن افترقوا
من بعض وجوه الضلال فخصت كل فرقة باسم ليتميز بين الفريقين بالنسبة

الى جهة الضلال لا بالنسبة الى الغضب والله اعلم **تنبيه** نبه الامام فخر
الدين رحمه الله في تفسيره على تعلق المعتزلة بهذه الاية فيما زعموه من
خلق الاعمال وقالوا لولا ان الناس يخلقون اعمالهم لما تعلق بهم الغضب ونسبوا
الى الضلال ثم اجاب رحمه الله بجواب اصحابنا المتكلمين من ان الغضب
انما تعلق بهم بسبب علم الله تعالى بما سيقع من ضلالهم قال وعلى هذا فصفة الله
تعالى موثرة في صفة العبد بسيرا الى ما سبق من ان قضا الله عليهم بذلك قال
ولو قلنا ان ضلالهم هو المقتضي للغضب لكانت صفة العبد توثر في صفة الله
تعالى وهو محال **واعلم** انه قد مضت لك ان توجه اللوم الشرعي على المذنب انما
هو بسبب ما خلق الله من القدرة الحادثة المقارنة لفعله فمن حيث ترتب
الحكم في الظاهر نقول عند حدوث الذنب حدث تعلق اللوم الشرعي وتعلق
غضب الله سبحانه بالمغضوب عليه من اهل الذنوب ولا يلزم من حدوث تعلق
صفة الغضب حدوث الغضب ان قلنا ان الغضب صفة ذات واما اذا
قلنا الغضب هو العقوبة فلا اشكال في حدوثها بعد الذنب وبالجملة فصفات
الله تبارك وتعالى قديمة ولها تعلقات بالحوادث في حدوثها والحق سبحانه
وتعالى هو الخالق لكل شي والفاعل على الحقيقة لكنه خلق لمن يشا قدرة على
الطاعة ومدحه عليها وخلق لمن يشا قدرة على المعصية وذمه عليها كما انه
وفق من يشا لمراضيه ورضي عنه بذلك وخذل من يشا فاوقعه في معاصيه
وغضب عليه بذلك لا يسال عما يفعل وهم يسالون **فصل** قد نبه الشيخ
اثير الدين وغيره في اخر تفسير الفاتحة على انواع مما اشتملت عليه من وجوه البلاغة
والفصاحة وقد حذفت ذكرها هنا لامور احدها ايثار الاختصار
والثاني ان فيما نعلم ما ينبه على شي من ذلك والثالث اني لا ارضى ان
احمل ما تضمنته هذه السورة من انواع الاعجاز والبلاغة والفصاحة
وغير ذلك معدودا وما ذا عسى يبلغ عد العادين وفهم المتدبرين فقلت
نصرك الله بصيرتك في هذه السورة اجمالا وتفصيلا وقف على تراكيب
اياتها ومفردات كلماتها وافراد حروفها وما اشتملت عليه من العجايب
والغرايب التي لا يحصلها الا البصاير المبصرة من وجوه التوجهات
التي هي بنور التوفيق مسفرة وهي التي يدري عما لاها من مسرات تلك

الاسرار

الاسرار ضاحكة مستبشرة وانسج وفقك الله على المنوال الذي نصبته لك في
هذا الكتاب واخلص النية لعل الله ان يظفرك بالصواب وانسلخ
منك وغب عنك فانك عين الحجاب بلا وجود لك من حيث انت انت
وانما هو ظهور اثار اظهرها بايجاده رب الارباب فوجدت شيا
ويوجد له ما لم يشا وقد خلقتك من قبل ولم تك شيا هل اتى على الانسان حين
من الدهر لم يكن شيا مذكورا والله اخرجكم من بطون امهاتكم لا تعلمون
شيا وجعل لكم السمع والابصار والافيدة لعلكم تشكرون **واني اسال
الله تعالى** ان يوفقني وساير المسلمين لما يرضاه من العلم والعمل ويحفظنا
من الخطا والزلل والفشل والكسل واقترح على كل من وقف على كتابي
هذا ان يستغفر الله تعالى لي بصدق توجه ويساله سبحانه ان يرحمني
في الدنيا والاخرة برحمته التي لا يرحم بها الا من رضي عنه مع العافية
الكاملة الشاملة حتى يبعثني امنا ويدخلني الجنة بغير حساب ولا
عقاب فان ذلك عليه يسير وهو على كل شي قدير وحسبنا الله ونعم الوكيل
وصلى الله على سيدنا محمد واله وصحبه وسلم ○

تم الكتاب بحمد الله وعونه وحسن توفيقه وكان الفراغ من نسخه يوم
الاربعا المبارك ثالث جمادى الاخر احد شهور سنة تسع وخمسين وثمان مايه
احسن الله خاتمتها امين على يد العبد الفقير الحقير المعترف بالتقصير
الراجي الى عفو ربه القدير عبد الرحمن بن محمد ابن محمد المكي الشافعي
غفر الله له ولوالديه ولمن كان السبب في نسخ هذا الكتاب ولمالكه ولمن
يطالع فيه ولمن دعا لهم بالمغفرة ولجميع المسلمين والمسلمات والمومنين والمومنات
الاحيا منهم والاموات ○ وصلى الله على سيدنا محمد واله وصحبه وسلم وحسبنا الله ونعم الوكيل

فوائد زوائد الاصول الى

للكوفي

هكشاف الصبو

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين

الحمد لله المتعرف باحديته لجميع القلوب من اودية تفرقها
والمتصف بكمال صمديته لترجع حقايق الكون اليه تتعلقها واشهد
ان لا اله الا الله وحده لا شريك له الذي لم يلد ولم يولد وانزهه عن المثل
والمثال وعن كل ما يعرض في الوهم والخيال مما يليق بما وجب له من وصف
الكمال فانه الاحد الذي لم يكن له كفوا احد واشهد ان سيدنا محمدا صلى الله
عليه وسلم عبده ورسوله المدلول على عبديته ورسالته بالمعجزات القاهرة
لتظهر كل من جحد ولحد المميز في معجزاته ببقاء اعظمها وهو القران الذي
تؤيد به دعوته وتفضل فالازمان تنقضي ومعجزته باقية باعجازها لا
تنفد صلى الله عليه وعلى اله واصحابه وازواجه وذرياته وضاعف ذلك
تضعيفا لا يحد **اما بعد** فكل سورة من القران الكريم تشتمل على جملة من فواصل
فوايده وتوقف المتامل على ذخاير اسراره التي واجدها مسعد واجل
بل التزم ذلك في غالب اياته واعلم عجز الخلق عن الاحاطة بكنه حقايقه
وقد اشرت فيما علقته على الفاتحة الى ان جوامع المقاصد القرانية ستة
وهي التعريف بالمعبود وصفاته والتعريف بالعبيد وصفاتهم والتعريف
بالوسايط بينهم وبين معبودهم والتعريف بما جاءت به الوسايط من تكليفها
والتعريف بالاعداء القاطعين لهم عن المعبود والتعريف بالفضل المترتب
على الايمان والطاعة في العاجل والاجل ترغيبا وتشويقا والتعريف بما
يترتب على الكفر والمعصية ترهيبا وتحذيرا **ولما** تدبرت سورة
الاخلاص فاذا هي مشتملة على مقاصد يمكن ان يستخرج منها مقاصد جميع
القران مع ما فيها من الايما الى تفاصيل جمل تظهر عند البيان فاردت
ان انبه على مقاصد فوايدها مع الاختصار وافتح بذلك باب التبصر في
معانيها لذوي الاستبصار **واقدم** على ذلك فصولا وهي فصل في
فضلها وفصل في بعض ما تستحب فيه قراءتها وفصل في سر تسميتها
ثلث القران ليحمل تعظيمها على حسن التوجه اليها بعين الاعتبار وفصل
في سبب نزولها وسميته موارد ذوي الاختصاص الى مقاصد سورة الاخلاص
والله تعالى المسؤول ان يمن بالهداية والقبول والمغفرة فهو الجواد

والاخلاص م

العفار **فصل** في فضايلها ثبت في الصحيحين وغيرهما انها تعدل
ثلث القران ففي صحيح البخاري وسنن ابي داود والنسائي عن ابي سعيد
الخدري ان رجلا سمع رجلا يقرا قل هو الله احد يرددها فلما اصبح
جاء الى النبي صلى الله عليه وسلم فذكر ذلك له وكان الرجل يتقالها وفي
لفظ يتقالها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده انها تعدل
ثلث القران يتقالها ويتقللها بمعنى واحد من القلة **وفي** البخاري عنه
ايضا ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ايعجز احدكم ان يقرا في ليلة ثلث
القران قالوا وايّنا يطيق ذلك قال قل هو الله احد الله الصمد ثلث القران
وللحديث الفاظ وطرق رواها مسلم بعضها باللفظ المتقدم من رواية
ابي الدرداء واخرج له في رواية اخرى ان الله جزّأ القران ثلاثة اجزاء
فجعل قل هو الله احد جزءا من اجزاء القران **وروى** مسلم ايضا من حديث
ابي هريرة انه صلى الله عليه وسلم قال في قل هو الله احد انها تعدل
ثلث القران **وفي** مسلم ايضا عن ابي هريرة قال خرج علينا رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقال احشدوا فاني ساقرا عليكم ثلث القران فقرا
قل هو الله احد الله الصمد حتى ختمها واخرج الترمذي عن انس ان
النبي صلى الله عليه وسلم قال لرجل من اصحابه هل تزوجت يا فلان قال لا
والله يا رسول الله وما عندي ما اتزوج به قال اليس معك قل هو الله احد
قال بلى قال ثلث القران قال اليس معك اذا جاء نصر الله والفتح قال
بلى قال ربع القران قال اليس معك قل يا ايها الكافرون قال بلى قال
ربع القران قال اليس معك اذا زلزلت الارض قال بلى قال ربع القران
تزوج تزوج قال الترمذي حديث حسن وزاد في رواية اخرى عنه
للامام احمد في مسنده قال اليس معك ... قال بلى قال ربع القران
وفي رواية للترمذي ايضا من حديث ابن عباس انه صلى الله عليه وسلم قال
اذا زلزلت تعدل نصف القران وقل هو الله احد تعدل ثلث القران
وقل يا ايها الكافرون تعدل ربع القران واخرجه الحاكم ايضا وقال صحيح
الاسناد **واخرج** الترمذي عن ابي هريرة ايضا ان النبي صلى الله عليه
وسلم سمع رجلا يقرا قل هو الله احد فقال وجبت فسالته ماذا يا رسول

حسن

الله قال الجنة. قال الترمذي حديث صحيح واخرجه ايضا الامام مالك
في الموطا والنسائي والحاكم في المستدرك وقال صحيح الاسناد وروى
الترمذي عن انس بن مالك ان رجلا قال يا رسول الله اني احب هذه السورة
قل هو الله احد قال ان حبها ادخلك الجنة وذكره البخاري في صحيحه
تعليقا وفي الصحيحين وغيرهما عن عائشة رضي الله عنها ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم بعث رجلا على سرية فكان يقرا لاصحابه في صلاتهم فيختم
بقل هو الله احد فلما رجعوا ذكروا ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال
سلوه لاي شي صنع هذا فقال لانها صفة الرحمن فانا احب ان اقرا بها فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم اخبروه ان الله يحبه وفي البخاري عن انس
ان رجلا من الانصار كان يؤمهم بقبا فكان اذا افتتح سورة قرا قل هو الله
احد ثم يقرا السورة يفعل ذلك في صلاته كلها فقال له اصحابه في ذلك فقال
لهم ما انا بتاركها ان احببتم ان اؤمكم بذلك فعلت والا فلا وكان من افضلهم
وكانوا يكرهون ان يؤمهم غيره فاتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكروا ذلك
له فدعاه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا فلان ما يمنعك ان تفعل ما يامرك
به اصحابك وما يحملك على لزوم هذه السورة فقال حبها فقال ان حبها ادخلك
الجنة وروى الترمذي والبيهقي من حديث انس ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال من قرا قل هو الله احد مائة مرة غفر له ذنوب مائتي سنة
وفي رواية من قرا قل هو الله احد في يوم مائتي مرة كتب له الف وخمسمائة
حسنة ومحي عنه ذنوب خمسين سنة زاد في رواية الا ان يكون عليه
دين واخرج الترمذي ايضا عن ابي هريرة رضي الله عنه ان النبي صلى الله
عليه وسلم قال من قرا قل هو الله احد ثنتي عشرة مرة وكانما قرا القران اربع
مرات وكان افضل اهل الارض زاد في رواية بعد صلاة الفجر وقال
وكان افضل اهل الارض يومئذ اذا اتقى واخرج الترمذي والبيهقي ايضا
عن انس ان النبي صلى الله عليه وسلم قال من اراد ان ينام على فراشه من الليل
فنام على يمينه ثم قرا قل هو الله احد مائة مرة اذا كان يوم القيمة يقول الرب
تعالى يا عبدي ادخل على يمينك الجنة وروى البيهقي عنه ايضا ان النبي صلى
الله عليه وسلم قال من قرا قل هو الله احد على طهارة كطهوره للصلاة مائة مرة يبدا

بفاتحة

بفاتحة الكتاب كتب الله له بكل حرف عشر حسنات ومحي عنه عشر سيئات ورفع له عشر
درجات وبني له مائة قصر في الجنة ورفع له من العمل في يومه ذلك مثل
عمل نبي وكانما قرا القران اربعا وثلاثين مرة وهي براءة من الشرك
ومحضرة للملائكة ومنفرة للشياطين ولها دوي حول العرش تذكر صاحبها
حتى ينظر الله اليه فاذا نظر اليه لم يعذبه ابدا وروى انضا هو والترمذي
عنه ايضا انه صلى الله عليه وسلم قال من قرا قل هو الله احد مائتي مرة غفر له
خطيئة خمسين سنة اذا اجتنب اربع خصال الدما والاموال والفروج
والاشربة وعن انس قال غزونا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم غزوة
تبوك فطلعت الشمس ذات يوم ونحن بتبوك بنور وشعاع وضيا لم نرها
مثل ذلك فيما مضى فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يتعجب من ضيائها
ونورها اذ اتاه جبريل عليه السلام بالوحي فسال جبريل ما للشمس طلعت
لها نور وضيا وشعاع ولم ارها طلعت فيما مضى مثل ذلك قال يا نبي الله انه
مات اليوم معاوية بن معاوية الليثي فبعث الله اليه سبعين الف
ملك يصلون عليه فقال بم ذلك يا جبريل قال بكثرة تلاوته قل هو الله احد
قايما وقاعدا وماشيا وانا الليل والنهار فهل لك يا رسول الله ان تصلي عليه
ثم ترجع فاقبض لك الارض ففعل وصلى عليه ثم رجع وفي رواية
مرسلة انه صلى الله عليه وسلم كان في غزوة تبوك فاتاه جبريل فقال يا محمد
هل لك في جنازة معاوية بن معاوية فقال صلى الله عليه وسلم لجبريل يا جبريل بم
بلغ معاوية هذا قال بكثرة قراته قل هو الله احد كان يقراها قايما
وقاعدا وراقدا وماشيا وراكبا فبهذا بلغ ما بلغ وهذه الرواية تشير
الى ان علو قدر معاوية الذي قال فيه النبي صلى الله عليه وسلم بما بلغ هذا
كان بدعائه صلى الله عليه وسلم الى الصلاة عليه وان ذلك التخير لمعاوية انما
جوزي به على كثرة قراته لهذه السورة وهذا المعنى موجود في
الحديث الاول لكنه في هذه الرواية اظهر وفي الحديث ايضا مما ذكر
القرطبي ان الثعلبي اخرجه من حديث علي ابن ابي طالب مرفوعا الى
النبي صلى الله عليه وسلم من مر على المقابر فقرا قل هو الله احد احدى عشرة
مرة ثم وهب اجره للاموات اعطي من الاجر بعدد الاموات
وروى ابو نعيم في تاريخ اصبهان عن جابر رضي الله عنه قال قال

رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ قل هو الله احد كل يوم خمسين مرة
نودي يوم القيمة من قبره قم يا مادح الله فادخل الجنة وروى الطبراني
في كتاب الدعا له من حديث جابر بن عبد الله ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال ثلاث من جاء بهن مع ايمان بالله عز وجل دخل من اي ابواب الجنة
شاء وزوج من الحور العين من ادى دينا خفيا وعفى عن قاتله وقرأ في
دبر كل صلاة قل هو الله احد عشر مرات فقال ابو بكر رضي الله عنه
او احداهن يا رسول الله قال او احداهن وروى ابو الفرج بن الجوزي
في كتاب الجواهر له بسنده الى عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال من قرأ
في الركعتين اللتين قبل الغداة يقرأ في الاولى بفاتحة الكتاب وقل يا ايها
الكافرون واية الكرسي وفي الثانية اثنى عشر مرة قل هو الله احد بنى
الله له مائة الف الف غرفة من لؤلؤ وروى بن ابي شيبة عن ابن مسعود
رضي الله عنه قال بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي اذ سجد فلدغته عقرب
في اصبعه فانصرف يقول ماء وملح فجعل المكان في الماء والملح وقرأ قل هو الله
احد والمعوذتين حتى سكنت ٥ وفضائل هذه السورة اكثر من ان تحصى
وكيف لا تكون كذلك وقد اشتملت على جملة التوحيد وملاك امر التمجيد وهدمت
قواعد الملحدين وردت على جميع الضالين والمبتدعين ومن تأمل ما
سيأتي من تقرير مقاصدها ظهرت له وجوه ردها على الفرق الثلثين ٥
والسبعين مع اني لم اتعرض لذلك على التفصيل ولكني اوردت منه ما يهدي
الى ذلك السبيل وحسبنا الله ونعم الوكيل **فصل** ولتاكد فضلها شُرعت
قراءتها في الركعة الثانية من ركعتي سنة الفجر والركعتين بعد المغرب
ومن ركعتي الطواف وركعتي الاحرام وركعتي الاستخارة وصلاة الحاجة
وفي ركعة الوتر والاحاديث الدالة على ذلك موجودة لمن التمسها وقد
تقدم في فصل فضلها بعض الحالات التي تستحب قراءتها فيه
وروى البيهقي عن ابن عباس موقوفا عليه من صلى ركعتين يقرأ فيهما
قل هو الله احد احدى وثلاثين مرة بنى له الف قصر من ذهب في الجنة
ومن قرأها في غير صلاة بنى له مائة قصر في الجنة ومن قرأها اذا دخل
الى اهله اصاب اهله وجيرانه منها خيرا **فصل** في كونها ثلث القران

اختلف

اختلف في معنى ذلك فاحسن ما قيل واصوبه ما دل عليه سياق الاحاديث
وقال به من يعتمد قوله من رؤس العلماء ان ثواب هذه السورة تعدل
ثواب ثلث القران بسبب ما خصت به من التعريف بصفات المعبود سبحانه
وليس المراد ان من قرأها مرة كان قاريا لثلث القران لفظا ولا ان من قرأها
اتى بجميع ما تضمنه ثلث القران من المقاصد كلها وان كانت قد اشتملت
على ثلث مهمات مفاصله كما سياتي نقله فقاريها مرة كقاري ثلث القران
في الثواب لا في التلاوة ولهذا جاءت كاف التشبيه في بعض الاحاديث التي
تقدمت في فصل فضلها من قوله صلى الله عليه وسلم من قرأ قل هو الله احد
اثنى عشرة مرة فكانما قرأ القران اربع مرات ولم يقل فقد قرأه اربع مرات
وهذا معنى لفظ الصحيحين من قوله صلى الله عليه وسلم انها لتعدل ثلث
القران وعلى هذا تحمل بقية الاحاديث وان لم يكن فيها التشبيه مثل قوله
صلى الله عليه وسلم في رواية البخاري ايعجز احدكم ان يقرأ في ليلة ثلث
القران الحديث فهي في ذاتها سورة واحدة من القران وفي ثوابها كانها
ثلثه ولهذا نظاير **منها** كون الصلاة وساير اعمال البر في الحرم المكي بمائة
الف وكون الصلاة في مسجد النبي صلى الله عليه وسلم بالف صلاة وكونها في المسجد
الاقصى بخمسماية او بغير ذلك مما ورد في تضعيفها وكون الصلاة بالسواك
تزيد على سبعين صلاة بغير سواك وما اشبه ذلك مع ان الصلاة الواحدة
من جميع ذلك لا يعتد بها الا واحدة ولا تسقط عن الذمة صلاتين مثلا فهي صلاة
نفيسة في ذاتها يبلغ ثوابها مبلغ ثواب العدد الذي قرنت به ومثال ذلك
فص الياقوت الاحمر مثلا فانه في القيمة يقوم مقام فصوص كثيرة مما دونه
مع انه في ذاته لا يكون فصين في خاتمين مثلا وكذلك الثوب النفيس وساير
النفايس لا تتعدد وحدتها ولا تتكثر قلتها مع علو قيمتها فكذلك سورة
الاخلاص وما في معناها لا تجزي قراءتها عن قراءة غيرها الا في الثواب
حتى لو حلف ليقرأن ثلث القران ولم يقصد هذه السورة لا يبر الا بقراءة ثلث
كامل عشرين حزبا ولا يبر بالاقتصار عليها اذا تقرر هذا فقد اختلف في
سبب تضعيف ثوابها حتى صار كثواب الثلث فقيل لان القران اشتمل
على قصص وشرايع وصفات وهذه السورة كلها صفات اي صفات الله تعالى فهي

مشتملة على ثلث ما اشتمل عليه القران فناسب ان تكون ثوابها كثواب
ثلثه واعترض على هذا بانه يلزم منه ان تكون اية الكرسي واخر سورة
الحشر ونحو ذلك ثلثا ثلثا قلت لا يلزم هذا الا التي ساوت هذه المذكورات
فيما اشتملت عليه من الصفات مع ما يترتب من الحكم والاحكام على تركيب
اسنادها وترتيب ايرادها وليس ذلك بموجود وانما الموجود اشتراكها في
اصل اشتمالها على الصفات فيلزم اشتراكها في اصل الفضل ونحن نقول به ثم
يمتاز كل شي منها في الفضل بحسب ما امتاز به في الدلالة والاستلزام ومن
اقرب ما يفرق به بين سورة الاخلاص وغيرها انها صرحت بصفة الصمدية
وسياتي في هذا المعنى زيادة ان شا الله تعالى فهذه السورة استحقت مشاركة
فواضل الايات بما اشتملت عليه من ذكر الصفات وامتازت بكونها ثلثا عن ما لم
يبلغ الثلث بما اختصت به من ذكر بعض الصفات مما لم يكن في غيرها وقد تقدم
في احاديث فضلها قول الصحابي رضي الله عنه الذي كان يقراها في صلاته
لانها صفة الرحمن فانا احب ان اقراها اي هي ذات حظ وافر من ذكر صفات
الرحمن وقال الغزالي مقاصد القران ستة ثلاثة منها هي الاصول المهمة وثلاثه
تابعة لها متممة فالاصول المهمة معرفة الله سبحانه ومعرفة الصراط (ومعرفة الاخرة)
المستقيم فكل ما في القران من هذه الثلاثه او من توابعها وهذه السورة
مشتملة على معرفة الله تعالى فناسب ان تكون ثلثا للقران انتهى معنى
كلامه وهذا الاعتبار يمكن ان يختلف التعبير عنه مع تقارب المعنى فيحتمل
ان يقال ان مطالب القران التي سيقت قصصه واخباره لها ثلاثه التكليف
بالايمان وبصالح الاعمال وبمحاسن الاخلاق وهذه السورة مشتملة على
مطالب الايمان ويحتمل ايضا ان يقال اشتمل القران من الثنا على ثلاثه انواع
الثنا على الله والثنا على من وجبت لهم العصمة من خلق الله وهم الانبيا
والرسل والملائكة عليهم الصلاة والسلام والثنا على الموفقين ممن لم تجب
لهم العصمة من صالحي العباد وهذه السورة مشتملة على الثنا على الله فان
قيل يلزم ان تكون ثلثا لا ثلثية القران لا الجمعة قلت وان لزم لكن
اثلثية القران اعظم مهماته فناسب ان يناط الحكم بها كقوله صلى الله عليه وسلم
الحج عرفة الندم توبة وقد علم ان للحج والتوبة اركانا اخر ويحتمل

ايضا ان

ايضا ان يقال تعريفات القران كلها تجتمع في تعريفات ثلاثه وهي
التعريف بالله سبحانه وبصفاته وباحكامه والتعريف بافعاله الفضلية
والتعريف بافعاله العدلية وهذه السورة مشتملة على التعريف بالله
وبصفاته وباحكامه كما سياتي بيانه واعلم ان القران كله يرجع مقتضياته
ومعانيه الى مقتضيات الاسما الحسنى ومعانيها وهي مشتملة على هذه التعريفات
الثلاثه المذكورة اخيرا وقد اشتملت هذه السورة على ثلاثه اسما وهي
الله والاحد والصمد وهي كالاصول لساير الاسما المعرفة بالله وبصفاته
وباحكامه فهذه السورة اشتملت على الاسما المستلزمة لثلث معاني الاسما
الحسنى كلها فناسب ان تكون ثلثا للقران لما تقدم من ان القران يتضمن
بسط مقتضيات الاسما الحسنى ومن لطيف ما وقع في هذا التاليف
ان عدد المقاصد التي استخرجتها من هذه السورة ثلثة وثلاثون مقصدا
وذلك ثلث عدد الاسما الحسنى التسعة والتسعين وقد ربط الشرع بهذا العدد
التسبيح والتحميد والتكبير عقب الصلوات وعند اخذ المضجع ولما تعرض الامام
الحافظ ابو عمر بن عبد البر رحمه الله لذكر كون هذه السورة ثلث القران وذكر
ما قيل فيه ذكر اقوالا استبعد بعضها واعترض على بعضها ورجح بعضها
واختار رابعها فاما الذي استبعده فهو ما قيل من ان النبي صلى الله عليه وسلم
سمع شخصا يكرر هذه السورة بقدر قراة ثلث القران فخرج الجواب
منه صلى الله عليه وسلم على هذا قال اعني ابن عبد البر رحمه الله وفيه بعد
عن ظاهر الحديث قلت لا ينبغي ان يقنع فيه بالاستبعاد بل يقطع بكونه
غير المراد واما الذي اعترض عليه فهو كون القران اشتمل على قصص
وشرايع وصفات وقد تقدم ذكره والاعتراض عليه والجواب عنه واما
الذي رجحه فهو كونها تعدل في الثواب قال وهو الذي يشهد له ظاهر
الحديث ثم اختار رحمه الله امرا رابعا وهو ان السكوت في هذه المسله
ونحوها اولى من الكلام فيها واسلم ثم روى عن اسحق بن منصور انه قال
قلت لاحمد بن حنبل قوله صلى الله عليه وسلم قل هو الله احد تعدل ثلث القران
ما وجهه فلم يقم لي فيها على امر قال وهذا يخرج منه قول بالوقف وقال يعني (قال ح)
اسحق بن منصور وقال لي اسحق بن راهويه معناه ان الله تعالى لما فضل كلامه

على سائر الكلام جعل لبعضه ايضا فضلا في الثواب لمن قراه تحريضا منه
على تعلمه وليس المراد ان من قرا قل هو الله احد ثلاث مرات كان كمن قرا
القران جميعه هذا لا يستقيم ولو قراها مايتي مرة انتهى كلام اسحق بن راهويه
قال الامام ابو عمر بن عبد البر رحمه الله هذان امامان بالسنة ما قاما ولا
تعدا في هذه المسلة قلت وفي هذا الكلام نظر اما الامام احمد رضي الله عنه
فلم تنقل لنا لفظه في الجواب لنعرف منه عدم القيام والقعود واما اسحق بن
منصور فهو الذي فهم عنه انه لم يقم فنبه على امر فيحتمل ان يكون هذا من فهمه خاصة
ويحتمل ان يكون لعذر اخر يتعلق بالامام احمد او بالسايل او بحاضر اخر او غير ذلك
واما اسحق بن راهويه فانه قام وقعد لانه قام في اثبات فضل ثوابها عملا بما
ورد في ذلك وقعد بنفي ما قد يتوهم من كون تلاوة هذه السورة تجزي عن
تلاوة ثلث القران كما قد يتطرق الوهم الي ان الصلاة في احد المساجد الثلاث
مثلا يجزي عن العدد الذي ذكر من التضعيف ففرق رحمه الله بين
ثبوت الثواب المضاعف الذي يماثل في الفضل ثواب ثلث القران وبين
عدم اجزايها عن غيرها من الثلث كما تقدم تقديره ونبه على ان تفضيل بعض
القران على بعض ليس ببديع وان كان كله كلام الله كما ان تفضيل القران على
غيره من كتب الله ليس بدعا وان كان الجميع كلامه سبحانه ولا شك في ان
مناط التفضيل انما هو متعلقات الكلام فتختلف فضايل الكلام بحسب اختلاف
متعلقاته وقد وقع في كلام بعض الاشياخ في معنى كون هذه السورة تعدل
ثلث القران انها انما تعدل ثلث القران اذا فرضنا الثلث غير مضاعف وجعل
ذلك نظير قوله صلى الله عليه وسلم من صام رمضان واتبعه ستا من شوال كان
كصيام الدهر قال لان الحديث محمول على ان من صام السنة مضافة الي شهر
رمضان وهو ثلاثون يوما اي في الغالب او في ثبوت اجره فقد صام ستة
وثلاثين يوما والحسنة بعشر امثالها فمبلغ ذلك ثلثماية وستون يوما وهو عدد
ايام السنة قال فيعدل ذلك ايام السنة كلها اذا كانت السنة غير مضاعفة
والله تعالى اعلم واعلم انه يتسع مجال السوال هنا حتى تسال عن عشر مسايل احداها
ما وجه تخصيص قل يا ايها الكافرون بكونها ربع القران دون الثلث مع اشتراكها
مع سورة الاخلاص في التوحيد وما الفرق بينها وبين ساير ايات التوحيد مما لم يرد فيه

انه ربع ولا ثلث ولا نحو ذلك والثانية ما وجه كون سورة اذا جا نصر الله
تعدل ربع القران وما وجه الفرق بينها وبين سورة انا فتحنا لك
حتى كانت هذه ربعا وتلك لم ترد فيها ذلك الثالثة ما سر كون الزلزلة
ربعا في روايه ونصفا في رواية وما الفرق بينها وبين سورة الحج الرابعة
ما سر كون الفاتحه ام القران وافضله واعظم سورة وكونها ثلثي القران
ونحو ذلك مما فضلت به الخامسة ما سر كون سورة البقرة سنام القران
السادسه ما سر تسميه اية الكرسي سيدة اي القران وكونها ربع القران
السابعه ما سر كون يس قلب القران وكون قراتها قدر قراة القران
عشر مرات الثامنه ما سر كون المفصل لباب القران التاسعه ما سر
تسمية سورة الرحمن عروس القران العاشرة ما سر الهاكم التكاثر تعدل
الف اية فهل مسايل تتعلق بما خصصت به هذه السورة والايات من
الاسما والصفات من غير تعرض للبحث عن بقية السور والايات المنصوص
على فضايلها وعن سر تخصيص كل منها بما جا في فضله فان ذلك يشتمل على مسايل
كثيرة كالسوال عن سر كون سورة الواقعة تغني من الفقر وعن كون
تبارك الملك تنجي من فتنة القبر وعذابه وعن كون عشر ايات من اوله
سورة الكهف او اخرها تنجي من فتنة الدجال الى غير ذلك مع ان كثيرا منها
يعتاص على الافهام بسبب ان الله تعالى ان يخص ما يشا بما يشا من الفضل
لما يعلمه سبحانه من سر كون ذلك مما قد يقرب فهمه للخلق ومما يبعد وقد
وقد عزمت على افراد ما يتعلق بهذه المسايل الاول والاخر ونحوها مع
الاشارة هنا الى بعض المسايل الاول بما يعين على فهم الجواب في سايرها ان
شا الله تعالى اعلم ان اعظم الاشيا ثوابا واعلاها مقدارا معرفة الله تعالى بما يشتمل
عليه من معارف ذاته واسمايه وصفاته واحكامه ثم معرفة رسوله صلى الله عليه وسلم
كذلك وما يتصل بها من معارف الانبيا والرسل والملايكة عليهم الصلاة والسلام
على الوجه المشروح ثم معرفة فروع ذلك مما شرعه الله سبحانه وتعالى من تفاصيل
الدين وجمليه فكل ما دل على معرفة من هذه المعارف كانت رتبته في الفضل
بحسبها وكل شي كانت دلالته اشمل كان افضل كما تقدم فلما اشتملت سورة الاخلاص
على ما لم تشتمل عليه سورة قل يا ايها الكافرون من ذكر صفات الله سبحانه فضل ثوابها

كون ع

على ثوابها بمقدار ما بين الربع والثلث وايضا فالتوحيد يشتمل على اثبات الحقيقة
المعبود وتقديسه ونفي الالهية ما سواه مما عُبد ومما لم يعبد ومدحت سورة
الاخلاص بالاثبات والتقديس في سياق اقتضا ذلك من الخلق ولوحت في حق
النبي صلى الله عليه وسلم واتباعه بنفي عبادة غير المعبود سبحانه وذلك بخلاف سورة
قل يا ايها الكافرون فانها صرحت بالنفي ولوحت بالاثبات والتقديس وكان بين
الرتبتين من النصر بحسب والتلويح بحسب مقدار ما بين الربع والثلث وانما حمل على الغول
بعد ثبوت التفاضل بين السورتين بهذا المقدار مع ما يظهر للمتامل من التفاوت
بينهما فيقع الجزم بان التفاضل بينهما بهذا المقدار وتختلف الظنون في اشتماله سبب
الفرق بينهما والله سبحانه هو المحيط بذلك كما ان له سبحانه ان يختص بالفضل ما
يشاء ثم السور والايات المشتملة على التوحيد مختلفة الدلالات ووجوه التعلقات
فهي مختلفة المراتب في الفضل وبلوغ الربع والثلث والنصف ونحو ذلك ومن
هذا التقرير يوخذ جواب المسألة الاولى وبعض المسايل التي بعدها واما كون
الفاتحة ام القران فلاشتمالها على مقاصده كلها كما نبهت عليه وذلك فيما علقته
على الفاتحة فان قلت فما حكمة ما ورد من كونها ثلثي القران كما اخرجه عبد ابن حميد
في مسنده وهلا كانت كالقران كله فالجواب ان دلالات القران الكريم اما ان
تكون بالمطابقة او بالتضمن او بالالتزام وهذه السورة تدل على مقاصد جميع القران
بالتضمن والالتزام ولا تدل على جميعها بالمطابقة والاثنان من الثلاثة ثلثان وما
يمكن ان يقال ايضا ان الحقوق ثلاثة حق الله على عباده وحق العباد على الله اي
بمقتضى ما حققه بوعده من فضله وحق بعض العباد على بعض وهذه السورة
اشتملت بالتصريح على الحقين الاولين فناسب ان يكون تصريحها ثلثين وفي
حديث قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين ما يشهد لهذا ويحتمل ايضا ان يقال
ان الثلثين عبارة عن معظم الشيء والفاتحة اعظم القران ومشتملة على معظمه كما
يشهد لذلك الحديث فناسب ان يوصف بكونها ثلثين ومن هذه المادة قوله صلى
الله عليه وسلم من تواضع لغني لاجل غناه ذهب ثلثا دينه اي معظمه وفي الحديث
امور اخر وورا هذا من الاسرار الخفية عن مداركنا ما لا يعلمه الا الله سبحانه واما سر
تسمية سورة البقرة سنام القران باموراً منها طولها الذي لم تشاركه فيه ومنها
اشتمالها على جملة شرايع الدين ومنها تصريحها بما لوح به غيرها ومنها كونها من الركن

سلم

لعل
على

سائر
دلالات

تلالا سنام الشيء اعلاه
وقد علت هذه السورة
على سائر القران م

الاول حسب ما اخبر به النبي صلى الله عليه وسلم ومنها فرط ظهور جلالتها حتى
ان الشيطان يفر من البيت الذي تقرا فيه بثلاثة ايام الى غير ذلك من وجوه
علوها وظهورها الظاهرة لمن يتامل وقد اشار النبي صلى الله عليه وسلم الى علوها
وظهورها بنحو قوله صلى الله عليه وسلم في الصحيح اقروا الزهراوين البقرة وآل
عمران فانهما ياتيان يوم القيامة كانهما غمامتان او غيايتان او كانهما فرقان
من طير صواف تحاجان عن صاحبهما اقروا سورة البقرة فان اخذها بركة وتركها
حسرة ولا تستطيعها البطلة فانظر كيف اشار صلى الله عليه وسلم الى نورها وعلوها
وظهورها وفضلها ثم حرض على قرانها بمفردها لتميزها عن رفيقتها وهي آل عمران
في الذكر وذلك من سر تسميتها بسنام القران واما اية الكرسي فلا يخفى تمام
تقرر وجه فضلها وكونها ربع القران واما كونها سيدة اي القران فلانها
اشتملت على ما لم يشتمل عليه اية غيرها من اسما الله سبحانه وصفاته واحكامه
وذكر اتساع مملكته ونحو ذلك فلا يوجد مجموع ذلك الا في سورة كاملة او ايات
متعددة فكانت هذه الاية الواحدة الجامعة سيدة الايات ولم ترد انها سيدة
السور ولهذا ايضا كانت اعظم اية في القران كما ثبت في الصحيح وعلا مقامها على
ساير الايات حتى اخبر صلى الله عليه وسلم بان لها لسانا وشفتين تقدس الملك عند
ساق العرش ولتقديسها يفر الشيطان من المحل الذي تقرا فيه واما سورة
يس فلكونها قلب القران عدلت قرائتها قراءة القران عشر مرات لفضل القلب
على ساير الاعضا وانما سميت قلبا والله تعالى اعلم باعتبار ان قلب الشيء هو سره
الباطن وكنزه المستتر وقد اشتملت هذه السورة من الاسرار الخفية على ما يجل عن
الحصر وذلك مجمل في قوله تعالى يس ومفصل نوع تفصيل في بقية السورة وكلمة
يس كنز القران الاكبر المشتمل على ذخاير اسراره الخفية وانا اعتبرت قول من
قال يس اسم من اسما النبي محمد صلى الله عليه وسلم ظهرت لك مناسبة ذلك من حيث انه
صلى الله عليه وسلم كنز الكمالات الالهية ومستودع الاسرار القرانية وايضا فقلب
الشيء هو الذي به قوام القالب وهذه السورة تتضمن من قواعد العقايد ما تنتظم
به امور عقايد القران كله وايضا فالقلب يتصل به عروق متصلة بجميع اعضا الجسد
بحيث يظهر في الجسد اثار ما يكون في القلب ويظهر في القلب اثار ما يكون في الجسد م
كذلك هذه السورة تتصل اياتها في المعنى بجميع معاني ايات القران كله وقيل انما

سميت هذه السورة قلب القرآن لانها اشتملت على اسم الله الاعظم واما كون
المفصل لباب القرآن فلان لباب الشيء هو مقصوده الاعظم واغنا ما يتوصل
اليه المتوصلون منه وقد اشتملت سور المفصل على انواع تسبيح الله سبحانه
وتقديسه وتنزيهه ومعارفه سبحانه وذلك هو اعظم مقاصد القرآن واهمها
واليه تنتهي غايات المتعبدين ويؤول فضائل الموحدين واما تسمية سورة
الرحمن عروس القرآن فلان العروس ما يتزين بانواع الزينة الكاملة والحلية
الفاضلة وتقترن به مسرات النفوس وينجلي عنه المستوحش الكئيب اعظم
مستبشر واكرم مانوس وقد اشتملت هذه السورة الكريمة على ذكر ما اعده
الله تعالى للمومنين في الجنات وبسط فيها ما لم يبسطه في غيرها في سورة غيرها
من ذكر ذخائر الكرامات فان قلت فقد ذكر الله سبحانه فيها العرض وسؤاله
وجهنم واهوالها قلت ذكر هذا في مثل هذا الموضع مما يتم به التعريف بمقدار
الجنان ويكمل به التفريق لفضل هذه الفضائل التي ادخرها للانسان فكان
هذه السورة سيقت للتشويق الى دار النعيم وتاكيد التشويق بالتنفير من اسباب
الجحيم ولاشتمال هذه السورة على ذكر الجنان التي هي آثار الرحمة بل هي عين
الرحمة كما قال تعالى واما الذين ابيضت وجوههم ففي رحمة الله هم فيها خالدون
وناسب ذلك افتتاحها سبحانه وابتداء كلامه فيها باسمه الرحمن دون سائر السور فان قلت
اسمه الرحمن يدل على آثار رحمته سبحانه الواقعة في الدنيا والآخرة مما يتعلق
بالمومنين والكافرين بالرحمة العامة واسمه الرحيم يدل على آثار رحمته
سبحانه الخاصة قلنا لما كانت هذه السورة مشتملة على انواع آثار الرحمة في الدنيا
والآخرة ناسب ان تفتتح باسمه الرحمن واما سورة الزلزلة فقد جاء في
رواية انها تعدل نصف القرآن وفي رواية انها تعدل ربع القرآن ومما قيل
في حكمة كونها تعدل نصف القرآن ان احكام القرآن تنقسم الى احكام الدنيا واحكام
الآخرة وهذه السورة مشتملة على احكام الآخرة فكانت كالنصف بهذا
بهذا الاعتبار ويحتمل ان يقال انها اشتملت على ذكر كمال صفات الله سبحانه من
حيث تضمنها لما ستظهره من آثار القدرة العلية بزلزلة الارض واخراج اثقالها
ونحو ذلك وهذا هو معنى الاشارة بقوله تعالى يومئذ تحدث اخبارها بان
ربك اوحى لها ثم ذكر سبحانه ما يدل على كمال علمه واحاطته مع كمال قدرته

بقوله يومئذ يصدر الناس اشتاتا ليروا اعمالهم فمن يعمل مثقال ذرة خيرا
يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره فكانت هذه السورة مشتملة على ذكر
صفات الله تعالى فشاركت بذلك آيات التوحيد ثم امتازت بذكر القيامة
فزادت بذلك في الفضل حتى صارت كالنصف واما كونها في الرواية الاخرى
ربعا فلما يحتمل ان يقال فيه ما هو ماخوذ من الحديث وهو ما اخرجه ابو عيسى
الترمذي في جامعه من حديث علي ابن ابي طالب رضي الله عنه ان النبي
صلى الله عليه وسلم قال لا يومن عبد حتى يومن باربع يشهد ان لا اله الا الله
واني محمد رسول الله بعثني بالحق ويومن بالموت ويومن بالبعث بعد الموت
ويومن بالقدر فمقتضى هذا الحديث الايمان بالبعث ربع الايمان الكامل
أن م
والشك في ان جميع احكام القرآن احكام الايمان الكامل من اصوله وفروعه
وهذه السورة مشتملة على الايمان بالبعث فناسب ان يكون ربعا للقرآن
واما كون الهاكم التكاثر تعدل الف آية فيحتمل ان يراد بالالف الكثرة والمبالغة
فيها كما ذهب بعض اهل العلم الى مثل ذلك في قوله تعالى ليلة القدر خير من
الف شهر ويكون سبب تكثير ثواب سورة الهاكم التكاثر الى هذا الحد من الكثرة
ما تحمل عليه قراءتها من اخراج قذى الدنيا من عين البصيرة ومن تقصير الامل
والاجتهاد في حسن العمل الى غير ذلك مما تحمل عليه من رغائب الاعمال والاحوال
ويحتمل ان يراد بالالف حقيقة العدد تحديدا او الالف فما حولها تقريبا فان
حمل على التحديد فهو مما يحتاج الى تحقيق علمي وتوقيف نبوي وان حمل على التقريب
فالتقريب امران احدهما التقريب من اعلى اي فتكون المراد الالف فما فوقها
وحينئذ فتكون هذه السورة سبع القرآن لان القرآن ستة الاف آية ومائتا
آية وكسير بعد ذلك مختلف فيه والالف وما فوقها من الكسور سبع لا الا على
التقريب وحينئذ فينبغي النظر في تسبيع القرآن وفيما اشتملت عليه هذه
السورة منه ومن جملة ما يقال فيه ان القرآن مشتمل على سبع مقاصد من جملتها
الترهيب والانذار الحامل على اصلاح العمل وتقصير الامل والزهد في الدنيا وما
اشبه ذلك وهو مختلف الوجوه فتارة يكون بذكر الآخرة ويوم القيامة وما اشبه
ذلك وتارة بذكر الحساب والعقاب وما اشبه ذلك وتارة بغير ذلك وقد اشتملت
هذه السورة على الترهيب بالانذار بذكر الحساب والعقاب الامر الباقي اه بزاده

الالف فما دونها فتكون هذه السورة سدس القران واقرب ما يقال فيه ما هو
مستخرج من كلام الامام ابي حامد الغزالي رحمه الله حيث ذكر ان مقاصد
القران ستة ثلاثة منها هي المهمة وهي معرفة الله سبحانه ومعرفة الاخرة
ومعرفة الصراط المستقيم كما تقدم نقل ذلك عنه في كون سورة الاخلاص ثلث القران
لانها اشتملت على واحدة من المعارف الثلاث وهي معرفة الله فبمقتضى هذا
التقرير تكون ما اشتمل على كمال معرفة الاخرة ثلثا في المعنى وهذه السورة اشتملت
على ذكر شطر ما اشتمل على الاخرة وهي الجحيم والسوال **واما** دار النعيم وما فيها
من الافضال فلم تصرح به هذه السورة فناسب ان تكون سدسا للقران لاشتمالها
على نصف ثلثه ثم لا يخفى على المتامل لهذه السورة ولمقاصد القران وجوه
اخرى في المناسبة وانما قصدت في هذا التعليق التنبيه على اصول المقاصد
مع الاحالة على فهم المتامل الناهج على قوانين العلم بدليل التوفيق والله تعالى
اعلم **فصل** في سبب نزول هذه السورة الكريمة روي عن ابي بن كعب
رضي الله عنه انه قال ان المشركين قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم انسب
لنا ربك فانزل الله هذه السورة **وروي** عن ابن عباس رضي الله عنهما ان
عامر بن الطفيل واربد بن ربيعة اتيا النبي صلى الله عليه وسلم فقال عامر
الى ما تدعونا يا محمد قال الى الله قال صفه لنا امن ذهب هو ام من فضة
ام من حديد او من خشب فنزلت هذه السورة فاهلك الله اربد بالصاعقة
وعامر بن الطفيل بالطاعون **وروي** عن الضحاك وقتادة ومقاتل انه جاء
ناس من احبار اليهود الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا صف لنا ربك لعلنا
نومن بك فان الله انزل نعته في التوراة فاخبرنا من اي شيء هو وهل ياكل
ويشرب وممن ورث ومن يرث منه فانزل الله تعالى هذه السورة ومن تامل
هذه السورة الكريمة وجد فيها الجواب لكل من ذكر كلامه في سبب نزولها فسبحان
المطلع على ضماير خلقه واقوالهم وافعالهم واحوالهم المجيب لهم والمجازي
بما يليق بهم في الدنيا وفي الاخرة **فصل** في بيان مقاصد هذه السورة
اعلم انها من حيث الاجمال متعددة وقد يشتمل بعض كلماتها على عدة من تلك
المقاصد فرايت ان افرد كلماتها كلمة كلمة منبها على ما يشير اليه كل كلمة
من المقاصد على وجه الاختصار ثم ابسطه نوع بسط على وجه التقرير والتقريب

لذوي

لذوي الاعتبار وقد اعتبرت جملة ما ظهر لي من مقاصدها المهمة فاذا
هي ثلاثة وثلاثون مقصدا مثل عدد تلك الاسماء الحسنى ثم رايت كل مقصد
منها يتضمن مقصدين اخرين تحت كل مقصد منها علة احكام وحكم ولطايف
من التقاديس والتكاليف فاذا جمعت المقاصد الاول مع المقاصد الثانية
بلغت تسعا وتسعين مقصدا على عدد اسماء الله سبحانه الحسنى وذلك ان
جميع ما في القران الكريم يرجع عند التامل الى احكام الصفات المدلول عليها
بالاسماء الحسنى كما تقدم فمن وجه ظاهر اجمالها ومهمات مقاصدها هي ثلث
القران ولكنها من حيث تضمنها والتزامها يمكن استخراج مقاصد جميع القران
منها ومن فتح له باب الفهم وصل منه الى ما قسم له من اسرار القران والله سبحانه
المنان **القول على المقاصد** المهمة بالاختصار وهي ثلاثة وثلاثون مقصدا
قوله تعالى قل فيه ستة مقاصد احدها اثبات رسالته صلى الله عليه وسلم
ونبوته **الثاني** اثبات عبديته صلى الله عليه وسلم **الثالث** امكان بعث الانبيا
والرسل عليهم الصلاة والسلام واما اثبات وجود ذلك فماخوذ مما جاء به هذا
النبي الكريم اذ هذا مما يدركه السمع **الرابع** اثبات كلام الله سبحانه وتعالى
الخامس اثبات الوحي **السادس** المطالبة بحقوق هذا الرسول وحقوق
مرسله وحقوق ما ارسل به **قوله** هو الله فيه اربعة مقاصد **احدها**
اثبات الالهية **الثاني** تعظيم هذا الاسم على ساير الاسماء الحسنى **الثالث**
المطالبة بما يجب للاله من الاعتراف بالالهية **الرابع** الاشارة الى انه
سبحانه المعهود في الاذهان **قوله تعالى** احد فيه اربعة مقاصد احدها
اثبات الاحدية **الثاني** بيان الالهية لا تكون الا بها **الثالث** نفي الشركا
الرابع المطالبة بحقوق الاحدية **قوله تعالى** الله الصمد فيه اربعة مقاصد
احدها اثبات الصمدية وتذكر فيه تفسير معانيها **الثاني** بيان الصمدية
العظمى خاصة بالله سبحانه ولهذا اعاد اسمه الله **الثالث** بيان ما يقتضيه
الاسم من التعلق دون التخلق **الرابع** ما يقتضيه من التخلق **قوله تعالى**
لم يلد ولم يولد فيه عشرة مقاصد احدها نفي الولد من حيث الجملة عن
الله سبحانه **الثاني** اثبات تقدسه سبحانه عن الصاحبة **الثالث** نفي التجسيم في
حقه تعالى **الرابع** تقدسه سبحانه عن مشابهة المخلوقات **الخامس** التنبيه على

على اولیته سبحانه السادس التنبيه على انه سبحانه الاخر الذي وجب له دوام
البقا السابع سلب الالهية عن كل ما يستند وجوده الى سبب الثامن الايما الى عبادة
كل ما لم يكن الها التاسع الحث على اظهار شعار العبدية بطلب التوالد العاشر الايما
الى انه سبحانه لا يجب عليه شي قوله تعالى ولم يكن له كفوا احد فيه خمسة
مقاصد احدها نفي المساعد والمعاضد والثاني نفي المعارض والمعاند الثالث
الاشارة الى الله سبحانه لا يحاط بمعلوماته الرابع المطالبة باعتقاد ما اخبر الله تعالى
به عن نفسه من ذلك الخامس مطالبة الخلق بالمكافاة لهم القول في بسط
هذه المقاصد بعض بسط على وجه التقريب والتدريب المقصد الاول من قوله
تعالى قل اثبات نبوة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ورسالته وتقريره ان قل
امر بالتبليغ عنه سبحانه بوساطة وحي الملك وهذا معنى النبوة والرسالة اذ حقيقة
النبوة نبي مع عني وحقيقة الرسالة بلغ عني فالنبوة والرسالة في اصل المعنى
متحدتان وانما امتازت الرسالة عن النبوة من حيث وصفها الا من حيث انها فان
الرسالة تبلغ شرع جديد والنبوة تعرض شرع سابق التقرير على احد الاقوال
ويلزم من النبوة العلم بالشرايع المتقدمة لتقرر منها ما تقرر فمدلول قل اخبر عني
وهو اعم من ان يكون اخبار التقرير او تبليغا تشريعيا فدخلت منه النبوة
والرسالة وقد اختلف العلما هل نبي نبينا صلى الله عليه وسلم وارسل معا في وقت
واحد لما جاه جبريل بالوحي وهو في غار حرا وقال اقرا باسم ربك الذي
خلق او نبي في ذلك الوقت ثم ارسل بعده حين نزل عليه يا ايها المدثر قم فانذر
فالاكثرون على الاول وهو انه بعث بالنبوة والرسالة معا على راس الاربعين
سنة فان قلت هذا التقرير سمعي للنبوة والرسالة فهل معه تقرير عقلي
قلت نعم وهو قيام المعجزة مع قيام المعجزة الدعوى بالتحدي وذلك ان قل
امر بالقول وفي ضمنه التحدي بما ابرازه بعده من الكلام المعجز الناص على
صفات المعبود من قوله هو الله احد الى اخره معجزة واقعه طباق التحدي
اذا تقرر هذا فمدلول قل بلغ عني فانت نبي ورسولي وقد تقدم ما
يلزم على النبوة من العلم بالشرايع وكذلك يلزم في هذه الرسالة اعني رسالة نبينا
صلى الله عليه وسلم المستفادة من قل ان تكون عامة لاطلاق قل من غير تقييد بطائفة
ولا بزمان وهذان مقصدان اخران مستنبطان من هذا المقصد الاول

الذي هو

الذي هو اثبات النبوة والرسالة فالمقصد الاول اثبات علم النبي صلى الله عليه وسلم
بالشرايع والثاني اثبات عموم رسالته صلى الله عليه وسلم ولا يخفى ما يستخرج
من ذلك من كونه صلى الله عليه وسلم خاتم الانبيا وسيد الخلق وغير ذلك
فيدخل من ذلك من كونه صلى الله عليه وسلم تحت قل كل اية دلت على نبوته
صلى الله عليه وسلم لقوله تعالى يا ايها النبي قل لازواجك يا ايها النبي انا احللنا
لك ازواجك يا ايها النبي اذا طلقتم النسا يا ايها النبي لم تحرم نبي عبادي اني
انا الغفور الرحيم ونحو ذلك وكذلك كل اية دلت على رسالته صلى
الله عليه وسلم كقوله تعالى انا ارسلناك بالحق بشيرا ونذيرا يا ايها الرسول
بلغ ما انزل اليك من ربك يا ايها الرسول لا يحزنك الذين يسارعون في الكفر
وكذلك كل اية دلت على النبوة والرسالة كقوله تعالى يا ايها النبي انا ارسلناك
وما كان في معانيه لذلك كله كقوله انما انت منذر انما انت نذير ثم جعلناك
على شريعة من الامر انا اوحينا اليك كما اوحينا الى نوح الاية وانك لتهدي
الى صراط مستقيم وكذلك كل اية ردت على منكري نبوته ورسالته صلى الله
عليه وسلم كقوله تعالى والنجم اذا هوى ما ضل صاحبكم وما غوى وما ينطق
عن الهوى ان هو الا وحي يوحى ن والقلم وما يسطرون ما انت بنعمة
ربك بمجنون وان لك لاجرا غير ممنون وانك لعلى خلق عظيم وما هو على الغيب
بظنين ونحو ذلك وكذلك كل اية دلت على علمه صلى الله عليه وسلم ومعرفته
بمن تقدمه من الانبيا واخباره عن قصصهم وشرايعهم كقوله تعالى وعلمك ما لم
تكن تعلم ما فرطنا في الكتاب من شي وكلا نقص عليك من انبا الرسل الاية
واما قوله تعالى ورسلا قد قصصناهم عليك من قبل ورسلا لم نقصصهم عليك
فمعناه لم نقصصهم ممن تقدمت قصصهم فلا يلزم من عدم تقدم وقوع ذلك
ان لا يقع بعد ذلك في نفسه عمره صلى الله عليه وسلم وكذلك كل اية دلت
على عموم رسالته صلى الله عليه وسلم كقوله تعالى وما ارسلناك الا كافة للناس تبارك
الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا وهذه الاية شاملة
للانس والجن ويدخل في ذلك كل اية دلت على ايمان الجن به صلى الله عليه وسلم
وانذاره لهم كقوله قل اوحي الى انه استمع نفر من الجن وكذلك كل اية
دلت على بقا شرعه وانه خاتم الانبيا لا نبي بعده كقوله تعالى ولكن رسول الله

الاثبات

وخاتم النبيين هو الذي بعث في الاميين رسولا منهم يتلوا عليهم اياته ويزكيهم
ويعلمهم الكتاب والحكمة وان كانوا من قبل لفي ضلال مبين واخرين منهم
لما يلحقوا بهم وهو العزيز الحكيم اي بعثه في الاميين وفي الاخرين الذين لم يلحقوا
بهم فيشمل هذا كل من جاء بعدهم الى ان تقوم الساعة وان **قلت** انما جاء في الايه
واخرين وهي نكرة فكيف تستدل بذلك على الاخرين كلهم **قلت** لان ذلك في سياق
المنة فيعم وكذلك **كل** اية دلت على صفة من صفات نبوته ورسالته صلى الله عليه وسلم
داخلة في هذا التقرير وان اتسع مجالك في الاستحضار فاستحضر جميع ما ورد من
الايات في المعاني المذكورة واضف اليها ما ورد من الاحاديث في تلك المعاني بالنسبة
الى هذا المقصد والى ما بعده واذا تاملت ما اشتمل عليه هذا المقصد ظهر لك انه
من نوع التعريف بافعال الله الفضلية وان ذلك من مدلولات اسميه الهادي والنور
والنافع وما في معناها **المقصد الثاني من مقاصد قل** اثبات عبديته
صلى الله عليه وسلم **اما** ثبوت ذلك من حيث السمع فلان الرسالة **اما** ان تكون في
البشر او الملائكة قال تعالى الله يصطفي من الملائكة رسلا ومن الناس وقد نطق
القران بعبدية الجنسين تعميما وتخصيصا فالتعميم في **قوله** تعالى ان كل من في السموات
والارض الا اتي الرحمن عبدا والتخصيص نحو **قوله** تعالى لن يستنكف المسيح ان يكون
عبدا لله ولا الملائكة المقربون **وقوله** ايضا في حق المسيح عيسى عليه الصلاة والسلام
ان هو الا عبد انعمنا عليه **وكقوله** تعالى في حق غيره من الانبيا عليهم الصلاة والسلام
ذرية من حملنا مع نوح انه كان عبدا شكورا **وكقوله** تعالى ذكر رحمة ربك عبده
زكريا سلام على ابرهيم كذلك نجزي المحسنين انه من عبادنا المومنين سلام
على موسى وهرون انا كذلك نجزي المحسنين انهما من عبادنا المومنين سلام على الياسين
انا كذلك نجزي المحسنين انه من عبادنا المومنين واذكر عبدنا داود ووهبنا
لداود سليمان نعم العبد واذكر عبادنا ابرهيم واسحق ويعقوب **وكقوله** تعالى
في حق يوسف عليه الصلاة والسلام لنصرف عنه السوء والفحشا انه من عبادنا
المخلصين وكقوله تعالى في حق نبينا محمد صلى الله عليه وسلم تبارك الذي نزل الفرقان
على عبده سبحان الذي اسرى بعبده الحمد لله الذي انزل على عبده الكتاب وكقوله
تعالى في حق سائر الانبيا والرسل عليهم الصلاة والسلام ينزل الملائكة بالروح من امره
على من يشاء من عباده ان انذروا الى غير ذلك مما لا يخفى على المتدبر فكل رسول عبد

ولهذا

ولهذا رد سبحانه على زاعمي الهية عيسى عليه الصلاة والسلام بان حصره في الرساله
لانها تستلزم العبدية فقال تعالى ما المسيح ابن مريم الا رسول قد خلت من قبله
الرسل **وقوله** تعالى عقب ذلك وامه صديقة كانا ياكلان الطعام فالعبدان لما دلت
عليه رسالته من عبديته لان من تولد لا يكون الها فيكون عبدا ومن ياكل الطعام لا
يكون الها فيكون عبدا اذا علمت ذلك فقوله تعالى قل ارسال يتضمن اثبات العبدية
واما اثبات ذلك من طريق النظر فلان التصرف الالزامي بالارسال وغيره انما يحسن
ان يكون في مملوك مستعبد كما يستحيل ان يكون العبد الها وقد قضت العقول بان
كل ماله عبد لالاله والرسل من المالوهين فتعينت عبديتهم واستحالت الاهيتهم
وهذان الامران وهما اثبات عبدية سائر الرسل ونفي الالاهية عن كل منهم
مقصدان مستخرجان من ثبوت عبديته صلى الله عليه وسلم فهي حينئذ ثلاث مقاصد
اصلها ثبوت عبديته صلى الله عليه وسلم فيدخل في **هذا** كل اية دلت على عبديته
صلى الله عليه وسلم وعلى عبدية غيره من الانبيا والملائكة وسائر المخلوقين **ولذلك**
كل اية دلت على نفي الالاهية عن المخلوقين وكل اية دلت على ان نبينا صلى الله عليه وسلم
وغيره من الانبيا عليهم الصلاة والسلام من البشر دون الملك تحقيقا لنوعية عبديتهم
صلى الله عليهم وسلم **كقوله** قل انما انا بشر مثلكم وكقوله ولا اقول اني ملك وكل اية وردت
في هذه المعاني داخلة هنا فمن اراد بسط القول على ذلك فليستحضر جميع ذلك
وليضف اليه مع بيان ما يحتاج الى البيان منه ما ورد من الاحاديث في تلك المعاني
كلها وجميع ما تضمنه هذا المقصد هو من نوع التعريف بربوبيته سبحانه وتفرده بالوهيته
فيها وذلك من مدلولات اسميه الاله والرب والملك والمالك والفرد والواحد والاحد
والصمد وما كان في معنى ذلك **المقصد الثالث من مقاصد قل**
التعرض لامكان بعث الانبيا والرسل عليهم الصلاة والسلام وتقريره انما جاز
في العقل وقوعه لفرد من البشر جاز وقوعه لمثله من الافراد البشرية ايضا
عقلا لان ما جاز للشي جاز لمثله كما ان ما وجب للشي عقلا وجب لمثله فوقوع
الرسالة والنبوة لنبينا صلى الله عليه وسلم يجوز لوقوع ذلك في حق من يصطفي
من البشر فان مثليته صلى الله عليه وسلم انما تتحقق في ذوي الاصطفا الكامل الذي
ينتهي اليه سودد البشر مع ان الرتب في هذه الغاية متفاوتة واعظم الرتب
رتبة نبينا صلى الله عليه وسلم وبهذا التقرير ينتهي **العقل** الى امكان **بعث**

الانبيا والرسل عليهم الصلاة والسلام دون اثبات وقوع ذلك فانه لا يدرك الا بالسمع
نعم ينتهي العقل ايضا الى اثبات احتياج الامم الى من يبلغهم عن معبودهم مراده
منهم لكن التعيين في الاشخاص والامم والازمنة انما يتلقى من السمعيات وفي قوله تعالى
قل اي شيء اكبر شهادة الايه فانه مثبت لرسالته صلى الله عليه وسلم ويلزم على ذلك وجوب تصديقه
في كل ما اخبر به ومنه الاخبار عن الانبيا والرسل بتفصيل قصصهم وتفصيل
مراتبهم ويتعلق بهذا المقصد مقصدان اخران وهما جواز وقوع ذلك في حق الله
سبحانه وجواز نسخ شرع بشرع وحينئذ يدخل في هذا كل اية دلت على بعث
الانبيا والرسل وعلى مراتبهم وعلى ان لله ان يفعل ذلك وعلى كل ما يدل على جواز
النسخ ووقوعه ومن اراد بسط ذلك فليستحضره وليضف اليه من الاحاديث
ما كان في معناه المقصد الرابع اثبات كلام الله سبحانه وذلك من قوله قل
اذ هو سبحانه الامر له صلى الله عليه وسلم بالقول ولان احتياج الخلق الى واسطة
بينهم وبين معبودهم لتطلعهم على مراده منهم تقتضي وجود الكلام من المعبود
لا من مراده لا يطلع عليه الا به وكل ما وصل الى المراد من غير الكلام ناقص
عن رتبة الكلام والمعبود لا يوصف بما فيه نقص بل وجب له الكمال والكلام
من الكمال فوجب له واما ثبوت الكلام بالسمع ففيه الايات والاحاديث
الوارده ومن الايات قوله تعالى وكلم الله موسى تكليما تلك الرسل فضلنا بعضهم
على بعض منهم من كلم الله وان احد من المشركين استجارك فاجره حتى يسمع كلام
الله وما كان لبشر ان يكلمه الله الا وحيا الايه ويتصل بهذا اطلاق القول
على الكلام ويستشهد له بالايات الواردة في ذلك كقوله صلى الله عليه وسلم واذ قال
ربك للملايكة وقلنا يا ادم قلنا اهبطوا منها جميعا اذ قال الله يا عيسى بن مريم
وقال الله لا تتخذوا الهين اثنين انما امره اذا اراد شيا ان يقول له كن فيكون
ويستدعي ذلك النظر في معاني الكلام والقول الواردين في القران ثم يتسع المجال
الى تتبع اسما القران الواردة فيه وهي ما بين العشرين والثلاثين اسما منها
اسما الاعلام واسما الصفات وقد جمعناها في كتاب فضايل القران ويشتمل هذا
المقصد على مقصدين اخرين احدهما كون هذا الكلام مباينا لكلام المخلوقين
ويتعلق بهذا المقصد كونه خارجا عن العجز البشري بصوت ولا بحرف ولا ينقطع هوا
ولا يمر ور على لهات وانه لا اختلاف فيه ولا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه

الى غير

الى غير ذلك مما يتعلق بهذا المقام والثاني كونه ليس من عند غير الله فيتضمن
الرد على من زعم انه من عند النبي صلى الله عليه وسلم وعلى من زعم انه اساطير
الاولين اكتتبها وعلى من زعم انه استملاه وتعلمه من بشر الى غير ذلك مما يتعلق بهذا
المقام ويستدعي ذلك كل اية وردت بهذه المعاني كلها المقصد الخامس اثبات
الوحي اختلف اهل اللغة في اصل الوحي من حيث الجملة فقال قوم هو الاعلام
مطلقا سوا كان بمخاطبة او مكاتبة او مراسلة او غير ذلك واشترط بعضهم ان يكون
ذلك سريعا واخرون ان يكون في خفا وفي كلام بعضهم اخراج المخاطبة من عموم
هذا الاعلام والاكثرون على دخوله ويسمى الصوت الذي لم يعقل معناه وحيا ايضا
وجمع بعضهم بين كل ما تناولته هذه الاقوال فقال هو ايصال المراد اليه على
اسرع وجه والطفه يريد بالالطف الاخفا ويقتضي هذا الحد فسرت معاني الوحي
الوارد في القران فمن ذلك الوحي بالمخاطبة ومنه قوله تعالى فاوحى الى عبده
ما اوحى اي فقال الله لعبده ما قال من غير واسطة وقيل المعنى فاوحى جبريل
الى عبد الله محمد صلى الله عليه وسلم ما اوحى الله اليه ومن ذلك الوحي الكتابة
ومنه قوله تعالى اذ يوحي ربك الى الملايكة اني معكم اي يكتب ذلك لهم في اللوح
المحفوظ وقال تعالى في قصة موسى عليه الصلاة والسلام وكتبنا له في الالواح من كل
شي ولا يخفى ان ما يلقى من الشرايع على الانبيا يسمى وحيا وما كتب في الالواح من جملته
ومن ذلك الوحي بالرسالة وهي قسمان رسالة البشر ورسالة الملك فمن رسالة
البشر قوله تعالى واذ اوحيت الى الحواريين اي ارسلت اليهم على لسان عيسى
عليه الصلاة والسلام ومن رسالة الملك قوله تعالى انا اوحينا اليك كما اوحينا الى
نوح والنبيين من بعده وما ارسلنا قبلك الا رجالا يوحى اليهم وما ارسلنا من قبلك
من رسول الا يوحى اليه الايه واوحينا اليهم فعل الخيرات واوحينا الى موسى واخيه
واوحي الي هذا القران اتبع ما اوحي اليك من ربك ولا تعجل بالقران من قبل ان
يقضى اليك وحيه وكذلك اوحينا اليك روحا من امرنا واما قوله تعالى ان هو الا
وحي يوحى فالظاهر انه وحي جبريل فانه وصفه بذلك فقال علمه شديد القوى يعني
جبريل ويحتمل ان يكون المراد بالوحي هنا ما هو اعم من الوحي بالكلام وبالملك
وبالالهام وبالمنام فانه وصف لنطقه صلى الله عليه وسلم حسب قوله وما ينطق
عن الهوى ان هو الا وحي يوحى وكان نطقه صلى الله عليه وسلم مشتملا على كل قابلة

تتبع بسلع

قيل

وصلت اليه من هذه الانواع ويكون قوله عقبه علمه شديد القوى محمولا على
الغالب واما قوله تعالى وما كان لبشر ان يكلمه الله الا وحيا الاية فيحتمل
تخصيص الوحي فيه بالملك ويكون قوله او من وراء حجاب يريد الخطاب من
غير واسطة او يرسل رسولا اي من البشر ويحتمل ان يريد بقوله الا وحيا ما يعم
وحي الملك والالهام والمنام ومن اقسام الوحي الالهام ومنه قوله تعالى واوحى
ربك الى النحل اي اوصل الى فهمها بالالهام ومن اقسامه ايضا وحي المنام ومنه
قوله تعالى واوحينا الى ام موسى ان ارضعيه الاية قيل كان مناما وقيل
كان الهاما وقيل كان بتبليغ ملك غير جبريل وكلام الملائكة لغير الانبيا ممكن
ومن اقسامه ايضا الامر ومنه قوله تعالى يومئذ تحدث اخبارها بان ربك اوحى
لها اي امرها وهو امر تكوين سمي وحيا لما فيه من مراد الوحي في الموحى اليه ان
واما قوله تعالى واوحى في كل سماء امرها فقيل هو من هذا القسم وقيل المراد
اوحى الى ملائكة كل سماء امرها وهو من الوحي بالكتابة في اللوح المحفوظ او بواسطة
رسول ومن اقسامه ايضا الاشارة ومنه قوله تعالى في قصة زكريا عليه الصلاة
والسلام فاوحى اليهم ان سبحوا بكرة اي اشار وقيل كتب ومن اقسامه ايضا
الوسوسة ومنه قوله تعالى وان الشياطين ليوحون الى اوليائهم اي يوسوسون
سمي ذلك وحيا لانه القا في خفا ولهذا قال سبحانه في حق الكفار يوحي بعضهم
الى بعض زخرف القول غرورا تشبيها بوسوسة الشياطين لما بينهم من وجوه
المناسبات اذا تقرر هذا فوحي الله تعالى للنبي صلى الله عليه وسلم اما بالكلام من
غير واسطة كما وقع ليلة الاسرا او بجبريل عليه الصلاة والسلام او بالالهام او
بالمنام واجمع المسلمون على ان كل هنا دي نطاين وحي من الله تعالى لهذا النبي
الكريم بواسطة جبريل عليهما الصلاة والسلام وحينئذ فتظهر من ثبوت الوحي بهذا
التقرير وجود جبريل ويلزم من وجود جبريل وجود جنس الملائكة عليهم
الصلاة والسلام وهذان مقصدان اخران ويستدعي ذلك التعلق بكل اية
دلت على وحي الله تعالى وعلى جبريل وعلى كونه الذي نزل بالقران وعلى وجود
الملائكة عليهم الصلاة والسلام ولا يخفى ما يشتمل عليه ذلك من الامور اللازمة له
المقصد السادس من مقاصد قل المطالبة بحقوق هذا الرسول عليه الصلاة
والسلام وحقوق مرسله سبحانه وحقوق ما ارسل به وحقوق من جاه بالوحي وحقوق

حقوق سائر

سائر الملائكة عليهم الصلاة والسلام اذ من جملة فوائد الاعلام بالرسالة ذلك
وينتظم تحت هذا مقصدان وهما الامر بما يجب ويندب اليه من هذه الحقوق
والنهي عن كل ما يحرم او يكره مما يخل بها ولا يخفى ما يدخل تحت هذا المقصد ويسطع
من شموله لكل ما شرعه النبي صلى الله عليه وسلم من التكاليف الاعتقادية والقولية
والفعلية بجملها وتفاصيلها ويستلزم ذلك النظر في كل اية دلت على الايمان بالله و
بملائكته وكتبه ورسله واليوم الاخر وما يلزم في جميع ذلك من التصاديق و
التفصيلية وكذلك كل اية دلت على فروع ذلك من اجلال الله سبحانه وتقديسه وتحبيله
ومحبته والتسليم اليه والتوكل عليه والانس به الى غير ذلك من ثمرات الايمان
بالله وكذلك كل اية دلت على ما هو من ثمرات الايمان لسائر ما وجب الايمان به
وكذلك كل اية تعلقت بسائر التكاليف القولية والفعلية وما يتعلق بها ويحمل ذلك
على النظر في غالب ايات القران وغالب الاحاديث النبوية وقد افردت تاليفا
مختصرا يتعلق بالايمان ولوازمه وثمراته العاجلة والاجلة مع الاختصار وهو
الى الان مسودة لم ابيضه وعزمت ان ابسط ذلك في كتاب مستقل يكون جامعا
لمعالم الدين وكتبت بعض ذلك والى الان لم يكمل قوله تعالى هو الله فيه اربع مقاصد
احدها اثبات الالهية وهو التعريف بان الوجود باسره الها واحدا موصوفا
بصفات الكمال مقدسا عن صفات النقص وجا هذا جوابا لكل من ذكر في سبب النزول
فقوله هو الله اي هو الاله الحق وقد قضت العقول بان الاله الحق هو
الخالق الذي يجب ان يكون مخالفا للمخلوقات في الذات والصفات اذ لو ماثلها
لما كان بالتاثير فيها احق من تاثيرها فيه واذا وجبت مخالفته لها وجب
ان يكون قديما لا اول له وان لا يكون من جنس ولا نوع ولا مادة وان يكون دائما
لا يتغير اذ التغير لاحق للمخلوقات كلها بالضرورة فاستحال ان تذكر ذاته
او صفاته بشي مما تذكر به المخلوقات من سمات الحدوث كالجنسية
والنوعية والابتدا والانتها والتلبر والتغير ووجب ان لا يحتاج الى معرفة
تدل عليه بل هو الظاهر في الاهيته بابانته فكل سوال فرض مما تقدم ذكره عن
عن السائلين بمقتضى اختلاف المفسرين له جواب بقوله هو الله اذا تقرر هذا
فيلزم من هذا المقصد وهو اثبات الالهية مقصدان اخران احدهما
ابطال كل ما نسب من الالهية الى غيره سبحانه والثاني التعريض بذم من

انخذ معه الها اخرين وتستدعي الكلام في هذه المقاصد ايراد كل اية دلت
على الالهية سبحانه كقوله انما الهكم الله الذي لا اله الا هو وكذلك كل اية دلت
على ابطال الهية غيره سبحانه وكل اية تعلقت بذم من اتخذ غيره الها من بشر
او ملك او صنم او وثن او هوى فاعتبر ذلك واستحضره واجمع بينه وبين ما
ورد من الاحاديث في هذا المعنى ان شاء الله تعالى المقصد الثاني من مقاصد
هو الله تعظيم هذا الاسم على سائر الاسماء الحسنى وذلك ظاهر من ايراده دون
غيره في مقام التعريف الكامل الشامل لجميع المخلوقين فلو كان غيره من الاسماء
اكمل منه لكان اولى بالايراد في هذا المقام وتخصيص هذا الاسم بهذا المقام ان
انما هو لاكمليته وتعريفه ايضا ان الاسماء الحسنى انما كانت سيدات الاسماء كلها
لدلالتها على ذات الله تعالى وصفاته وكلما كانت الدلالة فيه من هذه الاسماء اظهر
كان افخر وكلما كانت دلالته للذات والصفات اشمل كان اكمل وقد اعتبر
الناس دلائل الاسماء الحسنى فاذا اكثرها يدل على بعض الصفات واذا اسمه
الله يدل على الذات الموصوفة بصفات الالهية كلها من الصفات الثبوتية
والسلبية والكمالات الجمالية والجلالية فكان اكمل الاسماء ولهذا اندرجت كلها
تحته ويدل على اكمليته وافضليته امور منها انه اظهر الاسماء بحيث لم يخف على
مومن ولا كافر ومنها انه مختص به سبحانه فلم يتسم به غيره ولهذا قال تعالى
هل تعلم له سميا اي هل تعلم غيره يسمى الله ومنها ان التعريف الكامل في
حضرة القرب والمناجاة انما يقع به كقوله تعالى لموسى عليه الصلاة والسلام
إنني انا الله لا اله الا انا وكقوله لنبينا صلى الله عليه وسلم فاعلم انه لا اله الا الله
ومنها اضافة الصلوات والرحمة والثواب بانواعه والمحبة والمعية والاصطفا
والاختصاص والولاية ونحو ذلك اليه كقوله تعالى ان الله وملائكته يصلون
على النبي الاية ان الله مع الصابرين ان الله سريع الحساب ان الله يحب
التوابين ويحب المتطهرين ان الله اصطفى ادم الاية والله يختص برحمته
من يشا الها وليكم الله ولي الذين امنوا ونحو ذلك ومنها تعليقه
الايمان المدعو اليه به كقوله تعالى قولوا امنا بالله وما انزل الينا الاية
فامنوا بالله ورسوله والنور الذي انزلنا يا ايها الذين امنوا امنوا بالله
ورسوله ولهذا ارتبط الايمان به غالبا كقوله تعالى ومن يومن بالله

بعد قلبه

يهد قلبه ومن يومن بالله ويعمل صالحا الى غير ذلك ومنها ان التسمية
حيث طلبت او ذكرت كانت معلقة به كالبسملة في اوايل السور وكقوله
في سورة النمل انه من سليمان الاية وكقوله بسم الله مجراها ومرساها
وكقوله فكلوا مما ذكر اسم الله عليه وكان النبي صلى الله عليه وسلم يكتب في ابتدا
الاسلام باسمك اللهم حتى نزلت بسم الله الرحمن الرحيم فكتبها وفي الحديث انه
صلى الله عليه وسلم قال كل امر ذي بال لا يبدا فيه ببسم الله اجذم ومنها
ان القول المدخل في الاسلام معلق به فلابد ان يقول القادر على القول
لا اله الا الله او اشهد ان لا اله الا الله وعلى قول من يكتفي في الاسلام بالاقرار
لله تعالى بالالهية والوحدانية فلابد ان يقول اقر بان الله اله كل شي او
بان الله هو الاله او ما كان في معنى ذلك مع ذكر اسمه الله ومنها ان
القول الذي امر ان نقوله في اخر العمر معلق به ايضا قال الله تعالى ولا تموتن
الا وانتم مسلمون وقد تقرر ان القول المدخل في الاسلام مربوط به فيكون
هنا كذلك ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم امرت ان اقاتل الناس حتى يقولوا
لا اله الا الله وقال من كان اخر كلامه لا اله الا الله دخل الجنة ومنها
ان غيره من الاسماء الحسنى يذكر معه كالوصف له كقوله تعالى والله هو الغني
الحميد والله الغني وانتم الفقرا والله ذو الفضل العظيم والله غفور رحيم
والله عزيز حكيم والله سميع عليم الى غير ذلك بل اضاف سبحانه الاسماء كلها الى
ذاته الكريمة مع التسمي بهذا الاسم الكريم فقال ولله الاسماء الحسنى فادعوه
بها ومنها انه الاسم الذي يضاف اليه الخلق كقوله تعالى والله خلقكم من تراب
الله الذي خلقكم ثم رزقكم والله خلق كل دابة من ما الله الذي خلق سبع سموات
ومن الارض مثلهن والله خلقكم وما تعملون الى غير ذلك ومنها انه الاسم الذي
يضاف اليه الرزق كقوله ان الله هو الرزاق والله يرزق من يشا بغير حساب
الله يبسط الرزق لمن يشا وما من دابة في الارض الا على الله رزقها الى غير ذلك
ولتاكد فضل هذا الاسم وعظم قدره اقيم مقام غيره ولم يقم غيره مقامه في كثير
من المواضع كتكبيرة الاحرام فيقال فيها الله اكبر ولا يجزي الرحمن اكبر ولا غير ذلك
من بقية الاسما وكذلك في التشهد التحيات لله لا يجزي غيره ولا كذلك في التشهد
ايضا اشهد ان لا اله الا الله لا يجزي غيره واما اشهد ان محمدا رسول الله فهل

يجزئ الاتيان بالضمير بدله فيقول وان محمدا رسوله او لا بد من التصريح به
فيقول وان محمدا رسول الله فيه خلاف والصحيح انه لا بد من التصريح به
وكذلك يتأكد طلب هذا الاسم في مواضع فيكون افضل من غيره ويدخل في هذا
كل موضع استحب فيه هذا الاسم دون غيره ولما تعددت فضائل هذا الاسم
وانفرد بهذه الرتب العلية ذهب جماعة لتشير الي انه الاسم الاعظم وقد
تعرضنا لهذه الامور مع الزيادة عليها في كتابي المسمي بالمشرب الاهني في شرح
اسما الله الحسني واذا تقرر هذا تعلق به مقصدان احدهما الاكثار
من ذكره سبحانه باسمائه كلها فان هذا الاسم يدل عليها ويتاكد طلب الاكثار
من هذا الاسم الكريم لانه افضلها ونعتمد ما ورد من ذلك في السنة المشرفة نحو
لا اله الا الله وحده لا شريك له سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر
سبحان الله عدد خلقه الي اخره سبحان الله عدد ما خلق في السما الي اخره الثاني
الوفا بحقوق تعظيم هذا الاسم من صدق التوجه به واجلاله بالهيبة والمراقبة
حتي لا يذكر مع الغفلة ولا يتخذ عرضة للايمان ولا يحلف به فيما لا يسوغ ولا
يقدم على الحنث فيه بغير اباحة شرعية وقد اوجب الله الكفارة مع حنث
الضرورة في هذا الاسم وفي ساير الاسما الحسني تعظيما لها فكيف بالحنث الممنوع
منه ويتعلق بهذا المعني ان الافضل في حق من احتاج الي الحلف ان يحلف
بالله ويجوز الحلف بساير اسما الله تعالي وصفاته ولا يجوز بغير ذلك ومما
يتعلق بتعظيم هذا الاسم تعظيم كتابته بالتحقيق والتبيين وصونه من كل ما
يستقذر وتطييبه ورفعه وتعظيم كل ما اضيف اليه وكل ما كان دالا عليه
من الشعاير كما نبه عليه قوله تعالي ومن يعظم شعاير الله فانها من تقوي
القلوب ولا يخفي ما يستدعيه هذا المقصد وما اشتمل عليه من تتبع ما ورد في هذه
المعاني المقصد الثالث من مقاصد قوله تعالي هو الله المطالبة بما يجب
للاله من الاعتراف بالالهية وذلك هو سر التعريف بانه الاله ويدخل تحت
هذا المقصد مقصدان احدهما التكليف بالايمان به علي الوجه الكامل وهو
الايمان به وبكتبه ورسله وبوعده ووعيده فيتعلق هذا بكل اية وردت
في هذه المعاني كقوله تعالي قولوا امنا بالله وما انزل الينا الاية وقوله
قل امنا بالله وما انزل علينا الاية يا ايها الذين امنوا امنوا بالله ورسوله

والكتاب

والكتاب الذي نزل علي رسوله والكتاب الذي انزل من قبل ويدخل
في هذه الاية وما في معناها الايمان بالملايكة وبالرسل وباليوم الاخر
وساير الوعد والوعيد ولهذا قال سبحانه عقب ذلك ومن يكفر بالله
وملايكته وكتبه ورسله واليوم الاخر فقد ضل ضلالا بعيدا ومن ايات
الامر بالايمان يا ايها الناس قد جاءكم الرسول بالحق من ربكم فامنوا خيرا لكم فامنوا
بالله ورسوله والنور الذي انزلنا ومن هذا المعني قوله تعالي امن الرسول
بما انزل اليه من ربه والمومنون كل امن بالله وملايكته وكتبه ورسله وهذه
الاية وان كانت في سياق الخبر الا انها تتضمن تحقيق وصف المومنين بما ذكر
ويلزم من فوات بعض المذكورات عدم الوصف بالايمان ومن هذا المعني قوله تعالي
قل من كان عدوا لجبريل فانه نزله علي قلبك باذن الله ولا شك ان عدم
الايمان به عداوة وهي كفر كما في قوله تعالي من كان عدوا لله وملايكته ورسله
وجبريل وميكال فان الله عدو للكافرين فاخبر بان معاداتهم كافر ومن لم
يومن بهم عدو فهو كافر ومن هذا المعني كل اية دلت علي الكتب او الرسل
او اليوم الاخر او شي من الوعد والوعيد كقوله تعالي ان وعد الله حق ذلك
وعد غير مكذوب ذلك لمن خاف مقامي وخاف وعيد الثاني التكليف
لعباده سبحانه بفروع الايمان من اعمال القلوب واعمال الابدان وساير
الاعمال المقربة الي الرضوان ويتعلق ذلك بكل اية تعلقت بالطهارة
او بالصلاة او الزكاة او الصيام او الحج او الهدي او الاعتكاف او الصدقة
او بر الوالدين او صلة الرحم او تعلم العلم او تلاوة القران او الامر بالمعروف او
النهي عن المنكر او الجهاد او التفويض الي الله او محبته او التوكل عليه او خوفه
او رجايه الي غير ذلك من ساير الطاعات المطلوبات الواجبات والمستحبات وما
اجدر هذا المقصد مع ما اشتمل عليه بان يتعلق بغالب ايات القران الكريم وان
اضيف الي ذلك ما في معناه من الاحاديث كان جامعا لشرايع الدين من اولها
الي اخرها والله تعالي يهدي من يشا الي صراط مستقيم المقصد الرابع
من مقاصد قوله تعالي هو الله الاشارة الي انه سبحانه المعهود في الاذهان
المقصود لكل جنان وذلك مستلمح من الابتدا بقوله هو من غير ان يتقدم علي
ذلك ذكره سبحانه في السورة وانما يوتي بالضمير عن غير مذكور اذا كان

المقصود بذلك معهودا في الاذهان معلوما بالاتيان غير محتاج الى دليل يدل
عليه ولا شك في ان الفطر مدركة لوجود فاطرها وفي ان ناصب الادلة
وموجدها غني عنها وانما نصبها سبحانه لامرين احدهما التعرف مع الظهور
ابلاغا للحجة وايضاحا للمحجة وتاكيدا في مطالبة المدارك بدوام المراقبة
والثاني انه سبحانه وان كان ظاهرا بوجوده والاهيته الا ان ما يجب له من
تفاصيل صفات الكمال لا تهتدي اليه العقول لمجردها ولا تنتهي اليه المدارك
الا بتوفيق توقيف يرد ممن لا يحاط به علما واذا تقرر ذلك ظهر منه مقصدان
اخران وهما الايما الى المعنى المدلول عليه باسمه الظاهر والايما الى المعنى
المدلول عليه باسمه الباطن فهو سبحانه ظاهر الوجود والربوبية لم تخف ربوبيته
على شي ولئن سالتهم من خلقهم ليقولن الله ولئن سالتهم من خلق السموات
والارض وسخر الشمس والقمر ليقولن الله وهو سبحانه مع ذلك باطن لا تحيط
به العقول ولا تحصي صفات كماله على التفصيل ولا يعلم احد منها الا ما علمه
سبحانه على السن المبلغين عنه على انه سبحانه لم يتعرف لخلقه الا بما تسعه
مدارك عقولهم على اختلاف مراتبهم في الادراك فهم في مراتب التعاريف والمعارف
متفاوتون واما كنه ذاته سبحانه وصفاته فهو السر المصون علمه المكنون
في خزائن علمه الذي لا يطلع عليه مخلوق لانه سبحانه الباطن الذي لا يحاط به
علما فبنور ظهور ظاهريته سبحانه اهتدى اليه العارفون وبخفاء سر باطنيته
تحير الواصفون ثم لا يخفى على المتامل ما يليق به اذا عرف ان الله سبحانه
هو الظاهر والباطن ومن تامل هذا المقصد بما اشتملت عليه لاق به ان يتتبع
الايات الواردة في سائر معانيه وان يتخصص من الاسما الحسنى ما يتعلق بذلك
قوله تعالى احد فيه اربعة مقاصد احدها اثبات الاحدية والاحد
والواحد اسمان من اسمايه سبحانه قال تعالى والهكم اله واحد وقال قل
هو الله احد وهما بمعنى واحد من حيث الدلالة على الوحدانية ولكن يفترقان
من بعض الوجوه فمن ذلك ان الواحد قد يكون اسما للمخلوق من غير اضافة
والاحد لا يسمى به على سبيل الوصف المطلق الا الله تعالى فهو اخص من الواحد
كما ان الواحد يختص بنفي النظير والشبيه فمعنى الاحدية والوحدانية
الانفراد بالالهية وما يضاف اليها انفرادا يحيل عن التعدد والتجزي والمشاركة

بلغ

والمشابهة

والمشابهة في ذات او وصف او فعل او حكم فيدخل في مدلول قوله احد كل
ما دل عليه اثبات وحدته تعالى كقوله والهكم اله واحد انما الله اله واحد
لو كان فيهما الهة الا الله لفسدتا ولا تقولوا ثلاثة انتهوا خيرا لكم انما الله اله
واحد وقال الله لا تتخذوا الهين اثنين انما هو اله واحد قل هو الله احد ونظير
ذلك ويظهر من هذا المقصد مقصدان اخران احدهما نفي التعدد في الذات
ويلزم منه استحالة التركيب والتجسيم وما يترتب على ذلك الثاني عدم المشاركة
في الاسم الخاص به تعالى كقوله هل تعلم له سميا وعدم المماثلة والمشابهة في
الذات والصفات وكل معنى استلزمته الوحدانية والاحدية تناسب ان تذكر
اياته ودلالاته هنا المقصد الثاني من مقاصد احد بيان ان الالهية
لا تكون الا بالاحدية ولهذا قال تعالى لو كان فيهما الهة الا الله لفسدتا
وقال ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من اله اذا لذهب كل اله بما خلق
ولعلا بعضهم على بعض سبحان الله عما يصفون عالم الغيب والشهادة فتعالى
عما يشركون ويلزم من احديته المطلقة تفرده بالوجود في الازل وبعد فنا
خلقه وهو معنى الاول والاخر ويظهر من هذا المقصد مقصدان اخران
احدهما نفي الالهية عن كل متعدد وتقريره ان المتعدد متجزي متالف
وكل متجزي متالف يفتقر الى مولف والافتقار صفة المالوه لا صفة
الاله وكل مالوه مخلوق والاله هو الخالق ولهذا قال تعالى ومن كل شي
خلقنا زوجين لعلكم تذكرون ففروا الى الله اي جعلنا زوجية المخلوقات
علامة على افتقارها لعلكم تذكرون فتعرفون بافتقارها حدوثها وان لها
خالقا خلقها فيحملكم ذلك على قصده بالعبادة والمحبة دونها وهذا سر قوله
تعالى في عقيبه الاية ففروا الى الله ومن هذه المادة قوله صلى الله عليه وسلم
كل شي شفع السموات شفع والارضون شفع والوتر الله يريد بالشفع
المخلوق واصل الشفع الجمع والضم فسميت المخلوقات به لتالفها فالمعنى
ان السموات والارضين مخلوقة والوتر هو الله كانه قال والخالق هو
الله فاكتفى بذكر الوترية عن الخالقية لانها لا تكون الا للخالق وان فرض
الجزء الفرد فوجوده متشفع بامثاله والخالق لا مثل له ولا مشافع لوجوده
سبحانه وقد قيل في قوله تعالى والشفع والوتر ان الشفع المخلوقات والوتر

الخالق وسمى النبي صلى الله عليه وسلم ركعتي الضحى شفعة كما في الحديث
الوارد من حافظ على شفعة الضحى غفر له وذلك لانضمام ركعة منها الى
الاخرى ومن تحقق ثبوت الخالقية للوتر وثبوت المخلوقية للشفع حمله
ذلك على الافتقار عن السكون الى المخلوقات الى التعلق بالخالق سبحانه ولا يخفى
ما يترتب على ذلك من طلب الزهد في الدنيا وطلب ما يعين على قطع علائق
النفوس منها وطلب التوكل على الله وحسن التوجيه اليه بالاحوال المرضية
عنده سبحانه **الثاني** من مقتضى هذا المقصد تقرير القيومية وذلك ان ازواج
المخلوقات محتاج الى فرد واحد مباين لها في تعددها وانضمامها يتولى
تاليفها وضم كل شيء الى مثله وشكله حتى يتم التاليف المحكم الوصف المتقن
الوصف وهذا هو معنى القيومية ماخوذ من القيام بالمصالح وقيل القيوم الذي
لا يزول وهو يستلزم القيام بالتدبير لان الزايل يحتاج في وجوده وزواله
الى موجد معدم لا يجوز عليه الزوال اذ لو جاز عليه الزوال لكان ممكنا وكل
ممكن مفتقر الى مرجح لوجوده على عدمه ولعدمه على وجوده واذا تقرر ان
القيام بتدبير المصالح انما يكمل ويحمل من واحد استنتج من هذا ان الامامة
العظمى لا تصح ان تعقد لاثنين واذا عقدت البيعة لواحد مع استكمال الشروط
لا يجوز ان يبايع غيره مع بقائه على امامته وان الافضل ان يولي الامام
في البلد قاضيا واحدا الا اذا دعت الحاجة الى اكثر منه فيفعل ولا يجوز
ان يولي قاضيين في موضع واحد ليجتمعا على حكم واحد فان كانا في الموضع
الواحد يحكمان في احكام مختلفة جاز لانهما ليسا مستقلين وانما هما نائبان عن
الامام الواحد فالمتصرف بالتحكم في الارض واحد **ولما** كانت امامة الصلاة
من مادة الاصلاح لكونها تربط المأمومين بافعال الامام الذي يكمل لهم صلاتهم
ويتسبب في تضعيف اجورها ناسب ان لا يصح امامة اثنين في الصلاة الواحدة
في العدد الواحد وانما يصح على البدل **ولهذا** لم يرسل الله رسولين بشرعين
مختلفين في زمن واحد بل ارسل رسولين بشرع واحد كموسى وهرون عليهما الصلاة
والسلام لان موسى سال ذلك ليستعين به كما قال تعالى في قصة موسى عليه
الصلاة والسلام واخي هرون هو افصح مني لسانا فارسله معي ردءا يصدقني اني
اخاف ان يكذبون **قال** سنشد عضدك باخيك وقال تعالى ربنا رب اشرح لي صدري

ويسر لي امري واحلل عقدة من لساني يفقهوا قولي واجعل لي وزيرا
من اهلي هرون اخي اشدد به ازري واشركه في امري الاية وكانا
عليهما السلام في التعاون على تقرير الشريعة الواحدة والدعا الى كتاب
واحد وهو التوراة كالرسول الواحد ولما كانت الكعبة قياما للناس اي قواما
لهم في دينهم بتكميل عباداتهم وفي دنياهم بالامن وغيره من المنافع جعل بيتا
واحدا في الارض وقبلة واحدة وكذلك جعل الله الصراط المستقيم واحدا ونهى
عن السبل المتفرقة فقال تعالى وان هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل
فتفرق بكم عن سبيله **ولما** كان الزوج هو القوام على المراة لم يجز ان يشاركه
في نكاحها غيره بخلاف المراة فان للزوج ان يشرك في نكاحها ثلاثا لاحتياجها
الى المعين في التدبير ولولاية الرجل عليها قال الله تعالى الرجال قوامون
على النسا الاية وفي الصحيحين انه صلى الله عليه وسلم قال كلكم راع وكلكم مسؤول عن
رعيته الامام راع ومسؤول عن رعيته والرجل راع في اهله ومسؤول عن رعيته
والمراة راعية في بيت زوجها ومسؤولة عن رعيتها والخادم راع في مال سيده ومسؤول
عن رعيته وكلكم راع ومسؤول عن رعيته **وانظر** كيف وحد اسم الراعي وجمع
الرعية وشيء شيء امكن كمال تدبيره بواحد لا يجعل فيه عددا وانما يجعل
العدد ليكمل التدبير وبحسب الحاجة الى الكمال يكون العدد **ولهذا** كانت
الجماعة الكثيرة في الصلاة ونحوها افضل من الجماعة القليلة لما في تكثير الجامعين
رعاية زيادة الخير ويقاس على هذا ما كان في معناه **ولنذكر** هنا ما يستدعيه
هذه المقاصد بمعانيها ولوازمها من الاداب ولننبه على ان هذه الامور
مدلولات اسمائه الواحد والاحد والفرد والوتر والقيوم والملك وما كان
في معناها **المقصد الثالث من مقاصد احد** نفي الشركة لانه اذا استحال
التعدد بالاحدية استحال وجود ما يدعى من الشركاء فالاشتراك معه سبحانه
مستحيل في الذات والصفات والاسما والافعال والاحكام **واما** ما يستعمله
الله تعالى لبعض خواصه من الصفات والاسما التي توافق بعض اسمائه سبحانه
وصفاته كالرؤوف الرحيم في حق نبيه محمد صلى الله عليه وسلم وكالسميع البصير ايضا
في حقه صلى الله عليه وسلم وفي حق غيره وكوصفه صلى الله عليه وسلم بالهداية وغير
ذلك فليس ذلك من المشاركة في شيء وانما هي اسما وصفات يسندها الله تعالى لمن يخصه

بالاكرام من عباده مع مباينتها للصفات والاسما الالاهيه لان تلك اسما وصفات
قديمات موثرات وهذه محدثات متاثرات **واذا تقرر** نفي الشرك اظهر منه
مقصدان اخران احدهما ايجاب نسبة المخلوقات كلها من حيث الخلق الى قدرته
وارادته سبحانه وتعالى كما اقتضاه قوله تعالى الله خالق كل شي والله خلقكم وما
تعملون الله الذي خلق سبع سموات ومن الارض مثلهن يتنزل الامر بينهن لتعلموا
ان الله على كل شي قدير وان الله قد احاط بكل شي علما ونظايره ذلك الاانه سبحانه
منعنا ان نضيف اليه اشيا لما في نسبتها من سوء الادب وهي المخلوقات المستقبحات
شرعا ولهذا قص سبحانه علينا في قصة خليله ابراهيم عليه الصلاه والسلام قوله
الذي خلقني فهو يهدين والذي هو يطعمني ويسقين واذا مرضت فهو يشفين
والذي يميتني ثم يحيين والذي اطمع ان يغفر لي خطيتي يوم الدين وقص علينا في
قصه يوشع بن نون قوله وما انسانيه الا الشيطان ان اذكره وقال لنبيه محمد
صلى الله عليه وسلم واما ينسينك الشيطان فلا تقعد بعد الذكرى مع القوم الظالمين
الى غير ذلك مما في معناه وفي ضمن هذا تقرير عجز العباد عن التاثير وابطال دعاوي
القايلين باستبدادهم بالقدرة على افعالهم **الثاني** من هذين المقصدين الرد
على كل من زعم مع الله شريكا على اختلاف اهوايهم وحيلهم فيستدعي النظر في
هذا المقصد بما اشتمل عليه من مقصديه وما يترتب عليهما النظر في كل ايه تعلقت
بذلك كله من الايات النافيه للشرك كقوله تعالى قل لو كان معه الهة كما تقولون
اذا لابتغوا الى ذي العرش سبيلا سبحانه وتعالى عما يقولون علوا كبيرا وما كان
في معنى ذلك من نفي الشريك في اسمايه الخاصة كما تقدم من قوله تعالى هل تعلم له
سميا ونفي الشريك في صفاته كقوله تعالى ليس كمثله شي وفي افعاله كقوله هل من
خالق غير الله يرزقكم من السما والارض لا اله الا هو وكذلك الايات الرادة على
كل مشرك بالله سبحانه والايات الذامة لهم والايات المخبرة بسو مصيرهم وما
في معنى ذلك **المقصد الرابع** من مقاصد احد المطالبه بحقوق الاحديه وقد
تقدمت الاشارة اليه فيما مضى ايضا وتقريره انه اذا كان سبحانه واحدا احدا لا
تاثير لغيره مع ما قضت به العقول والنقول من افتقار الخلق اليه سبحانه تعين ان
لا يعبد غيره ولا يقصد غيره فيستلزم ذلك مقصدين اخرين احدهما الاخلاص له
سبحانه والثاني الرغبة فيما عنده بتحقيق التوحيد كما اشار الى هذين الامرين

قوله تعالى

قوله تعالى فمن كان يرجو لقا ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه احدا
ويستدعي هذا المقصد بقصديه النظر في الايات المتعلقة بالعبادة وبالاخلاص
وبالرجا وما يتعلق بذلك كله فليورده من احب بسط ذلك **قوله تعالى الله الصمد**
فيه اربعة مقاصد احدها اثبات الصمديه وللصمديه من حيث الجملة معان
منها السودد والانتهاء فيه بحيث يصير مقصودا ومنه قول **القايل**
لقد بكر الناعي بخير بني اسد بعمرو بن مسعود وبالسيد الصمد
وفي حديث عمر رضي الله عنه اياكم وتعلم الانساب والطعن فيها فوالذي نفس
عمر بيده لو قلت لا يخرج من هذا الباب الا صمد ما خرج الا قليل بريد من انتهى
في سودده **ومنها** العلو والرفعة **ومنه** قولهم بناء مصمد بتشديد الميم
اي مرتفع معلا ويقال لكل ما ارتفع من الارض صمد باسكان الميم والصاد ايضا
اي بالاسكان القصد يقال صمدت صمده اي قصدت قصده **ومنها** عدم الجوف
يقال هذا اشي مصمد بفتح الميم الثانيه مع التخفيف اي لا جوف له واذا اطلق
على مخلوق بفتح الميم نكرة غالبا ولا يعرف بالالف واللام الا نادرا مع القراين
الدالة على انه مخلوق فاما اطلاقه معرفا على سبيل الوصف المطلق فلا يكون
الا لله تعالى قال تعالى الله الصمد وهو في هذا المعنى كالاحد فالاحديه
المطلقة والصمديه المطلقة وصفان خاصان بالله سبحانه **ولهذا** ذكر
سبحانه اسمه الله مع كل منهما **فقال** الله احد الله الصمد **واختلف** اقوال
نقلة التفسير في معنى الصمديه فكل منهم قال بمعنى من معانيه لانه اظهر
المعاني عنده ولهذا **اختلفت** الروايات عن ابن عباس وجماعة فظن
بعض المتاخرين اختلافها وليس كذلك بل كل رواية تدل على ذكر معنى الصمديه
اقتصر عليه اما لكونه اظهر المعاني عند القايل **واما** لكونه اليق بالسايل
وملخص ما يظهر من مجموع اقوالهم ان الصمد هو الذي وجب له الانفراد بالسيادة
العظمى المطلقة القديمة التي عنت له السيادات الممكنة بالافتقار اليها واعني
بها السيادة العظمى المطلقة ما تستلزمه مما لا نهاية له من كمال السودد في جميع
صفات الكمال الثبوتيه والسلبيه واعني بقولي التي عنت له السيادات الممكنة
بالافتقار اليها ان جميع السيادات الواقعة للخلق وما يمكن وقوعه متوقف الوجود
على ما تسمح به تلك السيادة العظمى فكل السيادات مفتقرة اليها افتقارا ذاتيا ويلزم

من افتقار السيادات الممكنة افتقار ما دونها ويترتب على الافتقار الذاتي توجه
الذوات المفتقرة كلها الى السيد الاعظم الذي لا يشارك في سودده توحد من
الوجوه اذ الفرد هذا فلننزل عليه اقوال المفسرين قال ابن عباس في احدى
الروايات عنه الصمد الذي قد كمل في جميع انواع السودد وكذلك قال ابو وايل
شقيق بن سلمة هو السيد الذي انتهى سودده وهو معنى قول سعيد بن جبير
في احدى الروايتين عنه انه الكامل في جميع صفاته واسمائه وفي معنا قول
من قال هو المقصود في الحوايج وهذا ماخوذ من كلام السدي فانه قال انه المقصود
في الرغايب المستغاث به عند المصايب اي وهذا الوصف لا يكون الا لمن انفرد
في سودد الكمال والافضال ولهذا قال علي ابن ابي طالب رضي الله عنه الصمد
الذي ليس فوقه احد اي انتهى علو سودده ونزل عنه كل شي بالافتقار اليه
وعن ابن عباس ايضا والحسن ومجاهد وسعيد بن جبير في احدى الروايتين عنه
انه الذي لا جوف له وقد روى الطبراني ذلك من حديث بريدة الاسلمي مرفوعا
الى النبي صلى الله عليه وسلم وهذا تنبيه على سيادة الفردانية التي تستحيل معها
التعدد والتجزي والانقسام وتجب لها الغنى الانفرادي عن كل شي حتى عن
الشراب والطعام وقد عبر الشعبي عن هذا المعنى بقوله هو الذي لا ياكل ولا يشرب
وقال الربيع الصمد الذي لا تعتريه الافات وقال مقاتل هو الذي لا عيب فيه
وهذان القولان يشيران الى سيادة القدوسية وقال ابي بن كعب وغيره
الصمد مفسر بما بعده وهو قوله لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا احد اي
وهذا الوصف لا يكون الا لمن انفرد بكمال صفات السودد والمجد وقال جماعة
الصمد هو الباقي الدايم وهذا اشارة الى كمال سودد وجوده الحق واذا تاملت
هذه الاقوال ظهر لك ما تضمنته من معاني السيادة العظمى الموجبة لساير
صفات الكمال الثبوتية والسلبية وما هو ملاك ذلك من الغنى المطلق الواسع
الممد لساير المخلوقات وتحصل النسبة بذلك على ما يجمل بالكبير الذي يرجع اليه
من صفات الفضل والعدل ويلوح من هذا ما يتبع من حقوق الاصاغر على
الاكابر لحقوق الرعية على الايمة والمتعلمين على المعلمين والمريدين
على المسلكين والزوجات على الازواج والاولاد على الوالدين والارقا على
الملاك وحقوق الجيران والضيوف وذوي الحاجات وما اشبه ذلك

وحينيد

وحينيد فيظهر من هذا المقصد مقصدان اخران احدهما اثبات ما يلزم
على ذلك من افتقار كل مخلوق اليه سبحانه كما تقدمت الاشارة اليه واليه
يشير قوله تعالى والله الغني وانتم الفقرا يا ايها الناس انتم الفقرا الى الله
والله هو الغني الحميد ولذلك اشتد النكير والتوعد على من عكس ذلك كما
في قوله تعالى لقد سمع الله قول الذين قالوا ان الله فقير ونحن اغنيا سنكتب
ما قالوا الاية وفيه تنبيه سبحانه على فحش ظلمهم في وصف الحق والخلق وعلى انه
مجازيهم بما قدمت ايديهم من الظلم وبين استحالة الظلم في حقه سبحانه فختم الاية
بقوله ذلك بما قدمت ايديكم وان الله ليس بظلام للعبيد ويترتب على ثبوت
فقر الكاينات كلها اليه سبحانه صيرورتها ايات دالات على كمال حمديته سبحانه
وذلك وجه من وجوه تسبيحها يحمل على النظر في تقييد وجوه تسبيحها وصلاتها
وطاعاتها الثاني التنبيه على اتساع ما دلت عليه صمديته الله سبحانه من
جوده وكرمه ورحمته ومغفرته وعلى اتساع خزاين فضله بما اشتملت عليه من
انواع الخيور الدينية والدنيوية العاجلة والاجلة حتى انه سبحانه يمد ذرات
العوالم كلها بما يليق بها من اثار جوده في اعمار وجودها من حين ابدا الخلق
المخلوقات والى ما لا نهاية له في الجنات مع ان ذلك كله لم ينقص مما عنده مثقال
ذرة والى ذلك يشير قوله تعالى والله واسع عليم ان الله واسع عليم ورحمتي
وسعت كل شي ان ربك واسع المغفرة وما كان في هذا المعنى ومنه وسع
كرسيه السموات والارض ولا يوده حفظهما فنبه سبحانه على اتساع المملكة افتقارها
لما يترتب على ذلك من اتساع علمه المحيط بجملها وتفاصيلها واتساع حلمه مع ما هو
يكون في خلالها من الخلل والفساد واتساع امداده الواصلة اليها كما يشير الى ذلك
قوله تعالى ولو يواخذ الله الناس بما كسبوا ما ترك على ظهرها من دابة وقوله
ان الله يمسك السموات والارض ان تزولا الاية ونحو ذلك وهذا تقرير لاتساع
الجود والفضل واما تقرير اصل الجود فقد تقدم المقصد الثاني من مقاصد
قوله تعالى الله الصمد بيان ان الصمدية العظمى صفة خاصة بالله سبحانه وتعالى
وذلك مستفاد من مجي الالف واللام في اسمه الصمد اذ هو من باب حصر الخبر في
المبتدا فالمعنى هو الصمد لا غيره وفي معناه قوله تعالى وهو العزيز الحكيم
وان الله لهو الغني الحميد ونحو ذلك وتقريره من طريق النظر واضح لقيام البراهين

على ان معاني الصمدية العظمى المشروحة فيما تقدم هي صفات الالهية وعلى
ان الاله واحد وذلك هو معنى انفراده سبحانه بالصمدية فان قلت فما حكمة
مجي الالف واللام في هذا الاسم دون اسمه قلت من جملة حكم ذلك في الاحدية
نص بحا بنفي المشاركة فيها وان لم تعرف بالالف واللام بخلاف الصمدية فانها
غير مصرحة بنفي المشاركة كتصريح الاحدية فناسب مجي اداة التعريف
تخصيصا للصمدية العظمى بالله سبحانه واخراجا لبعض معاني الصمد اللغوية فان
ذلك قد ينسب الى بعض الخلق وحينئذ فيقع الاشارة الى مقصدين احدهما
جواز اسناده ذلك الى بعض الخلق بحق والثاني المنع من اسناده بغير حق
اما الاول وهو جواز اسناده بحق فلان الانفراد في حق البشر يرجع الى العلو
الحسي والمعنوي ومدار العلو المعنوي على السيادة وهي في حق البشر انواع
اعلاها سيادة الرعاية العظمى بالنبوة والرسالة وكل من كان متبوعا في الدين
او العلم او الفضل فهو سيد ومن الانواع سيادة الفضل الدنيوي كسيادة الملك
والمالك والزوج ونحو ذلك قال تعالى في حق عيسى عليه الصلاة والسلام وسيدا
وحصورا قيل اراد بالسيد هنا الذي يتبع وينتهى الى قوله وقيل اراد سيادة
الدين وفي معنى هذين القولين انه الذي يفوق قومه في خصال الخير وقيل
السيد المطيع لربه وقيل الفقيه العالم وزاد بعضهم العابد والورع وقيل
هو الكريم على الله وقيل هو القانع بما قسم الله له وقيل هو الحسن الخلق وفي
معناه قول من قال هو الذي لا يغضبه شي وكل هذه الاقوال تفسير للعلو
المعنوي في الدين وكذلك قول من قال انه السخي وفي الحديث ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال لبني سلمة من سيدكم يا بني سلمة قالوا جد بن قيس
على انا نبخله قال واي داء ادوا من البخل لكن سيدكم عمرو بن الجموح ولما
كان نبينا صلى الله عليه وسلم جميع بني ادم في انواع الفضل النبوي والرسالي
والعلمي والعملي والقولي والحالي مما يمكن ان يكون مكسوبا او موهوبا
اصطفائيا واختصاصيا اعطي صلى الله عليه وسلم السيادة العليا في الخلق حتى
عمت لسيادته انواع سياداتهم فلهذا اصرح صلى الله عليه وسلم بقوله انا سيد ولد
ادم ولا فخر وهذا مع قوله تعالى في حقه صلى الله عليه وسلم وما ينطق عن الهوى ان
هو الا وحي يوحى ولقد اشارت فاتحة سورة يس الى سيادته صلى الله عليه وسلم قال ابو بكر

الوراق يعني يس يا سيد البشر وسمي النبي صلى الله عليه وسلم الحسن بن
بنته سيدا وقال للانصار لما اقبل سعد بن معاذ قوموا الى سيدكم وسمي الزوج سيدا
قال الله تعالى والفيا سيدها لدا الباب اي زوجها وسمي كبير القوم سيدا قال
تعالى في حق الكفار وقالوا ربنا انا اطعنا سادتنا وكبرانا فاضلونا السبيل
وسمي المالك سيدا قال صلى الله عليه وسلم لا يقولن احدكم عبدي فكلكم عبيد ولا يقل
العبد ربي وليقل سيدي وانظر كيف عمم صلى الله عليه وسلم بالعبادية فقال
فكلكم عبيد وجوز اطلاق السيادة على بعضهم تنبيها على ان المنع انما هو بالنسبة
الى السيادة المطلقة العظمى المستعبدة لجميع الخلق وبهذا التقرير يظهر
اطلاق السيد على الشريف في النسب والشريف في الدين وفي العلم والتربية ونحو
ذلك ثم يجر هذا المقصد الى اطراف منها جواز مدح الممدوحين من الخلق
بما فيهم ما لم تكن فيه فتنة للمادح او الممدوح او غيرهما وما لم تكن فيه شائبة
حظ منقص للحق ومنها استحباب المدح او وجوبه على حسب التكليف
ومنها جواز اخبار الانسان عن نفسه بما جعله الله تعالى فيه من خصال الخير
اذا كان ذلك على سبيل الشكر باظهار النعمة وحمل السامع على المساعدة في الشكر
وعلى التاسي بذلك الخير ان كان مما يتاسى به وعلى المطالبة بما يستحقه بذلك
الوصف من الحقوق ونحو ذلك ومن هذه المادة ما اوجبه الله تعالى على الانبيا
والرسل عليهم الصلاة والسلام من ذكر نبواتهم ورسالاتهم اعلاما للامم ومطالبة لهم
بحقوقهم ومن هذا المعنى ما يجب على العالم من التعريف بنفسه حيث احتيج
الى ذلك وهل يجوز للولي ان يذكر ولايته اذا تحققها فيه خلاف عند اهل الطريق
والصحيح ان له ان يذكر ذلك عندما تدعو اليه المصلحة فيذكر منة الله تعالى
عليه بذلك والكرامة له بما اكرمه به من انواع الكرامات بشرط سقوط الحظ اي
الحظ المذموم وقيام الحق وظهور المصلحة ووقوع الاذن في ذلك واعلم
ان كل ما جوزه الشرع فهو ماذون فيه وهذا هو الاذن العام واما الاذن
الخاص من حيث الجملة فانواع منها انشراح الصدر بعد الاستخارة وفي معنى
انشراح الصدر فتح باب التيسير الى المطلوب وكثرة المبشرين وما اشبه
ذلك ومنها ما يقع في المنام مع استقرار صحة المنام ومنها الالهام وله موازين
يوزن بها فيعرف ما كان الهاما وما كان اوهاما وللقوم هنا قضايا م

تقبضون بصحتها وينكرها من لم يكن من اهلها ومنها اي من الاطراف المذكورة
اولا مطالبة المتصدين بحقوقهم المطلوبة ممن فضلوا عليه فيدخل في ذلك
حقوق الانبيا والرسل عليهم الصلاة والسلام على الامم وحقوق الايمة
ونوابهم على الرعايا وحقوق الفقرا والعلما على المتعلمين وحقوق المسلكين على
السالكين وحقوق الوالدين على الاولاد والرجال على ازواجهم والملاك على
ماليكهم والمستاجرين على اجرايهم وما اشبه ذلك وقد تقدم ذكر الحقوق التي
هي عكس هذه الحقوق **الامر الثاني** وهو ثاني مقتضى هذا المقصد المنع
من اطلاق شي من معاني التصمد على احد من الخلق بغير حق كالانفراد بالقدرة
او التدبير او المنع والعطا او غير ذلك مما لا ينبغي ان يكون لمخلوق ويجر ذلك
الي اطراف منها ان لا يسمي من لا يستحق السيادة سيدا وقد روى ابو داود
بسند صحيح والنسايي ايضا في كتابه عمل اليوم والليلة ان النبي صلى الله عليه وسلم
قال لا تقولوا للمنافق سيدا فانه ان يك سيدكم فقد اسخطتم ربكم عز وجل ومنها
تحريم موالاة الكفار والمشركين بالتعظيم وفي معناه اكرام اهل البدع والمعاصي
الا ان يكون ذلك اخراجا لهم من غيهم وضلالهم فيجوز ذلك بقدر الضرورة وقد
عمت البلية بموالاة اعداء الدين رغبة في الدنيا المتوهمة نسال الله العافية
وسياتي في اخر الكتاب تاكيد المطالبة بالموالاة في الله والمعاداة لله سبحانه
ومنها ان ينتسب العبد الي غير مواليه او الولد الى غير والديه وفي معناه
انتساب المتعلم الى غير معلمه والمريد الي غير مسلكه ونحو ذلك ومنها اسناد
القدرة او الاثر الي احد من الخلق على وجه الحقيقة كما تقدمت الاشارة
اليه ومنها مدح من لا يستحق المدح ويتناول ذلك الاحيا والاموات ويشتمل
هذا على النهي عن تعديد شمايل الموتى وما اشبه ذلك ومنها التواضع لمن
لا يستحق التواضع كالتواضع للاغنيا لاجل غناهم فانه مذهب لثلثي الدين
ومنها ان لا يعامل الانسان نفسه بشي مما منع من معاملة غيره به من هذه
الامور المذكورة وما في معناها من تعليته مقدار نفسه بغير حق وتاميلها
بغير وجه واكرامها بغير اذن والمطالبة لها بما لا تستحق واثبات الوجود
لها حيث ظهرت لها اثار الفنا **ومن اعظم** ما ينهى عنه تعظيم النفس الخفية
بالدعاوي الخطيرة وما اكذب الدعاوي في زماننا واعرضها مع رقة الدين نسال الله

العافيه وانما حمل الكاذبين على ذلك حب التقرب الي الخلق بسبب غفلتهم عن
الحق سبحانه وتوهمهم ان الخلق يقدرون علي النفع والضر وانصراف هممهم
الي الدنيا الموهومة عن الاخرة المحققة واما من عرف ان الله تعالى هو
الصمد الذي بيده ازمة الامور ونواصي العباد ونفوذ المقادير واليه يرجع
الامر كله ومنه ينال كل خير وبه يستعاذ من كل سوء فانه يجعل توجهه
كله الي الله تعالي وحده ولا يمنع من ذلك معالجة الاسباب الماذون فيها
اذا رسخ القدم في اليقين وفقنا الله تعالى لذلك **المقصد الثالث من مقاصد
قوله تعالى الله الصمد** بيان ما يقتضيه هذا الاسم من التعلق دون التخلق لا
تشك ان سر التعريف انما هو التكليف وما تعرف الله سبحانه لعباده باسم من
اسمايه الا استعبدهم بما يقتضيه فان كان ذلك الاسم يقتضي التعلق تعلقوا
او التخلق تخلقوا فالتعلق هو التحقق باضداد ما دلت عليه تلك الصفات
من المعاني مع كمال التوجه الي فردانية الله سبحانه فيها واستمطار الامداد الفضل
الالهي على الوجود العبدي والتخلق هو الاتصاف بما تدعو اليه تلك الاسماء
من صفات المدح مما يليق ان يوصف به صالحو العباد فاسما التعلق كاسمه الله
ليس للعباد منه حظ سوى التعلق به دون التخلق لان الاتصاف بشي من صفات
الالهية محال واما اسما التخلق فكالتواب والوهاب والحليم والكريم والستار
والجواد ونحو ذلك اذا تقرر هذا فاسمه الصمد له معان بعضها يقتضي التعلق
وبعضها يقتضي التخلق والكلام هنا على ما هو منه للتعلق وطريق معرفة
ذلك ان ننظر في معاني هذا الاسم فما كان منها من الصفات الخاصة بالله
سبحانه التي لا يمكن وصف الخلق بشي من معانيها فنتعلق به على الوجه المتقدم
فمن ذلك ما دلت عليه الصمدية من الانفراد بالسيادة العظمى وذلك يقتضي
من العباد التحقق بالاشتراك في العبدية الصغرى الا انهم متفاوتون في
مراتب العبدية فمنهم اصاغر من حيث نسبة بعضهم الى بعض ومنهم اكابر
من حيث ما يكبر الله به من يشا من معالي مقامات العبدية الخاصة المستلزمة
للحرية الجليلة ويستلزم التحقق بهذا الوصف الوفا بحقوق الربوبية على
العبدية بجملها وتفاصيلها ومن اقتصر ادراكه على معنى من معاني الصمدية
التي للتعلق تعلق به على حسبه فمن ذلك العلم بتقدسه سبحانه عن العيوب

فان وظيفة العبد منه التقديس لله مع شهود نفسه بالعيوب الكامله اما
باعتبار الاتصاف واما باعتبار القابليه الجنسيه فينبغي له التقديس تنزيه
الله سبحانه عن الوفا بالتقديس الصادر من الخلق وينبغي له شهود عيوبه و
التنصل منها بما يمكنه وعدم الكبر والفخر والاعجاب والدعوى والتعيير
بالذنوب الماضيه قبل التوبه والازدرا والسخر باحد فان احتمال خيريه
المعيب على العايب موجود قال تعالى لا يسخر قوم من قوم عسى ان يكونوا
خيرا منهم الايه وترك الانكار على من نسبه الى نقص الا من حيث الطلب الشرعي
فان الشرع منع من الدفع في الاعراض واذن في استيفا الحقوق وما ادق
هذا الصراط اعني المطالبه بالحق الخليص من شايبه الحظ وما اعز وجود اهله
ومن ذلك العلم بان معاني صمديه الله سبحانه انه لا تعتريه الافات ووظيفة
العبد في هذا انما هي التعلق دون التخلق فيتعلق بالرجا في دفع ما يتوقعه
من الافات التي هو قابل لها من غير ان يطلب وجوب السلامة منها قبل دخول الجنة
لان الافات منها ما هو ديني ومنها ما هو بدني ومنها ما هو مالي ونحو ذلك و
ملوم يصيب العبد الا مصيبة الموت لكانت افة نعم بعد دخول الجنة تجب السلامة
من الافات بايجاب الله تعالى ذلك بكرمه لانه من حيث الوصف الخلقي ومن علم
ان وجوده في الدنيا في البرزخ ويوم الحساب معرض للافات لا فانه ان يديم
توجهه الى من بيده ازمة الايراد والاصدار وان يصبر على ما كلف بالصبر عليه
من مرارة الاقدار وان يتسلى باشتراك الخلق في كونهم عرضة لذلك وان لا تشمت
بمصيبته لما يتوقعه من امثالها في نفسه الى غير ذلك مما يترتب عليه ومن ذلك
العلم بان من معاني الصمديه الخاصه بالله سبحانه الدوام فيتعلق من علم ذلك
بالدايم الذي لا يفنى ويتحقق بانه عبد مخلوق للفنا ولا يخفى ما يترتب على علم
العبد بفنايه من المطالبة بقصر الامل والاستعداد للموت والعمل لما بعده والزهد
في الدنيا التي لا بد من زوالها او زواله عنها والتعلق بالباقي سبحانه وادامه العمله
له من الطاعات لعل ان يبقيه في جنة الخلد ويوجد ثمرات الباقيات الصالحات
الى غير ذلك من لوازم العلم بدوامه سبحانه ومن علم ايضا انفراده سبحانه بالدوام
حمله ذلك على ان لا ياسى على ما فاته ولا يفرح بما اتاه ويقاس على هذا ما يجنس
قياسه وحينيذ ينجر هذا المقصد وهو التعلق بالصمد سبحانه الى مقصدين

اخرين وهما حسن الدعا وحسن الرجا فاما حسن الدعا فيستدعي النظر في
شروط الدعا وادابه وكماله وجوامعه وعلامات قبوله وافات رده
ونحو ذلك ويستدعي ذلك النظر فيما ورد في ذلك من الايات والاحاديث
واما حسن الرجا فيستدعي النظر في حقيقته المميز له عن الغرور والقنوط
وفيما يحسن منه ومتى يطلب انبساطه وفي اسبابه المعينه عليه وفي ثمراته
المرغبه فيه ومن تامل ذلك كله لم يخف عليه ما يدخل من هذه المعاني في معاني
الاسما الحسنى والله تعالى اعلم المقصد الرابع من مقاصد قوله تعالى
الله الصمد بيان ما يقتضيه هذا الاسم الكريم من التخلق ومدار ذلك على اكتساب
ما يومي اليه بعض معاني الصمديه مما يمكن تخلق الخلق به من الاخلاق
الجميله والصفات الحميده الموصلة في العادة الى السودد في الخلق بالقصد
الرجوع الى المتصف به والصدور عن امره والرغبه فيما لديه من الفضل
والخير فمن ذلك الحلم الواسع الحامل على مقابلة المسيين وان تكرروا بالاحسان
اليهم على اختلاف مراتبهم بما يليق بكل منهم مما يسعهم ويصلحهم كالامهال والستر
والبر والعفو والمغفرة وحسن الرعاية والارشاد الهادي لمن امكنت
هدايته منهم تخلقا بالخلق الماذون فيه من اخلاق الصمديه ولا يخفى ما ينافي
عنه هذا الخلق من الغضب الناشي عن الحظ واما الغضب للحق فلا ينافي
الحلم ومن ذلك الرحمة التي تتعلق اثرها بالصغار والكبار والارقا والاحرار
والقربا والغربا من اهل الود والنفار وذوي الغنى والافتقار واهل الطاعات
والاوزار وساير مخلوقات الله على اختلاف المراتب والاقدار فيدخل في
ذلك ساير انواع الخير من اصطناع المعروف واغاثة الملهوف ونصر المظلوم
ومنع الظالم ورد المظالم والشفقه على خلق الله تعظيما لله فمن رحمة الصغار
الحنو عليهم وملاطفتهم وتربيتهم وصيانتهم مما يضر دينهم وابدانهم و
واموالهم ومن رحمة الكبار توقيرهم واكرامهم ورعايتهم ومواددتهم بما يليق
بهم ومن رحمة الارقا توفية حقوقهم التي منها الاشباع والارواء والكسوة
والتعليم والتربيه والتخفيف عنهم في العمل بان لا يكلفهم ما لا يطيقون فان كلفهم
اعانهم ومن رحمة الاحرار رفع مقادير هم عن امتهان الارقا ومن رحمة
القربا بر الوالدين وصلة الارحام بانواع البر والمواصلات الشرعيه فقد

امر الله سبحانه بذلك كله رحمة بالاولاد والوالدين والاقارب اجمعين ومن
رحمة الغربا ايواوهم واضافتهم والاحسان اليهم ودلالتهم على ما فيه مصالحهم
في ذلك المكان والتعريف بهم بحيث يحمل ذلك على وصول الخير اليهم كل ذلك
ما لم يكونوا مبتدعين او عصاة متجاهرين وسائر حكم القضاة ومن رحمة
الاودا مكافاتهم بالود ومناجيه وممازحتهم بالحق مع اجتناب ما يسخط وتوفيه
حقوقهم كلها ومن رحمة ذوي النفار ترك مهاجرتهم والاجتهاد في استجلاب
خواطرهم وتوفيه حقوقهم الاسلاميه كلها وانزالهم فيما يحبه لهم من الخير
منزلة احبابه فان اصول حقوق المسلمين لا تختلف بالصداقه والمناكره وانما
تتاكد للاصدقا امور زايدة على الاصول ومن رحمة ذوي الغنى اغاثتهم
بالنصايح المنجيه من افات الغنى ومن افات الغنى الطغيان والكبر والفخر
والاعجاب وازدراء الفقرا وطردهم والاحتجاب عنهم والتعيير بالفقر
والتبسط في الشهوات وكثرة الشره والحرص والطمع والبخل وطول الامل
فمن يرحم الغني يعالج بنصايحه ما يدفع عنه هذه الامور ويحمل عنه ايضا الكل
في غناه بعدم الطمع في ماله وبان لا يحمله على السرف وبان لا يعرض شيا من ماله
الى الهلاك ومن رحمة ذوي الافتقار برهم وجبرهم والتلطف بهم وحسن مواعدتهم
عند المنع والاعتذار اليهم عند التقصير في العطا وتسليتهم في فقرهم وتذكيرهم
بما اعد الله لهم من الثواب والسبق الى الجنة ومن رحمة المطيعين احبهم
وموالاتهم واعانتهم على ما هم بصدده من طاعة الله حتى يكون من رحمتهم
ترك زيارتهم في اوقات خلواتهم وعدم مجاراتهم فيما لا يحبونه عند مجالستهم
وعدم الاطرا الذي يعرضهم الى فتنتهم وتذكيرهم بالخوف من الله وخوف
العاقبه وترجيتهم عند غلبه الخوف عليهم وتنشيط هممهم بذكر الطايعين
والمجتهدين وما اشبه ذلك ومن رحمة العصاة الانكار عليهم انقاذا لهم
مما هم فيه وحسن موعظتهم استجلابا لهم الى الخير ومهاجرة من اصر منهم
بالظاهر زجرا له من اوطان المعصيه واقامة ما يجب من الحدود والتعازير
عليهم ممن يملك ذلك زجرا لهم عن المعاصي وتكفيرا لاثامهم وتخفيفا للعذاب
عنهم فان الحدود والتعازير اخف من عذاب القبر وعذاب الاخره مع كونها
مكفرة للذنوب ومن رحمة العصاة ايضا رقة القلب الحاملة على الدعا

لهم

لهم بالمغفرة والتوبة والاصلاح واما قوله تعالى في حق الزانيه والزاني
ولا تاخذكم بهما رافة في دين الله فالمراد رافة تمنع من اقامة الحد بغير شبهة
او تحمل على التخفيف فيه بالنقص ومن رحمة مخلوقات الله تعالى ان لا
يعرض شيا منها الى ما لا يليق به وان يحلها في ما ينبغي جعله فيه ويرحم الحيوانات
بالاطعام والاسقا ووقايتها من اذى الحر والبرد واراحتها من ما لا
تطيقه من التعب حتى في ذبح ما يذبح منها فيحسن ذبحه وحتى ما امر بقتله ايضا
فيحسن قتله فقد قال صلى الله عليه وسلم ان الله كتب الاحسان على كل شي واذا
قتلتم فاحسنوا القتله واذا ذبحتم فاحسنوا الذبحة وليحد احدكم شفرته
وليرح ذبيحته ومن تامل هذه العلامات عرف انها كلها اثار رحمة الله
تعالى التي وسعت كل شي ومن ذلك اي من المعاني التي يتخلق بها من معاني
الصمديه الجود وهو في حق الخلق كل بذل ممدوح فيدخل فيه بذل كل ما
يرغب فيه مما يدخل في الملك على اختلاف الاجناس والانواع مما يبال ومما لم
يبال على وجه البر والتوسعة لموافقه الاذن الشرعي ومراتب الجود متفاوته
تتفاوت سماح نفوس اهله ومقادير ما يبذلونه واختلاف حالات المبذول
لهم واجود الناس نبينا صلى الله عليه وسلم وكان اجود ما يكون في رمضان
حتى يلقاه جبريل فكان اذا لقيه جبريل اجود بالخير من الريح المرسله ومن
اسباب تضاعف جوده صلى الله عليه وسلم في شهر رمضان انه شهر القران وكان
خلقه صلى الله عليه وسلم القران كما ثبت في الصحيح من قول عايشه رضي الله عنها
والقران كله دال على كمال جود الله سبحانه الذي منه ظهرت جميع النعم الكليات
والجزئيات كنعمة خلق الوجود وخلق من فيه وما فيه وايجاد امدادهم
الرزق وساير انواع الفضايل والخيور واجناسها مما هو مداد الاجساد والنفوس
والقلوب والعقول والارواح وساير المدارك واللطايف الملكيه والملكوتيه
مما لا يدخل تحت الحصر ولا يقف عند غاية فكان صلى الله عليه وسلم اذا اتاه
جبريل عليه السلام لمدارسه القران في شهر رمضان يطالع من جود ربه سبحانه
ما لم يطالعه غيره فيحمله ذلك على الجود الذي لا يشاركه فيه غيره وكلما
تكرر ذلك في كل رمضان ازداد مطالعة وعلما فيزداد جودا وايضا فانه
صلى الله عليه وسلم كان في ليلة القدر وشهرها يشاهد من نفايس ذخاير غيب الله سبحانه

مايحمله على الجود بما دون ذلك وايضا انه صلى الله عليه وسلم كان اذا ورد عليه
جبريل في رمضان ليدارسه كلام ربه سبحانه يجود في مقابلة ذلك بما لا يشاركه
فيه مخلوق شكرا لله سبحانه على ما خصه به من بين ساير الخلق وهو
ارسال جبريل عليه السلام بالقران ومدارسته وفي هذا تنبيه على ما ينبغي من
الجود والايثار عند مجي رسل الحبيب واذا عرفت ان الجود بذل ما يرغب فيه
من نفايس الفضايل ورغايب الجمايل علمت ان من جملته نشر العلم لمستحقيه
وبذل النصايح لدين الله ولرسوله ولايمة المسلمين وعامتهم وبذل العفو للمعتق
اعانة له وبذل الصنعة للاخرق وهو الذي لا يحسن الصنعة وبذل المال
الحلال في وجوه البر والقربات والمكارم ما لم يكن فيه نوع سرف والسرف
الانفاق فيما لا يجوز ومن ذلك اي مما يتعلق به التحفظ من كل ما يمكن التحفظ
منه من المعايب والنقايص اخلاصا لوجه الله سبحانه فليحذر المتصف بالكمال والمتحفظ
من النقص والاخلال ان يتعرض بذلك للخلق استجلابا لاموالهم وتوصلا الى
مودانهم وثنايهم ولا يخفى ما يدخل تحت هذا من الابواب والمسايل وما
يتعلق بها من الايات والدلايل وحينيذ فيشير هذا المقصد وهو التخلق بمحاسن
الاخلاق الى مقصدين اخرين احدهما العلم بما يحسن ليتخلق به وما يقبح
ليجتنبه فيتناول ذلك علم الاعتقاد وعلم الحلال والحرام بما اشتمل عليه من
احكام الاجنة والاجسام وساير علوم الدين مما يتوقف عليه حسن
المعاملات وحسن السلوك واداب العبودية واخلاق الحرية فليستدعي
ذلك النظر في انفع العلوم ليقدم وفي اي ضوابطه اقرب تناولا ليغتنم وفي
اي شيوخه اجدر بالاخذ عنه ليقصد وفي اداب التعلم والتفهم ليوفى بها
وفي اي المسلكين اولى بالتسليك ليقتدى به وفي اداب الصحبة ليستصحب
وفي حقوق العلم والمعرفة من الاجتهاد والاخلاص والتعليم والتعريف
على وجه التقريب وحسن الترتيب وتحرير الاستدلال وتوضيح الاشكال
ليحافظ على ذلك كله ومما ينبغي ايضا امعان النظر في فضايل العلم والمعرفة
والعمل والاخلاص ليكون ذلك ادعى الى بذل الجهد الثاني تمرين النفس
على ما ينبغي ان يتخلق به بحسن الرياضة وكمال المجاهدة فان النفوس
غالبا لا تنقاد الى العلم والعمل الا بالسياسة والرياضة والمجاهدة وما اجدر

المجاهدة

المجاهدة الحكمة على قوالب الحق والصدق بحصول الهداية عقبها قال تعالى
والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا فما جاهد احد ثم حجب عن الهداية الا
كان ذلك لخلل في مجاهدته واذا تاملت هذا المقصد وما اشتمل عليه من
مقصديه وساير ما يتعلق به عرفت كثرة ما يتعلق به من الايات والادلة
وعرفت ما يشير الى هذه الاخلاق كلها من اسما الله الحسنى والله سبحانه ولي
التوفيق قوله تعالى لم يلد ولم يولد فيه عشر مقاصد احدها نفي الولد
من حيث الجملة عن الله سبحانه وتعالى تنبيها على استحالة ذلك في حقه سبحانه
وردا على من زعم ذلك من الضالين كما جاء ذلك في غير اية قال الله تعالى
وقالوا اتخذ الله ولدا سبحانه بل له ما في السموات والارض كل له قانتون بديع
السموات والارض واذا قضى امرا فانما يقول له كن فيكون وقال تعالى انما الله
اله واحد سبحانه ان يكون له ولد له ما في السموات وما في الارض وكفى بالله وكيلا
وقال تعالى وقالت اليهود والنصارى نحن ابنا الله واحباوه قل فلم يعذبكم بذنوبكم
بل انتم بشر ممن خلق وقال تعالى وجعلوا لله شركا الجن وخلقهم وخرقوا له
بنين وبنات بغير علم سبحانه وتعالى عما يصفون بديع السموات والارض انى
يكون له ولد ولم تكن له صاحبة وخلق كل شي وهو بكل شي عليم وقال تعالى
وقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله ذلك قولهم
بافواههم يضاهون قول الذين كفروا من قبل قاتلهم الله انى يوفكون
وقال تعالى قالوا اتخذ الله ولدا سبحانه هو الغني له ما في السموات وما في الارض
ان عندكم من سلطان بهذا اتقولون على الله ما لا تعلمون قل ان الذين يفترون
على الله الكذب لا يفلحون وقال تعالى وقل الحمد لله الذي لم يتخذ ولدا ولم يكن
له شريك في الملك ولم يكن له ولي من الذل وكبره تكبيرا وقال تعالى الحمد لله
الذي انزل على عبده الكتاب الى ان قال وينذر الذين قالوا اتخذ الله ولدا
ما لهم به من علم ولا لابايهم كبرت كلمة تخرج من افواههم ان يقولون الا
كذبا وقال تعالى ما كان لله ان يتخذ من ولد سبحانه اذا قضى امرا
فانما يقول له كن فيكون وقال تعالى وقالوا اتخذ الرحمن ولدا لقد جيتم
شيا ادا تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الارض وتخر الجبال هدا
ان دعوا للرحمن ولدا وما ينبغي ان يتخذ ولدا ان كل من في السموات والارض

الا اتي

سبحانه

الا اتي الرحمن عبدا وقال تعالى لو اردنا ان نتخذ لهوا لاتخذناه من لدنا
ان كنا فاعلين بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فاذا هو زاهق ولكم
الويل مما تصفون وله من في السموات والارض قيل اراد باللهو الولد
وقيل اراد بالمراة وقال تعالى وقالوا اتخذ الرحمن ولدا سبحانه بل عباد
مكرمون وقال تعالى ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من اله وقال تعالى
تبارك الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا الذي له ملك السموات
والارض ولم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك في الملك وخلق كل شيء فقدره تقديرا
وقال تعالى الا انهم من افكهم ليقولون ولد الله وانهم لكاذبون وقال تعالى
لو اراد الله ان يتخذ ولدا لاصطفى مما يخلق ما يشاء سبحانه هو الله الواحد
القهار وقال تعالى قل ان كان للرحمن ولد فانا اول العابدين سبحان رب
السموات والارض رب العرش عما يصفون وقد وقعت الاشارة في بعض
هذه الايات الى ان ابتغا الولد وابتغاه انما يكون للعاجز عن الخلق او الملك
او الاستخدام والله سبحانه هو الخالق المالك الذي قنت له كل شيء وعنت
له الوجوه وهو مع ذلك غني عن جميع ذلك فكيف يجوز في حقه الافتقار الى
الولد وما ينبغي للرحمن ان يتخذ ولدا واعلم ان الولد اما ان يفرض كمالا
او نقصا وكلاهما محال في حق الله سبحانه وتعالى اما النقص فواضح لاجماع
العقول على استحالة النقص على الاله واما الكمال فلرجوعه الى النقص
ايضا فان تجدد الكمال لا يكون الا بعد نقص قبله تقرير اخر وهو ان
الولد من حيث الجملة اما ان ينظر اليه باعتبار ذاته او باعتبار نتايجه
وفوايده وكلا النظرين يفضي الى استحالته في حق الله سبحانه اما ذات
الولد فانها مخلوقة من بعض اجزا الوالدين معا الا من كان من ام بلا اب
وهو عيسى عليه الصلاة والسلام فانه جزء من امه خاصة وجعل الله سبحانه
نفخ جبريل عليه الصلاة والسلام في جيبها مغنيا عن جزء الاب خرقا للعادة
واما من خلق من غير اب ولا ام وهو ادم عليه الصلاة والسلام فلا يسمى
ولدا ولكون الولد جزءا مخلوقا من اجزا اصله لا بد ان تظهر عليه الشنشنة
ويخلق شبه الاب والام باعتبار اختلاف غلبة اجزايهما فيه ولما
كان الولد جزءا مما يولد منه عظم النكير على الكافرين القايلين بان الملايكة بنات الله

تعالى الله

تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا قال تعالى وجعلوا له من عباده جزءا ان
الانسان لكفور مبين وقيل الجزء النصيب وهو في المعنى كما تقدم وقيل
الجزء هنا اشارة الى الاناث دون الذكور ماخوذ من قول العرب
اجزأت المراة اذا ولدت انثى ولا يخفى بهذا النظر ظهور وجه استحالة
الولد في حق الله تعالى وتفاحش قبح من زعم شيا من ذلك سبحان ربك رب
العزة عما يصفون واما النظر في نتايج الولد وفوايده فيستدعي حصر جوامع
اصولها فان فروعها وتفاصيلها لا يكاد تنحصر والذي ظهر لي ان فوايد
الاولاد تنحصر جوامع اصولها في سبع فوايد الفايدة الاولى ان تكون
لتكثير العدد ومنه قوله صلى الله عليه وسلم تناكحوا تناسلوا فاني مكاثر بكم الامم
يوم القيمة ولا يخفى استحالة هذا المعنى في حق الله تعالى لوجوب تفرده
وتعبده ذلك الفايدة الثانية ان يكون للزينة في الحياة الدنيا ومنه قوله تعالى
المال والبنون زينة الحياة الدنيا وقوله تعالى زين للناس حب الشهوات
من النسا والبنين ولا يخفى ايضا ان ذلك مستحيل في حقه سبحانه لانه الجميل
المجمل الفايدة الثالثة ان يكون للزينة في الدين كان يصير قاريا
او عالما او عابدا فيحصل لابويه الفخر والزين بذلك وربما يخفف به من
عذابهما الفايدة الرابعة ان يحصل به النفع في الدنيا وذلك اما بخدمته اوه
بانفاق ما يكتسبه لنفسه عليهما او بتثمير مكاسبهما او بما يدفعه من ضرره
الاعدا وغيرهم ونحو ذلك ولهذا كانت العرب تحب ذكور الاولاد لتوقع ذلك
منهم وتقلي الاناث لقصورهن عن ذلك وذلك كله مستحيل في حق الله سبحانه
لما لا يخفى من وجه الاستحالة الفايدة الخامسة ان يكون انيسا ومالفا
تسكن اليه النفس ويعطف عليه الرحم وترتاح اليه الجبلة بالمحبة والرحمة
ولا يخفى ايضا استحالة ذلك ايضا في حق الله سبحانه الفايدة السادسة
ان يكون وارثا اما في الدين واما في الدنيا فالوارث في الدين مطلوب
للاكابر ومنه سوال زكريا عليه الصلاة والسلام ربه سبحانه في الولد كما قال
تعالى مخبرا عنه رب لا تذرني فردا وانت خير الوارثين وقال فهب لي من لدنك
ذرية طيبة انك سميع الدعا وقال فهب لي من لدنك وليا يرثني ويرث من
ال يعقوب واجعله رب رضيا اراد ميراث النبوة والعلم والحكمة والدين

ولما قال سبحانه لابراهيم خليله عليه الصلاة والسلام اني جاعلك للناس اماما
قال ومن ذريتي فسال الذرية وسال لهم ميراث الامامة واما وارث المال
وما في معناه من مناصب الدنيا ووظائفها وحرفها مطلوب جائز راجع الى تدبير
المصالح الدنيوية وقد تصير بالنية الصالحة عبادة ولا يخفى ايضا استحالة
هذه الامور في حق الله سبحانه لامور منها وجوب دوامه الذي لا اخر له
ولانه هو الوارث كما قال تعالى انا نحن نرث الارض ومن عليها والينا يرجعون
وقال تعالى ونحن الوارثون **الفائدة السابعة** ان يكون فرطا وذخرا
وشفيعا عند الله يوم القيمة ولا يخفى ايضا استحالة ذلك في حقه سبحانه لوجوب
غناه ولغير ذلك فاذا استحال وجود هذه الفوائد في حقه سبحانه واستحال
عليه اتخاذه لاجل فائدة فيه ظهرت استحالة الولد في حقه سبحانه ومما يؤكد
ذلك ايضا ان الولد لا يكون الا من امراة وذلك في حقه سبحانه من امحل
المحال وافتح القبيح كما سياتي بعد هذا ومن ذلك ايضا ان الولد لو فرض للزم ان
يكون متصفا بصفات الالهية والا لكان عروه عن ذلك نقصا في حقه وفي
حق من ينسب اليه ولهذا قيل ان من الحكمة في موت ذكور اولاد النبي صلى الله
عليه وسلم في حياته وقبل بلوغ اربعين سنة انما كان لهذا المعنى اذ لو بلغوا
اربعين او كانوا ابطال لكانوا انبيا لكمال رتبتهم ورتبة ابيهم صلى الله عليه وسلم
ولكنه كان خاتم النبيين فاستحال ان يكون بعده نبي ولو تركوا بعده صلى الله
عليه وسلم بغير نبوة لكان ذلك دون رتبة الكمال فجعل الله نقلهم الى عالم
البرزخ صيانة لهم من نقص عدم النبوة وصيانة لمنصب النبوة من ان تكون
بعد هذا النبي الكريم صلى الله عليه وسلم ولهذا المعنى التزمت النصارى الهية
عيسى عليه صلاة الله وسلامه لما زعموا انه ابن الله تعالى الله عن ذلك فاذا
لزمت الهية الولد ظهرت استحالته في حق الله تعالى لثبوت انفراد الله
سبحانه بالالهية وثبوت عبدية ما سواه وبهذا التقرير تظهر استحالة
الولد في حق الله سبحانه من كل وجه **واذا ثبت** انتفاء الولد مطلقا لزم منه
مقصدان اخران وهما ابطال دعاوي اليهود والنصارى فيما افتروه من
النبوة الخاصة وابطال دعاوي المشركين فيما افتروا عليه سبحانه من نسبة
البنات اليه فالاول ابطال دعاوي اليهود والنصارى وذلك انهم لعنهم الله

قالوا ما اخبر الله تعالى عنهم في قوله تعالى وقالت اليهود عزير ابن الله
وقالت النصارى المسيح ابن الله وقال تعالى ايضا مخبرا عن اليهود والنصارى
لعنهم الله وقالت اليهود والنصارى نحن ابنا الله واحباوه فاما دعواهم
بنوة العزير لله سبحانه فمردود عليهم بالرد العام والرد الخاص فالعام تقرير
استحالة الولد في حق الله سبحانه والخاص تقرير صفات العزير من كونه
عبدا مخلوقا تجري عليه احكام العبيد المقهورين وانه مولود الى غير ذلك مما
يرد على من زعم انه ابن الله قال عبيد بن عمير انما قال هذه المقالة من اليهود
رجل واحد اسمه فنحاص بن عازورا قال وهو الذي قال ما حكاه الله تعالى
عن اليهود في قوله تعالى لقد سمع الله قول الذين قالوا ان الله فقير ونحن
اغنيا وعلى هذا انما نسب القول اليهم لانهم تابعوه على قوله واعلم ان ه
الشيطان لعنه الله القى في مخيلات اليهود لعنهم الله شبها واهية مع ما عندهم
من قلة النظر وخذلان العقول فتمسكوا بتلك الشبه فاسقطتهم في مهوى الهلاك
ومدار تلك الشبه على ما اكرم الله تعالى به العزير عليه الصلاة والسلام فعموا
عن ان الاكرام يكون اختصاصا لبعض المخلوقات وتفضيلا لبعضهم على بعض وان
منه ما يقع للاوليا فيسمى كرامة ومنه ما يقع للانبيا فيسمى معجزة وقد يسمى
بعض ما يقع للانبيا كرامة ايضا وبركة وغير ذلك ومن نظر الى شبه الضالين
رد عليهم بها زيادة على الرد بغيرها فمن شبه اليهود في بنوة العزير ما حكاه
المفسرون عن ابن عباس رضي الله عنهما انه قال انما قالت اليهود عزير
ابن الله من اجل ان العزير كان فيهم وكانت التوراة عندهم والتابوت فيهم
فاضاعوا التوراة وعملوا بغير الحق فرفع الله عنهم التابوت وانساهم
التوراة ونسخها من صدورهم فدعا الله عزير وابتهل اليه ان يرد اليه
الذي نسخ من صدورهم فبينما هو يصلي مبتهلا الى الله اذ نزل نور من
السما فدخل جوفه فعادت اليه التوراة فاذن في قومه وقال يا قوم
قد اتاني الله التوراة وردها الي فعلق به الناس وطفق يعلمهم فمكثوا
ما شا الله ثم ان التابوت نزل بعد ذهابه فلما راوا التابوت عرضوا ما كان
فيه على الذي كان يعلمهم عزير فوجدوه مثله فقالوا ما اوتي عزير هذا الا
انه ابن الله وروي عن الكلبي ان بخت نصر لما ظهر على بني اسرائيل وقتل

من قرأ التوراة وكان عزير اذ ذاك صغيرا فاستصغر فلم يقتله فلما رجع بنوا
اسرائيل الى بيت المقدس وليس فيهم من يقرأ التوراة بعث الله فيهم عزيرا ليجدد
لهم التوراة ويكون لهم آية بعدما اماته مائة عام قال ويقال اتاه ملك باناء
فيه ماء فسقاه فمثلت التوراة في صدره فلما اتاهم قال انا عزير فكذبوه وقالوا ان
كنت كما تزعم فامل علينا التوراة فكتبها لهم ثم ان رجلا قال ان ابي حدثني عن
جدي ان التوراة جعلت في خابية ودفنت في كرم فانطلقوا معه حتى اخرجوها
فعارضوها بما كتب لهم عزير فلم يجدوه غادر منه حرفا فقالوا ان الله لم يقذف التوراة
في قلب رجل الا انه ابنه فعند ذلك قالت اليهود عزير ابن الله فحصل شبه اليهود
في عزير واما النصارى فشبه الشيطان ايضا عليهم في عيسى عليه الصلاة
والسلام كما شبه على اليهود في عزير حكى بعض المفسرين ان النصارى كانوا على
دين الاسلام احدى وثمانين سنة بعدما رفع عيسى عليه الصلاة والسلام يصلون
الى القبلة ويصومون رمضان حتى وقع فيما بينهم وبين اليهود حرب وكان في
اليهود رجل شجاع يقال له بولس قتل جماعة من اصحاب عيسى ثم قال لليهود ان
كان الحق مع عيسى فكفرنا والنار مصيرنا فنحن مغبونون ان دخلوا الجنة ودخلنا
النار فاني احتال واضلهم حتى يدخلوا النار وكان له فرس يقال له العقاب
يقاتل عليه فعرقب فرسه واظهر الندامة ووضع على رأسه التراب فقالت
له النصارى من انت قال بولس عدوكم نوديت من السماء ليست لك توبة الا ان
تتنصر وقد تبت فادخلوه الكنيسة ودخل بيتا فاقام فيه سنة لا يخرج منه ليلا
ولا نهارا حتى تعلم الانجيل ثم خرج وقال نوديت ان الله قد قبل توبتك فصدقوه
واحبوه ثم مضى الى بيت المقدس واستخلف عليهم نسطور وعلمه ان عيسى
ومريم والاله كانوا ثلاثة ثم توجه الى الروم وعلمهم اللاهوت والناسوت
وقال ليس عيسى بانس ولا بجسم ولكنه ابن الله وعلم ذلك رجلا يقال له يعقوب
ثم دعا رجلا يقال له ملكان فقال له ان الاله لم يزل ولا يزال عيسى فلما استمكن
منهم دعا هؤلاء الثلاثة واحدا واحدا وقال لكل واحد منهم انت خالصتي وقد رأيت
عيسى في المنام فرضي عني وقال لكل واحد منهم اني غدا اذبح نفسي فادع الناس
الى نحلتك وقال انا اذبح نفسي لمرضاة عيسى ثم دخل المذبح فذبح نفسه فبعد ثلاثة
ايام دعا كل واحد من الثلاثة الى نحلته فتبع كل واحد طائفة من النصارى فاختلفوا

واقتتلوا

واقتتلوا فذلك قوله تعالى وقالت النصارى المسيح ابن الله اراد طائفة من النصارى
وقال جماعة من المفسرين كانت شبهة النصارى في عيسى عليه الصلاة والسلام
انهم رأوه ولد من غير اب وانه يحيي الموتى ويبرئ الاكمه والابرص الى غير ذلك
مما اكرمه الله تعالى به من الآيات والبركات وقد نقل اصحابنا المتكلمون اقوال
فرق النصارى الثلاثة وهم الملكانية والنسطورية واليعقوبية بعد ان
قرروا انهم يطلقون على البارئ تعالى انه جوهر ويريدون بالجوهر القائم بالنفس
من غير ان يثبتوا له سبحانه خواص الجوهر من التحيز والحجمية وقيام العرض به
وغير ذلك وبنوا امرهم على تأسيس الاقانيم الثلاثة ويريدون بالاقانيم الصفات
على وجه خاص ويطلقون على كل اقنوم جوهرا قائما بالنفس من غير تحيز ويعبرون
عن الاقانيم الثلاثة بالوجود والعلم والحياة وتارة يعبرون عن العلم بالكلمة
ويعبرون ايضا عن الاقانيم المذكورة بالاب والابن وروح القدس يريدون
بالاب الوجود وبالابن العلم وبروح القدس الحياة ثم قالوا اتحد علمه بجسده
وتدرع اللاهوت بالناسوت واختلفوا في كيفية ذلك فقالت الملكانية
اتحد علمه بجسد عيسى وامتزج به امتزاج الماء بالخمر وهم الذين اخبر الله عنهم
في التنزيل بقوله تعالى لقد كفر الذين قالوا ان الله ثالث ثلاثة وذهبت النسطورية
الى منع الامتزاج وقالوا اشرق علمه على عيسى اشراق الشمس في البلور وقالت
وقالت اليعقوبية انه اتحد به وصار هو هو وهم الذين اخبر الله تعالى عنهم بقوله
لقد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح ابن مريم ومنهم من قال تبناه واتخذه
ولدا كما قال تعالى عنهم وقالوا اتخذ الله ولدا ومنهم من قال انطبع فيه وانتقش
انطباع الخاتم في الشمع ومنهم من قال تصور بصورته كما يتصور الصورة في
المرآة وكل هذا الاختلاف بسبب استيلاء الضلال عليهم ومحاولتهم ان مع الله
الها آخر تعالى الله عن ذلك واما قول اليهود والنصارى نحن ابناء الله
واحباؤه فقال ابراهيم النخعي ان اليهود وجدوا في التوراة يا ابناء احباري
فحرفوها وبدلوها وقرؤوها يا ابناء ابكاري وقيل بل حرفوها يا ابنائي
ويا احبائي فمن ذلك قالوا نحن ابناء الله واحباؤه وقيل ارادوا نحن ابناء
رسل الله لانهم من بني اسرائيل فحذفوا المضاف فالتبس المعنى على ابناء عمهم
وقيل انما قالوا نحن ابناء الله لانهم ارادوا انهم في رحمة الله عليهم واحسانه

اليهم ويرى بعضهم بمنزلة الابنا من الاب الرحيم وهذا ان القران في تاويل مقالتهم
كما تشفان عن انهم لم يتجاسروا على اعتقاد حقيقة البنوة لوضوح بطلان ذلك
وقبحه وانما تجاسروا على اطلاق ما لا يسوغ اطلاقه واستعاروا من المجاز ما لا
يستعار فاذا عرفت شبههم فلنرد عليهم بها فيقال لليهود لو كان عزير
ابن الله ما نسخت التوراة من صدره لان الولد يلزم له صفا الاب ويستحيل
في حق الاله ان يزول علمه وايضا لو كان ولد الله ما قام يصلي مبتهلا الى الله تعالى
ولا كان عابدا بل كان يكون معبودا وايضا لو كان ابنا لله تعالى لما اماته
الله مائة عام ثم بعثه لوجوب صفات الالهية على هذا الفرض ومن جملتها
وجوب الحياة الدايمة ويقال للنصارى ان اخذتم عن عدوكم بولس بنوة
عيسى لله او الالهية معه او اتخاذه به كاف في الرد عليكم من وجوه منها انكم
اخذتم من عدوكم في الدين ومنها انكم تكفرون هذه المسالة اليهود به فكيف
تقولون بقول قايليهم ومنها انكم صيرتم الى مقالة مبطلة لما كان عليها سلفكم
واكابركم وتركتم ما كنتم عليه من دين الحق الذي جا به عيسى نبيكم الصلاة والسلام
واي غش افحش من ذلك وانما يعتمد في الدين المشروعات الالهية بواسطة
الانبيا والرسل واتباعهم او قضايا العقول السليمة الموصلة الى التصديقات
الشرعية فلا انتم صابرون على ما كنتم عليه من الحق ولا صابرون الى نقل
صحيح سليم من التحريف ويقال للنصارى ايضا ان ما اكرم الله تعالى به عيسى عليه
الصلاة والسلام ادل دليل على عبديته لله سبحانه فان المنعم ولعلم يكن ما اكا
فان نعمته تستعبد المنعم عليه فكيف وقد انعم الله سبحانه على عيسى عليه الصلاة
والسلام بما لا يحصى من النعم الكاملة مع انه سبحانه خالقه ومالكه ومكرمه
وانتم لا تذكرون تفضل الله تعالى عليه بل تقرون بان الله اوجده من مريم
العذرا البتول وانه كلمته القاها الى مريم فاعترافكم بالقايه من عند الله هو
عين الاعتراف بفضل الله تعالى عليه وذلك دليل استعباد الله تعالى له
وايضا ان ما كان عيسى عليه الصلاة والسلام يفعله من ابرا الاكمه والابرص
واحيا الموتى انما كان باذن الله تعالى كما قال ربنا سبحانه واذ تخلق من الطين
كهيئة الطير فتنفخ فيها فتكون طيرا باذني وتبرئ الاكمه والابرص باذني
واذ تخرج الموتى باذني واذ كففت بني اسرائيل عنك اذ جئتهم بالبينات ولان

عقولكم

عقولكم ان تدبرتم تدلكم على ذلك ايضا لانكم ادعيتم ان اليهود قتلوا عيسى
عليه الصلاة والسلام فلو كان عيسى يملك الاحيا والاماتة بنفسه لكان من
اللائق به ان يحيي نفسه بل ان يصرف الموت عن نفسه ليتم ما جا به من
كلمة الحق وليبطل ما عليه اليهود فاذا ظهر انه انما كان يفعل ذلك باذن الله
وقدرته سبحانه ظهر تدبير قدرة الله تعالى فيه وظهر انه عبد منصوب لظهور
مراد الله فيه وايضا لو كان فاعلا ذلك بنفسه لكان الها كما زعمتم ولو كان
الها لكان واجب الوجود ازلا وابدا وانتم مقرون بانه ولد من مريم بعد ان
لم يكن وتدعون انه قتل ويقال لليهود والنصارى ايضا في اطلاق قولهم نحن
ابناء الله اي اشتباه بين افعال السيد المالك المتصرف الذي ينعم ان شاء
ويعذب ان شاء وبين افعال الاب الذي تقتضي جبلته على الحنو الحامل
على تدليل الولد وراحته بكل وجه حتى ان الاب ما لم يكن عنده من كمال القوة
والحكمة ما يخرجه عن حكم الجبلة لا يتاتى له ان يحسن التربية ولهذا اقل
وتوق غالب الابا بنفوسهم في كمال تربية اولادهم ففوضوا تربيتهم وتعليمهم
الى من يحسن ذلك من غير نسابة حظ وقد وقعت الاشارة في الاية الكريمة
الى الفرق بين الابوة والربوبية وذلك في قوله تعالى قل فلم يعذبكم بذنوبكم
بل انتم بشر ممن خلق يغفر لمن يشا ويعذب من يشا ومن قواطع الحجج في الرد
على الطايفتين ان التوالد لا يكون الا في الاجسام وهي التي تقبل التحليل
والتركيب والانفصال والاتصال والممازجات والمشابهات وما اشبه ذلك
وقد قامت البراهين العقلية والنقلية على استحالة ذلك كله في حق الله تعالى
فلزمت استحالة الولد في حقه سبحانه وسياتي تقرير هذا ايضا ولقد استشعر
من اضل النصارى ما يورده عليه العقول من استحالة التجسيم على الاله
وكان مراده اضلال النصارى باعتقاد الهية عيسى عليه الصلاة والسلام فقال لهم
انه ليس بجسم كما تقدم نقله عن المفسرين في قصة بولس مع ان النصارى وان
اختلفت فرقهم في كفرهم مجمعون على نفي التجسيم عن الاله ولكنهم تحيروا في
امر عيسى حيث اعتقدوا الالهية مع جسميته فمنهم من كابر في انه جسم
ومنهم من قال باللاهوت والناسوت ومنهم من قال غير ذلك واما اليهود
لعنهم الله فانهم يقولون بان الله جسم وهو ما حملهم على اعتقاد بنوة العزير

لعله هم

مع تلك الشبه المتقدمة فلولا اعتقاد ان الاله جسم لما نسبوا جسما الى نبوته
تعالى الله عن ذلك كله علوا كبيرا واعلم ان الشيطان لعنه الله زين ضلال
اليهود والنصارى لطوايف من هذه الامة فتابعوهم على ضلالتهم كما اخبر
النبي صلى الله عليه وسلم بوقوعه في هذه الامة بعده فقال صلى الله عليه وسلم
لتتبعن سنن من كان قبلكم باعا بباع وذراعا بذراع وشبرا بشبر حتى لو
دخلوا في جحر ضب لدخلتم معهم قالوا يا رسول الله اليهود والنصارى قال فمن
ولقد صدق صلى الله عليه وسلم ووقع ما اخبر به وتبعت طوايف طرايق اليهود
والنصارى في ضلالهم بل تجروا على ما لم يتجرا عليه بعضهم هذا مع انهم ينتسبون
الى ديننا بل يزعمون انهم روس المسلمين واعيان المومنين وخواص المحسنين
وهم كاذبون في دعاويهم بل كافرون بمعاصيهم وذلك ان منهم من يزعم
الاتحاد ويرى ان ذلك هو حقيقة التوحيد ومنهم من يزعم الحلول وكلا
المذهبين كفر مع ما في ذلك من مجاوزة ضلال النصارى فان النصارى انما
زعم زاعمهم اتحاد اللاهوت بناسوت عيسى خاصة ولذلك من قال منهم بالحلول
انما اقتصر على ذات عيسى خاصة واما هولا الزنادقة فان منهم من يدعي
الحلول في الصور الجميلة او الاتحاد بها مع كثرتها الخارجة عن الحصر ومنهم من
يدعي ذلك في جميع الذوات الكونية وفي فحش ضلالتهم المدرك ببداية العقول
ما يغني عن الاشتغال بالرد عليهم وليت شعري اذا كانت حقيقة الوجود
حقيقة واحدة فكيف يتعقل فيها ان يكون عابدة معبودة وقاصدة مقصودة
وآمرة مامورة وزاجرة مزجورة وداعية مدعوة ودانية مدنوة الى غير
ذلك مما يلزم عليه المحال مع ان اهل هذا المذهب لا يسعهم الا القول بعدم الاله
وعدم اوليته ونحن نشاهد حدوث هذه الصورة بتحقق التجدد في كل حادث
من عين واثر مع قيام البراهين على استحالة قيام الحوادث بذات القديم ولقد
كابر بعض هولا الضالين الحس وقالوا بقدم العالم وزعموا ان وجود ما لم يكن
موجودا منها لا يدل على الحدوث وانما هي صور ومعان يتعاقب ظهورها وخفاوها
في الوجود القديم كما كابر ايضا الحس من ضل بضلال اليهود وزعم ان الله تعالى
عن قولهم جسم وساقه ذلك الى القول بقدم العالم وليس هذا التعليق موضوعا
لبسط هذه المسايل ولكن حصل التنبيه هنا عليها لتتحقق من مواضعها وقد كتبت كتابا

في تثبيتي

في تثبيتي تعليقا على قول الله تعالى الرحمن على العرش استوى نبهت فيه
على فساد قول المجسمين وعلى امور مهمة من اعظمها بيان اعتقاد السلف رضي الله
عنهم والايمان بكل ما وصف الله تعالى به نفسه ووصفه به نبيه صلى الله عليه وسلم
مع قطع النظر عن اتباع متشابهه والخوض فيه بالراي والظن والقياس
ومع تنزيه الله تعالى سبحانه وتقديسه عن كل ما يتوهم الوقوف مع الظواهر
مما يشعر بمشابهة الحوادث او يودي الى التعارض والاختلاف في كلام الله تعالى
وهذا مقصود الاكثرين القايلين بالوقوف على قوله تعالى وما يعلم تاويله الا
الله ثم يبتدئون بقوله تعالى والراسخون في العلم يقولون امنا به كل من عند ربنا
فمن احب الوقوف على هذه التعليقة فليقف ان شا الله تعالى واعلم ان لاهل
التوحيد الحق الفاظا يطلقونها بحق ويرون بها حقا منها قولهم ليس في
الوجود الا الله وله معنيان احدهما ليس في الوجود الثابت الذي لم تشبه
شايبة عدم سابق ولا لاحق ولا امكانه الا الله سبحانه اذ وجوده قديم
لا تشارك فيه ووجود ما سواه مسبوق بالعدم ومعرض للعدم وناشى عن
غيره غير مستقل بنفسه والمعنى الثاني ليس في الوجود خالق ولا رازق ولا
مدبر ولا موثر الا الله مجردون الوصف الدال على الفعل ويقولون ايضا الخلق
مظاهر للاسما والصفات يريدون ان الخلق يدلون بوجودهم على اسما الله
وصفاته وكان الله اظهر اسماه وصفاته بما خلقه في الوجود والمظهر ما
به يظهر الشي وقد يكون المظهر ما يظهر الشي فيه وهو ايضا صحيح باعتبار ان
ايات الله واسمايه تظهر في الخلق قال تعالى ان في خلق السموات والارض
واختلاف الليل والنهار لايات وقال تعالى وفي انفسكم افلا تبصرون اي افلا
تشهدون اثار قهري وبري سارية في وجود نفوسكم وكلما كان الشي
اعظم اظهارا لكمال الله كان اعظم في المظاهر وبحسب اختلاف الظهور عند
المظاهر اختلف ادراك اهل الشهود فمنهم من يشهد الافعال ومنهم من ينتقل
الى مشاهدة دواير الاسما ومنهم من ينتقل الى مشاهدة محيطات الصفات ومنهم
من ينتقل الى مشاهدة الموصوف على اختلاف رتبهم في هذه المشاهدات وللقوم
مسارح ومطارح وملامح ومطامح كلها بحق ليس منها الا ما يستشهد له من الشرع
الشريف ومن اطلق او ادعى ما ليس له في الشرع له شاهد فهو رد عليه نسال الله

الهدايه ونعوذ به من الغوايه **الثاني من مقصدي هذا المقصد** الرد على
من زعم لله سبحانه البنات تعالى الله عن قولهم لانه اذا استحال الولد على الاطلاق
استحال وجود نوع منه مع ما في نسبة البنات لمن زيادة الفحش والقبح قال الله تعالى
ردا عليهم وجعلوا لله شركا الجن وخلقهم وخرقوا له بنين وبنات بغير علم سبحانه
وتعالى عما يصفون ولا يبعد من هذه الايه وقال تعالى ويجعلون لله البنات
سبحانه ولهم ما يشتهون واذا بشر احدهم بالانثى ظل وجهه مسودا وهو كظيم
يتوارى من القوم من سوء ما بشر به ايمسكه على هون ام يدسه في التراب
الا ساء ما يحكمون للذين لا يؤمنون بالاخرة مثل السوء ولله المثل الاعلى وهو العزيز
الحكيم وقال تعالى افاصفاكم ربكم بالبنين واتخذ من الملائكة اناثا انكم لتقولون
قولا عظيما وقال تعالى فاستفتهم الربك البنات ولهم البنون ام خلقنا الملائكة
اناثا وهم شاهدون الا انهم من افكهم ليقولون ولد الله وانهم لكاذبون اصطفى
البنات على البنين ما لكم كيف تحكمون افلا تذكرون ام لكم سلطان مبين فاتوا بكتابكم
ان كنتم صادقين وجعلوا بينه وبين الجنة نسبا ولقد علمت الجنة انهم لمحضرون
سبحان الله عما يصفون وقال تعالى وجعلوا له من عباده جزءا ان الانسان
لكفور مبين ام اتخذ مما يخلق بنات واصفاكم بالبنين واذا بشر احدهم بما ضرب
للرحمن مثلا ظل وجهه مسودا وهو كظيم اومن ينشا في الحليه وهو في الخصام
غير مبين وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن اناثا اشهدوا خلقهم ستكتب
شهادتهم ويسالون وقال تعالى الكم الذكر وله الانثى تلك اذا قسمه ضيزى
اي جائرة عن الحق وقيل عوجا وقيل غير معتدله والكل بمعنى واحد ومادته
الظلم والخروج عن الحق وقد اخبر الله تعالى عن شدة كراهة مشركي العرب
للبنات في غير هذه الايات ايضا واخبر بوادهم البنات وقتلهن خشية
الاملاق ومن تتبع كل ما ورد في هذا المعنى ظهرت له فضائح الكفار لعنهم الله
وعرف دخول معاني هذا المقصد تحت اسمائه القدوس والجليل والكبير والعليم
ونحو ذلك **المقصد الثاني من مقاصد لم يلد ولم يولد** اثبات تقدسه
سبحانه عن الصاحبه ولا شك في ان تخيل امكان الصاحبة ونحوها في حق
حق الاله ظاهر الفحش مع وضوح استحالة ذلك من سابق الوجوه من وجوب
تقدس الاله عن كل ما هو نقص وعن كل ما يلزم منه نقص ولا يخفى

ان جميع

ان جميع وجوه ذلك نقص في حق الالهية وان كان كمالا في حق بعض الخلق
كما سياتي التنبيه عليه ووجه استخراج تقدسه سبحانه عن ذلك من قوله تعالى
لم يلد ان التوالد لما كان مستحيلا استحال كل ما يودي الى امكانه عقلا وكل شيء
تعرض امكانه من الاسباب يودي فرضه الى فرض امكان مسبباته فاذا وجب
امتناع شيء وجب امتناع كل ما يودي الى امكانه وقد قامت البراهين العقلية
والنقلية على تنزيه الله سبحانه عن القابلية لشيء مما يعرض من هذه النقايص
وغيرها من اسبابها ومسبباتها ومن تامل ما يجب للفرد به عرف استحالة كل ما فيه
شفعية في حقه سبحانه وتعالى من زوجة او ولد او شريك او ظهير او شبيه
او مثيل او غير ذلك فاذا ظهر ان الله تعالى قدس نفسه عن الولد وعن اصله
ظهر من ذلك مقصدان اخران احدهما مطالبة الخلق بتقديس الله تعالى عن ذلك
حسب ما قدس به نفسه والثاني تشديد النكير على من زعم ذلك او شيئا منه
ثم لا يخفى ما يتعلق بهذه الامور من الايات ومن الاسما الحسنى **المقصد
الثالث من مقاصد قوله تعالى لم يلد ولم يولد** نفي التجسيم في حقه سبحانه
ووجه تقريره من قوله تعالى لم يلد ان التوالد من الصفات الكمالية للذوات
الجسمانية بشرط الحياة امكانا عقليا فلا يتعذر التوالد الممكن في حق ذات
واجبة الحياة الا لوجود مانع فلو كان سبحانه وتعالى جسما للزم احد امرين وهو
امكان الولد وان يقوم بذاته سبحانه مانع وكلاهما محال وما لزم من المحال
فهو محال ثم يستدل على استحالة التجسيم في حقه سبحانه وتعالى بامور اخرى
منها ان الجسم لا يكون الا مولفا مركبا ويحتاج الى مولف مركب والله سبحانه
هو الغني القدوس ومنها انه يلزم ان يكون المولف حادثا والله سبحانه وتعالى
لا اول لوجوده ومنها ان الاجسام التي تقوم بها الحياة لا بد لها من الاغذية
الحسية او المعنوية والله سبحانه هو الصمد الذي يستحيل عليه الاغذية فهو
يطعم ولا يطعم ولهذا قال تعالى في حق الانبيا والرسل عليهم الصلاة والسلام وما
جعلناهم جسدا لا ياكلون الطعام وما كانوا خالدين اي من وصف الجسم
ان يحتاج الى الاغذية وان تتعلق به العدم وانما ذكر سبحانه الطعام لانه
الغالب من اغذية الاجساد ولا يحصل الاستغنا عنه الا بالامور المعنوية كاغذية
الملائكة عليهم الصلاة والسلام ولهذا قال نبينا صلى الله عليه وسلم لست كهيئتكم اني

ابيت عند ربي يطعمني ويسقيني ولم يقل لا احتاج الى غذا بالكلية والاغذية المعنوية
في حق الخواص مختلفة وكلها من فضلات بعض اغذية النبي صلى الله عليه وسلم من صا
اذن له ان يضيف منه ومنها ان الاجسام لا تخلو عن الاعراض وقيامها بالله تعالى
محال ومنها ان الجسم يلزم ان يكون في حيز وقد قام الدليل على حدوث كل ما سوى
الله سبحانه ومنها ان الجسم يلزم ان يكون له جهات وذلك مستحيل في حق الله سبحانه
ومنها ان الاجسام معرضة للفنا لثبوت حدوثها وما ثبت حدوثه جاز عدمه و
والله سبحانه وتعالى واجب البقا لانه ثبت قدمه وما ثبت قدمه استحال عدمه فان
قيل اجسام اهل الجنة والنار حادثة ومع ذلك هي واجبة البقا فالجواب ان
وجوب بقايها عرضي لا ذاتي فهي من حيث ذواتها قابلة للعدم في العقول وانما وجب لها
البقا بابقا الله تعالى ولقد ذم الله سبحانه عمل السامري وعقول اتباعه وكشف عن
سفاهتهم وضلالتهم حيث اتخذوا العجل الها مع ما ذكره سبحانه عنه من الصفات
المباينة لصفات الالهية قال تعالى فاخرج لهم عجلا جسدا له خوار فقالوا هذا الهكم
واله موسى فنسي اي فنسي موسى ثم قال تعالى رادا عليهم افلا يرون ان لا يرجع
اليهم قولا ولا يملك لهم ضرا ولا نفعا والمعنى ان العجل الجسد الذي يخور بصوت لا
يتكلم يستحيل ان يكون الها لان الجسد مفتقر محتاج كما تقرر فلا يملك ضرا ولا نفعا
والاله هو الذي يملك الضر والنفع ولان الخوار صوت ليس بكلام والاله هو
المتكلم المتقدس عن الصوت وفي الاية تقديم وتاخير تقديره افلا يرون ان العجل
الجسد لا يملك لهم ضرا ولا نفعا وان الذي له الخوار لا يرجع اليهم قولا فهو لف
ونشر على العكس وله نظاير في القران منها قوله تعالى يوم تبيض وجوه
وتسود وجوه فاما الذين اسودت وجوههم الاية فان قيل انما وصف الله
العجل بان له خوارا وهو الصوت الذي لا كلام معه فلا يلزم منه ذم من نسب الى
الله الكلام بالصوت فالجواب ان التعييب وقع لاصل الصوت وهو الذي لا كلام
منه فاذا فرض الكلام بالصوت لزم وجود اصل الصوت فيه وما كان فيه اصل
المذموم فهو مذموم والمذمومات لا يجوز قيام شي منها بذات الاله سبحانه ثم
انه لا ارتباط بين الصوت والكلام بل يعقل وجود الكلام بغير صوت واذا امكن
اثبات الكلام لله سبحانه امتنع ان يفرض مع ذلك الكمال ما فيه نقص وقد
تجرات الظاهرية على اطلاق الصوت في حق الله تعالى عملا بالظواهر الواردة

في ذلك

في ذلك وفي غيره ويكفي في الرد عليهم ان من جملة الظواهر قوله تعالى ليس كمثله
شي وهذا شامل لذاته سبحانه ولصفاته فليس لذاته مثل ولا لصفاته مثل ومن
جملة صفاته كلامه فتعين ان لا يكون له مثل ومن قال انه كلام بصوت فقد اثبت
له امثالا خارجة عن الحصر ثم كل شي يرد فاعدتهم من التمسك بالظواهر التي يلزم
منها المشابهة او الاتصاف بصفات الحوادث او ما يودي الى نقص فهو وارد
عليهم في الصوت لدخوله في ذلك واذا تقررت استحالة التجسيد في حق الله تعالى ظهر
منه مقصدان اخران يترتب عليهما اعتقاد السلف الكرام رضي الله تعالى عنهم فاحد
الامرين عدم الوقوف مع ظاهر ما ورد في الصفات مما يوهم مشابهة الحوادث في ذات
او صفة والثاني عدم التحكم بما يجنح اليه الاراء من التاويل فيتعين حينئذ التمسك
بما كان عليه السلف رضي الله عنهم من ارجاع العلم في ذلك كله الى الله سبحانه مع تحقيق
الايمان به واعتقاد حقيقته على الوجه اللايق بالله سبحانه حسب ما علم الله سبحانه
مراده من ذلك **المقصد الرابع من مقاصد قوله تعالى لم يلد ولم يولد**
تقديسه سبحانه عن مشابهة المخلوقات وذلك مستفاد من قوله تعالى لم يلد ولم يولد
وقد تقدم ما يدل على استحالة ذلك في حقه سبحانه بحيث تغني عن اعادته ه
ونشير لتفصيل ذلك الى مقصدين اخرين وهما عدم المشابهة في الذات وعدم
المشابهة في الصفات الذاتية والمعنوية حتى اذا وصف الله تعالى بوصف مما
يوصف به العبيد علمنا ان الاشتراك اللفظي وقع صورة في التسمية لا في المسمى
وان حقايق ذلك لا تشترك بوجه من الوجوه ولهذا المعنى وجوه من التقرير غير
ما تقدم والله تعالى اعلم ن **المقصد الخامس من مقاصد قوله تعالى لم
يلد ولم يولد** التنبيه على اوليته سبحانه وذلك مستفاد من قوله تعالى ولم يولد اي
لم يستند وجوده الى والد لانه يستحيل ان يكون وجوده مستندا الى سبب
اذ كل موجود يستند الى سبب فهو حادث وكل ما كان وجوده واجبا غير مستند الى
سبب يكون قديما والقديم هو الذي يستحيل ان يكون له اول فيعضده ذلك
يلزم من قوله تعالى ولم يولد انه سبحانه لم يستند وجوده الى سبب وانه سبحانه
واجب الوجود وانه سبحانه الاول وقد تقدم في اثبات الاحدية ما يشير الى
وجه الدلالة على قدم الاله وملخص ما يستدل به هنا ان الممكنات لا يترجح جانب
وجودها على جانب عدمها الا بمرجح وذلك المرجح لا يجوز في العقل ان يشاركها

في الامكان اذ لو شاركها اوجب له ما وجب لها ولافتقر الى مرجح يرجح وجوده
على عدمه ولما كان ايضا اولى بالتاثير فيها منها فيه والمستحيل لا وجود له ولا تاثير
في ترجيح ولا في غيره ولزم ان يكون موجد الممكنات موجودا قديما مباينا لها في الذات
والصفات واذا تقررانه سبحانه قديم ظهر منه مقصدان اخران احدهما الايما
الى حدوث المخلوقات كلها لان وجودها مستند الى غيرها فيشمل ذلك ساير الاجسام
والارواح والجواهر والاعراض **المقصد الثالث** الايما الى المطالبة بالخضوع
المتوجهة على كل حادث لمحدثه من الاقرار بالربوبيه والملك والاقتدار
وساير صفات الكمال والانفراد في ذلك كله ولا يخفى ما يتعلق بهذا المقصد وما
يلزم عليه من الايات والاحكام فليتتبعها من له رغبة في ذلك **المقصد السادس**
من مقاصد قوله تعالى لم يلد ولم يولد التنبيه على انه سبحانه الاخر الذي وجب
له دوام البقا وهو معنى اسمه الوارث لانه الباقي بعد فنا خلقه لا نهاية له ولا
وتقرير ذلك ايضا ان ما ثبت قدمه استحال عدمه باتفاق العقلاء وقد ثبت
قدمه سبحانه وانه الاول الذي لا اول لوجوده فوجب ان يكون دايم الوجود من
غير نهاية وقد نبه سبحانه على ذلك بقوله هو الاول والاخر فقوله تعالى لم يلد
يشير الى عدم نهاية وجوده من حيث ان اعظم ما يقصد له الولد ان يكون وارثا
وذلك في حقه سبحانه محال واذا ثبت ذلك لزم منه مقصدان اخران احدهما
الايما الى فنا الخلق مطالبة بالايمان بذلك وبما يتعلق من النشر والحشر والحساب
والجنة والنار ونحو ذلك والثاني المطالبة بما يليق بمن عرف ذلك من اداب
الاعتقاد والعمل اما الاول وهو فنا الخلق فدلايله اكثر من ان تحصر ومنها
قوله تعالى كل شي هالك الا وجهه اي كل شي فان الا هو سبحانه وقيل الا ملكه
ومعناه ان ملكه لا يفنى بفنا الخلق وقيل الا ما اريد به وجهه والمراد ان
جزا ما اريد به وجهه باق واعلم ان فنا كل شي بحسبه وان كل حادث معرض
للفنا فالفنا وصفه الذاتي المستحق له الا ما امل الله سبحانه بالبقا فيصير
وصفا فضليا في حقه ومن دلايل فنا الخلق قوله تعالى كل من عليها فان
ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاكرام والكناية في قوله عليها راجعة الى
الارض لانها اقرب معهود في الاذهان ولا يفهم من هذا ان السموات
لا تفنى فقد صرح القران بفنايها كما في قوله تعالى يوم تبدل الارض غير الارض

والسموات ويمكن ان يقال ايضا ان السموات بمن فيها فوق الارض وانه داخل
في قوله كل من عليها فان وانما قال تعالى من عليها ولم يقل ما عليها تغليبا
لجانب من يعقل في الذكر على غيره لاختصاصه بالحكم ويحتمل ايضا ان يكون
الضمير في قوله عليها راجعة الى الدنيا لانها المعهودة عند غالب المخاطبين
فعوالم الدنيا كلها فانية وعوالم الاخرة التي خلقت للبقا باقية واشاه
الثاني وهو الايما الى مطالبة الخلق بما يليق بهم عند معرفتهم بفنايهم
فليشتمل على امور كثيرة يجمع تحت الاستعداد الى لقا الله تعالى والاجتهاد
في تحصيل الزاد ليوم المعاد فمن علم انه يفنى لا يليق به ان يجانب التكبر والفخر
والاعجاب والاستعلا والمضاهاه وحب الدنيا والتعلق بمناصبها وما اشبه ذلك
من ثمرات الاعتقاد واعمال القلوب ومجانبه نقايض الاعمال والاحوال طلبا للفوز
من عذاب القبر وعذاب النار والتوبيخ يوم العرض الى غير ذلك مما لا يخفا على المتدبر
وعلامة العلم بالفنا قصر الامل والتجافي عن الدنيا والاستعداد للاخرة وكل ذلك
اشار اليه النبي صلى الله عليه وسلم فيما فسر به قول الله تعالى فمن يرد الله ان يهديه
يشرح صدره للاسلام فقال صلى الله عليه وسلم ان النور اذا دخل القلب انشرح وانفسح
قالوا يا رسول الله فما علامة ذلك قال التجافي عن دار الغرور والانابه الى دار
الخلود والاستعداد للموت قبل نزوله ومن تامل هذا المقصد وما اشتمل عليه
ساقه ذلك الى تتبع ما ورد فيه من الايات والاخبار **المقصد السابع من**
مقاصد قوله تعالى لم يلد ولم يولد سلب الالهية عن كل ما يستند وجوده الى
سبب لان الله سبحانه وصف نفسه في الالهية بان وجوده لم يكن مستندا الى سبب
ولا ناشيا عن شي ولا مسبوقا بعدم فصار مفهوم هذا الوصف ان من لم يكن كذلك
لا يكون الها ويظهر من هذا مقصدان اخران احدهما الرد على عباد الاصنام
والاوثان وعباد الشمس والكواكب والنار وساير من عبد غير الله سبحانه لسبق
الجميع بالعدم ولان وجود الجميع ناشي عن قدرة الله تعالى وارادته مع ما اجراه
الله في وجودها من الاسباب ولغير ذلك مما يستدل به ايضا على ابطال الاهيتها
من وجوه اخر والثاني ما يفهم ايضا عند ذلك من مدح من عرف حقايق
الحادثات فلم يعبدها بوجه من وجوه العبادة ولم يستند اليها وصفا من اوصاف
الربوبيه ولا اثرا من اثار القدرة الالهية فمن سلك هذا السبيل نجح وربح وافلح

وسعد ولقد تعس النبي صلى الله عليه وسلم على تعس من عكس ذلك فقال صلى الله
عليه وسلم تعس عبد الدينار وعبد الدرهم والقطيفة والخميصة ان اعطي رضي
وان لم يعط لم يرض وفي رواية وان لم يعط سخط تعس وانتكس وان شيك فلا انتقش
ومن تامل هذه الامور كان به ان يتطلب ما يتعلق بها من الايات والاخبار ثم لا
يخفى التوصل بذلك الى معرفة ما يدخل تحته من معاني الاسما الحسنى **المقصد**
الثامن من مقاصد قوله تعالى لم يلد ولم يولد الايما الى عبدية كل ما كان
مستندا الوجود الى شي ونقريره انه اذا استحالت الالهية ما كان كذلك كما
تقدم تعينت العبدية لان ما لا يكون الها يكون مالوها وليس في الوجود غير
ذلك وهذا المعنى مدلول عليه بنحو قوله تعالى ان كل من في السموات والارض
الا اتي الرحمن عبدا وقوله تعالى افحسب الذين كفروا ان يتخذوا عبادي من دوني
اوليا اي يتخذوا مخلوقاتي وهذا معنى قول ابن عباس فانه قال في تفسير هذه
الاية افظن الذين كفروا ان يتخذوا غيري اوليا واني لا اغضب لنفسي ولا اعاقبهم
وقيل اراد الله سبحانه بالعباد ههنا شيا مخصوصا ثم قيل المراد عيسى والملايكة
عليهم الصلاة والسلام وقيل الشياطين لانهم اطاعوهم من دون الله وقيل الاصنام
كما في قوله تعالى ان الذين تدعون من دون الله عباد امثالكم ومن الايات
الدالة على عبدية المخلوقات وانها مملوكة له سبحانه قوله تعالى لله ما في السموات
وما في الارض ونظاير ذلك كثيرة في القران واذا تقرر هذا ظهر منه مقصدان
اخران وهما الايما الى وجود العبيد المخلصين واعمالهم واقوالهم وصفاتهم واحوالهم
ومالهم والايما الى العبيد المخالفين لهم في الافعال والاقوال والصفات والاحوال
والجزا والمال وقد ذكر الله ذلك كله في القران اما القسم الاول من الايات
الدالة عليه فمنه قوله تعالى ذلك هدى الله يهدي به من يشا من عباده ولكن الله
يمن على من يشا من عباده قل لعبادي الذين امنوا يقيموا الصلاة وينفقوا مما
رزقناهم الاية الا عبادك منهم المخلصين ان عبادي ليس لك عليهم سلطان جنات
عدن التي وعد الرحمن عباده بالغيب تلك الجنة التي نورث من عبادنا من كان تقيا
انه كان فريق من عبادي يقولون ربنا امنا فاغفر لنا وارحمنا وانت خير
الراحمين وعباد الرحمن الذين يمشون على الارض هونا الايات قل
الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى يا عبادي الذين امنوا ان ارضي واسعة

فاياي

فاياي فاعبدون الى غير ذلك ومن الايات الذاكرة لصفاتهم من غير تصريح باسم
العبدية قوله تعالى هدى للمتقين الذين يومنون بالغيب ويقيمون الصلاة
الى قوله هم المفلحون قد افلح المومنون الذين هم في صلاتهم خاشعون الايات
وكل اية ذكر فيها المومنون والمتقون او المحسنون او الفايزون او اولو الالباب
او من كان له قلب او من يرد الله ان يهديه وما اشبه ذلك او ذكر فيها شي من
اعمالهم واقوالهم او صفاتهم او احوالهم او جزايهم او مالهم فهي من الايات المتعلقة
بهذا المقصد واما القسم الثاني فيتعلق به كل اية ذكر فيها الكافرون او المشركون
او الظالمون او الفاسقون او العادون او الضالون وما في معنى ذلك وكذلك كل اية
ذكرت فيها الافعال المذمومة او الاقوال والصفات او الاحوال المذمومة
وكذلك كل اية تعرضت لجزايهم وسو مالهم وذلك كثير في القران ومن تامل معاني
هذين المقصدين الداخلين في هذا المقصد وتامل الاسما الحسنى ظهرت له الاسما
المناسبة لهذا المقام والله تعالى ولي التوفيق **المقصد التاسع من مقاصد
قوله تعالى لم يلد ولم يولد** الحث على اظهار شعار العبدية بطلب التوالد وتقريره
ان الله سبحانه وصف نفسه في الالهية بعدم التوالد فيفهم من ذلك ان المتولدات
ليست الهية كما تقدم واذا لم تكن الهة فهي على الوهية مستقبلة فصار التوالد شعار
العبدية واذا كان كذلك لاق بالعبد ان يتخلقوا بما تظهر به عليهم شعار العبدية
من الذل والاستكانة والفقر والضراعة والاقرار والطاعة وما اشبه ذلك ومن
جملته التعرض لما فيه التوالد فيخرج من هذا مقصدان اخران احدهما الحث على
التزوج او التسري بما هو وسيلة الى الولد على الوجه الماذون فيه شرعا والثاني
الحث على الاستيلاد اما الاول وهو التزوج وما في معناه ففي الفروع مسايل
احداها ان التزوج سنة موكدة في حق من تاقت نفسه اليه ووجد الاهبة
ففي الصحيح انه صلى الله عليه وسلم قال يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج فانه
اغض للبصر واحصن للفرج ومن لم يستطع فعليه بالصوم فانه له وجا وانما خص
الشباب بالذكر هنا لانهم مظنة هيجان الشهوة فامر صلى الله عليه وسلم من هذا وصفه
اذا استطاع الباءة وهي مون النكاح وحقوقه ان يتزوج **المسالة** الثانية ان من لم
يستطع اهبة النكاح وليس به حاجة اليه كره له التزوج لانه يتحمل من الحقوق ما لا
يقدر عليه بل متى تحقق عدم الوفا بحقوق الزوجية وليس به ضرر له حرم عليه ذلك

فالكراهة مع ظاهر العجز والتحريم عند تحققه الثالثة من وجد الاهبة ولم يجد
الشهوة او وجدها وهو يستطيع دفعها لا يخلوا اما ان يريد الانقطاع للعبادة
فذلك افضل من التزوج واما ان لا يكون من المتعبدين فالزواج مستحب في حقه
لانه من سنن سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بل ومن سنن المرسلين عليهم الصلاة
والسلام وشواهد ذلك موجود لمن التمسها الرابعة ان فهم السر المقصود من الزواج
يحمل على تزوج ذات الدين ولهذا قال صلى الله عليه وسلم تنكح المرأة لاربع لمالها ولحسبها
ولجمالها ولدينها فاظفر بذات الدين تربت يداك المسألة الخامسة الحث على تزوج
الغرابة غير القريبة لما في ذلك من مظنة التالف السادسة الحث على البكر لما فيه
من مظنة التالف ايضا ولقرب الاستيلاد واذا عرف المقصود من النكاح ظهر منه
الحث على تحريم غشيان الذكور وما فيه من الفحش والى ذلك اشار قوله تعالى
اتاتون الذكران من العالمين وتذرون ما خلق لكم ربكم من ازواجكم واما الامر الثاني
وهو الحث على الاستيلاد فمن مطالب الشرع الشريف ابتغا الولد مما تقدم الحث عليه
من التزوج او التسري عملا بقول النبي صلى الله عليه وسلم تناكحوا تناسلوا فاني مكاثر
بكم الامم يوم القيمة ويستنبط من هذا التقرير تحريم الاستمنا لما فيه من اضاعة ما الرجل
بغير فايدة الولد ولما كان العزل في المعني قريبا من ذلك كره للرجل ان يعزل عن
الحرة الا باذنها ولا كراهة في الامة لوجود الغرض الصحيح من حفظ مالية واما لم يحرم
العزل لانه لا يمنع الولد منعا محققا ولهذا لا يجوز للعازل ان ينفي الولد مع الفراش
والافضل في ابتغا الولد ان يكون لهذا المقصد وهو تكثير الامة ويلتمس في الفضل امور
اخرى منها ان يكون فرطا في الاخرة ومنها ان يكون عونا على الجهاد في سبيل الله
ومنها ان يكون عونا له وللناس على العلم وما اشبه ذلك وقد تقدم ذكر فوايد الولد
العاجلة والاجلة تنبيه انما لم يجعل الله سبحانه وتعالى للملايكة عليهم الصلاة والسلام
ازواجا وذرية لانه شغلهم بعباداته وقد تقدم ان الاشتغال بالعبادة افضل
ولهذا اثنى الله سبحانه وتعالى على نبيه يحيى بن زكريا عليهما الصلاة والسلام بقوله وسيدا
وحصورا والحصور هو الذي لا ياتي النسا فان قلت اذا كان ذلك افضل فهلا فعله
نبينا صلى الله عليه وسلم قلت قد جمع الله لنبينا محمد صلى الله عليه وسلم بين الامرين وما
اعز اجتماعهما فكمل له دواير التعبد باعانته على كمال الوفا بها من غير خلل ولا ملل
كما جعل له الازواج والذرية جمعا للفضايل والرغايب بحيث لم يشغله بعضها عن بعض

وايضا فانه

وايضا فانه صلى الله عليه وسلم اكمل المشرعين للمتعبدين والمتسببين وكان من جملة ما
شرعه الاستيلاد فكان صلى الله عليه وسلم يدل على ما يشرعه بقوله وبفعله معا ليكون
ابلغ في التعريف وادعى الى الاقتدا به صلى الله عليه وسلم وكان تزوجه واستيلاده
صلى الله عليه وسلم عين التعبد وبهذا استفطن اللبيب الى انه صلى الله عليه وسلم في كل ما كان
يفعله من اعمال البشرية مخالف لغيره من ارباب البواعث الحظية ولهذا روي
ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال له والله يا رسول الله ما اكلت الا لنا ولا نشربت
الا لنا ولا تزوجت الا لنا اي لتشرع لنا وقد نبه بعض العلما المتعبدين في قوله
صلى الله عليه وسلم حبب الي من دنياكم ثلاث الطيب والنسا وجعلت قرة عيني في الصلاة
على انه صلى الله عليه وسلم اشار بهذا القول الى ما من الله تعالى به عليه من كمال العبودية
المشتملة على توفية حقوق الحق سبحانه وحقوق الخلق قال وذلك ان النسا ناقصات
من حيث الجملة ناقصات عقل كان التمكن من الجمع بين جماعتهن ادل دليل على كمال
رعاية من جمع بينهن مع وفور عقله وحسن سياسته وقيامه بالحقوق فاذا وقع
ذلك في حق النسا كان اولى بالوقوع في حق الرجال فيكون قوله صلى الله عليه وسلم
حبب الي من دنياكم الطيب والنسا اشارة الى توفية حقوق الخلق لان تحبيب
النسا اليه انما كان لاظهار ملكته وقوته على الوفا بالحقوق الخلقية والطيب
من دواعي النسا مال ولما كانت الصلاة اعظم ما يتقرب به الى الله تعالى من
حقوقه ناسب ان ينص عليها النبي صلى الله عليه وسلم ليشير بها الى كمال توفيته
لحقوق الله سبحانه انتهى معنى كلام هذا القايل وهو حسن ومن جملة ما قيل ايضا
من حكم حبه للنسا انه صلى الله عليه وسلم لما كان مشرعا وكان من جملة شرايعه
احكام يختص بها النسا ولا يكاد الرجال يستوعبون مسايل النسا لعدم العلم بها
من سائر وجوهها ولتحيا ايضا ناسب ان يحبب النسا اليه صلى الله عليه وسلم ليكون
ذلك وسيلة الى قرب جماعة من النسا اليه صلى الله عليه وسلم واذلالهن عليه بالتزوج
والتسري اذلالا يتمكن به من السوال عما لعله يعرض لهن ولامثالهن من المسايل
ولهذا قيل في قوله صلى الله عليه وسلم المروي في حق عايشة رضي الله عنها خذوا
عنها شطر دينكم لانها كانت تعرف احكام النسا وهو شطر الاحكام من حيث
الجملة اذ هي احكام الرجال واحكام النسا والظاهر ان المراد غير هذا والا
للزم اشتراك ساير نسايه صلى الله عليه وسلم ورضي عنهن في ذلك ولكن يتوع كونها

رضي الله عنها كانت تعرف احكام النسا كانت تعرف كثيرا من احكام الرجال ايضا
ويدل عليه الاستقرا لما روته من الاحاديث ومما يظهر من معنى ذلك انها كانت في
غاية الذكا والفطنة والتحبب الى النبي صلى الله عليه وسلم والحرص على الاسيلة مع عظم
حظها لحب النبي صلى الله عليه وسلم لها وكان ذلك كله حاملا على حفظها الشرايع
الدين وانما قال خذوا عنها شطر الدين ولم تقل الدين كله لانها علمت امورا
لم يوذن لها في نقلها كما حفظ ابو هريرة رضي الله عنه ايضا مالم يوذن له في نقل نصفه
حسبما ثبت عنه في الصحيح في قوله حفظت من رسول الله صلى الله عليه وسلم جرابين
من علم فاما احدهما فبثثته واما الاخر فلو بثثته لقطع هذا الحلقوم قال جماعة
من العلما انما كتم ما كان متعلقا بالفتن الواقعة بعده صلى الله عليه وسلم وقال اخرون
انما كتم اشيا من اسرار الشرع الشريف ولطايفه مما يدق على افهام عامة الداخلين
في الاسلام بعد النبي صلى الله عليه وسلم مما كانت الصحابة رضي الله عنهم يعرفونه واعلم
ان في قوله صلى الله عليه وسلم حبب الي من دنياكم الحديث الغازا ومقاصد شاملة لاحكام
وحكم كثيرة يطول شرحها وقد تكلم جماعة من العلما على بعضها ووقع لي فيها من
اللطايف ما اشرت اليه في بعض تعاليقي فاذا تقررت براة النبي صلى الله عليه وسلم
من الحظوظ البشرية الناقصة تبين ان ما كان يظهر عليه من ظواهر حظوظ
البشرية مسفر عن كمال اخلاقه الزكية ومقاصده الشرعية وتعبداته
الاخلاصية فلا يكون ذلك ولا شي منه معارضا للتعبد والتبتل بلبه انما
يكون التزوج والاستيلاد مطلوبا في زمان استحباب الخلطة وتكثير سواد الناس
فاذا كان زمان الفتن وغربة الدين وتظاهر امارات الساعة واشراطها
كان التبتل والانقطاع والعزلة والفرار من الاسباب والخلق هو المطلوب
الافضل والمنهج الاقوم واليه يشير قوله صلى الله عليه وسلم خيركم بعد المايتين الخفيف
الحاد اي الخفيف الظهر وهو الذي لا امراة له ولا ولد وفي الحديث انه صلى الله عليه وسلم
قال لا تقوم الساعة حتى يتمنى ابو الخمسة انهم اربعة وابو الاربعة انهم ثلاثة
وابو الثلاثة انهم اثنان وابو الاثنين انهما واحد وابو الواحد ان ليس له ولد
وفي الحديث ايضا انه صلى الله عليه وسلم قال اذا كانت سنة خمس ومايتين فخير
نسايكم كل عقيم وفي الحديث ايضا ياتي زمان خيرا اولادكم فيه البنات وخير نسايكم
فيه العقر وخير دوابكم الحمر وعن ابن مسعود رضي الله عنه انه قال سياتي عليكم زمان

لو وجد

112

بباع

لو وجد لم احدكم الموت لاشتراه وسياتي عليكم زمان يغبط فيه الرجل بخفة الحاد كما
يغبط بكثرة المال والولد وعن ادريس بن يحيى الخولاني انه قال سمعت حيوة
بن شريح يقول سنة ستين ومايه لان يربي احدكم جروا كلب خير من ان يربي
ولدا وفي الحديث ايضا مما اخبر به صلى الله عليه وسلم عن الله تعالى انه قال ان اغبط
اوليايي عندي لمومن خفيف الحاذ ذو حظ من الصلاة احسن عبادة ربه واطاعه
في السر وكان غامضا في الناس لا يشار اليه بالاصابع وكان رزقه كفافا فصبر
على ذلك ثم نقد صلى الله عليه وسلم بيده فقال عجلت منيته قلت بواكيه قل تراثه
والمقصود بخفة الحاذ وعدم الاهل والولد انما هو التخلص من كل عايق يعوق عن
سلوك سبل النجاة فالذنوب كلها تثقل الظهور وفي الحديث لا يزال المومن خفيف
الظهر ما لم يشرك بالله شيا وما لم يلقه بدم حرام فملاك الامر التخلص من العوايق ليتاتى
الفرار من اودية الهلاك الى اوطان النجاة والسلامة وصدق التوجه الى الله
والاشتغال بعباداته وتفريغ القلب من كل شاغل يشغل عنه سبحانه وترك ما خاض
الناس فيه من العوايد الثقيلة عن عوايد اصفيا الله المبعدة عن رضوان الله
المعرضة لسخط الله والنا عنهم عن اوطان الخلق حتى ان ابعد الاماكن في العزلة
افضل من اقربها ولقد قال صلى الله عليه وسلم يوشك ان يكون خير مال المسلم غنم
يتبع بها شعف الجبال ومواقع القطر يفر بدينه من الفتن قوله يوشك اي يقرب
وشعف الجبال بالشين المعجمة المفتوحة ايضا اعلاها وفي حديث اخر خير الناس
في الفتن رجل اخذ براس فرسه يخيف العدو ويخيفونه ورجل معتزل يودي
حق الله عليه وفي الصحيحين ان رجلا قال للنبي صلى الله عليه وسلم اي الناس
افضل يا رسول الله قال مومن يجاهد بنفسه وماله في سبيل الله قال ثم من قال
ثم رجل معتزل في شعب من الشعاب يعبد ربه وفي رواية يتقي الله ويدع
الناس من شره وفي الحديث ايضا ان اعرابيا اتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا
رسول الله هل للاسلام منتهى قال نعم من اراد الله به خيرا من عجم او عرب ادخله
عليه ثم تقع فتن كالظلل يعودون فيها اساود صبا يضرب بعضهم رقاب بعض
فافضل الناس يوميذ مومن معتزل في شعب من الشعاب يتقي ربه ويدع الناس
من شره وفي الحديث ايضا انه صلى الله عليه وسلم قال يبشر الفرارين بدينهم ايمانا واحتسابا
من مدينة الى مدينة ومن قرية الى قرية انهم مع ابراهيم يوم القيامة كهاتين

وجمع بين اصبعيه الوسطى والتي تليها وفي الحديث ايضا العمل في الهرج كهجرة الي وفي
رواية كهجرة معي ولهذا قال عبد الله بن ابي جعفر الهارب بدينه كالمهاجر مع رسول الله
صلى الله عليه وسلم وقال عبد الله بن عمر واحب شي الى الله عز وجل الغربا قيل وما الغربا
قال الفرارون بدينهم يحشرون الى عيسى بن مريم يوم القيمة وقال عمرو بن دينار من فر
بدينه شبرا حشر مع عيسى بن مريم ولقد قال حذيفة رضي الله عنه وددت اني
وجدت من يقوم لي في مالي فدخلت بيتي فاغلقت بابي فلم يدخل علي احد ابدا ولم اخرج
الى احد حتى الحق بالله تعالى وانما اخذ حذيفة رضي الله عنه هذا المعنى من قبل قول
النبي صلى الله عليه وسلم حين قال له عقبة بن عامر رضي الله عنه يا رسول الله ما النجاة
قال امسك عليك لسانك وليسعك بيتك وابك على خطيئتك **ايقاظ** كيف لا يحسن الخلوة
في زمان يصير الموت فيه خيرا للبر والفاجر ويترجح اختياره على الحياة ففي الحديث
انه صلى الله عليه وسلم قال يأتي على الناس زمان يكون الموت فيه خير للبر والفاجر
اما المومن فيموت على بره واما الفاجر فيموت قبل ان يزداد في الدنيا فجورا وفي
الحديث ايضا اثنان يكرههما ابن ادم يكره الموت والموت خير للمومن من الفتنة ويكره
قلة المال وقلة المال اقل للحساب وفي الحديث ايضا لا تقوم الساعة حتى يمر
الرجل بقبر الرجل فيقول يا ليتني مكانه وقد تقدم قول ابن مسعود سياتي عليكم زمان
لو وجد احدكم الموت يباع لاشتراه وعن ابي الدرداء انه كان اذا جاءه موت الرجل في
على الحالة الصالحة قال هنيئا له ليتني بدله فسئل عن ذلك فقال ان الرجل يصبح مومنا
ويمسي كافرا فقيل له وكيف قال يسلب ايمانه ولا يشعر فلانا لهذا بالموت اغبط
من هذا في الصوم والصلاة وعن ابي سلمة ابن عبد الرحمن انه قال في مرضه ان استطعت
ان تموت فمت فوالله لياتين على الناس زمان يكون الموت احب الى احدهم
من الذهب الاحمر والاثار الواردة في هذا المعنى كثيرة ولا شك في ان زماننا من
الزمان الذي ظهرت فيه امارات الساعة وتكاثرت فيه فتن العقول واشتهرت
فيه اشيا مما اخبر النبي صلى الله عليه وسلم بوقوعها في اخر الزمان ولقد ثبت في
الصحيح من قول النبي صلى الله عليه وسلم بادروا بالاعمال فتنا كقطع الليل المظلم يصبح
الرجل مومنا ويمسي كافرا ويمسي مومنا ويصبح كافرا يبيع دينه بعرض من الدنيا
اما بيع الدين بعرض من الدنيا فلا خفا به في هذا الزمان حتى لو اراد محب الدنيا
اليوم ان يرتقي درجة من درجاتها وتوقف ذلك على جعل دينه تحت قدمه فعل

بل وقع

بل وقع بيع الدين بتخيل حصول عرض من الدنيا حتى ان الانسان ليتملق صاحب
المال او صاحب المنصب او الشوكة او القوة بتخيل ما يعرض له منه مما يليق بذلك الامر
ويعكف على بابه بالكذب له والاقدام على الايمان الخائنة والتقرب اليه بانواع
المحرمات كالخوض في اعراض الناس وغيره من الخوض في الباطل واقتحام الدخول
في مراضيه بما يسخط الله عز وجل ومن اعتبر احوال غالب الناس في هذا الزمان
راى منهم ما يشهد لذلك واما كون الرجل يصبح مومنا ويمسي كافرا وبالعكس
فقد ظهرت له اسباب منها الابتداع في الاعتقاد وتحت هذا الاجمال تفصيل طويل
كاعتقاد الحلول او الاتحاد او التجسيم او شي من مشابهة الحوادث او اعتقاد
قيام وصف من اوصاف الالهية بمخلوق او اعتقاد سلب شي من صفات الله عنه
او اعتقاد نقص احد من الانبيا والرسل عليهم الصلاة والسلام او اعتقاد علو رتبة احد
البشر عليهم او اعتقاد انه يتوصل الى رضى الله بغير واسطة الشرع الشريف
او اعتقاد حل شي مما حرمه الشرع مع العلم بتحريم الشرع له او اعتقاد عكس ذلك
لذلك ولقد قال حذيفة رضي الله عنه تعرض الفتنة على القلوب فاي قلب انكرها
نكتت فيه نكتة بيضا واي قلب اشربها نكتت فيه نكتة سودا فمن احب ان يعلم
اصابته الفتنة ام لا فلينظر هل يرى شيا حلالا كان يراه حراما او يرى شيا حراما
كان يراه حلالا ومنها ايضا الطعن في القران والقدح في ادلة الشرع ابطالا
للاحكام وتتبع ما تشابه من القران ابتغا الفتنة وابتغا تاويله بما يخالف ما عليه
جماعة المسلمين ومنها ايضا اظهار المعصية عنادا حتى ان من الناس من اذا قيل له اتق
الله اخذته العزة بالاثم فحسبه جهنم ولبيس المهاد ثم العناد في المعصية قد يكون
عنادا لله او لرسوله صلى الله عليه وسلم او لدينه او لحملة الدين واهله حتى يحمل ذلك
على الاستخفاف بما يتلونه ويعلمونه من دين الله وعلى مراغمتهم بمعارضته وكل ذلك
لا يخرج عن الكفر ومن امارات كون المعصية عنادا اظهارها افتخارا او اقتدارا
مع عدم المبالاة وعدم الاحتشام ومع الانكار على المنكر وما اشبه ذلك ومنها
الجراة على اطلاق ما يكفر باطلاقه او فعل ما يكفر بفعله مع التعمد لذلك او مع
الغفلة عما يترتب عليه وقد يحمل العوايد في القول والفعل على امور يكفر به
لا يفطن بها لذلك لاستحكام الغفلة بالوقوف مع العوايد وعدم النظر الى النظر او
الامثال الى غير ذلك مما لا يخفى على المتامل لاحوال كثير من الناس وقد اصرح الامام

احمد رحمه الله ورضي عنه هذا الحديث المتقدم اعني الذي فيه ذكر الفتن التي هي كقطع
الليل المظلم وذكر فيه زيادة تدل على انه ادرك ذلك في زمانه فقال ما نصه عن
النعمان بن بشير قال صحبنا النبي صلى الله عليه وسلم وسمعناه يقول ان بين يدي الساعة فتنا
كانها قطع الليل المظلم يصبح الرجل فيها مومنا ثم يمسي كافرا ويمسي مومنا ثم يصبح كافرا يبيع اقوام
خلاقهم بعرض من الدنيا يسير او بعرض الدنيا فقال الحسن والله لقد رايناهم صورا ولا عقول
اجساما ولا احلام فراش نار وذباب طمع يغدون بدرهمين ويروحون بدرهمين يبيع
احدهم دينه بثمن العنز نسال الله السلامة والعافية ومما نبه صلى الله عليه وسلم على
وقوعه ما في الحديث ايضا من قوله صلى الله عليه وسلم يكون بين يدي الساعة فتن يموت فيها
قلب الرجل كما يموت بدنه وفي الصحيحين انه صلى الله عليه وسلم قال بين يدي الساعة ايام
يرفع فيهن العلم وينزل فيهن الجهل ويكثر فيهن الهرج والهرج القتل قال ابو موسى
وهو راوي الحديث رضي الله عنه الهرج القتل بلسان الحبشة وفي الحديث الصحيح مما رواه
مسلم لا تقوم الساعة حتى تقتلوا امامكم وتجتلدوا باسيافكم ويرث دنياكم شراركم وروى
الحافظ ابو عمرو الداني في كتابه السنن الواردة في الفتن بسنده عن بعض المشيخة ان
الله عز وجل اذا قذف قوما بفتنة لو كان فيهم انبيا فتنوا ينزع من كل ذي عقل عقله
ومن كل ذي راي رايه ومن كل ذي فهم فهمه ثم يدعهم يموجون في ذلك فاذا رد عليهم
ما اخذ منهم وقعوا في التلهف والتاوه على ما فاتهم فقوله لو كان فيهم انبيا فتنوا الضمير
راجع الى القوم اي لو كان في القوم الذين يريد الله ان يعذبهم بالفتنة انبيا ما كان
وجود الانبيا مانعا لفتنة القوم مع كمال بركات الانبيا وكمال هدايتهم ولكن ليقضي
الله امرا كان مفعولا ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حي عن بينة ومن هذا المعنى
قال صلى الله عليه وسلم يا بني عبد مناف انقذوا انفسكم من النار يا بني هاشم انقذوا انفسكم
من النار لا اغني عنكم من الله شيا ان يرد بكم امرا فلا راد له وفي الحديث المرفوع
ايضا اعوذ بالله من امارة الصبيان فقال الصحابة وما امارة الصبيان فقال ان اطعتموهم
هلكتم وان عصيتموهم اهلكوكم وفي الصحيحين عن حذيفة رضي الله عنه قال كان الناس
يسالون رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الخير وكنت اساله عن الشر مخافة ان يدركني فقلت
يا رسول الله انا كنا في جاهلية وشر فجانا الله عز وجل بهذا الخير فهل بعد هذا الخير من شر
قال نعم وفيه دخن قلت وما دخنه قال قوم يهدون بغير هديي تعرف منهم وتنكر قلت
فهل بعد ذلك من شر قال نعم دعاة على ابواب جهنم من اجابهم اليها قذفوه فيها قلت يا رسول الله

صفهم

صفهم لنا قال هم من جلدتنا ويتكلمون بالسنتنا قلت فما تامرني ان ادركني ذلك قال
تلزم جماعة المسلمين وامامهم قلت فان لم يكن لهم جماعة ولا امام قال فاعتزل تلك
الفرق كلها ولو ان تعض على اصل شجرة حتى يدركك الموت وانت على ذلك وفي الحديث
ايضا انه صلى الله عليه وسلم قال ان الناس اليوم كشجرة ذات جنا ويوشك ان يعود الناس
كشجرة ذات شوك ان ناقدتهم ناقدوك وان تركتهم لم يتركوك وان هربت منهم
طلبوك قالوا يا رسول الله فكيف المخرج من ذلك قال تقرضهم من عرضك ليوم فقرك
وعنه صلى الله عليه وسلم انه قال اللهم لا يدركني زمان ولا ادركه لا يتبع فيه العالم
ولا يستحيى فيه من الحليم قلوبهم قلوب العجم والسنتهم السنة العرب وفي الحديث ايضا
انه صلى الله عليه وسلم قال اذا اتخذ الفساق القصص وحذت امتي حذو الرهبان فالهرب
من الدنيا هربا قيل وما حذو الرهبان قال ياخذون بشكلهم ويشذون في العبادة وفي
الحديث المرفوع ايضا ياتي على الناس زمان ياكل الناس فيه الربا قالوا الناس كلهم
قال من لم ياكله منهم ناله من غباره وفي الحديث ايضا انه صلى الله عليه وسلم قال ان اخوف
ما اخاف على امتي ان يكثر لهم المال فيتحاسدوا فيقتتلوا ويفتح لهم القران فيقراه البر
والفاجر والمنافق فيجادلون به المومن ابتغا الفتنة وابتغا تاويله وما يعلم تاويله
الا الله والراسخون في العلم يقولون امنا به وفي الحديث ايضا انه صلى الله عليه وسلم
قال سيكون في امتي اختلاف وفرقة قوم يحسنون القران ويسيئون الفعل يدعون الى
كتاب الله وليسوا منه في شي ويقرءون القران لا يجاوز تراقيهم يمرقون من الدين
كما يمرق السهم من الرمية ثم لا يرجعون اليه وفي الحديث ايضا يخرج في اخر الزمان قوم
احداث الاسنان سفها الاحلام يقولون من قول خير البرية يمرقون من الدين كما يمرق
السهم من الرمية يدعون اهل الاوثان ويقتلون اهل الاسلام فمن لقيهم فليقتلهم فان قتلهم
اجر لمن قتلهم يوم القيمة وفي الحديث ايضا انه صلى الله عليه وسلم قال لياتين على العلما زمان
يقتلون فيه كما تقتل اللصوص فيا ليت العلما تحامقوا وفي الحديث ايضا انه صلى الله
عليه وسلم قال سياتي على الناس زمان يتحلقون في المساجد حلقا حلقا انما همتهم الدنيا
فلا تجالسوهم فانه ليس لله فيهم حاجة وفي الحديث ايضا انه صلى الله عليه وسلم قال الا انه
سيكون اقوام لا يستقيم لهم الملك الا بالقتل والتجبر ولا يستقيم لهم الغنى الا بالبخل والفجور
ولا تستقيم لهم المحبة في الناس الا باتباع الهوى الا فمن ادرك منكم ذلك الزمان
فصبر على الشدة وهو يقدر على الرخا وصبر على الذل وهو يقدر على العز وصبر على

الفقر وهو يقدر على الغنى وصبر على البغضا وهو يقدر على المحبة لا يريد بذلك الا وجه
الله والدار الآخرة اتاه الله ثواب سبعين صديقا وفي الحديث ايضا انه صلى الله عليه
وسلم قال خير هذه الامة القرن الذي بعثت فيه ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم ثم
قال احد الرواة الله اعلم اذكر الثالثة ام لا ثم تنشا قوم يشهدون ولا يستشهدون
وينذرون ولا يوفون ويخونون ولا يؤتمنون ويفشوا فيهم السمن وفي الحديث ايضا
ايها الامة انتم اليوم كثير اما قراؤكم فقليل واما معطوكم فكثير واما امراؤكم فقليل ولما
امناؤكم فكثير وان من ورائكم زمانا يكثر قراؤه ويقل فقهاؤه ويكثر سؤاله ويقل
معطوه ويكثر امراؤه ويقل امناؤه وفي الحديث ايضا ما اخرجه الترمذي وقال
حديث حسن اذا عملت امتي خمس عشرة خصلة حل بها البلا قيل يا رسول الله وما هي قال
اذا كان المغنم دولا والامانة مغنما والزكاة مغرما واطاع الرجل زوجته وعق امه
وبر صديقه وجفا اباه وارتفعت الاصوات في المساجد وكان زعيم القوم ارذلهم واكرم
الرجل مخافة شره وشربت الخمور ولبس الحرير واتخذ القينات والمعازف ولعن آخر
هذه الامة اولها فليرتقبوا عند ذلك ثلاثا ريحا حمراء وخسفا ومسخا وفي الحديث ايضا
انه صلى الله عليه وسلم كان يخوف خصالا على امته إمرة الصبيان وكثرة الشرط وشرب
الخمر وبيع الحكم وقطيعة الرحم ونشو يتخذون القرآن مزامير يقدمون الرجل ليس
بافقههم الا ليغنيهم وفي الحديث ايضا اذا مشت امتي المطيطيا وخدمتهم فارس والروم
سلط بعضهم على بعض قوله المطيطيا هو بالميم المضمومة وطائين مهملتين بينهما يا آخر
الحروف وبعدهما ايضا اليا المذكورة ثم الف مهموزة وهو مشية فيها تبختر ومد يدين
وفي الحديث ايضا سيكون في امتي خسف وقذف ورجع ومسخ قيل ويشهدون ان
لا اله الا الله قال نعم اذا ظهرت فيهم القينات والمعازف والحرير والخمر وفي الحديث
ايضا اذا ضيعت الامانة فانتظر الساعة قيل كيف اضاعتها يا رسول الله قال اذا وسد
الامر الى غير اهله فانتظر الساعة وفي الحديث ايضا من اشراط الساعة موت الفجاة
وفي الحديث ايضا من اقتراب الساعة ان يرى الهلال من ليلة كانه من ليلتين وفي
الحديث ايضا سيظهر شرار امتي على خيارهم حتى يستخفي فيهم المؤمن كما يستخفي فينا
المنافق وفي رواية وليسود كل قبيلة منافقوها وفي الحديث ايضا يكون فيهم لا يستطيع
المؤمن ان يغير فيها بيد ولا بلسان فقال رجل يا رسول الله وفيهم يومئذ مؤمن قال
نعم قال وكيف ذلك يا رسول الله قال يكره هو بقلبه قال فهل ينقص ذلك من ايمانهم شيئا

قال

قال لا الا كما ينقص القطر من السقا وفي الحديث ايضا لا تقوم الساعة حتى يكون
اسعد الناس بالدنيا لكع بن لكع وفي الحديث ايضا ان من اشراط الساعة ان يقل الرجال
ويكثر النسا وفي الحديث ايضا لا تقوم الساعة حتى يتباهى الناس في المساجد قال ابن
عباس ما كثرت ذنوب قوم الا زخرفت مساجدها وما زخرفت مساجدها الا عند
خروج الدجال وكان يقال اذا ساء عمل الامة زينوا مساجدهم وعن علي ابن ابي طالب رضي
الله عنه انه قام على المنبر فحمد الله واثنى عليه وقال ايها الناس سلوني من قبل ان تفقدوني
قالها ثلاث مرات فقام اليه صعصعة العبدي فقال يا امير المؤمنين متى خروج الدجال
قال اقعد علم الله مقالتك ما المسؤول عنها باعلم من السائل ولكن لها علامات وهيات
واشيا يتلو بعضها بعضا كحذو النعل بالنعل وان شئت انباتك بعلامتها قال عن ذلك
سالتك يا امير المؤمنين قال احفظ بيدك يا صعصعة اذا امات الناس الصلاة واضاعوا
الامانة واستحلوا الكذب واكلوا الربا واخذوا الرشا وشيدوا البنا واتبعوا الاهوا وباعوا
الدين بالدنيا واستخفوا بالدما وتقطعت الارحام وصار الحلم ضعفا والظلم فخرا والامرا
فجرة والوزرا خونة والعرفا ظلمة والقرا فسقة وظهر الجور وكثر الطلاق وموت
الفجاة وقول البهتان وحليت المصاحف وزخرفت المساجد وطول المنار وازدحمت
الصفوف وتقطعت العهود وخربت القلوب وشاركت المراة زوجها في التجارة
حرصا على الدنيا وتركت النسا المازر وتشبه الرجال بالنسا والسلام للمعرفة والشهادة
قبل ان يستشهدوا ولبسوا جلود الضان على قلوب الذئاب قلوبهم امر من الصبر
وانتن من الجيفة والتمسوا الدنيا بعمل الآخرة والتفقه لغير المعرفة فالنجا النجا
الوحا الوحا الحذر الحذر الجد الجد يا صعصعة نعم المسكن بيت المقدس وليأتين
على الناس زمان يقول احدهم يا ليتني تبنة في لبنة في سور بيت المقدس وعن علي
ايضا انه قال يوشك ان ياتي على الناس زمان لا يبقى من الاسلام الا اسمه ولا من
القرآن الا رسمه مساجدهم يومئذ عامرة وهي خراب من الهدى علماؤهم شر من تحت
اديم السما من عندهم تخرج الفتنة وفيهم تعود وفي الحديث ايضا ما من عام الا
والذي بعده شر منه وفسره ابن مسعود في رواية اخرى موقوفة عليه فقال لا
ياتي عليكم عام الا والذي بعده شر منه لا اعني عاما اخصب من عام ولا امطر من عام
ولكن ذهاب خياركم وعلمائكم ثم يحدث قوم يقيسون الامور برايهم فيهدم الاسلام
ويثلم وعن سفيان الثوري موقوفا عليه قال ياتي على الناس زمان ينتقص فيه الصبر

والعقل والحلم والمعرفة حتى لا يجد الرجل من يثبت اليه ما يجل من الغم قبل له
واي زمان هو قال اواه زماننا هذا املت يا ليتني شعري كيف حال زماننا
وهو بعد زمان سفيان بمايه سنة وثنتي وعشرين سنة والاحاديث والاثار
في مثل هذه الامور المذكوره كثيرة جدا وانما نبهت بما ذكرته على غالب ما هو في زماننا
واما اشراط الساعة المتوقع ورودها عن قريب مما صح عن النبي صلى الله عليه وسلم
الاخبار بوقوعه كالدجال وطلوع الشمس من مغربها فلم اتعرض هنا لذكرها لان هذا
التاليف لم يوضع لذلك وانما جرني الى ذكر ذلك ما ذكرته هنا من ما وقع من الامارات
ما ذكرته من اسباب كراهة التزوج والاستيلاد في هذا الزمان واذا تقرر ان
زماننا هذا مظنة الفتن والهلاك تعين على الرشيد ان ياخذ بالحزم لنفسه ويسلك
سبيل النجاة وقد تقدمت الاشارة اليها **عود وانعطاف** اذا تقرر ما في
هذا المقصد من المقاصد الشرعية المختلفة باختلاف الزمان حسن بالمتامل لذلك ان
يستحضر الايات المتعلقة به وان ينظر فيما يرجع اليه معاني ذلك من الاسما الحسنى والله
تعالى اعلم وهو الموفق سبحانه **المقصد العاشر من مقاصد قوله تعالى لم يلد ولم
يولد** الايما الى انه سبحانه لا يجب عليه شي بايجاب غيره بل هو سبحانه يوجب ما يشا على
خلقه بالامر والالزام ويوجب ايقاع ما يشا ايضا تفضلا منه سبحانه وبعصانه وتقديره
وتقرير ذلك انه قد تقدم ان قوله تعالى لم يلد ولم يولد يشير الى تقدسه سبحانه عن
مشابهة الحوادث ولا شك في ان الحوادث يجب عليها حقوق لمحدثها وساير الحقوق
التي اوجبها موجدها سبحانه عليها فلزم ان يكون سبحانه متقدسا عن ان يجب عليه شي
وكيف لا يكون متقدسا عن ذلك والايجاب يستدعي وجود موجب متصرف مونث
فا هو والله تعالى هو الفعال المنفرد بكمال صفات الالهية والربوبية **واما** قوله تعالى
كتب على نفسه الرحمة فمعناه انه كتب ذلك بخلقه لمقتضى وعده السابق قبل
خلقهم فهو على سبحانه بمصير الموعود به واجب الوقوع وبهذا الاعتبار يطلق
على الجزاء الذي وعد الله تعالى به وما في معناه حقا كقوله تعالى كان على ربك حتما
مقضيا وكقوله تعالى وعدا عليه حقا وكقوله صلى الله عليه وسلم من امن بالله واقام
الصلاة واتى الزكاة وصام رمضان وحج كان حقا على الله ان يدخله الجنة الحديث
وكقوله صلى الله عليه وسلم في حق شارب الخمر كان حتما على الله ان يسقيه من طينة
الخبال الحديث وما طينة الخبال عرق اهل النار وكقوله صلى الله عليه وسلم لمعاذ بن جبل

وحتما

رضي الله عنه

رضي الله عنه اتدري ما حق الله على العباد وما حق العباد على الله قال قلت الله
ورسوله اعلم قال فان حق الله على العباد ان يعبدوه ولا يشركوا به شيا وحق العباد
على الله ان لا يعذب من لا يشرك به شيا قال فقلت يا رسول الله افلا ابشر الناس قال
لا تبشرهم فيتكلوا واذا تقرر هذا المقصد ظهر منه مقصدان اخران احدهما ان كل
ما انعم الله سبحانه به مما سماه حقا او فضلا فكله فضل منه والثاني ان كل ما انتقم
الله تعالى به مما سماه جزا او مصيبة فكله عدل منه سبحانه ومن تامل ايات الكتاب
العزيز عرف ما يتعلق منها بهذا المقصد ثم ان تدبر الاسما الحسنى عرف الاسما المتعلقة
بذلك والله سبحانه الوهاب الهادي الى الصواب **قوله تعالى ولم يكن له كفوا
احد** اي ولم يكن احد كفوا له سبحانه فاحد اسم كان وكفوا خبره وقيل اسم كان
محذوف والتقدير ولم يكن شي له كفوا ويكون قوله تعالى بعد ذلك احد خبر مبتدا
محذوف والتقدير هو احد والكفاة المساواة والمناظرة والمماثلة فيما يفرض
فيه التكافي من فعل او قول او وصف او جنس او نسب او نسبة ونحو ذلك
وكل ذلك محال في حق الله سبحانه اذ لا يدخل تحت جنس ولا يشابهه في شي وفي قوله
تعالى ولم يكن له كفوا احد تاكيد لتقرير استحالة الولد والزوجة في حقه سبحانه
لان عدم الكفاة بين المتناسبين من كل وجه يمتنع معه او ينتج كل ما يفرض من
مصاهرة واستيلاد خمسة مقاصد احدها نفي المساعد والمعاضد وتقريره ان
المساعدة والمعاضدة انما تكون من مكافي في القدرة على ذلك ولو من بعض الوجوه
فاذا استحالت المكافاة من ساير وجوهها استحال ما يترتب عليها ودليل
استحالة مكافاة شي له سبحانه من طريق السمع هذه الاية ونظايرها في المعنى واما
من جهة العقل فلان المكافي هو المماثل وقد تقدم تقرير استحالة ذلك في حقه
سبحانه واستحالة المشابهة ايضا ولو بوجه من الوجوه وحينيذ فيظهر من هذا
المقصد مقصدان اخران احدهما تقرير انفراده سبحانه بالتاثير في الوجود وذلك
شامل لثبوت انفراده سبحانه بالقدرة كما تقدم ولثبوت انفراده سبحانه بالمشية
التي تنشا عنها ارادات الخلق كما في قوله تعالى وما تشاءون الا ان يشا الله ونظاير
ذلك الثاني افهام احتياج الخلق الى التعاون على مصالحهم المستوية الى قدرهم
ولما كان التعارف ضروريا لهم كاضطرارهم الى الافعال ولا يكاد امعالهم تتم الا به
قال تعالى وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان ومن تامل

هذا المقصد بما استمل عليه حسن به ان يتتبع الايات الوارده في معانيه وينظر

المعاصل

فيما يرجع اليه تلك المعاني من الاسما الحسنى والله تعالى الى الصواب. **المقصد الثاني من مقاصد قوله تعالى ولم يكن له كفوا احد** نفي المعارض والمعاند

وتقرير ان المعارضه والمعانده انما تكون من ذي قدرة موثرة وارادة منفرده

وقد تقدم ابطال ذلك في حق الخلق فبطلت المعارضة والمعاندة ولان المعارض

والمعاند يكون مكافيا بل الكفا والله سبحانه وتعالى لا كفو له فان قلت فما معنى

قول العلما من عصى امر الله تعالى عنادا كفر كابليس فاذا استحال وجود المعاند

كيف نفرض وجوده ويرتب عليه الحكم ويمثل له فالجواب ان المراد بالعناد هنا

قصد العناد ونحن لا نمنع وجود القصد والارادة من الخلق بل نثبت ذلك ولكن

نقول بعدم افادته على الانفراد وقابلية وجود ذلك من الخلق يرتبها المدح

والذم والثواب والعقاب فمن قصد العناد كفر مع ان حقيقة العناد بالفعل

لم توجد منه ومثال ذلك معصيه ابليس اللعين بتركه السجود الذي امر به

مع الملائكة عليهم الصلاه والسلام فان لدا حيلة لك العناد بدليل مجادلته في ذلك

كما اخبر الله تعالى عنه بقوله قال انا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين ﻫ

وقال تعالى في ايه اخرى قال لم اكن لاسجد لبشر خلقته من صلصال من حما مسنون

فحاول اللعين المعاندة بتدبير لنفسه على اساس رويه النفس بالفخر وعلو

القدر وكان ذلك في الحقيقة اثر ارادة الله تعالى ابلاسه فانه تعالى انما خلق

ابليس لذلك كما انه تعالى خلق للجنه خلقا وهم في اصلاب ابايهم فهم باعمال

اهل الجنة يعملون وخلق للنار خلقا وهم في اصلاب ابايهم فهم باعمال اهل النار

يعملون وكل خلل وقع في الاذهان مما يخالف هذا القاعده فهو من اعتقاد ﻫ

ان الخلق يخلقون افعالهم او شيا منها وذلك باطل لوجوه منها ان الدليل

قام على كمال قدرة الباري سبحانه وعموم تعلقها بجميع الكائنات وانما عمة

التعلق بسبب كمال القدرة وجواز الكاين وكل حادث يوجد فيه الجواز مشوت

بكمال القدرة العليه فلا مانع من التعلق وقد قام الدليل ايضا على استحالة

مقدور بين قدرتين كاملتين فلم يبق الا نسبه ما يقع في الوجود باعتباره

الايجاد الحقيقي الى قدرة واحدة فان نسب الخصم شيا من الكائنات الى ﻫ

قدره العبد خاصة رد عليه بامرين احدهما ما يلزم على ذلك من تخلف القدرة

الالهيه

الالهية عن ذلك الشي وقد ثبت ابطاله مع ما يلزم من شناعة القول بسعود قدرة

المخلوق وتخلف قدرة الخالق وكيف يفرض تخلف القدرة العليه وهو اما ان يكون

بالعجز وهو محال قطعا واما ان يكون لمانع معارض وهو محال ايضا للزوم العجز

والثاني قيام الدليل على عجز العبد من وجوه منها ان القادر على الشي قادر على مثله

وعلى ضده والعبد ليس كذلك فانا نشاهد من يقع منه الفعل ثم لا يستطيع ان

يعود الى مثله كما لا يستطيع ان ياتي بضده ومنهـا ان الخالق للشي لا بد ان

يكون عالما به من جميع وجوهه والعبد غير عالم بجميع وجوه ما يفعل غاية ما ثم

ان يفرض وجود الفعل منه في حالة السهو والغفلة فذلك ظاهر واما ان يفرض في

حال القصد والاختيار فهو كذلك ايضا لان الكاتب قد يكون عالما بالكتابه المنظومة

ولا يكون عالما بجميع حركات القلم واليد واعداد تلك الحركات وجميع الاجزا التي جرا

عليها القلم ومقدار ما امد كل من اجزا المداد وغير ذلك وكذلك المتكلم يتكلم بكلام

رشيق منظوم ولا يكون عالما بجميع مخارج الحروف واعدادها وخفايا الصوت

والتركيب منه الى غير ذلك وكذلك الكلام في فعل كل فاعل من الخلق واذا عرف

ذلك ترتب عليه ان الافعال كلها منسوبة الى الله سبحانه وتعالى من حيث الخلق

والايجاد لانه العالم بها كلها من جميع وجوهها ولكمال قدرته ووجوب تعلقها بكل

جايز فان قلت فاي فرق بين مذهبكم ومذهب الجبريه الذين يرون ان

الخلق مجبورون على افعالهم فالجواب انا ننسب الافعال الى الخلق من حيث الكسب

وننسبها الى الله سبحانه من حيث الخلق فان خلق الشي يستدعي العلم به من جميع

وجوهه كما تقدم والكسب لا يستدعي ذلك بل يكفي فيه العلم من وجه اجمالي

ولاجل نسبة الكسب الى العبد وقع التكليف بالامر والنهي فان قلت يلزم من

نسبه الافعال كلها الى الله سبحانه نسبة ما لا ينبغي نسبته اليه سبحانه من قبايح

الافعال فالجواب انا ننسب جملة المخلوقات الى خلق الله تعالى اعتقادا بالجنان

والملافا باللسان ونتمسك بقوله تعالى الله خالق كل شي واما على التفصيل فان

الشرع منعنا من نسبه القبايح بخصوصها الى الله تعالى ادبا معه سبحانه وتعالى في

الخطاب اللساني واما بالنسبة الى الاعتقاد فيجب علينا ان نعتقد نسبتها الى ﻫ

فعله سبحانه وننفي عنها القبح والنقص لانا انما ننسبها اليه سبحانه من حيث

الخلق والايجاد والاختراع والابداع وهذه الحيثيه لا توصف بقبح وانما يعرض

القبح للافعال القبيحة بالنسبة الى كسب العبد من حيث كونه خالف النهي الشرعي
او الامر الشرعي ولهذا يستوي كثير من الافعال الحسنة والقبيحة من حيث صور
الفعل وانما تختلف من حيث تعلق الامر والنهي بها فافعال الله سبحانه وتعالى من
حيث ايجاده لها منزهة عن القبح بل يستحسن باعتبار بروزها عن القدرة الفعلية
على وجه الاتقان والحكمة وبهذا الاعتبار اطلق من اطلق ان الوجود كله حسن اي من
حيث الايجاد ولم يرد هذا القائل استحسان ما قبحه الشرع الشريف فان ذلك لا يقع من
مسلم اذ من قبح ما حسنه الشرع او حسن ما قبحه مع علمه بتقبيح الشرع وتحسينه فهو كافر
واعلم ان الشي قد يحسن باعتبار النظر الى عاقبته ويقبح باعتبار النظر في الابتدا الى
كسب الكاسب فيتاتى الانكار على ذلك الفعل من وجه ظاهر الكسب بظاهر الشرع
ويزول الانكار عند كشف عاقبته لما يظهر من حسنه وحكمته ومن هذا الوادي تنشا
قضايا سيدنا موسى عليه الصلاة والسلام مع الخضر عليه السلام فكان سيدنا موسى ينظر بعين
الشرع رسالته الى ذلك العمل من حيث الكسب فينكره لما فيه من العلل التي ابداها فلما ذكر
له الخضر عليه السلام مآل تلك القضايا وما كان مستترا في باطنها من الحكم رجع الى استحسان
ما فعل لانه عرف انه اي الخضر عليه السلام فعل ما فعل مع نظره الى العاقبة التي اطلعه
الله عليها ومن كشف الله له في امر عن عاقبته المحمودة واذن له في فعله لا ينكر عليه
الا ترى كيف قال الخضر عليه السلام وما فعلته عن امري وانما ينكر على من حال فعله
عن الاذن مع استتار العاقبة الجميلة وذم ابتدا الكسب فلهذا انكر سيدنا موسى عليه
الصلاة والسلام في ابتدا الامر واستحسن عند كشف العاقبة فلم يتوارد الانكار
والاستحسان على العمل من وجه واحد بل من وجهين مختلفين وكذلك قد
يصعب موقع الشي على النفس ويستثقله باعتبار عاجله مع انه يستطاب ويستحلا
باعتبار اجله ومن ذلك مصايب المومنين فانها متمررة في حال وقوعها فاذا اجوزوا
عليها في الاخرة ودوا لو ان المصايب تضاعفت في الدنيا كما قال النبي صلى الله عليه وسلم
يود اهل البلا حين يوتون اجورهم يوم القيمة لو ان جلودهم قرضت في الدنيا
بالمقاريض واخبر صلى الله عليه وسلم ايضا عن الشهدا انهم يتمنون الرجعة الى الدنيا
ليقتلوا في سبيل الله عشر مرات لما يرون من الكرامات ولذلك المومن اذا كشف
له عند الاحتضار عن مقعده من الجنة وما اعد الله له عنده من المغفرة والخير
احب لقا الله فاحب الله لقاه وربما يشغله حب لقا الله عن مداركه حتى يهون عليه سكرات

الموت

الموت فلا يحس من الم الا باليسير وقد لا يحس بشي من الامها وقد اخبر النبي
صلى الله عليه وسلم ان الشهيد لا يجد من مس القتل في سبيل الله الا كما يجد احدنا من
القرصة وهذا يحتمل ان يكون على بابه من التخفيف في نفس الامر وهو ظاهر الحديث
ويحتمل ان يكون التخفيف بسبب شغل المدارك بشهود الاجر وكذلك قد يخف
الم الشي باعتبار النسبة والاضافة الى ما هو اشق منه وبهذا الاعتبار كانت الدنيا
جنة الكافر وان تنوعت عليه فيها انواع العذاب كالخزي والذل والجزية والسبي
والقتل لان ذلك كله اسهل مما سيكون له في الاخرة من انواع العذاب وكذلك
قد يستحلي الامر المرير ويطيب من حيث شهود كونه مختار الحبيب واعلم ان البشرية
اذا وردت عليها المولمات احست بها والروح اذا شاهدت محاسن العواقب تلذذت
بها وعلى قدر تلذذ الروح يحصل الاشتغال عن الم البشرية ولهذا اختلفت مراتب المومنين
في الاحساس بالالام بحسب مراتب ارواحهم في استجلا عواقبهم واستحلائها واعلاهم
رتبة من اندرج وجود بشريته في وجود روحانيته فتهيمن لذته على المه حتى ان
صاحب هذه الحالة يتلذذ عند المولمات ويطرب عند الامور المنافرات فيظن من
يراه انه يتلذذ بنفس المولم ويطرب بنفس المنافر وليس كذلك ولكنه غايب عن تلك الامور
بشهود ما يترتب عليها الا ترى كيف كان بلال رضي الله عنه يقول عند النزع واطرباه
غدا القى الاحبة محمدا وحزبه اللهم صل على سيدنا محمد وعلى اله وصحبه وسلم عود
وانعطاف وكل موجود سوى الله تعالى هو مخلوق له سبحانه بايجاد قدرته
وتخصيص ارادته وتعلق علمه لا يكون شي من ذلك الا بذلك تعالى الله ان يكون
في ملكه ما لا يريد ولو شا الله لجمعهم على الهدى ولو شا الله لجعلكم امة واحدة
ولكن يضل من يشا ويهدي من يشا ولو شا ربك ما فعلوه ولو شينا لرفعناه بها
ولو شينا لاتينا كل نفس هداها قل فلله الحجة البالغة فلو شا لهداكم اجمعين من
يضلل الله فلا هادي له ويذرهم في طغيانهم يعمهون يضل به كثيرا ويهدي به
كثيرا من يهد الله فهو المهتد ومن يضلل فلن تجد له وليا مرشدا وما تشاون الا ان
يشا الله والايات في هذا المعنى كثيرة واذا تقرر ان الله تعالى خالق كل
شي وانه المنفرد بالقدرة والارادة وانه لا معارض له ولا معاند ترتب على
ذلك مقصدان اخران احدهما ترك التدبير والاختيار والثاني مداواة النفوس
من امراض الاخطار بمطالعة عواقبها الجميلة في الدنيا في دار القرار ولا يخفى على

المتامل لما اشتمل عليه هذا المقصد بمقصد به ما في القران الكريم من الايات المتعلقة
بمطالبه كما انه لا يخفى عليه عند التامل ايضا ما في الاسما الحسنى مما يتعلق بذلك والله
تعالى الهادي الى الصواب **المقصد الثالث من مقاصد قوله تعالى ولم يكن**
له كفوا احد الاشارة الى انه سبحانه لا تحاط معلوماته لانه لو احاط احد بمعلوماته تم
لكان مكافيا لله سبحانه في العلم وهو سبحانه لا مكافي له ولهذا قال تعالى ولا يحيطون بشي
من علمه الا بما شا وقال تعالى وما يعلم جنود ربك الا هو وقال تعالى وما اوتيتم من العلم الا
قليلا وحينيذ فيترتب على هذا المقصد مقصدان اخران احدهما انه كما لا يحاط به سبحانه
علما لانه اذا استحال احاطة العلم بجميع معلوماته فمن باب اولى ان تستحيل الاحاطة به
سبحانه وانما تعرف سبحانه الى عباده بالتعريفات الاجمالية لعلمه سبحانه بعجز مداركهم عما
وراء ذلك ومن هذه المادة قوله صلى الله عليه وسلم لا احصي ثنا عليك انت كما اثنيت على نفسك
لان احصا الثنا يتوقف على احصا الصفات المثنى عليها وذلك متعذر الثاني انه اذا
استحالت الاحاطة به سبحانه كان من ذلك استحالة الاحاطة بصفاته سبحانه ومن جملة
صفاته سبحانه كلامه فلا تحصى معاني كلامه سبحانه لوجهين احدهما انها مدلولات
صفته وهي لا يحاط بها والثاني انها معلوماته سبحانه وهي ايضا لا يحاط بها فجميع ما
وصل اليه العالمون وانتهى اليه العالمون من السابقين واللاحقين من معاني كلام
ربنا سبحانه هو بعض ما اشتملت عليه كلماته الا ترى ان ما في القران الكريم مما يجب
علينا ان نكل العلم فيه الى الله تعالى وكيف يحاط بما لا نهاية له والى هذا وقعت الاشارة
بقوله تعالى قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربي لنفد البحر قبل ان تنفد كلمات
ربي ولو جئنا بمثله مددا لنفد البحر وما نفدت علومه وحكمه وبقوله تعالى ولو ان
ما في الارض من شجرة اقلام والبحر يمده من بعده سبعة ابحر ما نفدت كلمات الله ان
الله عزيز حكيم قال كثير من المفسرين لما نزل بمكة قول الله تعالى وما اوتيتم من العلم
الا قليلا ثم لما هاجر صلى الله عليه وسلم فجاءه احبار اليهود فقالوا يا محمد بلغنا انك تقول
وما اوتيتم من العلم الا قليلا افتعنينا ام قومك فقال صلى الله عليه وسلم كلا قد عنيت فقالوا
الست تتلو فيما جاءك انا اوتينا التوراة وفيها علم كل شي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
هي في علم الله قليل وقد اتاكم الله ما ان عملتم به انتفعتم قالوا يا محمد كيف تزعم هذا وانت تقول
ومن يوت الحكمة فقد اوتي خيرا كثيرا فكيف يجمع هذا علم قليل وخير كثير فانزل الله تعالى
هذه الاية وقال قتادة ان المشركين قالوا ان القران وما ياتي به محمد يوشك ان

ينفد

ينفد وينقطع فنزلت هذه الاية واذا عرف هذا المقصد ترتب عليه مقصدان اخران
احدهما استفراغ الوسع في تطلب علوم القران وحكمه في مدة الحياة والثاني رؤية
القصور عن بلوغ الغاية من ذلك ثم لا يخفى على المتامل ما يناسب هذه الامور كلها
من الايات والاسما الحسنى والله تعالى يمن على من يشا من عباده **المقصد الرابع**
من مقاصد قوله تعالى ولم يكن له كفوا احد المطالبة باعتقاد ما اخبر الله تعالى به عن
نفسه من ذلك اذ هو فائدة الاخبار ولصحة هذا الاعتقاد قرائن وامارات لا تخفى
على من اعتبرها ومن اظهر الامارات موالاة اهل هذا الاعتقاد ومعاداة
مخالفيه او شي منه واكد الموالات موالات المومنين في ايمانهم والطائعين في
طاعاتهم كما ان اكد العداوات عداوة الكفار وقد امر الله تبارك وتعالى بموالات المومنين
ومعاداة الكافرين وكرر النهي عن موالاتهم تحذيرا من الدخول في زمرتهم قال الله تعالى
لا يتخذ المومنون الكافرين اوليا من دون المومنين ومن يفعل ذلك فليس من الله في
شي الا ان تتقوا منهم تقاة ويحذركم الله نفسه والى الله المصير قل ان تخفوا ما في
صدوركم الى قوله تعالى فان الله لا يحب الكافرين والمراد بالاتقا ان المومن اذا كان
في قوم كفار غالبين عليه خائفهم على نفسه فله ان يتقيهم بما يظهر لهم من
المداراة باللسان وقلبه مطمين بالايمان ويعادونهم على الكفر وقال تعالى يا ايها
الذين امنوا لا تتخذوا بطانة من دونكم لا يالونكم خبالا الايات الى قوله تعالى ان الله
بما يعملون محيط وقال تعالى يا ايها الذين امنوا لا تتخذوا الكافرين اوليا من دون
المومنين اتريدون ان تجعلوا لله عليكم سلطانا مبينا ان المنافقين في الدرك
الاسفل من النار وانما ذكر سبحانه المنافقين عقب النهي عن موالات الكفار
لان النفاق وصف من والاهم كما قال تعالى قبل هذه الاية بشر المنافقين بان لهم
عذابا اليما الذين يتخذون الكافرين اوليا من دون المومنين ايبتغون عندهم
العزة فان العزة لله جميعا الايات فمن والاهم نفاق مدخل لموالاتهم في
جملتهم كما قال تعالى يا ايها الذين امنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى اوليا
بعضهم اوليا بعض ومن يتولهم منكم فانه منهم ان الله لا يهدي القوم الظالمين
وقال تعالى يا ايها الذين امنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف ياتي الله بقوم يحبهم
ويحبونه اذلة على المومنين اعزة على الكافرين الايات ومن جملتها ومن يتول
الله ورسوله والذين امنوا فان حزب الله هم الغالبون يا ايها الذين امنوا لا تتخذوا

الذين اتخذوا دينكم هزوا ولعبا من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم والكفار اولياء
واتقوا الله ان كنتم مومنين وقال تعالى والذين كفروا بعضهم اولياء بعض الا تفعلوه
تكن فتنة في الارض وفساد كبير وقال تعالى يا ايها الذين امنوا لا تتخذوا اباكم واخوانكم
اولياء ان استحبوا الكفر على الايمان ومن يتولهم منكم فاولئك هم الظالمون قل ان
كان اباؤكم وابناؤكم واخوانكم وعشيرتكم واموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها
ومساكن ترضونها احب اليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فتربصوا حتى ياتي
الله بامره والله لا يهدي القوم الفاسقين وقال تعالى لا تجد قوما يومنون بالله واليوم الاخر
يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا اباءهم او ابناءهم او اخوانهم او عشيرتهم
الاية وقال تعالى يا ايها الذين امنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم اولياء تلقون اليهم بالمودة
وقد كفروا بما جاءكم من الحق يخرجون الرسول واياكم ان تومنوا بالله ربكم الاية
ومن جملتها قد كانت لكم اسوة حسنة في ابراهيم والذين معه اذ قالوا لقومهم
انا برءاء منكم ومما تعبدون من دون الله كفرنا بكم وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء
ابدا حتى تومنوا بالله وحده وختم سبحانه السورة بقوله يا ايها الذين امنوا لا
تتولوا قوما غضب الله عليهم قد يئسوا من الاخرة كما يئس الكفار من اصحاب
القبور وفي القران الكريم ما يتضمن هذا المعنى ايات كثيرة واجمع اهل الملل
والنحل على ان كل من احب محبوبا احبابا حقيقيا صادقا انه يكون محبا لكل من
يحبه ومبغضا لكل من يبغضه واذا تقرر في صحيح صريح شرعا ان كمال
الايمان متوقف على الحب لله والبغض لله واعلم ان الموالاة تختلف مراتبها
باختلاف مراتب المومنين والمطيعين وساير من يوالي في الله من العلماء والعارفين
ونحوهم ويترتب على الموالاة احكام كالزيارة في الله والسلام والمصافحة
والهدية وحسن المجالسة وادب المصاحبة وبذل الحرمة وتحصيل المصالح و
درء المفاسد وعيادة المرضى وتشييع الجنائز والشفاعات وما اشبه ذلك
وكذلك يختلف مراتب العداوة في الله بحسب اختلاف مراتب الكفار والمنافقين
والمشاقين والعاصين والمفرطين ويترتب على العداوة امور اخرى كالمجاهدة
والمرابطة والهجران والمباعدة والانكار والاغلاظ والاعراض وما اشبه ذلك
بحيث يستعمل كل منها فيما يليق به ويمعن النظر في ذلك الى ما وقع الاذن فيه من
المهادنة والتامين والتقصير بالحرمة والمعاشرة والمعاملة وما اشبه ذلك ملسه

عداوة

عداوة الكافرين بالباطن والظاهر وعداوة عصاة المومنين ينبغي ان يكون بالظاهر
وان لا يكون منها في الباطن الا كراهة عصيانهم وقبايح افعالهم ومساوي ادابهم
ونحو ذلك دون كراهة ذواتهم والتعقيب في عداوتهم بل يكون في الباطن لهم
شيء من الموالاة بسبب ايمانهم مع الحنو عليهم وطلب الصلاح لهم والدعاء لهم بالهداية
وما اشبه ذلك واذا تقرر هذا المقصد ترتب عليه مقصدان اخران احدهما
الايماء الى مدح من اعتقد محاسن العقايد والثاني الايماء الى ذم من حجب
عن ذلك والعياذ بالله ومن تامل هذا المقصد بما اشتمل عليه ظهر له استيعابه
لغالب الاحكام القرانية والسنية ثم لا يخفى على المتدبر الفهيم ما يتعلق بذلك
من الاسماء الحسنى والله سبحانه الموفق **المقصد الخامس من مقاصد**
قوله تعالى ولم يكن له كفوا احد مطالبة الخلق بالمكافاة بينهم وتعريره انه سبحانه
لما تعرف لنا بالالهية في اول السورة بقوله تعالى قل هو الله وصف الالهية
بالاحدية فقال احد ثم وصف الاحدية بالصمدية فقال الله الصمد ثم وصف
الصمدية بما بعد فقال لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا احد فقدم المكافاة
من صفات الالهية وظيفة الخلق من ذلك التعلق باعتقاد ما وجب لله سبحانه
من هذا الكمال المنفرد له الدال على فردانيته تعالى والتخلق بضده الذي هو
وصف العبيد المالوهين تحقيقا لوصف عبديتهم وتقريرا لانزواجهم المشاكلة بقوله
تعالى ومن كل شيء خلقنا زوجين فالخلق من حيث صفات فقرهم واحتياجهم متكافئون
وهم من هذه الحيثية متزاوجون واما من غير هذا الوجه فقد يوجد التكافي فيصح التزاوج
المتعلق به وقد يتخلف التكافي فلا يصح التزاوج من ذلك الوجه ومن هذه المادة اعتبرت
الكفاءة في المصاهرة من جهة الرجل لان احكام ذلك الزواج مترتبة عليه لوجوب النفقة
وصحة النسب في الاولاد وغير ذلك وكذلك تعتبر الكفاءة في حق الوظايف والمواضع وغير
ذلك مما يظهر لمن تتبعه واذا تقرر ذلك ترتب عليه مقصدان اخران وهما تفصيلان
لاجماله احدهما المكافاة في الاحسان وهو مامور به محثوث عليه والثاني المكافاة
في العدوان وهو ماذون فيه جابر لما الاذى وهو المكافاة في الاحسان فيدخل فيه
الثواب على الهدية وترعى فيه المكافاة بل والمفاضلة ولا خلاف في كون ذلك مطلوبا
شرعا متاكدا وانما الخلاف بين الايمة في وجوبه واستحبابه ويدخل فيه ايضا رد السلام
فانه مكافاة للمسلم وهو كالهدية في طلب المكافاة مع طلب المفاضلة الا ان المكافاة

فيه واجبة بلا خلاف والزيادة عليها مستحبة وإذا بلّغ مسلم سلام مسلم لمسلم وجب
الرد على المبلغ عنه واستحب معه الرد على المبلغ أيضا لما في ذلك من المكافاة لكل
منهما أما المبلغ عنه فبإرسال السلام وأما المبلغ فلتحمله له ومباشرته له ويدخل في ذلك
أيضا بر الوالدين لما فيه من مكافاتهما على حسن التربية وكذلك يدخل فيه صلة الرحم لمكافاة
على أحد ذوي قرابة الرحم ويدخل فيه أيضا طاعة العبد والأجير والجندي والزوجة ونحو
ذلك مكافاة لنعمة السيد والمستأجر والأمير والزوج ونحوهم ويدخل فيه كل مكافاة
على إحسان على الجملة والتفصيل ويدخل في ذلك أيضا دعا العاجز عن المكافاة كما قال
صلى الله عليه وسلم إذا أحسن إليكم أحد فكافيوه فإن لم تستطيعوا فادعوا له وأما الثاني
المأذون فيه وهو المكافاة على العدوان فإن الله تعالى أباح لمن اعتدي عليه أن يعاقب
المعتدي بنظير عدوانه قال تعالى فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم
واتقوا الله واعلموا أن الله مع المتقين وقال تعالى وجزاء سيئة سيئة مثلها فمن عفى وأصلح فأجره
على الله إنه لا يحب الظالمين وإلى غير ذلك من الآيات التي في هذا المعنى ويتسع النظر في هذا
إلى ساير وجوه المقاصصة في الأنفس والأعضا والأعراض والأموال ومقادير تلك
المقاصصات ومستحقيها وشروط إباحتها إلى غير ذلك مما يتعلق به وقد سبقت في هذا
التأليف على أصول مقاصد هذه السورة الكريمة من غير استقصاها بالشرح ومن غير تف
تتبع كل ما يلزم عنها من الأحكام والحكم لأني إنما قصدت إرشاد ذا الأفهام إلى مواضع الأسرار
ولمواضع الحكم الغزار وأما الكشف عن تفاصيلها فإن كان للحصر فهو مستحيل وإن كان لتفصيل
بعض المجملات مع الإكثار فهو أمر جليل وطرف الاجتهاد دعنا دركه كما ينبغي كليل ومن أراد
النظر في عجايب هذه الأسرار وغرايب عرايس الأبكار فليحصل من علوم القرآن والسنة ما
يليق بتحصيله وليركب مركب الإخلاص وليمعن النظر في سبيل التفهم بالهمة العلية الجليلة
وليسأل الله سبحانه أن يبلغه من الفهم مأموله ن وأقترح على كل من وقف على ما لفقته هذا أن
يدعو إلي بالمغفرة وبلوغ الآمال وأن يبسط العذر فيما لعله حصل من التفريط والإخلال
وحسبنا الله ونعم الوكيل وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم والحمد لله رب العالمين

تم الكتاب المبارك بحمد الله وعونه وحسن توفيقه على يد العبد الفقير الحقير المعترف
بالتقصير الراجي لطف ربه الكبير عبد الرحمن بن محمد [illegible] المكي الشافعي غفر الله له
ولوالديه ولإخوانه ولمالك هذا الكتاب ولأحبابه ولأصحابه ولمن دعا لهم بالمغفرة
والموت على الإسلام بلا محنة ولمن دعا لمؤلفه بطلب الرضى والرحمة ولجميع المسلمين والمسلمات
والمؤمنين والمؤمنات الأحياء منهم والأموات ن وكان الفراغ من نسخه يوم الأربعا المبارك
ثامن عشر جماد الآخرة أحد شهور سنة تسع وخمسين [illegible] أحسن الله عاقبتها آمين
والحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم

بسم الله الرحمن الرحيم رب يسر ياكريم
الحمد لله رب العالمين وصلواته وسلامه على سيدنا محمد خاتم النبيين وامام المرسلين
وسيد العالمين وعلى آله واصحابه اجمعين ما قول السادة الفقهاء ائمة الدين
ومصابيح المسلمين وفقهم الله تعالى للعلم والعمل وحفظهم من الزيغ والزلل في الطواف
والعمرة ايهما افضل الجواب والله اعلم بما بطن وما ظهر انه يستحب الاكثار منهما
جميعا والطواف اكثر ولا نقول بتفضيله على العمرة في جميع الاوقات بل قد تكون
العمرة افضل منه في بعض الحالات وذلك عند وجود احد ثلاثة اشياء فافهمها
ايها السائل احدها يتعلق بالقلب والثاني بالزمان والثالث بالعمل بجميع ال
الفضائل فالاول منها عند وجود قوة الداعي وارتياح الروح اليها وانشراح الصدر
فيها واجتماع القلب بها واقباله عليها مع السآمة في الطواف وكلال قوة الباعث
والفتور والثاني في رمضان في كل يوم او ما استطاع وفي غيره في كل اسبوع
او في كل شهر من الشهور على ما سياتي من التفريق بين الشهور الفاضلة وغيرها
وبين الناس في اختلاف الاحوال والثالث في كل حال بعد طول الترك لها من ب
التقصير في العمل بالفضائل والاخلال وكل فرض له تطوع من جنسه يستحب الاكثار
منه وذلك معروف فاذا ترك ذلك ترك مستحب تاركه عن فضله مصروف وكل
تعبد اشتمل على انواع من العبادة فهو بالفضيلة موصوف وقد علم ما اشتملت عليه
العمرة من انواع العبادة التي بها تتنور قلوب العابدين المتقربين بالنوافل الموصلة
الى حب الله اولي السعادة وها انا استدل على فضل تكريرها بثلاثين وجها ما بين
منقول ومعقول مما ظهر لي ثم اذكر ادلة اخرى بعد ان شاء الله استدل بها على
تفضيلها على الطواف مطلقا بعض العلماء قبلي ن الوجه الاول قوله صلى الله عليه وسلم
العمرة الى العمرة كفارة لما بينهما اخرجه اماما المحدثين البخاري ومسلم رضي الله
عنهما في صحيحيهما الثاني انه صدر من عائشة رضي الله عنها عمرتان فيما دون شهر
من الزمان بامره صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع وذلك مشهور في الحديث الصحيح
الذي ليس فيه نزاع الثالث ما روي ان عليا كرم الله وجهه كان يعتمر في كل شهر
اخرجه الامامان الجليلان الشافعي والبيهقي رضي الله عنهما الرابع ما روي عن انس
رضي الله عنه انه كان اذا حمم راسه خرج فاعتمر اخرجه البغوي في شرح السنة قلت
وقوله حمم راسه هو بالحاء المهملة قال في الصحاح وحمم راسه اذا اسود بعد الحلق الخامس

ماروي

ما روي ان عائشة رضي الله عنها اعتمرت في عام ثلث عمر اخرجه البيهقي ايضا السادس
ما روي ايضا ان عليا رضي الله عنه كان يعتمر في كل يوم قلت وكل ما نقل عن علي
كرم الله وجهه من حج او اعتمار او طواف فليس ذلك في خلافته بلا اختلاف اذ
كان فيها مشغولا بالحروب لما نشأ الخلاف السابع ما روي ان ابن عمر رضي الله عنهما
كان يعتمر في كل يوم من ايام ابن الزبير رضي الله عنهما قلت اي في ايام ولايته وممن
نقل ذلك عنهما الامام المحقق والسيد الجليل المتفق على جلالته صاحب كتاب
البيان من ائمة اصحابنا الكبار رضي الله عنه الثامن ما جاء في فضل العمرة من الاخبار
والآثار مما يغني عن ذكر ما فيه من كثرة الاشتهار وساذكر شيئا من ذلك بعد ان شاء
الله تعالى على وجه الاختصار وقد نص جماعة من ائمة اصحابنا على استحباب كثرة
الطواف والاعتمار التاسع ما سياتي في الحديث انه اذا اهل مهل هلل ما بين يديه
حتى ينقطع مبلغ التراب العاشر ان الملبي يشهد له ما سمعه من رطب ويابس
كما روي مسطورا في غير كتاب الحادي عشر دعاؤه عليه افضل الصلاة والسلام
بالرحمة للمحلقين ثلاث مرات الثاني عشر ان الاحاديث الواردة في فضل العمرة
منها ما هو مخرج في الصحيحين وما هو مصحح في غيرهما كثيرة شهيرة بخلاف احاديث الطواف
كما سياتي ذكرها فلا ينبغي ان يشتغل به على الدوام ويترك تكريرها الثالث عشر
ما ذكرت اولا من كون العمرة اشتملت على انواع من العبادة الرابع عشر ما فيها من
الخروج عن العادة التي به حصول الزيادة من ترك الملاذ والشهوات المألوفات
وغير ذلك مما يمنع منه المحرم من الرفاهات المعروفات الخامس عشر ما في ذلك
من كثرة الاعتبار بتجدد رؤية الآثار السادس عشر ما فيه ايضا من كثرة الانعزال
والاستيناس والتعدي البرية عن الناس السابع عشر ما فيه ايضا من مناجاة
الحق سبحانه وتعالى والجؤار اليه بالتلبية والدعاء الثامن عشر وجود النشاط في
النادر من العمل بخلاف الدائم المعرض للملل التاسع عشر كون الاحرام ملزما
للاتمام على مذهب كل امام العشرون ان كل عبادة فيها سر كامن له تاثير في تنوير
الباطن لا يوجد ذلك في عبادة اخرى صرح به العارفون الخبراء الحادي والعشرون
ان كل عبادتين وان كانت احداهما افضل لا ينبغي ان يهجر الاخرى ويهملها ولهذا
قال بعض العلماء الاكابر اولي الفضل المكمل تعاطي المفضول بقصد التعبد عند
هجر اكثر الناس له قد يكون افضل من تعاطي الافضل الثاني والعشرون انه قد ندب

الشرع الى العمل بجميع الفضائل واعطا كل ذي حق حقه في العاجل وذم المانع
والماطل **الثالث والعشرون** ان الموفق ياخذ من كل فضيلة وان كانت مفضولة
نصيبا وافرا ولهذا كان صلى الله عليه وسلم ياتي مسجد قبا كل سبت زائرا مع كون
مسجده المحروس اشرف واكمل والصلاة فيه ازكى وافضل **الرابع والعشرون**
ما في ذلك من كثرة التعظيم للبيت الحرام وذلك من تعظيم شعائر الله العظام المشهود
لصاحبها بالتقوى في نص القران ويدل على ما ذكرت من التعظيم المذكور ما ورد
من الدعا المشهور اللهم زد هذا البيت تعظيما وتشريفا وتكريما ومهابة وزد من
شرفه وعظمه ممن حجه او اعتمره تشريفا وتكريما وتعظيما وبرا **الخامس والعشرون**
انه يحصل له هذا الدعا المذكور من كل داع عند روية البيت على تعاقب الدهور فان
قيل ذلك يحصل لكل من حج او اعتمر مرة لكونه يصدق عليه انه حجه او اعتمره
قلت صحيح ذلك ولكن لا نعني تكرير زيادة التشريف والتكريم والبر والتعظيم من
الله الكريم الا بتكرير الحج او العمرة المذكورين لان الدعا المذكور معناه متكرر اي
وزد مشرفه ومعظمه كلما شرفه وعظمه بتكرير الحج او العمرة من المذكورات
الجميلات التي اولها التشريف واخرها البر وناهيك بفضل ذلك متكررا بحسب
تكرير الحج والعمرة لكن الحج بالاجماع لا يصح في السنة الا مرة **السادس والعشرون**
ان في التجرد للاحرام اظهار شعار المتجردين لله المريدين **السابع والعشرون**
ان في كشف الراس اظهار شعار المستغفرين المعترفين **الثامن والعشرون** ان في التلبية
اظهار شعار المقيمين على الطاعة العاكفين **التاسع والعشرون** ان في الرمل والسعي
شعار العبيد المبادرين الى طاعة المولى المسارعين **الثلاثون** ان كثرة التردد في
حمى ربع المحبوب فيه اظهار شعار المحب المومل نيل المطلوب وفي هذا المعنى
المذكور انشد عن لسان حاله واقول

لنا في حمى ربع الاحبا تردد ... عسى تنعموا يوما بوصل وتسعدوا
ولا نقطع الترداد والود والرجا ... وان طال هجر او قلونا وابعدوا

قلت فهذا ما وعدت به من الوجوه الثلاثين المذكورة في الاستدلال على فضل تكرير العمرة
مع ان ما ذكرت عن عائشة رضي الله عنها فيما تقدم من صدور العمرتين المذكورتين
منها دون شهر بامره صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح الرواية فيه وحده
لا سندا لنا كفاية **قلت** وحيث قلنا بتفضيل الطواف فهو بشرط اداءه الى

فراغ

فراغ المعتمر من عمرته وها انا اذكر شيئا مما ورد من الاخبار في فضل الطواف والاعتمار
واقتصر في كل واحد منهما على عشرة من الاحاديث المخرجة في الكتب المشهورة
من الاحاديث الواردة في فضل الطواف **الحديث الاول** ما روي عنه صلى الله عليه وسلم
انه قال ينزل على هذا البيت كل يوم وليلة عشرون ومائة رحمة ستون للطائفين
واربعون للمصلين وعشرون للناظرين اخرجه ابو ذر الهروي رضي الله عنه **الحديث**
الثاني عنه صلى الله عليه وسلم انه قال ان الله ليباهي بالطائفين ملائكته اخرجه ابو
ذر ايضا **الحديث الثالث** عنه صلى الله عليه وسلم انه قال من طاف بالبيت وروي بهذا
الحديث خمسين مرة خرج من ذنوبه كيوم ولدته امه اخرجه الترمذي رضي الله عنه
قلت وسياتي الكلام بعد ان شا الله تعالى في المراد بخمسين مرة ما هو **الحديث الرابع**
عنه صلى الله عليه وسلم انه قال من طاف بهذا البيت اسبوعا واحصاه كان كعتق رقبة
لا يضع قدما ولا يرفع اخرى الا حط الله عنه بها خطيئة وكتب له بها حسنة وان
مسحهما يعني الركنين اليمانيين كفارة للخطايا اخرجه الترمذي ايضا **الحديث الخامس**
عنه صلى الله عليه وسلم انه قال من طاف بالبيت سبعا ولا يتكلم الا بسبحان الله والحمد لله
ولا اله الا الله والله اكبر ولا حول ولا قوة الا بالله محيت عنه عشر سيئات وكتبت
له عشر حسنات ورفعت له عشر درجات الحديث اخرجه ابن ماجة رضي الله عنه
وروى ابو الوليد الازرقي رضي الله عنه في كتابه تاريخ مكة بسنده فيه عن ابن
عباس رضي الله عنهما قال حج ادم عليه السلام وطاف بالبيت سبعا فلقيته الملائكة
في الطواف فقالوا بر حجك يا ادم انا قد حججنا قبلك هذا البيت بالفي عام قال فما
كنتم تقولون في الطواف قالوا كنا نقول سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله
اكبر قال ادم فزيدوا فيها ولا حول ولا قوة الا بالله قال فزادت فيها ذلك ثم حج
ابراهيم عليه السلام بعد بنايه البيت فلقيته الملائكة في الطواف فسلموا عليه
فقال لهم ما كنتم تقولون في طوافكم قالوا كنا نقول قبل ابيك ادم سبحان الله والحمد لله
ولا اله الا الله والله اكبر فاعلمناه بذلك فقال زيدوا فيها ولا حول ولا قوة الا بالله
فقال ابراهيم زيدوا فيها العلي العظيم قال ففعلت الملائكة **الحديث السادس**
عن ابن عمر رضي الله عنه قال كان احب الاعمال الى النبي صلى الله عليه وسلم اذا قدم
مكة الطواف بالبيت اخرجه ابو ذر الهروي **الحديث السابع** عن انس رضي الله عنه
قال طفنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في مطر فلما فرغنا قال استانفوا العمل فقد غفر لكم

اخرجه الدارقطني وابن ماجة رضي الله عنهما ن الحديث الثامن عن ابن عباس رضي الله
عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من طاف حول البيت اسبوعا في يوم صائف
شديد الحر واستلم الحجر في كل طواف من غير ان يؤذي احدا وقل كلامه الا بذكر
الله تعالى وفي رواية وقارب بين خطاه وقل خطاه وغض بصره كان له بكل قدم
يرفعها ويضعها سبعون الف حسنة ويمحى عنه بكل خطوة يرفعها ويضعها سبعون
الف سيئة ويرفع له سبعون الف درجة اخرجه ابو سعيد المفضل بن محمد الجندي
بفتح الجيم والنون رضي الله عنه وذكره الحسن البصري ايضا رضي الله عنه في رسالته
وزاد فيه حاسرا عن راسه وزاد الجندي ايضا في روايته فضائل كثيرة عظيمة
حذفتها ن الحديث التاسع عنه صلى الله عليه وسلم انه قال استمتعوا من هذا البيت
فانه هدم مرتين ويرفع في الثالثة اخرجه ابن حبان بكسر الحا المهملة وبالبا الموحدة
رضي الله عنه ن الحديث العاشر روي عن عمرو بن شعيب عن ابيه عن جده رضي الله
عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا خرج المرء يريد الطواف بالبيت اقبل يخوض
في الرحمة فاذا دخله غمرته ثم لا يرفع قدما ولا يضع قدما الا كتب الله له بكل قدم
خمسمائة حسنة وحط عنه خمسمائة سيئة ورفع له خمسمائة درجة فاذا فرغ
من طوافه وصلى ركعتين دبر المقام خرج من ذنوبه كيوم ولدته امه ذكره الامام
محب الدين الطبري رضي الله عنه قلت ورواه ابو الوليد الازرقي في تاريخ مكة ه
وزاد فيه فضائل اخرى عظيمة ن ومن الاحاديث الواردة في فضل العمرة
الحديث الاول عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم العمرة
الى العمرة كفارة لما بينهما والحج المبرور ليس له جزاء الا الجنة اخرجاه في الصحيحين
الحديث الثاني عن جماعة من الصحابة رضي الله عنهم قالوا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
عمرة في رمضان تعدل حجة وفي رواية حجة معي اخرجاه في الصحيحين ايضا الحديث
الثالث عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
تابعوا بين الحج والعمرة فانهما ينفيان الفقر والذنوب كما ينفي الكير خبث الحديد
والذهب والفضة الحديث اخرجه الترمذي وقال حسن صحيح الحديث الرابع
عنه صلى الله عليه وسلم انه قال جهاد الكبير والصغير والضعيف الحج والعمرة اخرجه
النسائي رضي الله عنه ن الحديث الخامس عنه صلى الله عليه وسلم انه قال وفد الله
ثلاثة الغازي والحاج والمعتمر اخرجه النسائي ايضا ن الحديث السادس عنه

صلى الله عليه وسلم

صلى الله عليه وسلم انه قال الحجاج والعمار وفد الله ان سالوا اعطوا وان دعوا اجيبوا وان
انفقوا اخلف عليهم والذي نفس ابي القاسم بيده ما اهل مهل ولا كبر مكبر على شرف من
الاشراف الا هلل ما بين يديه وكبر بتكبيره حتى ينقطع التراب اخرجه الرازي رضي الله عنه
وفي رواية الترمذي ما من مسلم يلبي الا لبى من على يمينه وشماله من حجر او شجر او
مدر حتى ينقطع الارض من هاهنا وهاهنا الحديث السابع عنه صلى الله عليه وسلم انه قال
من مات في هذا الوجه من حاج او معتمر لم يعرض ولم يحاسب وقيل له ادخل الجنة اخرجه
الدارقطني ن الحديث الثامن عنه صلى الله عليه وسلم انه قال ما من محرم يضحى لله تعالى ه
يومه يلبي حتى تغيب الشمس الا غابت بذنوبه فعاد كيوم ولدته امه اخرجه بن
ماجة الحديث التاسع عنه صلى الله عليه وسلم انه قال من خرج حاجا او معتمرا فمات
كتب الله اجره الى يوم القيامة اخرجه ابو ذر الهروي ن الحديث العاشر عن
عمر رضي الله عنه انه استاذن النبي صلى الله عليه وسلم في العمرة فاذن له وقال لا تنسنا
من دعائك او اشركنا في دعائك اخرجه ابو داود وابو ذر رضي الله عنهما ن وروى
ابو ذر ايضا عن علي وابن عباس رضي الله عنهم ان يوم الحج الاكبر يوم النحر والحج الاصغر
العمرة قلت فهذا ما اقتصرت عليه من ذكر الاحاديث الواردة في فضل الطواف
والعمرة والحديث يعمل به ما لم يكن موضوعا وان لم يعلم له صحة ولا شهرة لكن في
الترغيب والترهيب واما الاحكام فبالصحيح والحسن الذي هو منه قريب وليس في
الاحاديث المذكورة في فضل الطواف شيء في الصحيحين بخلاف الاحاديث التي في
فضل العمرة كما ترى وقد اشرت الى ذلك فيما مضى وانه من جملة الادلة على استحباب
تكثير العمرة وانه ينبغي ان يتعاهد واقل ذلك في الشهر مرة قلت وما ذهبت
اليه من كون الطواف افضل من العمرة في غالب الاوقات والعمرة افضل منه في بعض
الحالات ثم فسرت ذلك بوجود احد الثلاثة الاشيا المذكورات المتقدمات ٥
هو الذي اقول به الان وفيما تقدم واراه ارجح من غيره والله سبحانه اعلم وهو كالمتوسط
بين قولين اخرين قال بكل منهما قائلون قديما وحديثا وافترقا احدهما الطواف افضل
من العمرة والثاني العمرة افضل مطلقا واحتج للقول الاول باوجه احدها ان ه
الطواف بالبيت صلاة والصلاة افضل الاعمال لقوله صلى الله عليه وسلم خير اعمالكم ه
الصلاة والثاني ان الطواف يفعل في افضل مكان والعبادة تفضل بالمكان كما تفضل
بالزمان والثالث ما روي انه صلى الله عليه وسلم كان احب الاعمال اليه اذا قدم مكة

الطواف بالبيت وكان صلى الله عليه وسلم في حجته يفيض الى البيت كل ليلة وفي بعض الايام ولم ينقل عنه صلى الله عليه وسلم انه اعتمر في عامه ذلك واحتج للقول الثاني ايضاً باوجه **احدها** ان العمرة اشق من الطواف وقد قال صلى الله عليه وسلم اجرك على قدر نصبك **قلت** يعني قوله صلى الله عليه وسلم لعائشة رضي الله عنها في الحديث الصحيح لما امرها ان تعتمر من التنعيم ولكنها على قدر نفقتك او نصبك **والثاني** ان العمرة تسمى الحج الاصغر **والثالث** انها في وقت بعد الحج معه صلى الله عليه وسلم واما ما ذكر من كونه صلى الله عليه وسلم لم يعتمر في الزمن المذكور ولانه كان مشغولاً بمهمات الامور **قلت** وكذا الصحابة رضي الله عنهم اجمعين كانوا عن كثرة الاعتمار مشغولين بالجهاد والرباط وغيرهما من مهمات الدين **قلت** واذا ذكرنا الافضل من الطواف والعمرة وما في ذلك من الخلاف فلنذكر ايضا الافضل من الصلاة والطواف فان الحاجة الى بيان ذلك ايضاً داعية وبفضلهما تنال الدرجات العالية ن **اعلم** ان في الافضل منهما اربعة اوجه **احدها** ان الصلاة افضل مطلقاً لقوله صلى الله عليه وسلم استقيموا ولن تحصوا واعلموا ان خير اعمالكم الصلاة وغير ذلك من الاحاديث الواردة في فضلها ولانها تنهى عن الفحشاء والمنكر وهذا يدل على عظيم فضلها وجلالة قدرها وشرفها ولانها ايضاً اشتملت على وصف كثرت به الاعلى الخاشعين وقد مدحها الله العظيم بالوصفين المذكورين في محكم القرآن الكريم ولانها ايضاً تجمع من القرب والطاعات ما لا يوجد في غيرها من سائر العبادات والوجه **الثاني** ان الطواف افضل مطلقاً لقوله صلى الله عليه وسلم لما اخبر عن المائة والعشرين الرحمة التي تنزل على البيت في كل يوم وليلة ستون للطائفين واربعون للمصلين وعشرون للناظرين ولقوله صلى الله عليه وسلم من طاف بالبيت خمسين خرج من ذنوبه كيوم ولدته امه وغير ذلك من الاحاديث الواردة في فضل الطواف **قلت** وقد استدل مستدل ايضاً بما تقدم من كونه كان صلى الله عليه وسلم احب الاعمال اليه اذا قدم مكة الطواف بالبيت فينبغي ان يعارض بما هو اصح من ذلك واشهر واجل قدراً واكبر وهو قوله صلى الله عليه وسلم وجعلت قرة عيني في الصلاة ويكون ذلك راجعاً الى الوجه الرابع وما فيه من التفريق بين الغرباء والمقيمين في الموضع ن والوجه **الثالث** انهما سواء لقوله صلى الله عليه وسلم الطواف بالبيت صلاة الا ان الله تعالى اباح فيه الكلام **قلت** وهذا الكلام وان كان مباحاً فالاولى تركه الا لضرورة

اوحاجة

اوحاجة او مصلحة وقد ذكرت وهو اذا كان لغير هذه المذكورات او كان الكلام في نفسه مكروها في غير الطواف بل تشتد كراهته والحالة هذه ومعلوم انه اذا كان حراما في غير الطواف انه فيه اشد تحريما اذ في ذلك انتهاك الحرمة وتجرؤ وسوء ادب في الحضرة وقد سمع بعضهم الكعبة وهو الحجر تشكو الى جبريل عليه السلام كلام الطائفين وذلك ما روي مسنداً الى السيد الكبير الولي الشهير وهيب بن الورد رضي الله عنه انه قال كنت اطوف انا وسفيان الثوري بالبيت ليلاً فانقلب سفيان وبقيت في الطواف فدخلت الحجر وصليت تحت الميزاب فبينا انا ساجد اذ سمعت كلاماً بين استار البيت والحجارة وهو يقول يا جبريل اشكو الى الله ثم اليك ما يفعل هؤلاء الطائفون حولي من تفكههم في الحديث ولغطهم وسهوهم قال وهيب فاولت ان البيت شكى الى جبريل عليه السلام انتهى ن **قلت** وقد اخر علي رضي الله عنه في سؤال الجواب حتى فرغ من الطواف وركع ثم استدعى بالسائل وهو في الحجر محصر ثم اجابه وسلم انسان على ابن عمر رضي الله عنهما وهو في الطواف فلم يسمعه رد عليه فشكاه الى بعض اصحابه فقال انا كنا نتراءى الله في ذلك المكان **قلت** وفي هذا دليل واضح لارباب القلوب اهل المشاهدة من الصوفية العارفين بالله تعالى وقد اوضحت معنى المشاهدة في غير هذا الكتاب وهذا المذكور عن علي وابن عمر رضي الله عن الجميع هو حسن منهما لاستغراقهما ولا يحسن من غيرهما الا بغيبة واستغراق تام في رد السلام واما **الجواب** فيما ذكرناه وبخوف طول الخطاب ما لم تمس الضرورة الى تعجيله والله اعلم بالصواب ٥ وفي حديث اخر قال صلى الله عليه وسلم الطواف حول البيت مثل الصلاة الا انكم تتكلمون فيه فمن تكلم فيه فلا يتكلم الا بخير **وروي** الازرقي عن ابراهيم بن ميسرة قال كنت اطوف مع طاوس فسألته عن شيء فقال الم اقل لك قلت لا ادري قال الم اقل لك ان ابن عباس قال ان الطواف صلاة فاقلوا فيه الكلام **وروي** ايضاً عن ابن جريج قال قال عطاء من طاف بالبيت فليدع الحديث كله الا ذكر الله وقراءة القرآن ن **وروي** ايضاً عن علقمة انه قدم مكة وطاف سبعاً فقرأ فيه بالسبع الطول ثم طاف سبعاً اخر فقرأ فيه بالمئين ثم طاف اخر فقرأ بالمثاني وفي رواية ثم طاف سبعاً اخر فقرأ بالحواميم ثم طاف سبعاً فقرأ الى اخر القرآن **وروي** ايضاً عن جماعة من علماء السلف انهم نهوا عن القيام في الطواف للحديث وانكروا ذلك بكرة شديدة

حواشي

وقال بعضهم لما رأى ناسا قياما يتحدثون فيه انهدم الطواف اندية قلت يعني بالاندية المجالس التي يجتمع فيها للتحدث وهي جمع نادٍ قال الله عز وجل وتأتون في ناديكم المنكر وقال تعالى فليدع ناديه اي اهل ناديه ٥ والوجه الرابع يفرق بين المقيمين والغرباء فالافضل للمقيمين الصلوة وللغرباء الطواف اذ هو عبادة شريفة لا توجد في مكان ليس فيه الكعبة قلت ومما يحتج به لهذا الوجه ما قدمت من كونه روي عنه صلى الله عليه وسلم انه كان احب الاعمال اليه اذا قدم مكة الطواف بالبيت قلت وعلى هذا الوجه ينبغي ان يكون الغالب على المقيمين الصلوة مع عدم اهمال الطواف بالكلية وعكسه الغرباء يكون الغالب عليهم الطواف مع عدم اهمال الصلوة اعني صلوة زائدة على صلوة الطواف المشروعة تكون في الخلوات في بعض الاوقات فتلك هي الصلوة المحبوبة المندوبة لقوله صلى الله عليه وسلم افضل صلاة المرء في بيته الا المكتوبة ٥ قلت وهذا عام في مكة والمدينة وغيرهما فانه صلى الله عليه وسلم قال لاصحابه رضي الله عنهم صلوا في بيوتكم فان افضل صلوة المرء في بيته الحديث لما اجتمعوا للصلاة في مسجده في بعض ليالي رمضان نعم نقل عن بعض ائمة اصحابنا الكبار وهو القاضي ابو الطيب الطبري رضي الله عنه انه قال ان وجدت خلوة في المسجد الحرام فالصلوة فيها افضل من البيت والا فالبيت افضل قلت وهذا حسن وعلى كل حال لا ينبغي ان يترك صلاة النفل في المسجد الحرام بالكلية وان كانت الصلوة في بيته افضل لما في المسجد الحرام من الخير والرحمة والبركة واجتماع خواص عباد الله من الملائكة والاولياء حول الكعبة وخصوصا في الحجر وعند باب الكعبة وخلف المقام المعظم وكذا لا يترك بالكلية في مسجده صلى الله عليه وسلم وخصوصا في الروضة الشريفة وكذا في المسجد الاقصى وخصوصا عند الصخرة المباركة والله اعلم قلت وقد رأيت ان اذكر هنا شيئين احدهما يتعلق ببعض الاحاديث المتقدمة والثاني يتعلق باجتماع خواص عباد الله المباركين المذكورين في الامكنة المباركة المذكورة ٥ المتعلق الاول اعلم ان اربعة احاديث مما ذكرت يحتاج الى بيان المراد بها ٥ الحديث الاول قوله صلى الله عليه وسلم تابعوا بين الحج والعمرة الحديث فما حقيقة هذه المتابعة ٥ الحديث الثاني قوله صلى الله عليه وسلم العمرة الى العمرة كفارة لما بينهما والحج المبرور ليس له جزاء الا الجنة هل هذا التكفير عام في جميع الذنوب ام المراد به ذنوب مخصوصة وما الحكم اذا لم يصادف ذنوبا او كانت الذنوب قليلة وما معنى المبرور ٥ الحديث الثالث قوله

صلى الله عليه وسلم ينزل على هذا البيت كل يوم وليلة عشرون ومائة رحمة الحديث كيف تنقسم الرحمة المذكورة على احاد الاصناف الثلاثة المذكورين هل يستوون في القسمة ام يتفاوتون واذا تفاوتوا فهل التفاوت بكثرة الاسابيع والركعات ام بطول الزمان المستغرق فيها ام بغير ذلك من الصفات ٥ الحديث الرابع قوله صلى الله عليه وسلم من طاف بالبيت خمسين مرة الحديث ويحتاج في هذا الحديث الى بيان شيئين ٥ احدهما قوله خمسين مرة ما المراد بالخمسين المذكورة هل هي خمسون اسبوعا ام خمسون شوطا والثاني اذا ثبت او ترجح انها خمسون اسبوعا فهل ذلك من الموالاة بين جميعها في وقت ام لا يضر تفريقها في اوقات ام في جميع العمر وها انا اشير الى ما ظهر لي في جميع ذلك الان فاقول وبالله التوفيق وهو المستعان ٥ اما الحديث الاول فيظهر لي فيه اربعة احتمالات اقرب وابعد ومتوسطان ٥ فالاقرب في الزمان الذي يجوز فيه الاعتمار عند كل فريق هو الاقرب في الاحتمال الى نيل الافضل والحلاوة والتوفيق ٥ وهو ان يعتمر اذا غابت الشمس من اخر ايام التشريق ٥ وفي تلك الليلة اعتمرت بامره صلى الله عليه وسلم ابنة الصديق رضي الله عنهما ٥ وبعد تلك الليلة يوما قريب في الفضيلة منها ويجوز قبل ذلك عند نا ٥ بعد النفر من منى ٥ والابعد في الاحتمال والزمان ونيل نفي الذنوب والغفر ٥ ان يعتمر في اخر الشهر ٥ واول الاوسطين وهو الثاني في الزمان والاحتمال والفضيلة ٥ ان يعتمر بعد ايام التشريق بيوم وليلة يتفرغ فيهما من علائق السفر ويزول ما يعرض فيه من تعب او ضجر وبعض مهام من الحوائج والدين مما به تقر العين والثاني من الاوسطين وهو الثالث في الاحتمال والزمان ونيل الفضيلة والاكرام ٥ ان يعتمر النافر من منى قبل مضي ثلاثة ايام لان الشرع قد حكم بالانظار في اشياء مشهورة مثل مهل المدة المذكورة لطفا من الرحمن الجواد ورفقا منه تعالى بالعباد ٥ ضربها الامهال اجلا لكونها مثله قريبة ٥ يطرقها الخصم خصمه والحبيب حبيبه ٥ فان طلبت معرفة مثال في ذلك قد عرفناه ٥ فانظر في النكاح تجد قد حواه طرفاه ٥ اعني الامهال في ابتدائه مع السرور للزفاف والانضمام ٥ وفي انتهائه للشرور للاعسار والانفصال ٥ وقد تقدم ذكر الاحتمال الرابع ٥ الذي هو في الفضيلة والزمان والنظر النائي الشاسع قلت ويكاد يحرم انقداح نظر يلوح في وقت سنا بارقه من خلال سحاب الافكار ٥ في جو سماء الافكار ٥ ويستره في غيم غين القلب الذي يوقفه

فلا نتراكم بان ما زاد على الايام الثلاثة المذكورة خارج عن حد المتابعة والله اعلم
واما الحديث الثاني فالذنوب المتعلقة بمظالم العباد لا تدخل في التكفير المذكور
ولا في غيره الى يوم المعاد. اللهم هب لنا حقك وارض عنا خلقك. واما غيرها فقد دخل
جميع الصغائر وعلى توقف في الكبائر. ويحتمل ان يفرق بين المتقين وغيرهم من
المصرين على الفجور والاثام. وبين المحتمين من المتنسين السفر لها من الافاق البعيدة
وغيرهم من الغرس وجيران المسجد الحرام. واما اذا لم تصادف العمرة على المحرم بها
شيئا من السيئات. وهذا نادر عزيز فانه تكتب له بها حسنات. فان كانت ذنوبه
قليلة لكفرها بعض حسنات عمرته وما بقي من حسناتها تكتب له في صحيفته. وقد
علم ان الحسنات مضاعفة نطق بذلك الكتاب والسنة. وخصوصا حسنات الحرم
فقد ورد ان الحسنة فيه بمائة الف حسنة. فمن عليه من السيئات دون حسنات
العمرة المضاعفات. فلا شك انه يبقى له بعض حسناتها بعد تكفير السيئات. والا لزم
من عليه سيئة واحدة لكنها لا تستغرق مائة الف حسنة او عشر حسنات مثلا
وهذا باطل لا يقوله عاقل. وقد تحرر الكلام في التكفير وتم. والله سبحانه اعلم.
واما الحج المبرور فقد اختلف العلماء في معناه فقيل المبرور ما لا يخالطه ماثم.
وقيل ان يعود صاحبه خيرا مما كان. وقيل ان يعود زاهدا في الدنيا راغبا في
الاخرة والله اعلم. قلت والظاهر ان القول الاول اصح وارجح فيما اراه وافهمه
ويدل على ذلك قوله صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح الذي شاع في العالمين علمه.
من حج هذا البيت فلم يرفث ولم يفسق رجع كيوم ولدته امه. واما الحديث
الثالث فالظاهر والله اعلم ان المائة والعشرين الرحمة منقسمة على جميع اجزاء
اليوم والليلة فما اصاب جزء انقسم على الثلاثة الاصناف الموجودين في ذلك
الجزء بحسب ما ورد في الحديث من تفاوت الانصبا والاختلاف بقسمة الفضل
والعدل والالاء والالطاف. واما احاد الاصناف اعني بالنظر والصلوة
والطواف فالظاهر والله اعلم انهم يتفاوتون تفاوتا كثيرا فيه يتباينون فيه
بحسب الحضور والخضوع والتعظيم والخشوع. وبطول الزمان مع قلة الدورات
دون كثرة الاسابيع والركعات. اللهم الا من وفى العدد الذي ندب اليه صلى الله عليه وسلم
في زمن قصير فانه قد اتى بافضل مما اتى به من لم يوف ذلك في زمن طويل مع
تساويهما في الحضور وسائر الصفات الجميلة. لان ما ندب اليه صلى الله عليه وسلم

معلوم فيه

معلوم فيه كمال الفضيلة. واما الحديث الرابع ففي المراد بخمسين مرة احتمالان احدهما
خمسون اسبوعا والثاني خمسون شوطا قلت والظاهر والله اعلم ان الاحتمال الثاني
اصح انه لم يرد في ذلك سوى اللفظ المذكور في الحديث المشهور وقد صحح بعض العلما
الاحتمال الاول وذكر انه قد روي ذلك عن ابن عباس رضي الله عنهما قلت فان صح
ذلك من تاويل ابن عباس نفسه فهو اصح وان صح مرفوعا الى النبي صلى الله عليه وسلم
تعين القطع به والمصير اليه. وحمل حديث خمسين مرة عليه. وعلى الاحتمال الثاني
يكون الشوط الزائد على السبعة الاسابيع عبادة صحيحة ورد الشرع بها قلت فعلى
هذا في التعبد بشوط واحد مطلقا ثلاثة احتمالات احدها لا يجوز مطلقا للاحتمال
الاول وهو خمسون اسبوعا اذ لم يرد في الشوط الواحد اذن في الشرع ولا له اصل
اصلا على هذا الاحتمال والثاني يجوز مطلقا للاحتمال الثاني فيما ورد فيه الشرع
اعني في الخمسين الشوط المذكورة وفيما لم يرد فيه قياسا في سائر الاحوال والثالث
يجوز فيما ورد فيه دون غيره لاحتمال ان يكون اذن فيه الشارع صلى الله عليه وسلم
لكمال الخمسين الشوط للسر وحكمه في الخمسين دون غيرها هذا ما ظهر لي في ذلك
والله اعلم. مع ان التعبد بشوط واحد ليس له اصل في الشرع كما ذكرت سوى
هذا الحديث في احد احتماليه ومنه تطرق النظر الى الاحتمالات الثلاثة مع كونها
بعيدة لولا الحديث المشار اليه قلت وهذا بخلاف التعبد بركعة واحدة
فان الشرع قد ورد بذلك في الوتر فجاز التطوع بركعة واحدة قياسا عليه.
قلت واما على الاحتمال الاول فلا شك ان الافضل الاكمل ان ياتي بالخمسين
الاسبوع متوالية بحسب الامكان وطاقته فان فرقها فقد روي عن ابن عباس
رضي الله عنهما ان المراد ان يوجد ذلك في صحيفته قلت ومقتضى هذا انه يحصل
ذلك مع التفريق في جميع عمر الطائف فان صح ذلك عنه مرفوعا الى النبي صلى الله
عليه وسلم تعين القول به ولم يكن له مخالف. وان قاله نظرا منه في تاويل الحديث
المذكور ترجح القول به لان نظره ارجح من نظرنا. وهو اعرف بمراد الرسول صلى الله
عليه وسلم منا. ودعى له صلى الله عليه وسلم بعلم التاويل دوننا. وان لم يصح عنه شيء من
ذلك نظر فيه. فان كان له نظير معروف حكمه في ذلك قيس عليه. والا فعندي
فيه احتمالان احدهما ان ذلك كقوله صلى الله عليه وسلم من قال سبحان الله وبحمده في يوم
مائة مرة الحديث الصحيح المشهور المعظم. لان في صعود الحفظة الكرام عليهم السلام بالعمل

جملة واحدة مزية وفضيله افضل واجل ولدا من التفريق واعظم والثاني في جميع
العمر والاحوط الافضل الاكمل فلا نعلم والله سبحانه اعلم المتعلق الثاني
قلت وهما اشتهر من اجتماع خواص عباد الله المباركين المذكورين ارباب المواهب
والبركات المشهورة في الامكنة الشريفة المباركة المذكورة مما روي عن كثير من
المشايخ السادات المصطفين من العباد ما سياتي ذكره محذوف الاسناد من ذلك
ما روي عن بعضهم قال كنت جالسا ومعي جماعة من الصالحين بمكة وفينا رجل هاشمي
فغشي عليه فلما افاق قال اما رايتم ما رايت قلنا ما راينا شيئا قال رايت الليلة نفر
يطوفون حول الكعبة فقلت لهم من انتم قالوا الملايكة قال ودخلت في وقت فيه بيت
المقدس بالليل فبت فيها فبينما انا قايم اصلي اذا انشقت القبة بصفين فبقيت مشقوقة
حتى ابصرت السما فنزل منها خلق لا يحصي عددهم الا الله تعالى وهم يقولون سبحانه
هو هو سبحان من لبس الاهوا هيبا سنر اهيبا فلم يزالوا يقولون هذا الى ان كان اخر
الليل فقال لي واحد منهم كان الى جنبي ما قصتك قلت احببت ان اصلي في هذا الموضع
بالليل من انتم قالوا نحن الملايكة دخلنا امس البيت المعمور ولا نعود اليه الى يوم
القيمة وذلك انه يدخله كل يوم سبعون الفا من الملايكة لا تعود نوبتهم الى يوم القيمة
فاذا دخلوا في يومهم مضوا في تلك الليلة الى البيت المقدس والى الصخرة ثم يمضون
الى بيت الله الحرام فيطوفون به اسبوعا ويصلون خلف المقام ركعتين ثم يمضون الى
المدينة فيسلمون على النبي صلى الله عليه وسلم ثم يرجعون الى مصامهم قال فلما صعدوا انضمت
القبة قلت وقد روي انه ينزل كل ليلة سبعون الف ملك يطوفون بالكعبة
المعظمة ومثلهم يحفون بقبر النبي صلى الله عليه وسلم المشرف المكرم وروي ايضا انه
ما من ملك ينزل الى الارض لامر الا ويبدا بالطواف بالكعبة بعد ان يستاذن ربه
في ذلك ويهبط مهللا وعن بعض الصالحين قال كنت جالسا في بيت المقدس عند برج
سليمان صلى الله عليه وسلم يوم الجمعة بعد العصر فاذا انا برجلين يشبه احدهما
خلقتنا والاخر طويل عظيم الخلق عرض جبهته اكثر من ذراع وكان فيها ضربة قد
خيطت فجلس الذي يشبهنا عندي وسلم علي وجلس الاخر بعيدا منا فقلت له من
انت رحمك الله قال انا الخضر قلت ومن ذلك الرجل قال اخي الياس فداخلني ما يداخل
مثلي فقال لي لا باس عليك نحن نحبك ثم قال لي من صلى العصر يوم الجمعة ثم استقبل القبلة و
قال يا الله يا رحمن الى ان تغيب الشمس ثم سال الله عز وجل شيا اعطاه فقلت له انستني

اسئلك الله بذكره كل ولي في الارض تعرفه قال المعدودين قلت وما معنى المعدودين
قال انه لما قبض النبي صلى الله عليه وسلم شكت الارض الى ربها سبحانه وتعالى فقالت
بقيت لا يمشي علي نبي الى يوم القيمة فاوحى الله عز وجل اليها اني ساجعل من هذه
الامة رجالا قلوبهم على قلوب الانبيا عليهم السلام ثم ذكر النجبا والنقبا والعرفاء
والاوتاد والقطب وعددهم قلت ثم ذكر كلاما يطول ذكره هنا وقد اوضحت
ذلك عنه وعن غيره في خاتمة كتاب نشر المحاسن الغالية في فضل مشايخ الصوفية
ومقاماتهم العالية قال ثم قام فقمت معه فقال لي الى اين قلت امشي معك فقال لا
سبيل الى ذلك فقلت الى اين تقصد فقال وما تريد من ذلك فقلت اصلي فيه اتبرك به
فقال اني اصلي الغداة بمكة ثم اجلس في الحجر عند الركن الشامي الى ان تطلع الشمس ثم
اطوف بالبيت سبعا ثم اصلي خلف المقام ركعتين ثم اصلي الظهر بالمدينة والعصر ببيت
المقدس والمغرب بطور سينا والعشا على سد ذي القرنين ثم لا ازال احرس الى الغداة
عليه وعلى جميع المذكورين السلام قلت وقد اقتصرت على هذا القدر في فضل الامكنة
الثلثة الشريفة المباركة ومما يختص بمكة حرسها الله تعالى ما روي عن قطب مقامات
اليقين وحجة الله على العارفين سهل بن عبد الله رضي الله عنه انه قال مخالطة الولي
للناس ذل وتفرده عز قل ما رايت وليا لله الا منفردا ان عبد الله بن صالح كان
رجلا له سابقة وموهبة جزيلة وكان يفر من الناس من بلد الى بلد حتى اتى مكة
فطال مقامه بها فقلت له لقد طال مقامك بها فقال لي لم لا اقيم بها ولم ار بلدا انزل فيه
من الرحمة والبركة اكثر من هذا البلد والملايكة تغدو فيه وتروح واني ارى فيه
اعاجيب كثيرة وارى الملايكة يطوفون بالبيت على صور شتى لا يقطعون ذلك ولو قلت
كل ما رايت لصغرت عنه عقول قوم ليسوا مومنين فقلت له اسالك بالله الا ما اخبرتني
بشي من ذلك فقال ما من ولي لله تعالى صحت ولايته الا وهو يحضر هذا البلد في كل ليلة
جمعة لا يتاخر عنه فمقامي هاهنا لاجل من اراه منهم ولقد رايت رجلا يقال له
مالك بن القسم الجبلي وقد جاء وبيده غمرة فقلت له انك قريب عهد بالاكل فقال لي
استغفر الله فاني منذ اسبوع لم اكل ولكن اطعمت والدتي واسرعت لالحق صلوة الفجر
وبينه وبين الموضع الذي جا منه تسعماية فرسخ فهل انت مومن بذلك قلت نعم قال
الحمد لله الذي اراني مومنا انتهى قلت وقدر تسعماية فرسخ ماية مرحلة وسبع عشرة
مرحلة وذلك مسيرة ثلثة اشهر وسبعة وعشرين يوما بمجرد سير النهار وقد

اخبرني بعضهم انه يرى حول الكعبة الملايكة والانبيا والاوليا على الجميع السلام والكثر ما يراهم ليلة الجمعة وليلة الاثنين وليلة الخميس ٥ واخبرني بعض شيوخ اليمن ممن لم يلبس الخرقة من شيخه حتى امره النبي صلى الله عليه وسلم بلبسها وقال له نحن الذين البسناك لا هو انه راى يوما بعد صلوة الصبح وهو بمكة شيخنا الشيخ الكبير العارف بالله علي بن عبد الله الطواشي نسبا الشافعي الصوفي مذهبا رضي الله عنه متصرفا من الكعبة الى حجرة بلال وخلفه رجل اسمر وانه مر بجنبه وسلم عليه مشيرا باصبعه متبسما في وجهه واخبرني ايضا انه كان مع شيخنا المذكور في ايام بدايتهما في بعض سواحل اليمن وكان ياتي الى شيخنا في جوف الليل ثلثة احدهم الخضر عليه السلام ٥ واخبرني ايضا بعض الاوليا اهل النورانية رايته من المسجد الاقصى الخضر عليه السلام يطوف بالكعبة المعظمة فلما فرغ وقف عند باب الكعبة حتى فرغ بعض الناس من طوافه ممن اعرفه وتوجه الى المقام ليصلي فامسكه الخضر من خلفه فالتفت اليه فساله الخضر عن شي فقال له نعم نعم مرتين او قال ثلاثا قال وكان اذ ذاك على الخضر جبة خضراء وعن الشيخ ابي سعيد الخراز رضي الله عنه قال كنت بمكة فجزت يوما بباب بني شيبة فرايت شابا حسن الوجه ميتا فنظرت في وجهه فتبسم في وجهي وقال يا ابا سعيد اما علمت ان الاحبا احيا وان ماتوا وانما ينقلون من دار الى دار رضي الله عنه ٥ وعن الشيخ ابي يعقوب السوسي رضي الله عنه قال جاني مريد بمكة وقال يا استاذ انا غدا اموت وقت الظهر فخذ هذا الدينار واحفر لي بنصفه وكفني بنصفه فلما كان الغد وقت الظهر جاء فطاف ثم تباعد ومات فغسلته فلما وضعته في اللحد فتح عينيه فقلت له احياة بعد الموت فقال انا حي وكل محب لله حي رضي الله عنه وعنهم وعن بعضهم قال كنت بمكة فرايت فقيرا يطوف بالبيت فاخرج من جيبه رقعة ونظر فيها فلما كان في اليوم الثاني والثالث فعل مثل ذلك فطاف في يوم من الايام ونظر في الرقعة وتباعد قليلا وسقط ميتا فاخرجت الرقعة من جيبه فاذا فيها مكتوب واصبر لحكم ربك فانك باعيننا رضي الله عنه وعن ساير الصالحين ٥ وعن ابي سعيد الخراز ايضا رضي الله عنه قال دخلت المسجد الحرام فرايت فقيرا عليه خرقتان يسال شيا فقلت في نفسي مثل هذا كل على الناس فنظر الي وقال واعلموا ان الله يعلم ما في انفسكم فاحذروه فاستغفرت في سري فناداني وهو الذي يقبل التوبة عن عباده ويعفوا عن السيئات ٥ وعن بعض الصالحين قال رايت في الطواف غلاما شابا نحيف الجسم دقيق الساقين وهو يقول

واشتوقاه

واشوقاه لمن يراني ولا اراه فقلت له من هو فانشد

ولي حبيب بلا كيف ولا شبه • ولي مقام بلا ربع ولا خيم

اتيت من دار عشق لا امثلها • من عند من لم اطق سر حاله بفم

ثم غشي عليه زمانا فحركناه فوجدناه قد مات رضي الله عنه ٥ وعن مالك ابن دينار رضي الله عنه قال خرجت حاجا الى بيت الله الحرام واذا بشاب يمشي في الطريق بلا زاد ولا ما ولا راحلة فسلمت عليه فرد علي السلام فقلت له ايها الشاب من اين قال من عنده قلت والى اين قال اليه قلت واين الزاد قال عليه قلت ان الطريق لا يقطع الا بالما والزاد فهل معك شي قال نعم قد تزودت عند خروجي خمسة احرف قلت وما هذه الخمسة الاحرف قال قوله تعالى كهيعص قلت وما معنى كهيعص قال اما قوله كاف فهو الكافي واما الها فهو الهادي واما اليا فهو المووي واما العين فهو العالم واما الصاد فهو الصادق فمن كان صاحبه كافيا وهاديا ومؤويا وعالما وصادقا لا يضيع ولا يخشى ولا يحتاج الى حمل الزاد والما قال مالك فلما سمعت هذا الكلام نزعت قميصي على ان البسه اياه فابى ان يقبله فقال ايها الشيخ العري خير من قميص الدنيا حلالها حساب وحرامها عقاب وكان اذا جنه الليل رفع وجهه نحو السما وقال يا من لا تسره الطاعات ولا تضره المعاصي هب لي ما يسرك واغفر لي ما لا يضرك فلما احرم الناس ولبوا قلت لم لا تلبي فقال يا شيخ اخشى ان اقول لبيك فيقول لا لبيك ولا سعديك ولا اسمع كلامك ولا انظر اليك ثم مضى فما رايته الا في منى وهو يقول

ان الحبيب الذي يرضيه سفك دمي • دمي حلال له في الحل والحرم

والله لو علمت روحي بمن علقت • قامت على راسها فضلا عن القدم

يا لايمي لا تلمني في هواه فلو • عاينت منه الذي عاينت لم تلم

يطوف بالبيت قوم لا بجارحة • بالله طافوا فاغناهم عن الحرم

ضحى الحبيب بنفسي يوم عيدهم • والناس ضحوا بمثل الشاء والنعم

للناس حج ولي حج الى سكني • تهدى الاضاحي واهدي مهجتي ودمي

ثم قال اللهم ان الناس قد ذبحوا وتقربوا اليك وليس لي شي اتقرب به سوى نفسي فتقبلها مني ثم شهق شهقة فخر ميتا رحمه الله واذا بقايل يقول هذا حبيب الله هذا قتيل الله قتل بسيف الله فجهزته وواريته وبت تلك الليلة متفكرا في امره فرايته في منامي فقلت ما فعل الله بك قال فعل بي كما فعل بشهدا بدر قتلوا بسيف الكفار وانا قتلت بمحبة الجبار

رضي الله عنه وعن ساير الصالحين ونفعنا والمسلمين ببركتهم امين قلت وقد شهد
بعض الطيور العجيبة الخلق يتشابه لونه لون الخبز بركتيه حمرا وريشة سودا
طويل الساقين والعنق كانه من طير البحر وقع على كتف رجل من الحاج من اهل خراسان
عند الركن الاسود محرم يلبي وهو على كتفه الايمن فطاف به اسابيع بين الناس وهم
يدنون منه وينظرون اليه ويتعجبون منه وهو ساكن غير مستوحش منهم وعينا الرجل
الذي هو على كتفه تدمعان على خديه ولحيته انتهى مختصرا من كتاب الازرقي ○ وكذلك
روى الازرقي بسنده عن طلق بن حبيب قال كنا جلوسا مع عبد الله بن عمرو بن العاصي
رضي الله عنهما في الحجر اذ قلص الظل وقامت المجالس واذا نحن بايم طالع من باب بني شيبة
يعني بالايم الذكر من الحيات قال فاشرفت له اعين الناس فطاف بالبيت سبعا
وصلى ركعتين وراء المقام فقمنا اليه فقلنا له ايها المعتمر قد قضى الله نسكك
وان بارضنا عبيدا وسفها وانا نخشى عليك منهم فكوم براسه كومة بطحا فوضع ذنبه
عليها فسما في السما حتى غاب فلم نراه ○ قلت وقد روى ايضا غير ذلك من طواف
بعض الحيات بالبيت وصلاتها خلف المقام ما يطول في قصته الكلام ولذلك الحية
حرست البيت خمسماية عام لما حاول نفر من جرهم ان يسرقوا خزانة الكعبة
وتلك الحية من ايات الله العظام ○ قال ابو الوليد كان للبيت خزانة بير
يلقى فيها الحلي والمتاع الذي يهدى له وهو يوميذ لا سقف له فتواعد له خمسة
نفر من جرهم ان يسرقوا ما فيه فقام على كل زاوية من البيت رجل منهم واقتحم
الخامس فجعل الله عز وجل اعلاه اسفله وسقط منكسا فهلك وفر الاربعة
الاخرون فلما كان من امرهم هذا ما كان بعث الله تعالى حية سودا الظهر بيضا
البطن راسها راس الجدي فحرست البيت خمسماية سنة لا يقربه احد بشي من
معاصي الله الا اهلكه الله تعالى ولا يقدر احد يسرق ما في الكعبة فلما ارادت قريش
بنا البيت منعتهم الحية هدمه فلما راوا ذلك اعتزلوا عند المقام ثم دعوا الله تعالى
وقالوا اللهم ربنا انما اردنا عمارة بيتك فجا طاير اسود الظهر ابيض البطن اصفر
الرجلين فاخذها فاحتملها فرمى بها في اجياد قلت وقد اقتصرت على هذا من
القدر مما يختص بمكة المعظمة ومما يختص بالمدينة المشرفة ما روي عن بعضهم
قال كنت جالسا في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعي رجل من اهل البحرين يقال له
خير فدخل من باب المسجد سبعة انفس فقال لي خير الحق القوم لا يفوتوك فانهم اولياء

فقمت خلفهم

فقمت خلفهم فاذا هم عند قبر النبي صلى الله عليه وسلم قيام فتقدمت اليهم فالتفت
الي واحد منهم وقال الي اين تاتي ارجع فابيت الا ان الحقهم فقال له واحد منهم دعه لعل
الله تعالى يحبه فيلحقه بدرجة القوم فسرت معهم فكنت ارى ونحن نسير كان
الجبال والارض تطوى فنرى من بعيد جبلا فنجوزه ونهرا فنعبره من بعد فنجوزه
في الحال وكنت اسمع دبيب الارض مثل الرحا وكنت ارى كنوز الارض يظهر لنا ويغيب
عنا حتى وصلنا الى واد كثير الشجر كثير النبات فاذا اقوام يصلون نحو من سبعين رجلا
فبتنا في ذلك الوادي فلما اصبحنا وطلعت الشمس قمنا فاذا نحن بمدينة عليها سور
ابيض من حجارة قطعة واحدة ونهر عظيم يدخل اليها وليس للمدينة باب الا من
الموضع الذي يدخل منه الما وعليه شباك من ذهب فدخلنا اليها جميعا ونحن نحو
من مايه نفس فاذا فيها قباب من ذهب وتحتها عمد من ذهب وفضة وفيها
انهار من ذهب تجري فيها الما واشجار بين القباب مثمرة وارضها مفروشة بنبات
الزجاج وفيها طيور من كل لون وثمار كثيرة وزن كل تفاحة نحو من خمسة ارطال
بالبغدادي وكل تلك الفاكهة لا تشبه فاكهة الدنيا في الطعم واللون والريح وكنا
ناكل من التفاح وغيره ياكل احدنا في الوقت مايه ومايتين ولا يشبع من التفاح
والسفرجل والرمان والكمثرى ومن كل نوع من الثمار الا النخل فاقمنا بها اربعين يوما
ليس لنا فيها عمل الا الصلوة والاكل وكنا لا نحتاج الى وضوء ولا شرب ما ولا نوم
فلما كان بعد الاربعين خرجنا منها فاخذت منها ثلاث تفاحات فلم يمنعوني وخرجنا
من الموضع الذي يدخل منه الما وكنا دخلنا منه فلما سرنا قال لي الى اين تريد نردك
فقلت الموضع الذي اخذتموني منه وسالتهم عن اسم المدينة فقال لي واحد منهم
هذه مدينة الاوليا خلقها الله عز وجل نزهة للاوليا في دار الدنيا فمرة تظهر لهم
باليمن ومرة بالشام ومرة بالكوفة ولم يدخل هذه المدينة من لم يبلغ الاربعين غيرك
فلما كان بعد ساعة انتهينا الى موضع فقلت ما هذا الموضع قال اليمن وكنت اخذ
من التفاحة قطعة صغيرة فما احتاج الى طعام اياما كثيرة ولم يزل معي التفاح اكل منه
الى ان دخلت مكة فلقيت الدلاني فاعطيته من التفاح واحدة فلما كان اليوم
الثاني لقيني رجل فقال لي لم فعلت هذا ولم حدثت بما رايت فقد اخذنا ما اعطيت
الدلاني ورددناه الى مكانه فلقيت الدلاني فقال كانت عندي في حق فلما اصبحت
ذهبت لاكل منها فلم اجدها انتهى قلت واخبرني امراة من الصالحات المشهورات

في المدينة الشريفة اسمها خلاصة التكرورية رضي الله عنها بفتح الخا المعجمة
والصاد المهملة وقد وجدتها معتكفة في شهر رمضان في مسجد قباء وكانت
قبل ذلك تنفرد في رمضان عن الناس عند سيدنا حمزة رضوان الله عليه في قبته
الشريفة فسالتها عن سبب انتقالها الى قبا مدة ثلاث دوامًا معناه انها خافت
ان تتاذى بها الصالحون هنالك لانهم يطرقونه كثيرا وربما ذكرت انه اصابها
شي من العقوبة هناك بسببهم قالت وليس كذلك مسجد قبا لكونه لا يطرقه
الناس كثيرا وحكت لي انها اشرفت ليلة من سطحه لتاخذ كوزا لها على طرف
السطح فراته مملوا صفوفا يصلون واخبرتني ايضا انها سمعت طايرا يصيح
بصوت فصيح في راس منارة المسجد المذكور في اخر رمضان يا فصيحتي يا فصيحتي
قلت وقد شوهد بعض الطيور الغريبة ايضا تجاه قبر النبي صلى الله عليه
وسلم ذات يوم بين طلوع الفجر والاسفار ن اخبرني بذلك بعض اهل العلم الاخيار
وشوهدت ايضا حية تطوف بالحجرة الشريفة ضحوة نهار **قلت** ومن الايات
العجيبات المشاهدات ايضا تجاه الضريح الطيب الكريم وانا يومئذ في المدينة
الشريفة مقيم ان ناقة دخلت يوما من باب السلام ثم امت قبر سيد الانام عليه
افضل الصلاة والسلام ووقفت تجاهه والناس في الصلوة قيام والعجب ايضا
انها دخلت من فرجة الباب التي اذا اغلق فتحت ولا يكاد يدخل منها الناقة
وان بركت واكرهت على ذلك وضربت ن واخبرتني ايضا المراة المذكورة
المتقدم ذكرها انها كانت مع امراة من الصالحات من اهل اليمن في المسجد المذكور
فورد عليهما رجل عرفته صاحبتها اليمانية وسالته عن حاله فقال سلب مني
حالي حين قربت من مكة ولم ازل كذلك مسلوبا الى ان خرجت منها وبلغت بحر
الذبيع **قلت** وبحر الذبيع معروف بينه وبين المدينة ثلث مراحل قال ثم
رجع الي حالي ولم يزل معي الى ان بلغت بير علي ثم ذهب عني فلما فقدته رجعت
من حيث جيت خطوات فرجع الي فتوجهت الى المدينة فذهب عني فرجعت
ايضا الى بيوت مكة فرجع الي ثم توجهت الى المدينة فذهب عني فلما رايت
ان حالي لا يصحبني من ذلك المكان الى المدينة تركته وتوجهت للزيارة قالت
ثم دخل المدينة وزار النبي صلى الله عليه وسلم وكان فصل المجاورين بها فلما اصبح
عزم على السفر فسالناه عن ذلك فقال رايت النبي صلى الله عليه وسلم في هذه الليلة

فقال لي يا ابراهيم ما زرت فقلت بلى يا رسول الله ولكني نويت المجاورة فقال لي
سافر فان المجاورين كانوا عندنا في الزمان القديم ولم يبق عندنا اليوم الا الذباب
قالت فسافر في يومه ذلك **قلت** واما ما ذكر من ذهاب حاله في البلدين الشريفين
وما حولهما فقد ذكر كثير من الفقرا اشيا من ذلك في احوالهم وتكلموا في سببه فقال
بعضهم الامر الا ليظهر لهم شان ن في حضرة السلطان ن وقال بعضهم الكواكب لا
يظهر نورها في ضوء الشمس **قلت** والظاهر والله اعلم ان ما ذكر من السبب المذكور
اصح مما قيل ان ذلك لكثرة العلل والشبه في البلدين المذكورين اعني في حق مثل
هذا الشيخ المذكور من العارفين بالله اهل النور ن واما من ليس لهم نور كامثالنا
فلا شك ان كثرة العلل والشبه الموجودة فيهما موثرة فيهم تاثيرا ظاهرا في
اظلام القلوب التي نورها هو المطلوب هذا هو الغالب الا من شا الله واما ما
فيهما من مضاعفة الحسنات وكثرة الرحمة والبركات والتفضيل وكل ذلك معروف
لا يحتاج الى اقامة دليل واعني بالعلل المذكورة فيهما اشيا كثيرة لا تحصى منها
العداوة والتحاسد والمنافسة وقلة الثقة بالله في الرزق وكثرة طعن
بعض من فيهما في عرض بعض واساءة الظن باهل الخير من الخلق وغير ذلك
نسال الله الكريم العفو والعافية في الدين والدنيا والاخرة ن وعن الشيخ
الكبير العارف بالله تعالى ابي العباس المرسي رضي الله عنه انه قال خرجت
من المدينة لزيارة حمزة رضي الله عنه فلحقني انسان في الطريق فلما وصلناه
وجدنا باب القبة مغلقا ثم انفتح لنا ببركة رسول الله صلى الله عليه وسلم فدخلنا
فوجدنا عند راسه رجلا من الابدال فقلت لرفيقي ادع فهذه ساعة اجابة
فدعى الى الله تعالى ان يرزقه دينارا وسالت الله تعالى ان يعافيني من هم
الدنيا وعذاب الاخرة ثم رجعنا الى المدينة فلما قربنا منها لقينا انسانا
فاعطى رفيقي دينارا فلما وقفنا على الشيخ ابي الحسن الشاذلي رضي الله عنه وكان
اذ ذاك في المدينة قال لرفيقي ابتداء يا خسيس الهمة صادفت ساعة اجابة
فصرفتها الى دينار هلا كنت كابي العباس سال الله ان يعافيه من هم الدنيا
وعذاب وقد فعل له ذلك انتهى **قلت** واخبرني غير واحد من اهل الخير والصلاح
انهم راوا في المنام النبي صلى الله عليه وسلم وجمعا كثيرا من اصحابه عند قبة حمزة
رضي الله عن الجميع ثم انصرفوا ركبانا على الخيل وافترقوا في ثلاث طرق جميع

كثير منهم اخذوا طريق المدينة. وجماعة اخرى اخذوا طريق الشام وفارس واحد اخذ
طريق العراق قال بعض الرائين للمنام فسالت من رايت هنالك عنهم فقيل لي هذا هو
النبي صلى الله عليه وسلم جا يزور عمه واصحابه معه فالذين رجعوا الى المدينة
هم النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه المدفونون معه فيها والذين رجعوا الى الشام
هم الصحابة المدفونون فيها والذي رجع الى العراق وحده هو علي رضوان الله
عليهم اجمعين ن **قلت** وهذا مما يويد ان عليا رضي الله عنه مدفون بالعراق
فان الذين اخبروني بذلك من اهل الخير والصلاح كما ذكرت واخبروني متفرقين
في ازمنة وامكنة متناعدة جدا لا يعرف بعضهم بعضا وبعضهم من اهل النور
والكرامات والجميع من الفقرا الصادقين السادات ولقد عجبت من اتفاق مناماتهم
في جميع ما ذكرت **قلت** وقد اقتصرت على هذا القدر فيما يختص بالمدينة
الشريفة واما ما يختص ببيت المقدس فمن ذلك ما روي عن ابرهيم بن ادهم رضي
الله عنه انه قال بت ليلة تحت الصخرة ببيت المقدس فلما كان بعض الليل
نزل ملكان فقال احدهما لصاحبه من ههنا فقال الاخر ابرهيم بن ادهم فقال
ذاك الذي حط الله درجة من درجاته فقال لم فقال لانه اشترى في البصرة تمرا
فوقعت تمرة من تمر البقال على تمره قال ابرهيم فمضيت الى البصرة واشتريت
تمرا من ذلك واوقعت تمرة على تمره ورجعت الى بيت المقدس فبت عند الصخرة
في الصحن فلما كان بعض الليل اذا انا بملكين نزلا من السما فقال احدهما لصاحبه من
ههنا فقال ابرهيم بن ادهم فقال ذاك الذي رد الى مكانه ورفعت درجته ن ن
وعن عبد الواحد بن زيد رضي الله عنه قال قصدت بيت المقدس فاضللت الطريق
فاذا بامراة اقبلت الي فقلت لها يا غريبه انت ضالة فقالت كيف يكون غريبا من
يعرفه وكيف يكون ضالا من يحبه ثم قالت خذ راس عصاي وتقدم بين يدي فاخذت
راس عصاها ومشيت بين يديها سبعة اقدام او اقل او اكثر فاذا انا بمسجد بيت
المقدس فدلكت عيني وقلت لعل هذا غلط مني فقالت يا هذا سيرك سير الزاهدين
وسيري سير العارفين فالزاهد سيار والعارف طيار ومتى يلحق السيار
بالطيار ثم غابت عني فلم ارها بعد ذلك رضي الله عنها ن **وعن** بعضهم قال خرجت
انا ورجل يقال له محمد العابد من بيت المقدس نوم الرملة فاشرفنا على العقبة واذا بصوت
يقول ما اوحش الانسان اذا لم تكن انيسه وما اضيق الطريق اذا لم تكن دليله فاشرفنا

فاذا بامراة عليها جبة من شعر وخمار من صوف وفي يدها عصا فسلمنا عليها فردت علينا
السلام وقالت الى اين قلنا الى الرملة فقالت وما تصنعون فيها قلنا لنا بها احباب
قالت واين الحبيب الاكبر من قلوبكم قلنا هو حبيبنا وحبيب المومنين فقالت هو حبيبكم وحبيب
المومنين باللسان وحبيبي بلساني وقلبي فعلمنا انها امراة حكيمة الا انا نرى فيها زلة
قالت وما هي قلنا امراة شابة تسافر بغير محرم فقالت ان وليي الله الذي نزل الكتاب
وهو يتولى الصالحين فاخرجت دراهم من كساي ودفعتها اليها فقالت من اين لك هذا
قلت انا رجل مباحي اخذ من الاشيا المباحة فقالت نعم كسب الضعيف قلت وما ضعفي
قالت ضعيف اليقين قلت وما علامة اليقين قالت ما تبلغ درجة اليقين حتى تضع الميزان
على الحمل الذي ربيته على غير رضاه فتذيبه حتى يلبس لحم برضاه فقلنا لها لكل شي علامة
ودلالة فما دلالتك فضربت بيدها الارض فاخذت كف حصى ثم قالت خذ يا ضعيف
اليقين فاخذتها فاذا هي دنانير فقالت له خذها فاخذتها فدخلت في كفة ميزان ولا في
الف بني ادم فبلك ثم قالت اين تريدان قلنا الرملة فقالت هذه الرملة واذا نحن
بحيطان الرملة فدخلناها فبنى محمد بالدنانير مسجدا بعسقلان وهو معروف الى يومنا
هذا المسجد المباحي رضي الله عنها ن **وعن** ابي الجوال المغربي رحمه الله قال كنت
جالسا مع رجل صالح ببيت المقدس واذا قد طلع علينا شاب والصبيان حوله يقذفونه
بالحجارة ويقولون مجنون فدخل المسجد وهو ينادي اللهم ارحني من هذه الدار فقلت له
هذا كلام حكيم فمن اين لك هذه الحكمة . فقال من اخلص له الخدمة . اورثه طرايف الحكمة
وايده باسباب العصمة . ولبس لي جنون وزلق . بل قلق وفرق . ثم جعل يقول

هجرت الورى في حب من جاد بالنعم ... وعفت الكرا شوقا اليه فلم انم
وموهت دهري بالجنون على الورى ... لاكتم ما بي من هواه فما انكتم
فلما رايت الشوق والحب بالحشا ... كشفت قناعي ثم قلت نعم نعم
فان قيل مجنون فقد جنني الهوى ... وان قيل مسقام فما بي من سقم
وحق الهوى والحب والعهد بيننا ... وحرمة روح الانس في حندس الظلم
لقد لامني الواشون فيك جهالة ... فقلت لطرفي افصح العذر واحتشم
معاتبهم طرفي بغير تكلم ... واخبرهم ان الهوى يورث السقم
فبالحلم يا ذا المن لا تبعدنني ... وقرب مزاري منك يا باري النسم

قال فقلت احسنت لقد غلط من سماك مجنونا فنظر الي وبكى وقال اولا تسالني عن القوم

ببيبر

كيف وصلوا انا نصلوا ملت بلي اخبرني فقال طهروا الاخلاق ورضوا منه بالارزاق وهاموا من محبته في الافاق • واثروا بالصدق وارتدوا بالاشفاق • وباعوا العاجل الفاني بالاجل الباق • وركبوا في ميدان السباق • وشمروا تشمير الجهابذة الحذاق • حتى انصلوا بالواحد الرزاق • مستودعهم في الشواهق • وغيبهم عن الخلائق • لا تووبهم دار • ولا يبقى بهم قرار • فالنظر اليهم اعتبار • ومحبتهم امتحان • وهم صفوة الابرار • ورهبان احبار • مدحهم الجبار • ووصفهم النبي المختار • ان حضروا لم يعرفوا • وان غابوا لم يفتقدوا • وان ماتوا لم يشهدوا • ثم انشأ يقول

كن من جميع الخلق مستوحشا • مستانسا بالواحد الحق
واصبر بنا الصبر تنال المنى • وارض بما يجري من الرزق
واحذر من النطق وآفاته • فانه المؤمن في النطق
وجد في السير وشمر كما • شمر اهل السبق للسبق
اولئك الصفوة ممن سما • وخيرة الله من الخلق

قال فالتفت الدنيا عند حديثه ثم ولى هاربا وانا متأسف عليه رضي الله عنه وعن جميع الصالحين ونفعنا والمسلمين ببركاتهم امين **قلت** مهلا ما اقتصرت عليه من ذكر اجتماع خواص عباد الله المباركين في الامكنة الثلاثة المباركة الشريفة • وقد زيلت منها ذكر اهل التخصيص على التعميم والتخصيص **قلت** وقد خرجنا عن مقصود الجواب الى ما يحلو من ذكر الاحباب • وها نحن نعود الى ما كنا بصدده • ونسال الله الكريم زيادة توفيقه ومدده ن اعلم ان الاوجه الاربعة المتعلقة في الافضل من الصلاة والطواف • وما يترتب على ذلك من الحكم المذكور • انما هو على مقتضى غالب احوال الناس دون ما يخالف من احوالهم الغالب على الندور • واعني بذلك ما اشار اليه الشيوخ العارفون اهل النور • وهو انه ينبغي للمريدين ان يلازموا الامكنة والاحوال • والطاعات التي تجتمع منها القلوب • وتنشرح الصدور • وفي هذا المعنى قلت في بعض القصائد هذه الابيات

واما اعتزالي عن مخالطة الورى • فذاك لجمع القلب والصدر يشرح
وقد قال اشياخ الطريقة من يجد • بخلوته جمعا فلا قط يبرح
وفي مثل هذا الوقت جاء صحيحة • احاديث في مدح اعتزال تصرح

قلت وفي العزلة كلام ذكره يطول ويخرجنا عما نحن له قاصدون فلنثن العنان الان

ونعود

ونعود الى ذكر المقصود **قلت** فاذا علم ما ذكرنا من الادلة والتعليل على استحباب كثرة الاعتمار فليعلم ان ذلك جائز بالليل ومستحب فعله بالليل والنهار فمثل ذلك من فعل سيد الانام عليه افضل الصلاة والسلام ثابت وقد احرم صلى الله عليه وسلم من الجعرانة ليلا ثم دخل مكة فطاف وسعى وتحلل ثم رجع واصبح بها كبائت • واما في عمرة وجميعهن اربع احرامهن بالنهار اجمع • وذلك ايضا جائز في جميع السنة الا للحاج بمنى والا ادخالها على الحج فانه لا يصح على الاصح صرح بذلك ائمتنا **قلت** ولو قيل يصح الاحرام بالعمرة في جميع السنة الا فيما بين احرام الشخص بالحج الى فراغه من اعماله او تحلله منه بعارض يبيح له التحلل كان ضبطا مليحا واخص من هذا واحسن ان يقال انما يمتنع الاحرام بالعمرة ممن احرم بنسك وبقي عليه شيء من اعماله **قلت** فان قيل اما كونه انه اخص فظاهر واما كونه احسن فما وجه الحسن **قلت** اربعة اشياء **الاول** خلوه عن الاستثناء • **الثاني** عدم احتياجه الى قيد التحلل بالعارض المذكور **والثالث** ايراده في معرض الامتناع من الصحة العوارض المانعة السهلة الحصر دون الجواز المحوج الى طول الكلام لكثرة تعداد ما هو الاصل من الاوقات القابلة للجواز • ولهذا اعلان النبي صلى الله عليه وسلم الى بيان ما يحرم على المحرم من الثياب لما سئل عما يحل له من ذلك **والرابع** قولي ممن احرم بنسك ولم اقل بحج لئلا يورد مورد متعسف على ذلك ما يوهمه ظاهر اللفظ من جواز ادخال العمرة على العمرة وبالله التوفيق **قلت** واما قول من يقول ان تكرير العمرة في سنة واحدة لا يجوز او هو بدعة احدثها الناس فليس له دليل من نص ولا اجماع ولا قياس بل يدل على استحباب ذلك ما قدمته من الادلة والتعاليل المذكورة من ذلك ما نعلم انه كررها من الصحابة علي وابن عمر وانس وعائشة رضي الله عنهم • وقد اشتهر عن ابن عمر انه اعتمر الف عمرة وقيل اكثر **قلت** ومعلوم انه اذا اوزع ما ذكر من جميع عمره على جميع عمره تكررت العمرة في كل سنة تكرارا كثيرا فكيف اذا اوزع ذلك على زمان اعتماره وهو قليل من عمره وقد عرف مكانه من اتباع السنة رضي الله عنه • وفي قوله صلى الله عليه وسلم العمرة الى العمرة كفارة لما بينهما • وما في معناه من الاحاديث المشهورة ندب الى تكرير العمل المذكور في جميع الاحيان بل لو لم يرد شيء من الادلة على جواز تكريرها في السنة لم يكن ذلك بدعة مذمومة اذ ليس فيه مصادمة للسنة اعني لم يرد في السنة نهي عن ذلك فمذهب الشافعي ارجح من مذهب مالك رضي الله عنهما • وجعل في علي الجنة ما وانعما

ولو كان ذلك بدعة مثلا لكان من جملة البدع المستحسنات لاشتماله على طاعة بل
انواع من الطاعات مع خلوه عن جميع المنهيات ولا ينبغي ان يقال في شيء هو خلاف
السنة الا اذا دل على النهي عنه دليل من ادلة الشرع المعروفة **قلت** وقد علا
لبعض من المشتغلين بالعلم وغيرهم من غير اصحابنا الشافعية في تسمية كل فعل لم يرد
في السنة مثله صورة بخلاف السنة وبالغ بعضهم في غلوه في ذلك الى ان قال من
زاد على مائة مرة في الاذكار التي وردت بها السنة مائة مائة لم يحصل له الاجر المذكور
قلت وهذا جمود فاحش جدا قد جاوز الحد وتعدى بل هذا منكر خلاف السنة الصريحة
مخالف للاحاديث الصحيحة اذ في صحيح مسلم من قال سبحان الله وبحمده مائة مرة حين
يصبح وحين يمسي لم يات احد يوم القيامة بافضل مما جاء به الا واحد قال مثل ذلك او زاد
وفي الصحيحين معا من قال لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على
كل شيء قدير في يوم مائة مرة كانت له عدل عشر رقاب وكتبت له مائة حسنة
ومحيت عنه مائة سيئة وكانت له حرزا من الشيطان يومه ذلك حتى يمسي ولم يات احد
بافضل مما جاء به الا رجل عمل اكثر منه **قلت** ولو لم ترد الاحاديث بالزيادة المذكورة
لكان ذلك محمودا لا مذموما لانه صلى الله عليه وسلم لا يمنع من زيادة الخير من يقدر
عليه من غير محذور يلحقه وهذا قد صار من قواعد الدين معلوما **قلت** ولعله
صلى الله عليه وسلم انما حد ذلك بمائة مرة او عشر مرات في بعض الاذكار رفقا بامته
الاخيار وحذرا من الملال الاكثار لا للمنع من الزيادة عليه من له رغبة في
فعل الخير والمسابقة اليه ولئلا ينقص عن ذلك لفتور العزائم لان الفعل اذا صار
محدودا اهتم في اتمامه كالفرض اللازم **قلت** وكذا اذا راى بعض الجاهلين
بعض المتمزقين الواجدين من الفقراء الصادقين الذائقين الذين اشتعلت فيهم نار
الارادة فاطلقتهم باحراق قيد الفساد عن الوقوف عن رسوم العادة قال هذا خلاف
السنة المأثورة كانه لم يسمع بتمزق اويس رضي الله عنه وسيرته المشهورة
وما فيه من الانعقاص عن الناس والنفور مع ما رواه صلى الله عليه وسلم بفضله المشكور
وقسمه المبرور ولا كانه سمع بقوله صلى الله عليه وسلم في الاحاديث الصحيحة المشتهرة
رب اشعث مدفوع بالابواب وفي رواية ذي طمرين لو اقسم على الله لابره ولا لكل
سيرة بشر الحافي رضي الله عنه ومن لا يحصى من الاولياء السادات الخارجين عن
العادات بل من سادات السادات السابقين اعني الصحابة رضي الله عنهم اجمعين

فقد راى

فقد راى صلى الله عليه وسلم مصعب بن عمير رضي الله عنه في اهاب كبش فقال دعاه
حب الله ورسوله الى ما ترون الحديث ولذلك صفة اهل الصفة معروفة بل الصحابة
كلهم لم يكونوا متقيدين بهيئة مخصوصة وقد عاد رسول الله صلى الله عليه وسلم سعد
بن عبادة ومعه بضعة عشر من اصحابه رضي الله عنهم اجمعين وما عليهم نعال ولا
خفاف ولا قلانس ولا قمص يمشون في تلك السباخ وقد اشتمل الصديق رضي الله عنه
بالعباء ولبس الفاروق رضي الله عنه المرقعة وهو الخليفة الذي له الوجود طايع
ولبس علي كرم الله وجهه في خلافته قميصا بثلاثة دراهم وقطع كمه من اطراف
الاصابع ولذلك فاطمة وعائشة رضي الله عنهما طريقتهما معروفة في خشونة
العيش والتوقي عن التنعم والزينة بل سيد المرسلين صلوات الله وسلامه عليه
وعليهم اجمعين لم يكن متقيدا بهيئة وعادة في ملبس ولا مركب ولا مطعم ولا مشرب
ولو ان بعض الجامدين المذكورين راى بعض الصالحين وقد غلب عليه سكر الحال لنسبه
الى الجنون والاختلال كما نسب اويسا رضي الله عنه الى ذلك كثير من الجهال ولقد رايت
شيخنا وسيدنا الشيخ الكبير العارف بالله علي بن عبد الله الطواشي المتقدم ذكره رضي الله
عنه وقد جاء الى محلته بعض الفقهاء الكبار وجلس عنده ساعة من النهار فورد
على الشيخ وارد من الواردات التي يميل صاحبها كنشوان رب العقار وتغيب عن الاحساس
فلا يشعر بما يقول الناس فقال ذلك الفقيه لاصحابه قوموا فان الشيخ قد غلبه
النعاس قال ذلك جلافي مقاله ولم يتقبله ستر الحالة فعجبت من جهالته بذلك وهو
ظاهر واعجب الشيخ رضي الله عنه كونه خفي عليه حاله الباهر كما هو عادته التي ليس
له عنها انتقال اعني دوام ميله الى ستر الحال مع ساير الاحوال والمبالغة الشديدة
في المحو الا ما فاض عليه بغير اختيار وكذلك عادة ساير المحبين كتم الحب وما يترتب
عليه من الاحوال والكرامات والاسرار والمخاطبات الا ما فاض وظهر عليهم في بعض
الاوقات عند غلبة السكرات فيبوحون بذلك وينشدون فيه الاشعار اللطاف
حتى ربما وقع ذلك من بعضهم في الطواف كما حكي مسندا عن سيد الطايفة
وامامها وحامل لواء عليائها وناشر اعلامها ابي القسم الجنيد رضي الله عنه انه
قال حججت على الوحدة فجاورت بمكة فكنت اذا جن الليل دخلت الطواف فاذا جارية
تطوف وتقول

اذا اشتد شوقي هام قلبي بذكره ... وان رمت قربا من حبيبي تقربا

ويبدوا فافنى ثم احيا به له • ويسعدني حتى الذ واطربا

قال فقلت لها يا جارية اما تتقين الله في مثل هذا المكان تتكلمين بهذا الكلام فالتفت الي وقالت يا جنيد

لولا التقى لم ترني • اهجر طيب الوسن

ان التقى شردني • كما ترى عن وطني

افر من وجدي به • محبه هيمني

ثم قالت يا جنيد تطوف بالبيت ام برب البيت فقلت اطوف بالبيت فرفعت راسها الى السما وقالت سبحانك سبحانك ما اعظم مشيئتك في خلقك خلق كالاحجار يطوفون بالاحجار ثم انشات تقول

يطوفون بالاحجار يبغون قربة • اليك وهم اقسى قلوبا من الصخر

وتاهوا فلم يدروا من التيه من هم • وحلوا محل القرب في باطن الفكر

فلو اخلصوا في الود غابت صفاتهم • وقامت صفات الود للحق بالذكر

قال الجنيد فغشي علي من قولها فلما افقت لم ارها رضي الله عنها ملـ وقد خرجنا ايضا عن المقصود • بما ارتبط به من الكلام المحمود • وها نحن الان نعود • فنبغي للمتمسك المتبتل للعبادة • الذي ورع في الطواف والعمرة اوراده • ولم تخرجه نعوذ عن التقييد بالاوراد واردات الارادة • ان يجعل الطواف المخصوص في كل يوم وليله ويستنين رحمه في ليله ونهار غالبا • ويحج في نادر من الاوقات • لمطلب العمرة الخطير المشتمل على اجر التكفير طالبا • لكي يظفر بكمال السعادة • باستعمال عقاقير تنوع العبادة • ويفوز بحوز الزيادة • المستخرج بالخروج عن العادة • وينال التنعيم في النعيم • والصفا على الصفا • والعيش الاخضر الذي يعرفه العبد بالسعي بين الميلين الاخضرين • كما يعرف هنا العيش في عرفة • وجمع الشمل في جمع • وشعار التنادم عند المشعر • ونيل المنى في منى • ثم يلتذ بما ياتي من الابيات • التي قلت في بعض القصائد • نايبا عن لسان حال السادات • اهل النور والمشاهدات • الذين اخبرني بعضهم في بعض الاوقات • انه حصل له في التنعيم منتاهل في الموضع الذي احرم منه بالعمرة طفقنا منها سنا المحصول • من المراد المامول • والى ذلك اشير بقولي

اهلا من التنعيم في ما تنعما • بعيش لنعمى ثم احضر ما يمم

وكم سبحت في عمرة عامرية • سبت عقل كم صب بها الدهر هائم

بها غاب لما ان بدت بجمالها • عن الركب لا بل عن جميع العوالم

سقته سلافا من ترنح ريحها سلا • بها عن كلا الدارين يا ام سالم

وباح

وباح بحب لم يطق كتم سره • ومن باح بالاسرار ليس بسالم

اذا ابلت من نعمى نعيم وصالها • فلا ضير ان اهريق في حبها دمي

لنا في حماها للتنزه تردد • عسى طمع وصل فيه اسعاد طائم

لاجل الصفا زرنا الصفا ثم مروة • هناك سعينا سعيه بتراحم

نميل الى الميلين نسعى لخضرة • من العيش بين الاخضرين ملازم

وفي موقف التعريف ما قد عرفتما • لنا من هنا عيش وحط مآثم

وليلة جمع الشمل كان شعارنا • لدا المشعر المشهور شهر التنادم

بوادي منى نلنا المنى اذ تبسمت • ليال وايام ملاح المباسم

سرورا بتعييد واجتماع احبة • وقرب وقربان وغر مواسم

فقربانا نا بالهدي والقرب بالهدى • لتعظيم حرمات وترك محارم

وذكر وشكر فيه ذبح نفوسنا • فقيل وعنها ناب ذبح البهائم

وزرنا عروس الحسن تجلى لنا وقد • اماطت عن الثغر اللثام للاثم

تتيه بديباج به اي مجدها • طراز يوشي النافشات الرواقم

ومن سندس ارخت نقابا مزخرفا • على بدر تم من سما الحسن ناجم

فطفنا بها سبعا نشاور والهوى • لاجل هواها حولها دب حائم

لزمنا بها مستمسكين بذيلها • بملتزم كم عاشق فيه لازم

ولذنا بها في سوحها عند بابها • وللباب كم صب محب ملازم

وكم عاشق في حجرها قد سقته من • شراب حميا الحب سكران هائم

وكم ناظر كم طائف ثم راكع • وكم ساجد خلف المقام وقائم

فحجنا تحققنا بزور مشاعر • لعزه منها نقتدي بالعالم

باركانه والواجبات وسنة • اتينا خروجا من خلاف لعالم

بتلبيتك احرمنا وقفنا وبعد • رمينا نحرنا ثم حلق الجماجم

افضنا فطفنا بل سعينا وباقي المناسك تممنا وبعد التمائم

نفرنا اعتمرنا والعروس وداعها • ختام واعمال الورى بالخواتم

اللهم اختم لنا منك بخير في عافيه واحبابنا والمسلمين امين ملـ واما قدر التحلل بين العمرتين من الزمان • فليس في تحديده فيما علمت نص ولا بيان • ولذلك تعلق استحباب تكرير الاعتمار • لم ار لاصحابنا ولا لغيرهم فيه شيئا من الاقوال في كتب الفقه التي فيها م

بيان الاحكام • ويقوي قول بعض اصحابنا العلما الاعلام • عبادة لجنسها وقت معين
في العام • فيستحب تكريرها في ساير الاوقات كالصيام **قلت** والذي اراه حسنا في
هذا الحال المذكور ان يعتمر المتنسك القريب مرة في كل جمعة والضعيف مرة في كل شهر
من غير رياء ولا سمعة • فليس في هذا الزمان من المذكورين يكون المعتمرين المذكورين سامه
ولا عنا • بل يلذذ بذلك وهنا • وايضا في التحديد بالاسبوع استيناس بزيارته صلى الله
عليه وسلم في كل سبت قبا • وقد رايت الشيخ الكبير السيد المشكور • العارف بالله نجم الدين
الاصبهاني المشهور رضي الله عنه • يعتمر في الجمعة مرتين • وينبغي ان يزاد على ما ذكرت من
الاعتمار في القدر المذكور • في الاشهر المباركات الفاضلات على تعاقب الدهور • ويفضل
عليها في الزيادة المذكورة وغيرها شهر رمضان سيد الشهور • فقد علم في الحديث
الصحيح ان عمرة في رمضان تعدل حجة • **قلت** وليس للمخالف في كون الحديث قاله
صلى الله عليه وسلم بالمدينة حجة • بل يحتمل والله اعلم ان ذلك مخصوص بالاحرام من ميقات
المدينة • ويحتمل من بعض مواقيت الافاق • ويحتمل مطلقا مع صحة الاحرام بها من
ادنى الحل بالاتفاق **قلت** ثم ظهر لي بعد هذا ان الاحتمال الاول لا يصح اذ احكام
الشرع جميعها يشترك فيها جميع الامة بالم يدل على التخصيص شي من الادلة المعتبرة
ثم الامة في جميع الافاق منتشرة • فلا يصح مع عدم الدليل على التخصيص ان يكون
فضيلة العمرة المذكورة في ميقات المدينة محصورة • فلم يبق الا الاحتمالان الاخيران
فانهم ذلك واتضح البرهان **قلت** وعلى كل احتمال انما تعدل حجة احرامها من موضع
احرامها وطريقها لطريقها التي فيها توجه وفضل شهر رمضان معروف ليس يجهل
ولعمري ان العمرة من المدينة بلا شك من كل المواقيت افضل وقد علم ايضا ان في بعض
روايات الحديث المذكور تعدل حجة معي وناهيك بهذا فضلا لها وشرفا ونديا بلفظ
واضح ليس فيه خفا **قلت** وليس المراد تخصيص ذلك بعمرة واحدة في رمضان
كما توهم بعض الناس بل عام في كل عمرة فيه على طول الابد وذلك مثل قوله صلى الله عليه وسلم
صلوة في مسجدي هذا افضل من الف صلوة فيما سواه من المساجد الا المسجد الحرام ولم يقل
بتخصيص ذلك بصلوة واحدة احد لان المراد بذلك جنس العمرة والصلاة • وذلك
واضح ليس فيه اشتباه • وكذلك معلوم ايضا في الحديث الحسن الصحيح انه ندب
صلى الله عليه وسلم الى المتابعة بين الحج والعمرة بقوله صلى الله عليه وسلم تابعوا بين الحج
والعمرة فانهما ينفيان الفقر والذنوب كما ينفي الكير خبث الحديد والذهب والفضة

اخرجه

اخرجه الترمذي رضي الله عنه • وقد اعتمر ابو بكر رضي الله عنه في رجب في خلافته
ورجع الى المدينة الشريفة بعد فراغه من عمرته من يومه ثم حج من سنته **وروي**
ان عمر وابنه وعثمن رضي الله عنهم كانوا يعتمرون في رجب في كل عام اخرجه ابو
ذر الهروي **قلت** وفضل رجب معروف لا يحتاج الى بيان • ولذلك باقي الاشهر
المحرمه وشعبان • واما ما حدث من خروج كثير من النسا اللاتي لا خير فيهن في هذا
الازمان • متزينات بانواع الزينة من الحلي والحلل ذوات الالوان • من غالي الجواهر
النفيسه والثياب • متمشطات متعطرات متلفتات بالخضاب • من مكة في السادس
والعشرين من رجب للعمرة بزعمهن • واختلاط كثير من الرجال الذين لا خير فيهم بكثير منهن
من اهل مكة • ومن حوالها في التنعيم • مسجد العمرة المكي المستحق الاحترام والتعظيم •
واعلانهم بالغنا والضرب بالات اللهو وغير ذلك من الاشيا المحرمه • هنالك في بيوت
الله المطهرة المباركة المحترمة • التي بنيت لذكر الله تعالى والصلوات • واتخاذهم لها
ملعبا ومنظرا الى العورات • وغير ذلك من المنكرات الفاحشات • والاشيا القبيحات
ثم اجتماع المذكورين بالليل في المسجد • واجتماع خلايق عليهم من الرجال والصبيان
والنساء للفرجة والنظر وغيره من المحرمات • واختلاط الرجال بالنسا المتصفات
بالصفات المتقدمات • من الملابس والطيب وانواع الزينات • وقد ضاق بهم المسجد
وجوانبه • وما حوله من الدور المشرفات • والنسا ما بين راكبات وماشيات • وقايمات
وقاعدات • وقد اوقدت هنالك للضوء نيران عظيمات • ينكشف بسببها المستور
بلباس الليل المسبول • ويوصل بها الى المحظور • من النظر الى الوجوه والاعضاء
المكشوفات • وتتحرك من الفجار دواعي الفجور • وتراسل النواظر الخبيثات
وتضمر الضماير • عظايم الكباير • من الجرايم والخطيات • ويقع بسبب ذلك من الفسوق
المجمع على تحريمه ما لا يحصى من المعاصي • والفتن والكباير العظيمات • وانتهاك
حرمات الله المعظمات • في البلد الحرام • والشهر الحرام • والليلة الشريفة المحترمة •
والكعبة المباركة المعظمة • ويجتمع الفجور والطغيان • فيما اجتمع فيه شرفا الزمان
والمكان • رجب شهر الله الاصب • وجوار بيت الله الحرام • المعظمين المحترمين في
الجاهلية والاسلام • فذلك كله من المنكرات القبيحات • والعورات الفضيحات •
والبدع الفظيعات • البشعات الشنيعات • والتلطخ بنجاسات المخالفات • في المشاعر
الطاهرات • بالمعاصي الظاهرات • التي يجب ازالتها على اهل الولايات • اصلحهم الله تعالى

وتوفيقهم للقيام بالحق والمعروف وازالة الباطل والمنكرات • وتعظيم شعاير الله
واحترام شرعه المعظم • واماتة البدع واحيا سنة رسوله صلى الله عليه وسلم • فمن
ازال ما تضمنته هذه العمرة من الصفات المذمومات • المخرجة عن طاعة الله تعالى الى
معصيته • وعن رضاه الى سخطه • او غيرها من ساير المنكرات • والبدع المكروهات
والمحرمات • فقد اكتسب من عظيم الاجر والكرامة • ما يكتب في صحيفته الى يوم القيمة •
فقد قال صلى الله عليه وسلم من سن سنة حسنة فله اجرها واجر من عمل بها الى يوم القيمة •
ومن سن سنة سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها الى يوم القيمة • وقد ورد في الشرع
من الوعيد الشديد بما لا يحصى لمن قدر على ازالة منكر فلم يفعل وهو من حلم الله تعالى
وانكار السلطان باليد والعلما باللسان • والعوام بالقلب • وذلك اضعف الايمان • وقد
عدم ذلك كله في هذه الازمان • والله المستعان • **قلت** ولقد عظمت الفتنة في
العمرة المذكورة وكثرت المصايب • وشدت للفرجة فيها الرجال واعملت الركايب •
واقبل اليها اهل الاودية والبوادي يهرعون من كل جانب • ولو منع النسا من الخروج
لها وسعي الرجال بالنهار لتركوها الا من هو لوجه الله الكريم طالب • فلا اقل بل يجب
ان يمنع من الخروج لها النسا والاولى ان يعتمر من شا من الرجال في السابع والعشرين
ويطوف ويسعى قبل المسا • ولعمري ان ترك هذه العادة التي اتخذها الناس للفرجة
واللهو والطغيان • لا يكادون يتركونها • ولو انهم يلقون من دونها الضرب والطعان •
كعادة اهل زبيد في السبوت • التي تغضب الله وترضي الشيطان • فكما يبتز نسا
من زبيد الطيب في السبوت • يبتز نسا مكة في المسعى الفتوت • **قلت** ولبس
ينبز وذلك من المنكرات الفاحشات • اختلاط النسا بالرجال في ليالي الختمات
المباركات • ووقوفهن تجاه صفوفهم • واستعمالهن لمسهم بوجوههن وقربهن منهم
في الشهر الكريم المعظم شهر رمضان • وكذلك في سماعات الفقرا المنتمين الى الصوفية
لمجرد الرسم في كثير من البلدان • وما يحصل في ضمن ذلك من الفتن والمعاصي والطغيان
وحاشا الصوفية اهل الصفا والاصطفا والعرفان • من ذلك الذي لا يرضى به الا
كل شيطان • وقد ذكرت السماع واختلافهم فيه • وشروطه وما يحل منه وما يحرم
في كتاب نشر المحاسن • واوضحت فيه اقوال علما الباطن • **قلت** ولبس يقدر
احد على ازالة ما ذكرت الا ان وفق الله السلطان • الذي به نظام الدين في ساير
البلدان • والذي هو ظل الله في ارضه • والمسول عن رعيته • وعن اقامة شرع محمد

صلى الله عليه وسلم واحيا سنته • وفي التحريض على ذلك المامول انشد في المعنى واقول

من ذاك للسنة الغرا يحييها • يذب عنها اعاديها ويحميها ::
يحي مماتا وما احيوه من بدع • يميته ومعاصي الله ينفيها ::
بالبيض والسمر في الكفاف كم بطل • على جياد لنصر الحق يجريها ::
لمسى له الرايه البيضاء منزلة • من العلا في ذرى علياء معاليها ::
في المجد والسعد في الدارين منزلة • فخر الهدى والندا طول المدا فيها ::

قلت وعمره صلى الله عليه وسلم كلهن وقعن في ذي القعدة والجعرانة للمكي افضل
مواقيت العمرة وانما قلت للمكي احترازا ممن احرم بها من بعض مواقيت الافاق • اذ ذاك
افضل لما فيه من بعد المسافة وكثرة المشاق • وبعد الجعرانة في الافضلية التنعيم
ثم الحديبية • **قلت** واما الموضع الذي احرم منه صلى الله عليه وسلم في الجعرانة فقد
روى الازرقي عن مجاهد انه اعتمر من الجعرانة فاحرم من ورا الوادي حيث الحجارة
المنصوبة وقال من هيهنا احرم النبي صلى الله عليه وسلم **وروى** ايضا عن ابن جريج
قال قال محمد بن طارف اتفقت انا ومجاهد بالجعرانة فاخبرني ان المسجد
الاقصى من ورا الوادي بالعدوة القصوى مصلى النبي صلى الله عليه وسلم واما المسجد
الادنى الذي على الاكمة • فانما بناه رجل من قريش سماه واسترى عندها الاونخلا
انتهى **قلت** واما الموضع الذي امر صلى الله عليه وسلم عبد الرحمن ابن ابي بكر رضي الله
عنهما ان يعمر عايشة رضي الله عنها منه ففي الحديث الصحيح ان النبي صلى الله عليه
وسلم امر عبد الرحمن بن ابي بكر ان يعمر عايشة من التنعيم فاذا هبطت بها الاكمة
فمرها فلتحرم فانها عمرة متقبلة • **وروى** ايضا ان عطا ومجاهدا وعبد الله
بن كثير وناسا من القرا اذا كانت ليلة تسع وعشرين من شهر رمضان خرجوا
الى خيمة جمانة فاعتمروا منها **وروى** ايضا ان ابن الزبير رضي الله عنهما اعتمر
من ورا خيمة جمانة ماشيا بالتنعيم على بردون ابيض ومعه اربعة نفر من او
خمسة من الاحراس **وروى** ايضا عن ابن جريج قال رايت عطا يصف الموضع
الذي اعتمرت منه عايشة رضي الله عنها فاشار الى الموضع الذي ابتنى فيه محمد بن
علي الشافعي المسجد الخراب الذي من ورا الاكمة • ثم ذكر الازرقي ان هذا
المسجد المذكور عمر بعد ذلك وجعل عليه قبة **وروى** الازرقي ايضا انه لما
فرغ ابن الزبير رضي الله عنهما من بنا الكعبة خلقها من داخلها وخارجها من اعلاها

الى اسفلها **قلت** يعني بقوله خلفها طيبها بالخلوف بفتح الخا المعجمة وبالقاف ضرب
من الطيب قال وكساها القباطي وقال من كانت لي عليه طاعة فليخرج فليعتمر من
التنعيم فمن قدر ان يهدي بدنة فليفعل ومن لم يقدر على بدنة فليذبح شاة فمن لم يقدر
فليتصدق بقدر طوله وخرج ماشيا وخرج الناس معه مشاة حتى اعتمروا من التنعيم
شكر الله سبحانه ولم ير يوم كان اكثر عتقا ولا اكثر بدنة منحوره ولا شاة مذبوحة
ولا صدقة من ذلك اليوم وتحر ابن الزبير مائة بدنة **قلت** ولقد رايت كثيرا من
العلما العاملين والاوليا الصالحين من اصحابنا من الشافعية وغيرهم يكثرون الخروج
على طول السنين من مكة للعمرة من جهة التنعيم في غير رمضان وفيه يعتمرون كل يوم
ركبانا وغير ركبان ، وربما كررها بعضهم في اليوم مرتين وبعضهم ثلث مرات وممن
ادركت يكررها في كل يوم من رمضان من السادات ، السيد الجليل الفقيه الامام
الولي الكبير العالي المقام ، والمناقب الفاخرة والايام الزاهرة سلالة الشرف
والمجد والفضل والندا ، ومعدن الكرامات والمكرمات والمعالم والمعالي نور الهدى
ابو الحسن علي ابن ابراهيم ابن محمد بن حسين اليمني البجلي رضي الله عنه ، الذي يجل
ولا ينيه الموروثة من جل على مر الجديدين ما يلي ، وغيره ممن يطول عدد هم
ويعلو مجدهم ، واعني بالجد الموروث المذكور ، الفقيه الكبير الولي العارف بالله محمد
ابن حسين المشهور ، القايل رضي الله عنه همة تجول حول العرش ، وهمة تجول
حول الحش ، فمن كان همه ما يدخل كان قيمته ما يخرج ، وقال ايضا لولا وجود
خواص الله مع عامة الله فيما هم فيه من معاصي الله لعجل الله عقوبة من عصاه
ولكن قال الله تعالى ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الارض ، تنفضل
على العام بوجود الخاص ليكون ذلك سببا لتاجيل العقوبة ، وربما كان سببا الصفح عنها
وربما كان سببا لتبديلها احسانا وانشد

الان وادي الجزع اضحى ترابه ، من المسك كافورا واعواده رندا
وما ذاك الا ان هندا عشية ، تمشت وجرت في جوانبه بردا

قالت اليهود والنصارى نحن ابنا الله واحباوه فلم قلم يعذبكم دليل على ان المحب
لا يعذب المحبوب وانشد

اساء فزادته الاساءة حظوة ، حبيب على ما كان منه حبيب
يعد علي الواشيون ذنوبه ، ومن اين للوجه المليح ذنوب

قلت يعني ان المحبوب لا ذنب له ذنوب ، ومن هنا قال بعضهم اللهم اجعل سيآتي
سيئات من احببت ولا تجعل حسناتي حسنات من ابغضت وقوله في البيت الاول
من المسك كافورا بقوله كثير من الناس من المسك بزيادة كاف مع كسر الميم ولعله تصحيف
المسك بفتح الميم وذكره هندا وجر بردها في جوانب الوادي المذكور استعارة حسنة
لمشي الخواص اهل الاصطفا والنور ، وترددهم لنفع الخلق في جوانب الوجود وتضوع
طيب انفاسهم الزكية فيه ووصفهم المحمود حتى انقلبت اساءة اهله احسانا بالفضل
من الله الكريم والجود ، وعشية بضم العين المهملة تصغير عشية بفتحها والتصغير هنا
احسن وارق للتشبيه والمراد بذلك اخر النهار لما في ذلك من هبوب النسيم وحملها
الروايح الطيبة وما يوجد فيها من الروح بالعشي **قلت** وفي التصغير للمحبة لا للتحقير
فليستشهد هذا البيت الشهير ، ولكن اذا ما حب شي تعلقت ، به احرف التصغير من شدة الوجد
قلت ومن دفع الله تعالى بالخواص المذكورين من عباده العارفين ما بلغني عن بعض
شيوخ اليمن ممن اعرفه انه طلب منه بعض الناس الدعا وهو يريد السفر فقال له
الشيخ ان اصابتك شدة فنادني فسافر في البحر ثم اصابتهم في وقت شدة اشرفوا
منها على الهلاك فنادى يا الله يا الله فلم تزل تلك الشدة عنهم فنادى يا رسول الله
يا رسول الله فما زالت عنهم ايضا فنادى ذلك الشيخ باسمه فزالت الشدة عنهم فتعجب
من ذلك ثم لقي الشيخ فساله عن سبب ذلك فقال لانك دعوت من لم تعرفه
فلم يجبك ثم دعوتني وانت تعرفني فاجبتك ثم دعوت الله وانا اعرفه فاجابني
قلت وقد اخبرني بالارث المتقدم المذكور المنتقل الى الفقيه على من جد
المشكور بعض اصحاب الشيخ نجم الدين الاصبهاني المشهور ، قال لما قدم الفقيه
علي ابن ابراهيم مكة في بعض حجاته قال له الشيخ نجم الدين وكان يحبه ويعظمه
ويقول هذا نور اليمن واهل اليمن يسمونه البكا لكثرة بكايه وابتهاله او قال نحو
قال له هاهنا رجل مغربي يتكلم بشي لا معقول ولا منقول فذهب الفقيه على
اليه وسلم عليه والتمس منه الدعا وقال له اريد ان اسالك عن اشيا فقال له
الشيخ المغربي نعم قيل لي منذ سبعة ايام او قال منذ كذا وكذا يوم يقدم عليك
رجل من اهل اليمن متطيلس متقمص او نحو هذه العبارة ومعناها على ما نقل لي
عن الشيخ نجم الدين فقيه فقير وقيل لي يسالك عن مسايل او قال عن سبع مسايل
المسلة الاولى كذا وكذا ، وجوابها كذا وكذا ، والثانية كذا وكذا ، وجوابها كذا وكذا

والثالثة كذلك الى اخر الجميع فتحير الفقيه علي من ذلك لانه ما ساله بعد ثم ساله ان
يبطح حاله عند الله عز وجل فاطرق قليلا ثم رفع راسه وقال قيل لي قل له هو قطب
الحوف وقد امناه من بلاء الدنيا وعذاب الاخرة • وما اعطي انما اعطيه بالارث
وكان الفقيه علي المذكور يخبر عن جبل انه كان له خرق العادة عادة **قلت** ولقد
رايت الفقيه عليا المذكور بعد ما ودع الكعبة المعظمة وتوجه الى باب المسجد الحرام
خارجا ملتفتا اليها ودموعه على خديه سجام • ورايت الشيخ نجم الدين الاصبهاني قد
خرج في وداعه الى خارج المسجد ولم اره قط فعل ذلك لغيره ووقف معه
ساعة حتى اخذ في سيره **قلت** وبلغني ان الفقيه القطب شمس الزمن
وزين اليمن الذي كثرة شهرته مغنية عن مدحته احمد بن موسى بن عجيل رضي الله عنه
قال لاصحابه ليلة وهو في المدينة الشريفة غدا نرحل ان شاء الله فلما اصبح لم يروا
عنده حركة للسفر فسالوه عن ذلك فقال رايت النبي صلى الله عليه وسلم في هذه الليلة
فقال لي غدا تقدم علينا بعض الاصحاب او قال بعض الاصحاب فاخرج للقائه ثم
خرج فلقي الفقيه عليا المذكور عند المصلى سابع سبعة وقرينته على ظهره
رضي الله عن الجميع ونفعنا بهم **قلت** ثم صار الفقيه علي المذكور بعد موت
الفقيه احمد بن موسى المذكور يسافر بركب اليمن للحج والزيارة كما كان يفعل الفقيه
احمد • وقد سمعت من بعض شيوخنا ان الفقيه علي ابن ابراهيم كتب كتابا وارسل
به رسولا الى السيد الكبير الولي الشهير • الشيخ عمر النهاري رضي الله عنه فلما
وصل اليه الرسول قال له الشيخ قل له الدجاجة لا اهلها بها حاجة • يعلقونها
برجليها • ويسافرون بها وليس لها اختيار في نفسها • قال له هذا الرمز المذكور
ولم يقرا ما هو في كتابا به مسطور • فرجع الرسول اليه • وبلغه ذلك • فبكى
الفقيه علي واقسم عليه الرسول هنالك • ما معنى هذا الرمز الذي ارسل به اليه •
وما في الكتاب الذي قدم به عليه • فقال طلبت منه ان يسال الله عز وجل لي ان
اكون اقف بعرفة بغير سفر ولا مشقة • فاشار الى انه يراد مني غير ما اريد
قلت يعني يسافر بقوافل اليمن القريب منهم والبعيد **قلت** وقد خرجنا
عن المقصود واليه نعود وانما جرنا الى هذا الكلام الكثير كوني رايت
هذا السيد الكبير الذي تقدم ذكر سودده يعتمر كل يوم من شهر رمضان الذي نحن
بصدده اذا علم هذا فينبغي للمجاور لتلك الحضرة الكريمة ان يحسن الادب • ونشكر الله

بلاما

على ما اولاه من النعم العظيمة • ونبغي في العبادتين العزيزتين عمرة • اللتين هما الطواف
والعمرة المعدومتين في غير تلك المشاهد • وننشد وهو للكعبة المعظمة مشاهد
ما قلت في بعض القصائد الا ابلغا من كان عني سائلا • باني بحمد الله في ظل نعمة
اشاهد بيتا قد علته جلالة • وبين وكم من رحمة بعد رحمة

وننشد ايضا ما قلت في الكعبة الغراء في اخرى

وحسناء في الديباج تجلي موشحا • مقبلها عنه اماطت لبرقع
فلو قيل للتي عز وصلها • وحم في حماها عن هوى غير مدعي
فما ذاق طعم الوصل من يدعي الهوى • فبت الجوى سراها الك واخضع
وقم لمصلاها تهنا بحجرها • ولله فاسجد شاكر الفضل واركع
ولذ بالجناب العال ما بين بابها • الى ركنها والذيل فالزمه واخشع
وقم بحماها ثم شاهد جمالها • وذق طيب عيش ناعم ولمنع
تفز بنعيم ثم يمن ورحمة • وامن واحسان وخير مجمع
وقم باكيا قف شاكيا ذا تضرع • على الباب والزمه لتفسح وافزع
وقل هجركم نولي الشقا ونوسلي • اليكم بكم يا سادتي وتشفعي
فان تسعدوا بالوصل فالفضل عرفكم • عرفتم به في شرع كل مشرع
وان تهجروا فالذنب اوجب هجركم • لعبدكم والعدل ما تفعلوا معي
انا المذنب الجاني المسيء جواركم • ولكن رجائي في نداكم ومطمعي

وننشد ايضا ما قلت في اخرى

خليلي اما ربع عزة والزما • لباب يرجى فتحه للملازم
ولا تقطعا عن ربع ليلى زيارة • لاسقاط فرض للمحبين لازم
ولودوا بليلى اخر العمر واسكنا • حماها وزورا عزة في المواسم
واياكما تستبدلا لا سواهما • فتستبدلا عيشا نقيا بناعم
فما العيش الا عيش ليلى وعزة • اذا ما صفا يهنا به كل طاعم

قلت وفي هذا اشرت الى ما اقول به واراه • واحثان على ما سواه • وهو المجاورة
بمكة والموت بالمدينة لغير العارفين بالله • الواقفين مع مراد الله • الذين شهم
الحق سبحانه في جميع البلاد • لنفع العباد • فانهم مع الرسول صلى الله عليه وسلم كالامرا
مع السلطان الناشر عنه في سائر البلدان وكلهم يشفعون بعد الموت على قدر

من انيهم ويانونه كما يأتي الامرا السلطان في مواليهم وذلك لما في مكة من العبادة المنوطة
بالعبادة وما في المدينة من التعبث مع الجار الكريم صلى الله عليه وسلم بعد الوفاة ولقوله
صلى الله عليه وسلم في مكة والله انك لخير ارض الله واحب ارض الله الى الله ولولا
ان قومي اخرجوني منك ما خرجت وقوله صلى الله عليه وسلم في المدينة من استطاع ان
يموت بالمدينة فليمت الحديث وغير ذلك مما صح واشتهر من الاخبار ولانه لا يعدل به
صلى الله عليه وسلم من جميع العالمين جار لا في الارض ولا في السما ولا في الدنيا ولا في
الاخرى فني جواره صلى الله عليه وسلم نهاية المامول وفي هذا المعنى اقول

حليلي هل جار كريم سمعتما ، حميد الثنا الا واحمد احمد
فوالله ما جار بارض ولا سما ، ودنيا واخرى مثل احمد يوجد
فعيشا وموتا في ذمام جواره ، به الجار محمي عزيز ممجد
لكي تحشرا تحت اللوا الذي يرى ، غدا تحته كل البرايا وتحمد
لصاحبه مجد العلي لا منازع ، له فالمقام والشفيع محمد
يقال له اشفع حين لا ذنب الورى ، تشفع وتعطى ما يروم وتقصد
عسى يا غياث الخلق يا الرم الورى ، بجاهك يحوا البيافعي ويسعد
واحبابه مع اهله ثم قصله ، خصوصا بهذا امرهم ثم اسعد
عليك صلاة الله تنفح دايما منك لا ، وتسليمه ما صاح شاد مغرد
على الآل والصحب الكرام شذاهما ، بفوح على مر الجديدين يجدد

قلت وقد خرجنا القضا عن مقصود الجواب الى المقصود الاعظم وها نحن نعود
الى تتمه ما نعلم وممن كان يخرج من مكه للعمرة الشيخ الكبير العارف بالله ابو علي
السنعاط المغربي المالكي رضي الله عنه وكان ياخذ طريقا غير طريق الناس
تباعدا عن روية مستحسنات الدنيا من المحامل والزينه والنسا وينشد

اغنيني مهاة الفقر عن التكما ، لليلي علينا بالعلاقة رقيب

قلت وقد زدت على هذا البيت ثلاثة ابيات واشرت الى شرح ذلك في الحال الحاسم
من كتابي الملقب بكفاية المعتقد ونكاية المنتقد في فضل سلوك الطريقة
والجمع بين الشريعة والحقيقة قلت ومن اجلاء المالكيه المعتمرين ايضا
السيد الكبير الولي المشهور ذو الورع الدقيق والزهد على التحقيق الامام المغربي
ابو عبد الله القصيري رضي الله عنه وكان يميل الى ما ترجح فيه الدليل ولا

يتقيد

يتقيد بمذهب مخصوص ولقد رايته ذات يوم من رمضان وقد تحلل من احرام العمرة على
غير طريقه التي وسالني عن مذهب الشافعي في بعض المسايل ومنهم ايضا الشيخ الكبير
العارف بالله الشهير امام الطريقه ولسان الحقيقه ابو محمد المرجاني رضي الله عنه بلغني انه
لما تحلل من احرام العمرة ذات يوم ورجع الى منزله قال لخادمه رايت في السوق جزورا سمينه
تباع فاذهب اشترلي من لحمها فذهب الخادم ثم رجع اليه بغير لحم وقال له سالت عنها فقيل
انها حرام فقال له الشيخ انا امرتك تشتري منها او امرتك تسال عنها قلت وهذا ابو ما بلغني
عن الشيخ الفقيه الامام معدن الاسرار ومطلع الانوار علم المعالم والمفاخر الجامع بين
علمي الباطن والظاهر ابي محمد بن ابي جمرة بالجيم والرا رضي الله عنه انه قيل له ما بال ابي محمد
المرجاني كثير الامراض فقال لانه ياكل بفتوى ظاهر الشرع وهو مطالب بنصيبه من الورع
قلت يعني فيكمل له بما في الامراض من التطهير ما نقص من نصيب الورع بالتقصير وهذا الذي
ذكرته من مخالفة مذهب الامام مالك لمذهب الامام الشافعي رضي الله عنهما هو ما اشتهر عن مالك
وقال به اكثر اصحابه ثم اخبرني جماعة من الفقها المالكيه بعد ان سمعوا على هذا الجزء انه
نقل القاضي عياض في الاكمال عن مالك انه كرر العمرة قلت فعلى هذا يحصل الاتفاق بينهما
والحمد لله فالحقت هذا الكلام المذكور في هذا الجزء وقد تقدم اني رايت الشيخ الكبير العالم الرباني
نجم الدين الاصبهاني رضي الله عنه يكرر العمرة وقد دنوت منه في وقت في جوف الليل
فسمعته مترنما لعله هو يترنم باول هذه الابيات

ولما وردنا ماء مدين نستقي ، على ظماء منا الى مورد النجوى
اضاءت لنا نار بحي الليل نورها ، وجدنا عليها من نحب ومن نهوى
نزلنا على قوم كرام بيوتهم ، مقدسه لا هند فيها ولا علوى
سقونا فاحيونا واحيوا قلوبنا ، واسكرنا من طيب الفاظه عفوا
سكرنا فبحنا فاستبيحت دماونا ، ويقتل بواح بسر الذي يهوى
وما السر للاحرار الا وديعة ، ولكن اذا رق المدام فمن يقوى
مدام عليها العهد ان لا يذوقها ، سوى مخلص في الحب حال عن الدعوى

قلت وجدير بمن مر في احد الحرمين الشريفين من المجاورين المعتمرين والحجاج المعتمرين
والزوار المحبين ان يصل اثار الاحبة ويعفر بترابها الخدين ويستحضر بقلبه حلا لتها وحرمتها
وينشد هذين البيتين المشهورين امر على الديار ديار ليلى ، اقبل ذا الجدار وذا الجدارا
وما حب الديار شغفن قلبي ، ولكن حب من سكن الديارا

وابيات كثير عزه المشهوره

خليلي هذا ربع عزه فاعقلا ... قلوصيكما ثم ابكيا حيث حلت

ومسا ترابا طال ما مس جلدها ... وظلا وبيتا حيث باتت وظلت

ولا تيأسا ان يمحو الله عنكما ... اذا انتما صليتما حيث صلت

قلت وقد كثر السوال المذكور وكررون كم من مرة اعني ما تقدم من قول القايل هل الطواف افضل ام العمرة وكثيرا ما يشتبه كثير من المشتغلين بالعلم ممن ليس لهم ذوق في العبادات ولا علم باسرار الطاعات مما يفتر عزايمهم ويصرفهم عن الاعتمار ويفوت عليهم ما في ذلك من تجدد الاعتبار وكثرة تنوع ما اشتمل عليه الاحرام من العبادة من الغسل والصلوة وكشف الراس والتلبيه والاذكار التي هي شعار الاوليا السادة والاضطباع والرمل والطواف والسعي والحلق الذي دعي صلى الله عليه وسلم لصاحبه ثلث مرات وما في ضمن ذلك من الانقياد للخروج عن العادات وغير ذلك مما قدمته في المليس الوجه من الفضايل الجليلات ويقولون لهم الطواف افضل ويطوفون قليلا ثم يعتريهم الكسل الذي كان صلى الله عليه وسلم منه يتعوذ وعلينا بالتثبيط عن الخير قد استحوذ فيفوتهم الفاضل والمفضول ويدخل النقص على السايل والمسول قلت بل لو كان حتى يفرغ المعتمر من افعال العمرة كانت العمرة افضل في بعض الاوقات كما قدمنا ذلك والعجب ممن يامر بكثرة الطواف وترك العمرة وقد علم الله لا بد لكل من داوم على شي من ملل وفترة وكان ينبغي ان يامن في تلك الفترة بالانتقال الى الاعتمار اذ في التنقل نشاط وتلذذ مشهور مذكور وفيه قال بعض الشعارن

تنقل فلذات الهوى في التنقل ... ورد كل صاف لا تقف عند منهل

قلت وفي هذا المعنى قلت في بعض القصايد

وقايلة لم ذا ترى متنقلا ... هواك ولا تبقى مدام التودد

فقلت لها ان التنقل في الهوى ... لا بد لمحبوب لنا متجدد

ولكن من قان حقير تنقلي ... الى كل غال من نعيم مخلد

احب الغوالي تارة ثم تارة ... يزحزحني عنها استباق لمسعد

لقا غوالي الحسن حور بها المنى ... وعليش حوا كل السعادات في غد

فيرتاح قلبي للتخلي عن الورى ... وسيح البراري والتقى والتجرد

وطيبة عيش بانفراد وخلوة ... وانس بمولى والتذاذ المتعبد

وراحة فقر ثم عز قناعة ... وذاك الغنى لا المال في عقل مهتد

نرى شرف العليا للفقر في غد ... بذا صحت الاخبار في كل مسند

وذو المال محبوس الحساب معاتبا ... شدايد اهوال وروعات مرعد

هنيا لاهل الفقر سبق الى اللقا ... نعيم وسعد في الجنان وسودد

واعلا واعلا نظرة غاية المنى ... الى وجه مولا الكريم الممجد

وهذا بعض القصيدة وقد شرحتها بجز مفرد سميته بهجة الصدور في مدح الجور والسفر من دار الغرور الى دار السرور ومدح الفقر المشكور وقد خرجنا ايضا عن المقصود واليه نعود قلت ولان في جميع الفضايل حليه بحسنها يحلى كل عامل وفي تركها شين لكل مهمل عن حليتها عاطل وها انا ان كنت من المهملين اهل السبق في هذا المعنى قايل

هل الحلية الحسنا سوى حليه ترى ... جواهرها الوان كل الفضايل

بها من بديع الحسن زين لمجتلي ... بها راح يزهو الدهر من كل عامل

وهل قط شين مثل شين لمهمل ... كمثلي من حلي الفضايل عاطل

لمعتمر في عمرة عمر قلبه ... بانواع طاعات زوال فواصل

فيا حسن ما في عمرة من فضيلة ... جوابي بها شافي عمى جهل سايل

جواب مقيم نافع لمسايلي ... لذا حرم الله المعظم نازل

الى مذهب قد ضاء شرقا ومغربا ... بنور الامام الشافعي البدر قايل

وختمي بحمد الله ثم صلاته ... على خير مختار وافضل فاضل

عورضه بما الكاتب ... [illegible] محمد [illegible]